

عاشوراء

جذورها، أهدافها، حوادثها، معطياتها

مقدمة سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي (مدّ ظله العالی)

عاشوراء ملحمة التاريخ الكبرى

إنّ مراسم العزاء في عاشوراء الحسين التي تقام كل سنة بصورة أروع وأحسن وأوسع من سابقتها مفعمة بدموع وتأوهات عشاق مدرسة سيد الشهداء عليه السلام، لا ينبغي أن تنسينا روحها الملحمية، ولو ألقينا نظرة إجمالية لكنها دقيقة على تاريخ كربلاء منذ اليوم الأول لحدّ الآن، لشهدنا تغييرات عظيمة في الاستنتاجات من هذا التاريخ إزاء هذه المدرسة. فقد انبثق عاشوراء بصيغة ملحمة، ثم تحول إلى مجرد حادثة مأساوية مصحوبة بالدموع والآهات، وارتدت في القرن الأخير حلتها الأولى، أي برزت روحها الملحمية في خضم سيل الدموع والآهات لعشاق المدرسة الحسينية وبثت الحركة في صفوف الجماهير المسلمة. كما أنّ الشعارات الثورية «هيهات ممّا الذلة» و«إنّ الحياة عقيدة وجهاد» المقتبسة من تاريخ كربلاء، إلى جانب القصائد المؤلمة للشعراء والأدباء خلقت حركة فكرية لدى الخطباء والمداحين وخاضت في شرح أبعاد ملحمة كربلاء من خلال مراسم العزاء بمعطياتها وصورها التقليدية التي لا ينبغي نسيانها على الدوام. كما كان لهذه الملحمة دورها الحيوي ولاسيما في الثورة الإسلامية ومشاريع حزب الله جنوب لبنان وأخيراً مراسم عاشوراء والأربعين في العراق، ليدوي نداء «كل أرض كربلاء، وكل يوم عاشوراء» في أوساط البلدان الإسلامية. أجل! حقاً كانت عاشوراء

ملحمة، فالإمام الحسين عليه السلام حين أراد آنذاك الحركة من مكة إلى العراق قال:

«مَنْ كَانَ فِينَا بِإِذْلًا مُّهِجَتَهُ وَمُوطِنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا»^١.

وأكد ذلك قرب كربلاء فقال:

«أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ تَرَكَنِي بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ، هَيْهَاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ»^٢.

ووقع أصحاب الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء تلك الوثيقة فقالوا:

«لَوْ قُتِلْنَا سَبْعِينَ مَرَّةً بَلْ أَلْفَ مَرَّةٍ لَمَا تَرَكَنَا نَصْرَتِكَ»^٣.

كما توجت تلك الملحمة في الطريق إلى كربلاء بعبارة علي الأكبر عليه السلام: «إِذْ نُبَالِي بِالْمَوْتِ»^٤.

وأذهل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام العدو برجزهم في الميدان وهم يطلقون تلك العبارات التي تعكس مدى صمودهم أمام جيشه.

ثم جاء دور العقيلة زينب الكبرى عليها السلام التي جلست عند مصرع أخيها الحسين لترفع جسده الطاهر متضرعة: «اللهم تقبل منّا هذا القربان»^٥. كما ورد صراحة في خطبتها في الكوفة: «أَتَبْكُونَ وَتَنْتَحِبُونَ. فَابْكُوا كَثِيرًا وَاضْحَكُوا قَلِيلًا ... فلن ترحضوها بغسل بعدها أبدًا، وأنى ترحضوها بقتل سليل خاتم النبوة ﷺ ومعدن الرسالة وملاذكم»^٦. ثم ردت بتلك الشجاعة الفائقة على ذلك المجرم السفاح ابن زياد قائلة: «ما رأيت إلا جميلًا، هؤلاء قومٌ كتبَ اللهُ عليهمُ القتلَ، فَبَرَزُوا إِلَى مَصَاجِعِهِمْ...»^٧.

وقالت عليها السلام في خطبتها بالشام مخاطبة يزيد: «وَلئن جرت عليّ الدواهي

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٧.

٢. الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ٢٤٢.

٣. أنظر، ناسخ التواريخ، ج ٢، ص ١٨٠.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٧.

٥. مقتل الحسين للمقرم، ص ٣٠٧.

٦. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٠٩ و ١٦٥.

٧. المصدر السابق، ص ١١٦.

مخاطبتك فإني لأستصغر قدرك وأستكثر تقريعتك ... فاسع سعيك وناصب جهدك،
فوالله لا تُميت وحيناً ولا تَمحوا ذكرنا»^١.

وكذلك ما ورد في خطب الإمام السجاد (عليه السلام) في الشام والمدينة والتي تعكس كل
منها الروح الملحمية لتلك الحادثة التاريخية الكبرى. وسعى أغلب شعراء أهل
البيت (عليهم السلام) طيلة التاريخ إلى تجسيد تلك الروح الملحمية في أشعارهم. فقد استهل
دعبل ذلك الشاعر الشجاع المخلص تأنيته المعروفة بهذا البيت:

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَخِي مُقْفَرُ الْعَرَصَاتِ^٢

كما أضفى عليها الشعراء المعاصرون صبغة جديدة من خلال ما نظموا من قبيل:

إِنْ كَانَ دِينَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَسْتَقِمَّ إِلَّا بِقَتْلِي يَا سُيُوفُ خُذْنِي^٣

أو ما أنشده الشاعر مصوراً لسان حال سيد الشهداء (عليه السلام):

قِفْ دُونَ رَأْيِكَ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِداً إِنَّ الْحَيَاةَ عَقِيدَةٌ وَجِهَادُ

❦❦❦

يسعى أعداء الإسلام اليوم للقضاء على هذه الشريعة السمحاء التي تهدد
مصالحهم اللامشروعة من خلال إفراغ هذه المراسم الحسينية من مضمونها
ومصادرة روحها الملحمية وإيداع دروسها الكامنة في كافة تفاصيل هذه الملحمة
التاريخية العظمى في وادي النسيان. ومن هنا يطالب الخطباء الواعون والمداحون
الهادفون والكتاب الشجعان واليقظون بالسعي لحفظ مضامين هذه الملحمة الخالدة
ويستخلصون منها الدروس والعبر بغية إنقاذ الشعوب المظلومة بصورة عامة
ولاسيما الشعوب المسلمة المستضعفة.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٣-١٣٥.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٤٧.

٣. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٨١. هذا بيت من قصيدة طويلة أنشدها الشاعر والخطيب الكربلائي المرحوم
الشيخ محسن أبو الحب (المتوفى عام ١٣٠٥ هـ) (تراث كربلاء لسلمان هادي الطعمة، ص ٨٦).

الطريقة المثلى لمطالعة التاريخ

إعتاد أغلب الناس - حتى الطلاب - على مطالعة الحوادث التاريخية منفصلة عن بعضها البعض؛ الأمر الذي يجعل العديد من الأسئلة دون جواب. والحال ليس التاريخ سوى سلسلة من الأحداث على غرار السلسلة المتصلة الحلقات؛ فلكل حادثة كبيرة أم صغيرة اليوم جذور في الماضي وآثار على المستقبل؛ وكلما كانت الحادثة أكبر كانت جذورها أعمق وآثارها أشمل.

وقد استعرضت الكتب الحوادث الدموية لعاشوراء الغالب بصيغة فاجعة أليمة ومبتورة عن سائر أحداثه التاريخية، وإن أعطت الكلام حقّه في تلك الدائرة. ولكن لو تأملنا جذور هذه الحادثة العظيمة في سالف التاريخ الإسلامي وحتى في العصر الجاهلي والتفتنا إلى آثارها ومعطياتها في القرون الماضية وحتى اليوم لاتضح عظمة عاشوراء وتجلت زوايا هذه الحادثة كافة وبانت الردود على الكثير مما يرتبط بها من تساؤلات.

وإثر اقتراح واستعداد شخصين من الفضلاء العلماء في الحوزة العلمية **حجتي الإسلام سماحة الشيخ سعيد داودي ومهدي رستم نجاد** لتأليف كتاب بخصوص نهضة الإمام الحسين عليه السلام، رأيت من الأفضل أن يدون هذا الكتاب على ضوء هذه الرؤية لثورة سيد الشهداء عليه السلام، بحيث ينطلق من الجذور والدوافع، ثم يخوض في بيان أصل الوقائع بالاستناد إلى المصادر المعروفة والمعتبرة، ويختتم باستعراض آثارها الشاملة ومعطياتها المهمة، ليتعرّف المجتمع الإسلامي ولاسيما الجيل الجديد على عمق هذه الحادثة الكبرى في التاريخ الإسلامي، ويدرك عظمتها بجميع كياناتها.

وقد وفقنا الله واستعداد هؤلاء الأعزة في تزويدهم بالرؤى العملية للقيام بهذا المقترح النافع والإشراف على هذا جميع خطواته حتى النهاية، فتمكنوا والله الحمد من إتقان هذا العمل وإعداد هذا الكتاب الفريد من نوعه بهذا الشأن. إنّه كتاب موثق

وشامل للتحليلات المنطقية والعملية تجدر مطالعته من قبل أبناء المجتمع الإسلامي لما ينطوي عليه من فوائد إن شاء الله كما يمكنه أن يكون انطلاقة لمضاعفة الجهود في هذا المجال؛ ذلك لأنّ عاشوراء ذو صلة بجميع العصور والدهور. آمل أن يتمكن القراء الأعزاء بمطالعته من التعرف أكثر فأكثر على حقيقة شهداء كربلاء وخاصة سيد الشهداء عليه السلام فيقتدوا به في حياتهم وترسم ملامح عاشوراء على ملامح وجودهم وتضاعف عزتهم ورفعته.

ناصر مكارم الشيرازي

الحوزة العلميّة - قم المقدّسة

ربيع الثاني عام ١٤٢٦ هـ - حزيران عام ٢٠٠٥ م

الديباجة

حفل التاريخ البشري بما لا يحصى من الحوادث المريرة والشاقة وترعرع بين طياته العديد من صناع التاريخ وأبطاله، غير أنه لم يظفر بحادثة كعاشوراء التي وقعت عام ٦١ للهجرة بتلك المعطيات الشاملة ولا يختزن أبطالاً كأشواس كربلاء. فهذه الحادثة كالعملة التي لها وجهان يختلفان تماماً عن بعضهما البعض الآخر؛ فأحد وجهيها الخيانة والغدر والخسة والظلم والقسوة وقتل الضيف، ووجهها الآخر الوفاء والتضحية والمروءة والرجولة وإباء الضيم والصبر والتسليم للقضاء الإلهي وعبودية الحق في أروع درجاته.

ورغم أن التاريخ شهد حوادث أعمق بشاعة من هذه الحادثة وأكثر منها ضحايا وقتلى، ويذكر العديد من النهضات الدموية ودعاة الحق، إلا أن هنالك بعض الخصائص التي ميّزت نهضة عاشوراء عن سائر النهضات التي افتقرت إلى تلك الخصائص، أو أنها لم تكن بذلك الشمول والوضوح أو أنها لم تختزن كل تلك الإمتيازات. وفيما يلي أهم تلك الخصائص للنهضة الحسينية:

١. الأهداف والدوافع الربانية الخالصة

واضح وجلي عنصر النية والدافع الإلهي في نهضة الإمام الحسين عليه السلام فلم ينهض الإمام إلا لنيل رضا الله بإحياء الدين دون أن يكون لأي عنصر دنيوي ونفعي من

مدخلية في نهضته؛ وتشهد على ذلك مواقع تاريخ كربلاء كافة. وعلى هذا الضوء كان الإمام يعيش التكليف طيلة هذه النهضة وتفويض النتيجة لله؛ الأمر الذي تجلى مراراً في كلمات الإمام الحسين عليه السلام وسيرته وتصرفاته وقد أشير كراراً إلى شواهد هذا المطلب في هذا الكتاب.

٢. قتل حجة الله من جانب من ينتحل الإسلام ظاهرياً

الميزة الأخرى لهذه الحادثة أنها لم تود بحياة إنسان مؤمن وداعية حق فحسب، بل إمام معصوم هو خامس أصحاب الكساء وابن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بأسلوب مفجع وأليم لا سابق له في التاريخ ومن قبل جماعة تحسب أنها من أمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

فقتل الإمام الحسين عليه السلام مع تلك المنزلة المعنوية والحسب والنسب في وضوح النهار وبذلك المشهد الذي لم يكن بالعمل الهين بما يسع التاريخ نسيانه. مع أن قتل أي إنسان مؤمن وكل نفس محترمة جريمة كبرى، غير أن قتل رجل هو حجة الله على الأرض وإمام زمانه والذي نهض لمواجهة الظلم والجور وبذلك الطريقة البشعة يعدّ كبيرة لا يمكن المرور عليها مر الكرام، ويؤيد ذلك ماورد من الأخبار والروايات بشأن بعض التغييرات في السماء والأرض وبكاء أهل السموات والملائكة عقب شهادة الحسين عليه السلام والتي ذكرتها مصادر الفريقين^١.

والأنكى من ذلك أن الأمة التي كانت تزعم أنها مسلمة وتؤدي ظاهرياً الصلاة وتتلوا القرآن سارعت مكبرة لقتال فلذة كبد نبيها^٢، فقتلت بقسوة مفرطة أسوة التقوى والإيمان وانتهكت حرمة أهل بيته.

١. انظر: بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٠١ - ٢١٩؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٢٥ - ٤٢٨.

٢. كما قال الشاعر،

وَيَكْبَرُونَ بَأْنُ قَتَلْتِ، وَإِنَّمَا قَتَلُوا بِكَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَا

بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٤٤.

٣. أصحاب الحسين عليه السلام

رغم أنَّ الفئة التي استشهدت إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء كانت قليلة، لكن نظرة عابرة إلى حياتهم وكلماتهم وتصرفاتهم تفيد كونهم أفراداً مؤمنين وأوفياء ومضحيين وعشاق، والشاهد على ذلك وصف الحسين عليه السلام لهم ليلة عاشوراء حين قال:

«فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْلَى وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»^١.

٤. عزة أصحاب الحسين عليه السلام

أتصف الحسين عليه السلام وصحبه بعدة خصائص؛ إلا أنَّ أعظمها عزَّتْهم ورفضهم للذل. فقد فشل العدو رغم مساعيه وضغوطه لاستسلامهم أو حتى سماعه لكلمة منهم في تأييد خلافة يزيد، فخلفوا في قلوب الأعداء حسرة سماع أدنى كلمة في الضعف والندم. وأشرقت ظلمة التاريخ بشعار «هَيْهَاتَ مِنَّا الذَّلَّةُ»^٢. والكلام الخالد «وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ، وَلَا أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ»^٣.

وقد أفرد ابن أبي الحديد في شرحه للخطبة ٥١ من نهج البلاغة بحثاً أسماه: «أَبَاةُ الضَّيِّمِ وَأَخْبَارُهُمْ» ذكر فيه طائفة ممن حفل بهم تاريخ الإسلام فاستهله قائلاً: «سَيِّدُ أَهْلِ الْإِبَاءِ الَّذِي عَلَّمَ النَّاسَ الْحَمِيَّةَ وَالْمَوْتَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ اخْتِياراً عَلَى الدُّنْيَةِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ عُرِضَ عَلَيْهِ الْأَمَانُ وَأَصْحَابُهُ فَأَنَفَ مِنَ الذُّلِّ»^٤.

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣١٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٩٢.

٢. الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ٩٩.

٣. الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٤٥٠.

٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٤٩.

ولم يقتصر الأمر على الإمام الحسين عليه السلام بل عانق جميع أصحابه في عاشوراء الشهادة بذروة العزة والرفعة. ونموذج ذلك رفض أبي الفضل العباس عليه السلام الأمان الذي عرضه عليه الشمر^١. لقد أستطاع العدو التمثيل بأجسادهم وتقطيعها إرباً ارباً، غير أنه عجز عن النيل من عزّتهم وسموهم الروحي، وما ألطف ما صورته الشاعر لهذه الحقيقة:

قَدْ غَيَّرَ الطَّغْنُ مِنْهُمْ كُلَّ جَارِحَةٍ إِلَّا الْمَكَارِمَ فِي أَمْنٍ مِنَ الْغَيْرِ

٥. المظلومية الشاملة

لم تقتصر مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وصحبه على جانب معين فحسب، بل إنطوت حادثة كربلاء على مظلومية في مختلف الأبعاد: فدعوة الإمام الحسين عليه السلام والغدر به وقتل الضيف ومنعه وصحبه وأهل بيته من الصبية والنساء من الماء وعدم التكافؤ في القتال حيث وقف ٧٢ نفر أمام جيش مسلح يقدر بثلاثين ألف مقاتل وقتل الرضيع والهجوم على الأطفال والنسوة وحرق الخيام ورض أجساد الشهداء بحوافر الخيل وحمل الرؤوس على الرماح والحيلولة دون دفن الشهداء وسبي أهل بيت الحسين عليه السلام والطواف بهنّ في البلدان وسائر المظلميات لمن خصائص هذه الحادثة التي تميزها عن سائر الحوادث. ولعلنا نلمس عظم تلك المظلومية من خلال بعض أبعادها التي جعلت العدو رغم قساوته يذرف الدموع؛ ومن ذلك حين خاطبت زينب الكبرى عليها السلام عمر بن سعد:

«يَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ! أَيْقَتُلُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ؟!»

فجرت دموعه على خديه حتى شاح بوجهه عنها^٢.

حتى قال الكاتب الألماني موسيو ماريين «إنّ المصائب التي ألّمت بالحسين عليه السلام

١. الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٤٤٠.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٥.

في سبيل إحياء دين جدّه ميّزته عن سبقه من الشهداء، فلم ترد عليهم أي من هذه المصائب ... فهذه المصائب في عالم الدنيا إنّما اختصت بالحسين»^١.

٦. القدرة على التأثير

الصفة الأخرى لهذه الملحمة العظيمة قدرة تأثيرها في الرأي العام الإسلامي، بل أحرار العالم كافة طيلة التاريخ. ومن هنا يمكن القول إنّ هذا البعد من النهضة الحسينية فريد من نوعه طيلة التاريخ. أي لا يمكن العثور على نهضة في العالم كنموذج للأحرار ودافع لسوق الأبطال لمواجهة الطواغيت والظلمة إلى هذا الحد ومنذ وقوع الحادثة إلى عصرنا الراهن.

بعبارة أخرى إنّ هذه النهضة تتجاوز الزمان والمكان، فهي تخترق بأعجوبة الطول والعرض والعمق (طول الزمان والعرض الجغرافي للأرض والعمق والنفوذ في نفوس أحرار العالم).

حقاً قلّما يمكن العثور على نهضة - كانهضة الحسينية - منتصرة على الرغم من استشهاد أبطالها، وقد إنهارت فيها خطط العدو لحظة تطبيقها بأجمعها.

كتب توماس كارلايل^٢: «إنّ أفضل درس نتعلمه من تراجيديا كربلاء هو صلابة إيمان الحسين وصحبه بالله. وقد أثبتوا بفعلهم أن لا أهمية للتفوق العددي في صراع الحق والباطل، فأذهلني انتصار الحسين بتلك القلّة»^٣. فقتل أولئك الأخيار لم يؤدّ إلى زعزعة سلطة بني أبي سفيان فحسب، بل عجل في سقوطهم ودفع باتجاه إضمحلالهم. والاحتجاجات الفردية والجماعية والانتفاضات التي أعقبت عاشوراء تعكس قدرة تأثير هذه النهضة وانتصار أبطال عاشوراء (وهذا ما سنتحدث عنه في

١. نقلاً عن كتاب «درسي كه حسين به انسانها آموخت» (بالفارسية)، ص ٢٨٧.

٢. توماس كارلايل كاتب مقالة ومؤرخ ومستشرق إنجليزي (ومن علماء القرن التاسع عشر) الذي تعلم العربية في بغداد وأصبح أستاذاً لهذه اللغة في جامعة كمبريدج. (القاموس المعين).

٣. نقلاً عن كتاب «درسي كه حسين به انسانها آموخت» (بالفارسية)، ص ٢٩٠.

الفصل الخامس من هذا الكتاب). وكتب عباس محمود العقاد^١: «وتلك جريرة يوم واحد هو يوم كربلاء، فإذا بالدولة العريضة تذهب في عمر رجل واحد مديد الأيام، وإذا بالغالب في يوم كربلاء أخسر من مغلوب إذا ضعت الأعمار المنزوعة في الكفتين»^٢.

«والنموذج الآخر لنفوذ وتأثير هذه الحادثة المأساوية مراسم الغزاء التي يقوم بها عشاق الحسين (عليه السلام) بعد كل هذه القرون في كل سنة من أيام محرم ولا سيما في تاسوعاء وعاشوراء، دون أن يكثرثوا للتكاليف والعناء الذي يتحملونه بهذا الشأن والذي ربّما يؤدّي بحياتهم، حيث ينبري لذلك الصبية والشبان والكهول من النساء والرجال عاقدین العزم على إقامة هذه المراسم بأروع الصور»^٣.



الكتاب الحاضر

رغم أنّ الكثير من الكتب ألّفت على مر الدهور بشأن النهضة الحسينية وقيام عاشوراء، لكن لما كان عمق هذه الحادثة أعمق مما نعتقد وكلما سلطنا الضوء على أبعادها في كل زمان ألهمتنا بعض الدروس والعبر مما جعل الكتاب المعاصرين يدونون الكتب المفيدة والرائعة، مع ذلك هنالك شعور بأنّ باب التأمل والبحث لهذه النهضة العظيمة مازال مفتوحاً؛ حيث يمكن استخلاص بعض الدروس الجديدة من خلال النظرة الجديدة.

وعلى هذا الأساس اقترحنا على المرجع الجليل والكاتب الإسلامي العظيم سماحة آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي (مد ظله العالی) الذي لعب فكره وقلمه

١. للوقوف على ترجمته راجع، الأعلام للزركلي، ج ٣، ص ٢٦٦.

٢. المجموعة الكاملة لمؤلفات عباس محمود العقاد، ج ٢، ص ٢٧٢.

٣. أبو الشهداء، عباس محمد العقاد، ترجمة محمد كاظم معزّي، ص ٢١٢ (مع التصرف).

دوراً حيويّاً في العالم الإسلامي - تأليف كتاب بهذا الخصوص. فقال سماحته مرحباً بهذا الإقتراح:

لقد سطرت العديد من الكتب بخصوص عاشوراء ونهضة الإمام الحسين عليه السلام. وعليه فهناك حاجة لتأليف كتاب يحمل إبداعات جديدة ومطالب عصرية فينبغي التأمل في هذا الأمر. ثم دعانا بعد فترة وقال:

ساورني مشروع عصري لدراسة نهضة الإمام الحسين عليه السلام دونت أطره وسيكون كتاباً حيويّاً عظيم المضامين إن التزمتم بها في استعراض المواضيع. وحين استعرض سماحته عناوين الفصول، تبين - وكما كان يُرتجى من سماحته - أن هنالك مشروعاً عصرياً وإبداعاً بهذا المجال، يمكنه بحق سد الفراغ بهذا الشأن. فشرعنا على ضوء توجيهاته بتحقيق وتدوين الكتاب بالانفتاح على المصادر المهمة والمعتبرة للفريقين، ولم نكد ننتهي من فصل حتى نتذكره، ثم نعرضه بعد التعديل والإصلاح على سماحته. فكان سماحته يطالعه بدقة ويجري عليه بعض التعديلات القيمة ويضيف بعض النقاط ويذكر الملاحظات التي تكمل المطالب، وهكذا دون الكتاب الحاضر.

والطريف أنّ مشروع الكتاب بدأ في يوم أربعينية الإمام الحسين عليه السلام عام ١٤٢٣ هـ ق واختتم تأليفه - دون أي تخطيط مسبق - يوم الأربعينية أيضاً عام ١٤٢٦ هـ الموافق (١ / ٤ / ٢٠٠٥ م).

يتألف هذا الكتاب من ستة أقسام:

القسم الأول: شخصية الإمام الحسين عليه السلام وفلسفة إقامة العزاء.

القسم الثاني: جذور نهضة عاشوراء.

القسم الثالث: دوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

القسم الرابع: أحداث ثورة عاشوراء.

القسم الخامس: آثار ومعطيات نهضة الطف.

القسم السادس: قطوف شعريّة .

نأمل أن تحظى هذه «البضاعة المزجاة» برضى الله وقبول مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام وتكون لنا ذخراً يوم القيامة.

وختاماً لا يسعنا إلا أن نقدم جزيل شكرنا وإمتناننا لكل من الاخوة عبدالرحيم الحمراني والشيخ هاشم الصالحي حيث بذلا قصار جهدهما في ترجمة وتنقيح هذا الكتاب القيم إلى اللغة العربية، فجزاهما الله تعالى عن الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه خير الجزاء، ورزقهما شفاعته الحسين عليه السلام يوم الورود.

«اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُودِ، وَتَبِّتْ لَنَا قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ، الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

آمين ربّ العالمين

سعيد داودي - مهدي رستم نجاد

أربعينية الإمام الحسين عليه السلام عام ١٤٢٦هـ المصادف ١ / ٤ / ٢٠٠٥ م.

القسم الأول

شخصية الإمام الحسين
وفلسفة إقامة العزاء

تنويه:

نسلط الضوء في هذا القسم على بعض الأمور المتعلقة بولادة الحسين عليه السلام وعظمته وشخصيته وأساليب مراسم العزاء.

الأول: ولادة الإمام الحسين عليه السلام

ولد الإمام عليه السلام طبق نقل بعض المؤرخين يوم الثلاثاء أو الخميس للخامس من شعبان السنة الرابعة للهجرة^١. بينما قال البعض الآخر إنه ولد في الثالث من شعبان العام الثالث للهجرة^٢. ويرى المرحوم العلامة المجلسي أن ولادته كانت في الثالث من شعبان^٣. أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يسمى «حسيناً» وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن الناس آنذاك لم تكن تعرف اسم الحسن والحسين وألهما من جانب الله تبارك وتعالى وأوحاهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسمي بهما أولاد فاطمة وعلي عليه السلام^٤. وذكر جلال الدين السيوطي (أحد علماء أهل السنة في القرن العاشر) أن الحسن والحسين إسمان من أسماء الجنة ولم تسم العرب بهما أسماء أولادهما^٥.

١. الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٣٦٨؛ المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٨٤.

٢. الإقبال للسيد بن طاووس، ج ٣، ص ٣٠٣ وذكر المرحوم الكليني في كتابه الكافي، ج ١، ص ٢٠١ إلى أن ولادته كانت في الثالث من شعبان دون الإشارة إلى شهر الولادة.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٠١.

٤. أسد الغابة، ج ٢، ص ٩.

٥. تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٩.

الثاني: شخصية الحسين عليه السلام

يتمتع الإمام الحسين عليه السلام بشخصية فذة لدى المجتمع الإسلامي وجميع المسلمين آنذاك؛ فهو ابن فاطمة الزهراء عليها السلام ومن هنا كان يقال له ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان المسلمون يولون هذين الإمامين (الحسن والحسين) عناية خاصة بسبب حب رسول الله صلى الله عليه وآله لهما وأحاديثه بشأنهما. ونذكر هنا طائفة من الأحاديث التي أوردها رسول الله صلى الله عليه وآله فيهما وما كان يوليها من حب وحنان:

١. قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليه السلام هذه الكلمة المشهورة:

«الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^١.

٢. جاء في حديث آخر أن طائفة من المسلمين انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وآله لضيافة وكان يتقدمهم صلى الله عليه وآله فرأى الحسين عليه السلام في طريقه، فأراد أن يضمه إليه، بينما كان الحسين عليه السلام يركض فابتسم رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أخذه فوضع يده على ظهره والأخرى تحت عنقه ووضع شفتيه على شفتي الحسين عليه السلام يقبله وقال:

«حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا»^٢.

٣. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجعل الحسن والحسين عليه السلام على كتفيه وينشد بعض الأشعار في حبهما^٣.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب على المنبر أحياناً فينزل حين يرى الحسن والحسين عليه السلام فيضمهما إليه ويقبلهما (ليفهم عامة المسلمين عظم منزلتهما)^٤. سئل رسول الله صلى الله عليه وآله أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ». وكان يشمهما ويضمهما إليه^٥.

١. روي هذا الحديث بعبارات مختلفة في مصادر الفريقين ومنها: مسند أحمد، ج ٣، ص ٦٢، ٦٤، ٨٢؛

سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٢١؛ مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ١٦٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٥، ٢١، ١٢٤، ١٩١-١٩٢.

٢. مسند أحمد، ج ٤، ص ١٧٢؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٥١؛ المناقب ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٢٢٦.

٣. كنز العمال، ج ١٣، ص ٦٦٤، ٦٦٦-٦٦٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٨٥-٢٨٦.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٨٤.

٥. سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٤، ص ٣٨٢.

الإمام الحسين عليه السلام على عهد الخلفاء الثلاثة

كان جهاز الخلافة يكن احتراماً بالغاً على عهد الخلفاء الثلاثة للإمام الحسين عليه السلام لعظمة شخصيته وشرف نسبه، بحيث كان يتحمل انتقاداته اللاذعة ويسعى لحفظ حرمة.

فقد جاء في مصادر أهل السنة أن الخليفة الثاني كان يخطب يوماً، فاعترضه الحسين عليه السلام قائلاً: «إنزل من منبر أبي وأجلس على منبر أبيك». فرد عليه عمر بالقول: «ليس لأبي منبر». ثم أجلس الحسين عليه السلام جواره وجعل يلاطفه^١.

كما روي مثل هذا المضمون مع بعض الاختلاف في مصادر الشيعة^٢. كما وردت عدة مواقف للإمام الحسين عليه السلام في عدة أحداث على عهد عثمان، حيث يكشف كل منها عن عظمة شخصيته لدى المسلمين كافة وسعى الجهاز الحاكم لحفظ حرمة. فقد رافق الحسين عليه السلام أباه أمير المؤمنين علياً عليه السلام وأخاه الحسن عليه السلام في السعي لهداية المسلمين والدفاع عن المظلومين حتى كان يشير حفيظة الخليفة الثالث في بعض الأحيان، مع ذلك كان يضطر الخليفة لرعاية حرمة.

وفي قضية تشيع أبي ذر - حين نفاه عثمان إلى الربرة ومنع الناس من مشايعته - انطلق الحسين عليه السلام مع أبيه وأخيه لوداع أبي ذر وخاطبه مواساة له وتقوية لمعنوياته قائلاً:

«يا عَمَاهُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَادِرٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَا تَرَى وَهُوَ كُلُّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ. إِنَّ الْقَوْمَ مَنَعُوكَ دُنْيَاهُمْ وَمَنَعَتْهُمْ. دِينُكَ. فَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ وَمَا أَحْجَمُ إِلَى مَا مَنَعَتْهُمْ. فَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِي الصَّبْرِ وَالصَّبْرُ مِنَ الْكَرَمِ»^٣.

كان الإمام الحسين عليه السلام يؤدي وظيفته - دون الإكتراث لوعيد المعارضين كما لم

١. كنز العمال، ج ١٣، ص ٦٥٤، ح ٣٧٦٦٢. كما روي مثل هذا الاعتراض تجاه أبي بكر وتأثره من كلام الحسين عليه السلام. مستدرک الوسائل، ج ١٥، ص ١٦٥، ح ٣.

٢. الاحتجاج للطبرسي، ج ١، ص ٢٩٢؛ والأمالی للطوسي، ج ٢، ص ٣١٣.

٣. الكافي، ج ٨، ص ٢٠٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ١٣١.

يكن الجهاز الحاكم يتعرض له، كما كان يتعرض لأبي ذر وعمار وعبد الله بن مسعود بالضرب والشتيم من قبل عثمان وولاته وعمّاله، ذلك لأنّ المسلمين لا يسكتون على ذلك قط.

الإمام الحسين عليه السلام على عهد خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام
كان للإمام الحسين عليه السلام دور مميز إلى جانب أبيه أمير المؤمنين عليه السلام على عهده في معاركه ضد الناكثين والقاسطين والمارقين^١؛ فكان قائد ميسرة الجيش في معركة الجمل^٢، وكان له دور في صفين سواء خطبه وحثه أصحاب الإمام علي عليه السلام على القتال أو قتاله للقاسطين^٣. كما كان من شاهدي التحكيم من جانب علي عليه السلام^٤.

الإمام الحسين عليه السلام على عهد الإمام الحسن عليه السلام
وقف الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانب أخيه وإمام عصره الإمام الحسن عليه السلام، ورافقه حين انطلق جيشه إلى الشام، ولما اقترح معاوية عليه الصلح عرضه على الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر^٥، ثم عاد مع أخيه بعد عقد الصلح إلى المدينة وأقام فيها^٦.

الإجلال والإكبار الاستثنائي للإمام الحسين عليه السلام من قبل المسلمين
أولى المسلمون الإمام الحسين عليه السلام إجلالاً وإكباراً عظيمين بسبب شرف حربه

١. الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٣٣٣.

٢. تاريخ دمشق لابن عساكر، سيرة الإمام الحسين عليه السلام.

٣. كتاب صفين لنصر بن مزاحم، ص ١١٤، ٢٤٩ و ٥٣٠.

٤. المصدر السابق، ص ٥٠٧.

٥. الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٠٥.

٦. الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٣٣٣.

ونسبه وعظمة روحه ومحبته عند رسول الله ﷺ وإليك بعض تلك النماذج:

١. أخذ ابن عباس (الصحابي الجليل) بركاب الحسن والحسين عليهما السلام فقبل له: «إن هذين إنا رسول الله، أو ليس من سعادتني أن أخذ بركابيهما»^٢.
٢. رأى أبو هريرة الحسين عليه السلام جالساً من شدة التعب فأقرب منه وجعل يمسح التراب عن قدم الإمام بشيابه ولما سأله عن ذلك قال: «دعني! فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم»^٣.
٣. حين كان يرى المسلمون الحسن والحسين عليهما السلام يسيران راجلين إلى الحج، كانوا ينزلون عن ركائبهم ويواصلون طريقهم مشياً، فكان الإمامان عليهما السلام يغيران طريقهما لئلا يشقاً على المسلمين^٤. وكانا يتعرضان لرحمة المسلمين حين الطواف حيث كانوا يتدافعون من أجل رؤيتهما والتبرك بهما^٥.

خاتمة المطاف

حظى الإمام الحسين عليه السلام باحترام المسلمين سواء على عهد النبي ﷺ أو العصور التي تلتها حتى زمان خلافة معاوية؛ فبغض النظر عن كمالاته الإنسانية وعظمته الروحية والمعنوية وكراماته وفضائله فهو ابن رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا، غير أن هذا الوضع تغير على عهد معاوية ثم ولده يزيد، رغم ما نحن عليه من أن جذور حادثة كربلاء إنما تمتد إلى «السقيفة» (وهذا ما سنتطرق إليه في محله)، مع ذلك

١. ولد ابن عباس قبيل الهجرة بثلاث سنوات (أسد الغابة، ج ٣، ص ١٩٣) بينما ولد الحسين عليه السلام في السنة الهجرية الثالثة أو الرابعة.

٢. مختصر تاريخ دمشق، ج ٧، ص ١٢٨.

٣. المصدر السابق، ص ١٢٨.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٧٦.

٥. البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٨.

لا شك في أن عصر معاوية ويزيد كان مختلفاً تماماً مع ما سبقه من عصور، ولو طرحت قضية فاجعة الإمام الحسين (عليه السلام) وسبي أهل بيته قبيل عهد معاوية لما صدقها أحد من المسلمين، أجل لا يصدق مسلم أن فئة تزعم أنها على ملة النبي (صلى الله عليه وآله) تنتهك حرمة فلذة كبد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والصديقة الطاهرة (عليها السلام) فضلاً عن قتله غريباً ومظلوماً عطشاً في رمضاء كربلاء وسبي نساءه وأهل بيته.

ما أن تسلم الأمويون الخلافة حتى أصبح سب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) من قبل معاوية وعماله صيغة علناً وروج سبه على المنابر ليسارع في تمهيد السبيل لوقوع تلك الفاجعة الدموية، فلم يبق من مأوى للحسين (عليه السلام) في قاطبة البلاد الإسلامية «وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الأبحاث القادمة» رغم منزلته لدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمين.

الثالث: دور الأئمة الأطهار في تخليد الحسين (عليه السلام)

أكدت العديد من آيات القرآن على ضرورة تفعيل وحفظ ذكر الأنبياء (عليهم السلام) وكبار شخصيات التاريخ وسرد سيرتهم التي تنطوي على الدروس والعبر. ومطالعة هذه الطائفة من الآيات التي تبدأ عادة بقوله تعالى: «وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ، وَادُّكُرْ فِي الْكِتَابِ» تفيد أن الغرض من ذكر صفوة الله لا يمكن في إستعراض حياتهم وبيان أسمائهم وقضايهم الشخصية، بل دليل ذكرهم في هذه الآيات صفاتهم الحميدة وخصالهم الحسنة وأساليبهم الربانية والإنسانية. فإننا نقرأ في هذه الآيات:

«وَادُّكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقاً نَبِيّاً»^١.

«وَادُّكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً»^٢.

«وَادُّكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ»^٣.

١. سورة مريم، الآية ٤١.

٢. سورة مريم، الآية ٥١.

٣. سورة مريم، الآية ٥٤.

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾^١.

وكما نلاحظ لم ترد في هذه الآيات إشارة إلى الجوانب الشخصية والسرية وماهم عليه من حياة اعتيادية، بل كان الكلام عن فضائلهم الخلقية وأساليبهم البناءة، وهذا يشير إلى أنّ لزوم إحياء ذكرهم إنّما يعزى إلى وجود هذه الصفات والملكات الحميدة، وليست هنالك من موضوعية وخصوصية لذكر أسمائهم، بل إحياء ذكر كل من اتّصف بهذه السجايا الإنسانية والربانية لمن الوظائف الإنسانية والدينية.

ومن هنا نرى استغلال أئمة الهدى عليهم السلام لكل فرصة وفي مختلف المناسبات في إحياء وتخليد شهداء كربلاء بصفاتهم أكمل أسوة في التضحية والفداء في سبيل نجاة الأئمة، ولا سيما سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام.

حقاً إنّ تخليد ذكر هؤلاء الأولياء سيّلتهم الأجيال ويجعل حياتهم هادفة ويثير لديهم روح التضحية والفداء ويمنحهم قوّة الصمود بوجه الخطوب والمحن. وبالتالي فإن ذكر هؤلاء الصالحاء والتذكير بسجاياهم الخلقية سيؤدّي بكل أئمة - خاصة الأئمة المسلمة - إلى التأسي والإقتداء بهم.

أساليب الأئمة عليهم السلام في إحياء عاشوراء وأبطالها

إعتمد أئمة أهل البيت عليهم السلام مختلف الأساليب بغية تخليد الإمام الحسين عليه السلام ومنها:

١. إقامة مجالس العزاء

روى علقمة الحضرمي أنّ الإمام الباقر عليه السلام كان يقيم في بيته مراسم العزاء على الحسين عليه السلام يوم عاشوراء:

«... ثُمَّ لَيَنْدِبُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُنْكِيهِ وَيَأْمُرُ مَنْ فِي دَارِهِ مِمَّنْ لَا يَتَّقِيهِ

١. سورة ص، الآية ٤٥.

بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ ... وَلِيَعَزَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِمُصَابِهِمْ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام»^١.
ولا تخفى البركات التي تنالها الأمة الإسلامية من تلك المجالس. فالمعطيات الثقافية والتربوية والتعليمية لهذه السّنة الخالدة لأئمة أهل البيت عليهم السلام على قدر من الكثرة بحيث يعزى لها الجانب الأعظم من الثقافة الشيعية.

٢. ذكر مصائب الحسين عليه السلام في مختلف المناسبات

ورد في الحديث أن الإمام الصادق عليه السلام قال لداود الرقي:
«إِنِّي مَا شَرِبْتُ مَاءً بَارِداً إِلَّا وَذَكَرْتُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَام»^٢.
كما جاء في الخبر أن المنصور الدوانيقي لما أحرق دار الإمام الصادق عليه السلام كان فيها فاطماتها وهدأ الصبية. وفي اليوم التالي أتاه عدداً من أشياعه فرأوه مغموماً باكياً فسألوه عن ذلك هل بسبب هتكهم لحرمته، فأجاب:
«لا، وَلَكِنْ لَمَّا أَخَذَتِ النَّارُ مَا فِي الدِّهْلِيزِ نَظَرْتُ إِلَى نِسَائِي وَبَنَاتِي يَتَرَكَضْنَ فِي صَحْنِ الدَّارِ مِنْ حُجْرَةٍ إِلَى حُجْرَةٍ وَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ هَذَا وَأَنَا مَعَهُنَّ فِي الدَّارِ فَتَذَكَّرْتُ فِرَارَ عِيَالِ جَدِّي الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنْ خَيْمَةٍ إِلَى خَيْمَةٍ وَمِنْ حَبَاءٍ إِلَى حَبَاءٍ»^٣.

٣. البكاء والإبكاء

إن أعظم أسلوب اعتمده الأئمة الأطهار عليهم السلام لإحياء النهضة الحسينية البكاء على الإمام الحسين عليه السلام. فقد عاش الإمام السجاد عليه السلام حالة الحداد طيلة حياته على قضية عاشوراء فبكى على هذه المصيبة بما جعله يلقب بـ (بكائي العالم)^٤. حيث قال عليه السلام:

١. وسائل الشيعية، ج ١٠، ص ٣٩٨، الباب ٦٦ من أبواب المزار، ح ٢٠.

٢. أمالي الصدوق، ص ١٤٢.

٣. مأساة الحسين، ص ١١٧؛ ومجمع مصائب أهل البيت للهنداوي، ج ١، ص ٢٤.

٤. وسائل الشيعية، ج ٢، ص ٩٢٢ الباب ٨٧، ح ٧.

«إِنِّي لَمْ أَذْكُرْ مَضْرَعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلَّا خَنَقْتَنِي الْعَبْرَةَ»^١.

وبكاء الإمام عليه السلام في مختلف المناسبات أدى إلى صحوه عامة وحال دون نسيان ذكر شهداء الطف. ولم يكتف الأئمة عليهم السلام بالبكاء على مصاب سيد الشهداء فحسب، بل كانوا يحثون الآخرين ويرغبونهم بالبكاء عليه. فقد جاء في رواية الإمام الرضا عليه السلام:

«فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيُبْكِي الْبَاكُونَ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ يَحُطُّ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ»^٢.

وبموازاة الثواب العظيم الذي ذكر في الروايات على البكاء، هنالك المزيد من الثواب أيضا على الإبكاء، بل حتى التباكي، ففي الخبر:

«... مَنْ بَكَى وَأَبْكَى وَاحِدًا فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ تَبَاكَى فَلَهُ الْجَنَّةُ»^٣.

٤. حث الشعراء على المراثي

حظى الشعراء الذين نظموا الشعر في مصائب الإمام الحسين عليه السلام وأنشدوها في المجالس والمحافل بأهتمام الأئمة المعصومين عليهم السلام وفائق لطفهم وعنايتهم. وكان مشاهير الشعراء مثل «كميت الأسدي» و«دعبل الخزاعي» و«السيد الحميري» و... بصفتهم «شعراء أهل البيت» وبتشجيع الأئمة عليهم السلام يتمتعون بمكانة اجتماعية مرموقة لدى الناس. قال هارون المكفوف أحد أصحاب الإمام الصادق (دخلت على الإمام عليه السلام فقال: أنشدني أنشدته. فقال: «لا، كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره»). أنشدته:

أُمُرُّ عَلَى جَدِّ الْحُسَيْنِ فَقُلْ لَأَعْظُمِهِ الزَّكِيَّةُ

فرايته بكى فسكت. فقال: أنشد أنشدت حتى بلغت هذا البيت:

يَا مَرِيْمُ قُومِي وَأَنْدُبِي مَوْلَاكَ وَعَلَى الْحُسَيْنِ فَأَسْعِدِي بِبُكَائِكَ

١. بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ١٠٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٨٤؛ وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٩٤، ح ٨.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٨٨، ح ٢٧.

فبكى الإمام عليه السلام وصرخت النسوة، فلما هدأ قال عليه السلام: «يا أبا هارون مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ فَأَبْكِي عَشْرَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ»^١.

٥. أهمية تربة الإمام الحسين عليه السلام

سعى خصوم الدعوة من بني أمية وبني العباس بكل ما أوتوا من قوة لدثر نهضة الإمام وصحبه الأوفياء وعدم تذكير الناس عنها إلى درجة إزالة معالم قبره الشريف. وعلى هذا الضوء عمد بعض الخلفاء العباسيين مراراً لهدم قبر الحسين عليه السلام^٢. وبالمقابل كان الأئمة عليهم السلام ينتهزون كل فرصة لمواجهة هذه الهجمة فاعتبروا تربته قطعة من تراب الجنة وشفاء الأمراض والبركات. قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «لَا تَأْخُذُوا مِنْ تُرْبَتِي شَيْئاً لِيَتَبَرَّكُوا بِهِ، فَإِنَّ كُلَّ تُرْبَةٍ لَنَا مُحَرَّمَةٌ إِلَّا تُرْبَةُ جَدِّي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا شِفَاءً لَشَيْعَتِنَا وَأَوْلِيَانَا»^٣. وجاء في سيرة الإمام السجاد عليه السلام إنه كان يحتفظ بتراب من كربلاء: «فَكَانَ إِذَا حَضَرَتْهُ الصَّلَاةُ صَبَّهَ عَلَى سَجَادَتِهِ وَسَجَدَ عَلَيْهِ»^٤.

ويستفاد من مجموع الروايات الواردة بشأن تربة الإمام الحسين عليه السلام أن الانفتاح على بركة تلك التربة الطاهرة يبتدئ من اليوم الأول للولادة من خلال تحنيك الوليد وينتهي بلحظاته الأخيرة حين توضع في لحدّه^٥. كما أوصى الأئمة عليهم السلام بصنع التربة والمسبحة من تراب كربلاء وحملها وتناول مقدار منها (مثلاً يحل مقداراً منها بقدر حبة العدس في الماء ويتناوله) بقصد الشفاء وافتتاح الإفطار يوم العيد بشيء منها^٦.

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٨٧ ح ٢٥.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٩٠ باب تحت عنوان (جور الخلفاء على قبره الشريف).

٣. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ١٤٤، ح ٢؛ بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ١١٨.

٤. بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ١٣٥، ح ٧٤ للوقوف على المزيد راجع وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٢٠، الباب ٧٥ (باب استحباب اتخاذ سبحة من تربة الحسين عليه السلام).

٥. قال الإمام الصادق عليه السلام: «حَنَكُوا أَوْلَادَكُمْ بِتُرْبَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ». وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤١٠، ح ٨.

٦. انظر: وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ١٤٤، الباب ٧٢، وص ٤٠٨ الباب ٧٠.

٦. الإهتمام الخاص بزيارة ضريح الحسين عليه السلام

ناهيك عن زيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام لقبر الحسين عليه السلام، فإنهم كانوا يحثون أتباعهم على الزيارة من خلال بيانهم لثوابها العظيم، وهكذا خلدوا ذكرى أولئك الشهداء وسددوا أوجع الضربات لصرح الكفار وأعداء أهل البيت عليهم السلام. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«ما من أحدٍ يومَ القيامةِ إلَّا وهو يتمنى أنَّهُ زارَ الحُسينَ بنَ عليٍّ عليه السَّلامِ لِمَا يَرى كما يُصنَعُ بِزُوارِ الحُسينِ بنِ عليٍّ عليهما السَّلامِ مِنْ كَرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ»^١. وقال أيضاً: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَوَائِدِ نُورِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيَكُنْ مِنْ زُوارِ الحُسينِ بنِ عليٍّ عليهما السَّلامِ»^٢.

بل أوصت بعض الروايات بالإكثار من زيارته عليه السلام. قال الإمام الكاظم عليه السلام: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُهَوَّنَ عَلَيْهِ سَكْرَةُ الْمَوْتِ، وَهُولُ الْمُطَّلَعِ فَلْيَكُنْ زِيَارَةَ قَبْرِ الحُسينِ عَلَيْهِ السَّلامِ»^٣.

الرابع: تاريخ إقامة العزاء على مظلومية الحسين عليه السلام

كانت عظمة مصيبة ومظلومية خامس آل العباء بحيث اقترن اسمه دائماً بالنياحة والعزاء؛ كما اختلط اسمه بالتححرر والشجاعة والدفاع عن الدين والقيم الإسلامية. فقد عم مصابه جميع أهل القبلة، كما شق على حملة العرش وملائكة الأرض والسماء^٤. وسنتابع تاريخ إقامة العزاء والبكاء على مظلومية سيد الشهداء عليه السلام بصورة

١. بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٧٢، ح ١٧؛ وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٣٠، ح ٣٧.

٢. بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٧٢، ح ١٩؛ وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٣٠، ح ٣٨.

٣. بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٧٧، ح ٣٤؛ وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٣٠، ح ٤٠.

٤. «وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ الْمَذْصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَوَاتِ» (زيارة عاشوراء).

عابرة - من خلال ثلاثة أقسام:

١. البكاء على الحسين عليه السلام قبل ولادته

ورد في بعض الروايات أنَّ بعض الأنبياء قبيل ولادة الإمام الحسين عليه السلام بآلاف السنين بكوا على مظلوميته لما اطلعوا على حادثة كربلاء - ففي الخبر أنَّ جبرائيل لما علم آدم عليه السلام كلمات التوبة ودعاه بأولئك الخمسة كان يبكي حين يبلغ اسم الحسين عليه السلام وحين سأل جبرائيل عن السبب. أخبره بما يجري عليه من مصيبة وأنه يقتل عطشاً وغريباً، ثم أخبره بسائر المصائب التي تجري على أهل بيته (فَبَكَى آدَمُ وَجِبْرَائِيلُ بُكَاءَ الشَّكْلِ)¹.

كما بكى موسى عليه السلام لما أخبره الله بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام وسبي أهل بيته والطواف برؤوس الشهداء في المدن².

كما بكاه نبي الله زكريا عليه السلام وكان يخاطب الله بزوال همه وغمه بمحمد وعلي وفاطمة والحسن عليه السلام ولكن لا يكاد يذكر الحسين عليه السلام حتى تجري دموعه. فاطلعه الله على بعض مصائب الحسين عليه السلام، فلما سمع بذلك زكريا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيهن الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب وكان يرثيه: «إِلَهِیْ أَتَفْجِعْ خَيْرَ جَمِيعِ خَلْقِكَ بِوَلَدِهِ...»³.

وجاء في الخبر المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ عيسى عليه السلام مرَّ بكربلاء ومعه الحواريون فبكى عليه وبكى الحواريون. فسألوه يا روح الله ما يبكيك؟ قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد عليه السلام وفرخ الحرة البتول عليا عليه السلام⁴.

→ وكذلك ووردت في الزيارة الأولى المطلقة للإمام الحسين عليه السلام في (مفاتيح الجنان)، «واقشَعَرَتْ لَهُ أَظْلَلَةُ الْعَرْشِ وَبَكَى لَهُ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ وَبَكَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ».

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٤٥.

٢. معالي السبطين، ج ١، ص ١٨٦.

٣. الاحتجاج، ج ٢، ص ٥٢٩.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٥٣.

٢. البكاء على الحسين عليه السلام بعد الولادة

بكى الحسين عليه السلام منذ ولادته وما تبعها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام حين اطلعوا على عظم مظلوميته في المستقبل.

بكاء النبي صلى الله عليه وآله

نقرأ في الرواية: قالت أسماء: فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام وجاءني النبي صلى الله عليه وآله فقال: هلمّي ابني، فدفعته إلية في خرقة بيضاء فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى ووضعه في حجره وبكى، فقالت أسماء: فداك أبي وأمي ممّ بكاؤك؟ قال: «من ابني هذا».

فقلت: إنه ولد الساعة.

وقال: «تَقْتُلُهُ الْفِتَّةُ الْبَاغِيَّةُ مِنْ بَعْدِي، لَا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِي».

ثم قال: «يا أَسْمَاءُ لَا تُخْبِرِي فَاطِمَةَ بِهَذَا فَإِنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِوِلَادَتِهِ»^١.

بكاء علي عليه السلام على الحسين عليه السلام

قال ابن عباس: كنت مع أمير المؤمنين في خروجه إلى صفين فلما نزل بنينوى قال بأعلى صوته: يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع؟ قلت له: ما أعرفه. قال: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي، قال فبكى طويلاً حتى اخطلت لحيته وسالت الدموع على صدره وبكىنا معاً وهو يقول:

«أَوِّهِ أَوِّهِ مَالِي وَلَيْلِ أَبِي سُفْيَانَ؟ مَالِي وَلَيْلِ حَزْبِ الشَّيْطَانِ؟ وَأَوْلِيَاءِ الْكُفْرِ؟ صَبْرًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقَدْ لَقِيَ أَبُوكَ مِثْلَ الَّذِي تَلْقَى مِنْهُمْ»^٢.

١. بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٣٩؛ نقل هذا الحديث المرحوم الطبرسي في أعلام الوري بأعلام الهدى، ج ١،

ص ٤٢٧، وكذلك نقله الشيخ سليمان القندوزي الحنفي، في كتابه «بنايع المودة»، ج ٢، ص ٣٠٠.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٥٢ (باختصار).

بكاء الزهراء عليها السلام

لما أخبر النبي ﷺ ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه من المحن بكت بكاءً شديداً وقالت: متى يكون ذلك؟ قال ﷺ: في زمان خال مني ومنك ومن علي. فاشتد بكاؤها وقالت: من يبكيه؟ فقال ﷺ: نساء أمتي يبكين على نساء أهل بيتي ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي وبين لها ثواب ذلك البكاء^١.

٣. النوح والبكاء على الحسين عليه السلام بعد شهادته

وأخيراً وقعت تلك الحادثة المؤلمة التي أطلع عليها أولياء الله منذ البداية الخلق. حقاً إنَّ الفاجعة التي قرحت القلوب قبل وقوعها وأجرت الدموع، حين وقعت يوم عاشوراء عام ٦١ هـ خلقت حرارة في النفوس واقتربت بالمآتم والعزاء، إلى جانب الدروس العظيمة في مقارعة الظلم والظالمين من أجل حرية الإنسان وتحقيق الأهداف والدفاع عن الكرامة والاستماتة من أجل العقيدة، وبلغت الفاجعة درجة بحيث انطلقت مراسم العزاء والنوح والبكاء على الحسين عليه السلام وصحبه الأوفياء منذ يوم عاشوراء، وما زالت مستمرة وستواصل ما بقي في الدنيا رفق من حياة، فقد قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَدًا»^٢.

ونستعرض هنا بعض نماذج البكاء والعزاء على الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته:

بكاء الأعداء

حين وقعت أعين بنات رسول الله ﷺ على الشهداء بكين وصرخن فأخذت

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٩٢ (باختصار).

٢. مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ٣١٨، ح ١٣.

العقيلة زينب تندب جدها وتتاديه بصوت حزين:
«وَأُمِّحَمَّادَهِ صَلَّى عَلَيْكَ مَلِيكَ السَّمَاءِ، هَذَا حُسَيْنٌ مُرَمَّلٌ بِالدِّمَاءِ، مُقَطَّعُ
الْأَعْضَاءِ».

كما تحدثت عليه بشأن مصاب أخيها وسائر الشهداء وندبتهم حتى قيل:
«فَأَبْكْتَ وَاللَّهِ كُلَّ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ»^١.

إقامة مراسم العزاء في دار يزيد

حين حملت السبايا إلى الكوفة والشام تغيرت أوضاع الشام بعد خطبتي الإمام
زين العابدين عليه السلام وزينب الكبرى عليه السلام حيث خلقنا أجواءً مناهضة للجهاز الأموي
الحاكم، فلم يجد يزيد بداً من إظهار الندم. وفي ظل هذه الظروف أقامت بنات
الرسالة مراسم العزاء في الشام حتى اشتركت فيها نساء بني أمية واستمرت ثلاثة
أيام^٢.

عزاء زوجة الإمام الحسين عليه السلام

جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أن زوجة الإمام الحسين عليه السلام (التي تدعى
الرباب)^٣ أقامت مراسم العزاء وشاركتها النسوة وخادماتهن^٤.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٨-٥٩ (باختصار) كما وردت هذه العبارات مع اختلاف في الكامل لابن الأثير،
ج ٤، ص ٨١.

٢. «... فخرجن حتى دخلن دار يزيد فلم تبقى من آل معاوية امرأة إلا استقبلهن تبكي وتنوح على
الحسين عليه السلام فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً» تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٥٣، كما ورد هذا الحادث بصورة مفصلة
في بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤٢.

٣. كتب المرحوم الشيخ المفيد إحدى زوجات الإمام الحسين عليه السلام هي الرباب بنت أمراء القيس الكلبي وهي
أم سكينه عليه السلام (الإرشاد، تاريخ حياة الإمام الحسين عليه السلام الباب ٥، ص ٤٩١).

٤. «لما قتل الحسين أقامت امرأته الكلبيّة عليه مأتماً و...» الكافي، ج ١، ص ٦٦٤.

مراسم العزاء عند الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام

مرّ علينا سابقاً إقامة مراسم العزاء على الإمام الحسين عليه السلام عند الإمام الباقر عليه السلام ^١، وأمّا بشأن الإمام الصادق عليه السلام فأحياناً كان يدخل عليه بعض شعراء أهل البيت عليهم السلام فيطلب منهم رثاء سيد الشهداء عليه السلام. كما كان عليه السلام يطلب من أهل البيت الجلوس خلف الستار لسماع الرثاء، وفي الواقع كانت تعقد مجالس من قبل خلص أهل البيت عليهم السلام لإقامة مراسم العزاء على سيد الشهداء عليه السلام. وقد ذكرنا قصة أبي هارون المكفوف، وإليك نموذج آخر. قال عبد الله بن غالب دخلت على الإمام الصادق عليه السلام فرثيت الإمام الحسين عليه السلام فلما بلغت بيتاً سمعت صوت امرأة من خلف الستار صرخت باكية «يا أبتاه» ^٢.

مراسم العزاء عند الإمام الرضا عليه السلام

حكى دعبل قال دخلت على الإمام الرضا عليه السلام أيام العزاء فرأيتَه جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله فلما رأيته قال لي: مرحباً بناصرنا بيده ولسانه. أجلسني إلى جانبه وقال لي: يا دعبل أحب أن تنشدني شعراً فإنّ هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية. ثم ذكر ثواب البكاء والإبكاء على مصائب أهل البيت خصوصاً مصيبة الحسين عليه السلام ^٣. فأنشد دعبل:

أَفَاطِمُ لَوْ خِلْتِ الْحُسَيْنَ مُجَدَّلاً وَقَدْ مَاتَ عَطُشَاناً بِشَطِّ فُرَاتٍ

١. النموذج الآخر من العزاء عند الإمام الباقر عليه السلام الشعر الذي كان ينشده كميّة الأسدي عند الإمام في رثاء شهداء كربلاء فكان عليه السلام يبكي ويسمع بكاء الخادمة من خلف الستار، وكان بعدها يدع للكميّة. (بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٣٩٠-٣٩١).

٢. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٨٦؛ والنموذج الآخر رثاء أبي عماره عند الإمام الصادق عليه السلام وبكاء الإمام وأهل بيته (المصدر السابق، ص ٢٨٢).

٣. «ثم إنه نهض، وضرب سترأ بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستار ليكبوا على مصاب جدّهم الحسين عليه السلام...» (بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٥٧).

إِذَا لَطَمْتَ الْخَدَّ فَاطِمُ عَنْدَهُ وَأَجَرَيْتِ دَمْعَ الْعَيْنِ فِي الْوَجَنَاتِ
أَفَاطِمُ قُومِي يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ وَأَنْدُبِي نُجُومَ سَمَاوَاتٍ بِأَرْضِ فَلَاتِ
بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ مِنْهُتَكَاتِ
وَآلُ زِيَادٍ فِي الْحُصُونِ مَنِيعَةٌ وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ
سَأُبْكِيهِمْ مَا ذَرَّ فِي الْأَرْضِ شَارِقُ وَنَادَى مُنَادِي الْخَيْرِ لِلصَّلَوَاتِ
وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَحَانَ غُرُوبُهَا وَبِاللَّيْلِ أَبْكِيهِمْ وَبِالْغَدَوَاتِ^١

مراسم العزاء عند قبور شهداء كربلاء

تفيد بعض التواريخ أنَّ الشيعة كانوا يستغلون بعض المناسبات (حينما كانوا يرون الظروف ممهدة) ليقوموا مراسم العزاء عند قبر الحسين عليه السلام في كربلاء، وكان الأئمة عليهم السلام يسرون ويشجعونهم على ذلك. على سبيل المثال: قال عبد الله بن حماد البصري قال الإمام الصادق عليه السلام:

«بَلَّغْنِي أَنْ قَوْمًا يَأْتُونَهُ مِنْ نَوَاحِي الْكُوفَةِ وَنَاسًا مِنْ غَيْرِهِمْ وَنِسَاءً يَنْدُبْنَهُ وَذَلِكَ فِي النَّصَفِ مِنْ شَعْبَانَ فَمَنْ يَبِينِ قَارِي يَقْرَأُ وَقَاصٍ يَقُصُّ وَنَادِبٍ يَنْدُبُ وَقَائِلٍ يَقُولُ الْمَرَاثِي؟ فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ شَهِدْتُ بَعْضَ مَا تَصِفُ. فَقَالَ عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي النَّاسِ مَنْ يَفِدُ إِلَيْنَا وَيَمْدَحُنَا وَيَرْثِي لَنَا وَجَعَلَ عَدُوَّنَا مَنْ يُطْعِنُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَرَابَتِنَا أَوْ غَيْرِهِمْ يَهْدِرُونَهُمْ وَيُقَبِّحُونَ مَا يَصْنَعُونَ»^٢.

وزبدة الكلام: تواصلت مراسم العزاء على الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الميامين سيما في أيام محرم وعاشوراء في الماضي والحاضر، حيث تقيمها شيعة آل البيت عليهم السلام في كافة أنحاء العالم بأساليب متنوعة وتذرف الدموع على مصاب الحسين عليه السلام وصحبه ضمن تخليدها لتلك التضحيات والبطولات.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٥٧ (باختصار).

٢. بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٧٤ نقلاً عن كامل الزيارات، ص ٣٢٥، باب ١٠٨، ح ١.

الخامس: فلسفة البكاء والعزاء على الإمام الحسين عليه السلام

حقاً إنَّ التأكيد والوصايا التي وردت في الروايات بالنسبة لإقامة مجالس العزاء والبكاء على مصاب الإمام الحسين عليه السلام لم ترد في أي من الأئمة المعصومين عليهم السلام حتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكأنَّ هنالك سرّاً في هذه المسألة بحيث وردت تلك التأكيدات من الأئمة عليهم السلام. وقد تحدثت الروايات عن عظم ثواب هذه المجالس بما جعل البعض يراها نوعاً من المبالغة فينكرها وينسبها إلى «الغلاة» حتى قيل: «لابدَّ أن يكون هنالك تناسب بين العمل والجزاء، فكيف يكون لهذا العمل البسيط كالبكاء على الإمام الحسين عليه السلام مثل هذا الثواب العظيم؟!».

وبالمقابل هنالك البعض الآخر الذي سلك منهج الإفراط فزعم بنجاة كل من بكى على الإمام الحسين عليه السلام ولو بقدر جناح ذبابة وإن غرق في بحر الذنوب والمعاصي. فهذا يرى أن قطرة دمع تذرف على الحسين عليه السلام كافية لأن تغسل كل كذب وخيانة وباطل! وبالطبع ليست هنالك من صحة لأي من هاتين النظريتين اللتين تمثلان الإفراط والتفريط. فهذه الآراء إنما تنطلق من أولئك الأفراد الذين لم يسعهم عرض تحليل صحيح وجامع لتلك الروايات الواردة بشأن عظم ثواب العزاء، والواقع أنَّهم عجزوا عن إدراك فلسفة العزاء. ونبين هنا التحاليل الخاطئة ونعرض لها بالنقد، ثم نتطرق للتحليل المنطقي.

١. الحُسن الذاتي للبكاء

زعم البعض - على ضوء الآثار الإيجابية البدنية والنفسية للبكاء ودوره في تنقية روح الإنسان - أنَّ الحُسن الذاتي للبكاء هو سرُّ تأكيد الأئمة عليهم السلام على إقامة مراسم العزاء، ذلك لأنَّ «إظهار التأثر» بواسطة البكاء من الملامح الطبيعية والتوازن العاطفي لدى الإنسان. فالأشخاص الذين يكون قليلاً ولا يستطيعون التنفيس عن عقدهم الباطنية وتبديد همومهم وأحزانهم عن هذا الطريق لا يتمتعون عادةً بسلامة نفسية

وبدنية متوازنة. ومن هنا يعتقد علماء النفس: «أنّ النساء أقل عقداً من الرجال بسبب سرعة تنفيسهن عن إرغاصاتهن الروحية بواسطة البكاء، وهذه إحدى أسرار سلامتهن»^١. كما يرون أنّ البكاء يحد من الضغوط الناشئة من العقد المتراكمة في باطن الإنسان وعلاج لأكثر آلامه ومعاناته الباطنية. فالواقع أنّ دمع العين بمثابة صمام الأمان الذي يؤدي إلى الاتزان الروحي للإنسان في الظروف الطارئة.

ويعتقد هؤلاء أنّ الحُسن الذاتي للبكاء هو السبب في بكاء يعقوب عليه السلام لسنوات على فراق ولده، كما بكى رسول الله صلى الله عليه وآله بشدة على فقد ولده إبراهيم^٢ والصحابي الجليل عثمان بن مظعون^٣. كما بكى حين قتل جمع من أصحابه وكذلك في شهادة عمّه الحمزة وحث نساء المدينة على البكاء على الحمزة^٤. وهذا ما جعل الزهراء عليها السلام تبكي رسول الله صلى الله عليه وآله ليل نهار^٥ وبكاء زين العابدين عليه السلام لسنوات على أبيه الحسين عليه السلام^٦.

ولكن مهما كانت آثار البكاء إيجابية في تنقية روح الإنسان وحتى تكامله ممّا لا يمكن انكاره، إلّا أنّ هذا التحليل لا يسعه أن يكون سر كل هذه التأكيدات من جانب الأئمة عليهم السلام في البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وذلك الثواب العظيم. فهذا التحليل خطأ فادح، ويدرك كل من تأمل الروايات الإسلامية أنّ هنالك هدفاً آخر.

٢. نيل الثواب وشفاعة أهل البيت عليهم السلام

وعلى ضوء هذا التحليل فإن المسلمين يقيمون مجالس العزاء من أجل حصول

١. صد و پنجاه سال جوان بمانید (بالفارسية)، ص ١٣٤.

٢. صحيح البخاري، كتاب الجنائز، ج ١٢٧٧ والكافي، ج ٣، ص ٢٦٢.

٣. الكافي، ج ٥، ص ٤٩٥؛ بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٩١؛ مسند أحمد، ج ٦، ص ٤٣.

٤. وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٧٠؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢١٠.

٥. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٥٥-١٧٥.

٦. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٨٤.

الثواب ونيل شفاعة الأئمة الأطهار عليهم السلام. وضعف وخواء هذا التحليل واضح تماماً؛ ففرض الثواب على عمل هو فرع وجود حكمة ومصلحة في نفس ذلك العمل، فالعمل لا يختزن أي ثواب ما لم تكن فيه مصلحة وحكمة معقولة. والذي ننشده في هذا المبحث فلسفة إقامة العزاء، أي مصلحة العمل وحكمته. طبعاً الكلام عن الثواب في إطار معلولات الحكم لا علله، لا محل له في هذه المرحلة.

أضف إلى ذلك هل يمكن إثارة عواطف ملايين الأفراد وإبكائهم طيلة التاريخ لغرض تحصيل الثواب؟ ثم هل يسع هذا الوعد إثارة العواطف ما لم يكن هنالك عشق وقلب مفعم بالحب والحماس؟!^١

٢. شكر الإمام الحسين عليه السلام

يستند هذا التحليل إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام ضحى بنفسه لتغفر ذنوب الأمة، فالإمام كفارة معاصي الأمة. فهو نظير الاعتقاد الباطل لدى المسيحيين بأنّ المسيح عليه السلام صلب ليطهرهم من ذنوبهم. فالقائلون بهذا التحليل تمسكوا ببعض العبارات من قبيل «باب نجات الأمة» ليخلصوا إلى أنّ الحسين عليه السلام نبيلة للشهادة كان سبباً لغفران ذنوب فسقة الأمة وفجارها وبالتالي نجاتهم وفلاحهم. وبالمقابل فإنّ الأمة بإقامتها لمجالس العزاء إنّما تشكر الإمام وتستحق النجاة. وهذا التحليل لا ينسجم مع مبادئ الدين وأصوله المسلّمة والذي جعل البعض يظنّ بأنّ الإمام الحسين عليه السلام منح بشهادته وولده الآخرين الأمان للشيعة من عذاب الله. بعبارة أخرى: إنّما قتل الإمام عليه السلام وصحبه ليكون الآخرون أحراراً في مقارفة ما شاءوا من الذنوب والمعاصي، وكأنّ التكليف ساقط عنهم.

هذا التفكير جعل البعض يعتقد بأنّ النجاة والعفو سيكون عاقبة كل من بكى على

١. للوقوف على المزيد راجع كتاب (حمالسة حسيني) بالفارسية (الملحمة الحسينية) للأستاذ الشهيد المطهري رحمته الله، ج ١ الفصل الثاني بحث عوامل التحريف.

الإمام الحسين عليه السلام مهما غرق في الذنوب وإن لم يلتزم بضروريات الدين. وقد ترسخت هذه الفكرة الخاطئة حتى اخترقت أوساط السلاطين والجبابرة الظلمة الذين أرسوا دعائم حكوماتهم على أساس الظلم والجور وتلطخت أيديهم بدماء الأبرياء فأخذوا يقيمون مجالس العزاء أو ينخرطون في هيئات العزاء يلطمون صدورهم ليعتبروا ذلك من سبل النجاة! طبعاً ليس هنالك من أحد يسعه إنكار الشفاعة، لكنها تخضع لضوابط وشروط.

التحليل الصائب لفلسفة مراسم العزاء

نشير هنا إلى التحليلات الصحيحة والمنطقية في موضوع فلسفه العزاء ضمن أربعة محاور:

١. حفظ مدرسة أهل البيت عليه السلام

يعترف العدو والصديق بأن مجالس العزاء على الإمام الحسين عليه السلام أعظم قوة تقف وراء يقظة الناس والنهج الذي حدده الإمام لأتباعه هو الضامن لبقاء الإسلام وديمومته. إن أهمية إقامة هذه المجالس وسرّ تأكيد الأئمة الأطهار عليه السلام على حفظها تبدو أوضح حين نلاحظ أن الشيعة في عصر صدور هذه الروايات كانوا يعيشون عزلة خانقة وضغوط شديدة تمارسها ضدهم الحكومات الأموية والعباسية بحيث يتعذر عليهم ممارسة أدنى نشاط سياسي واجتماعي حتى أشرفوا على الإنهيار، لكن مجالس العزاء الحسينية أنقذتهم وخلقت لديهم حالة من الإنسجام والوئام لتجعلهم قدرة ذات شوكة في المجتمع الإسلامي. وعلى هذا الضوء عبرت بعض الروايات عن إقامة هذه المجالس بإحياء أمر أهل البيت عليه السلام. قال الإمام الصادق عليه السلام في هذه المجالس:

«إِنَّ تِلْكَ الْمَجَالِسَ أُجِبُّهَا فَأَخْيُوا أَمْرَنَا»^١.

١. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٩١-٣٩٣، ح ٢.

وقال مؤسس الجمهورية الإسلامية بشأن هذه المجالس في عبارة جامعة: «ما ينبغي أن ندركه جميعاً أنّ ما يوجب الوحدة بين المسلمين هذه المراسم السياسية، ومراسم العزاء على الأئمة الأطهار عليهم السلام ولا سيما سيد المظلومين أبي الأحرار الحسين عليه السلام هي التي حفظت هوية المسلمين ولا سيما الشيعة الإمامية»^١.

إعتراف غير المسلمين بهذا الأمر

ذكر الكاتب الفرنسي «جوزيف» في كتابه «الإسلام والمسلمون» في إشارته إلى قلّة عدد الشيعة في العهود الإسلامية الأولى وعدم تمكنهم من التسلل إلى الحكومة وتعرضهم لظلم الحكام وجورهم وتقتيلهم ونهب أموالهم فقال: «إنّ أحد أئمة الشيعة أوصاهم بالتقية لحفظهم من الأعداء، فأدى ذلك إلى اقتدار الشيعة ولم يجد العدو ما يتذرّع به لقتلهم وسلب أموالهم. وأخذ الشيعة يعقدون المجالس في الخفاء ويكون على الحسين عليه السلام. ولعل أعظم عنصر يقف وراء تقدمهم هو إقامة مجالس العزاء على الحسين عليه السلام ... فكان كل شيعي في الواقع يدعو الآخرين إلى مذهبه دون التفات سائر المسلمين، بل لعل الشيعة أنفسهم لم يلتفتوا إلى فائدة هذا العمل، وكانوا يظنون أنهم إنّما يحصلون على الثواب الأخروي»^٢. ويقول المؤرخ الألماني «ماربين» في كتابه «السياسة الإسلامية»: «إنّي أعتقد أنّ سر تطور الإسلام وتكامل المسلمين يكمن في شهادة الإمام الحسين عليه السلام وتلك الحوادث الأليمة»^٣.



١. وصية الإمام الخميني الإلهية السياسية، صحيفة النور، ج ٢١، ص ١٧٣.

٢. نقلاً عن فلسفة الشهادة والعزاء للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين، ص ٩٢.

٣. المصدر السابق، ص ١٠٩.

٢. تعبئة المسلمين

إنَّ الأئمة الأطهار عليهم السلام بتأكيدهم على إقامة مراسم العزاء إنما جعلوا نهضته عليه السلام محوراً لوحدة الناس، بحيث يجتمع اليوم أيام شهادته ملايين الأفراد على اختلاف مستوياتهم وأعراقهم وأديانهم ليخوضوا في مراسم العزاء وتلتفتوا حول الراية الحسينية.

وكل أمة بحاجة لعنصر الوحدة بغية ديمومتها وموقعيتها. ومما لا شك فيه أنَّ أفضل عنصر لوحدة أتباع أهل البيت عليهم السلام يسعه استقطاب التجمعات المليونية حول محور معين بأقل كلفة ومعاناة هو هذه المراسم الحسينية. حقاً لو تمتعت أمة بمثل هذه القوة التي يمكنها حشد طاقاتها المتفرقة وتوجيهها في مدة زمنية قياسية وشيء من الإعلام لاستطاعت القضاء على أية عقبة تعترض سبيل رقيها وتقدمها. والحق أنَّ الأئمة عليهم السلام إنما حالوا - بحثهم الناس على إقامة هذه المراسم - دون تشتت تلك الطاقات وعبأوا الجموع المتفرقة وخلقوا منهم قوة مقتدرة من خلال إيجاد الوحدة والإنسجام. والحركة العفوية للجماهير الإيرانية المليونية المسلمة في الثورة الإسلامية المباركة أيام شهر محرم وصفر ولاسيما تاسوعاء وعاشوراء التي هزّت عرش الطاغوت إنما تكشف النقاب عن سرّ تأكيدات الأئمة في محورية النهضة الحسينية.

ولعلنا لم نكن نقف على سرّ تأكيد الأئمة عليهم السلام على إقامة هذه المجالس لو لم نشهد تفجير تلك الطاقات الكامنة في هذه المجالس في الثورة. قال المؤرخ الألماني «مارين» في كتابه:

«إنَّ جهل بعض مؤرخينا جعلهم ينسبون الشيعة للجنون وهذه مجرد تهم فإننا لم نشاهد بين الشعوب قوماً كالشيعة حيث سلك الشيعة بواسطه مجالس العزاء سياسة عقلانية وانتجت نهضات دينية مثمرة»^١.

١. فلسفة الشهادة والعزاء، ص ١٠٩.

وقال المؤرخ نفسه: «ليس هنالك ما يوازي مراسم العزاء الحسيني في خلق هذا الوعي السياسي لدى المسلمين»^١.

والشاهد الآخر على مدى خشية الحكومات من هذه القوة العظيمة معارضة خصوم الإسلام لإقامة هذه المجالس وسعيهم لإيقافها، حتى إقدامهم على هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام والمنع من زيارته^٢.

ولا يخفى اليوم الهلع الذي يعيشه أعداء الدين من إقامة هذه المجالس، حتى بذلوا قصارى جهدهم من خلال كيل التهم الشيعة للشيعة بواسطة عملائهم أحياناً، وأخرى عن طريق إثارة الطواغيت السائرين في فلكنهم أمثال رضاخان وصادق، كما سعوا لإفراغ هذه المجالس من محتواها بغية القضاء على الشعائر الحسينية. وإننا لنلمس من خلال نظرة عابرة لتاريخ الإسلام بعد حادثة كربلاء كيف غدت هذه المجالس والشعارات الحسينية أسوة لنهضات المجاهدين في سبيل الله ومواجهة الطواغيت والظلمة. ولعلنا نتساءل هنا: لو انفتح جميع المسلمين على هذه المجالس كما ينبغي وطهروا أوساطهم ممّا علق بها من فساد ودنس بوسيلة هذا العنصر القوي فهل كان يسع الظلمة الهيمنة على البلاد الإسلامية؟ وهل كان باستطاعة الناهبين التناول على ثروات البلدان الإسلامية لو فُعلت هذه المجالس والملحمة الحسينية؟

١ . السياسة الحسينية، ص ٤٤. الطريف أنه نشر مؤخراً كتاب في أمريكا يحمل عنوان «خطة لعزل المذاهب الدينية» تضمن حواراً مفصلاً مع الدكتور «مايكل برانت» أحد المساعدين السابقين في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية؛ أشار فيه إلى خطة تستهدف الشيعة ومذهبهم. كما ورد في هذا الحوار إشارة إلى الجلسات السرية لزعماء الوكالة ورئيس جهاز الإستخبارات البريطاني لقد توصلنا إلى أنّ انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية لا يعزي إلى السياسات الخاطئة التي اتخذها حيال الثورة، بل هنالك عوامل أخرى مثل ... التأثير بثقافة الشهادة التي ظهرت قبيل ألف وأربعمائة سنة من قبل سبط نبي الإسلام الإمام الحسين، وتترسخ هذه الثقافة سنوياً أيام محرم من خلال إقامة مراسم العزاء. ثم يقول، «عزمنّا على تحريف هذه الثقافة وعقائد الشيعة من خلال توفير الدعم المالي لبعض الخطباء والمداحين والقائمين على رعاية هذه المراسم» (صحيفة الجمهورية الإسلامية، العدد ٧٢٠٣-٥ / ٣ / ٨٣ هـ ش المصادف ٢٦ / ٧ / ٢٠٠٤ م، ص ١٦ مع الاختصار).

٢ . انظر: تنمة المنتهى، ص ٢٣٧-٣٢٤.

٣. التزكية والتهذيب «الإقتداء»

تعدّ مجالس العزاء على الإمام الحسين عليه السلام مجالس التحول الروحي ومراكز تزكية النفس وتهذيبها. فالناس يقتدون بالإمام الحسين عليه السلام ببيكائهم على مظلوميته في هذه المجالس، فهم يخلقون الأرضية الخصبة لديهم في محاكاة سيرته العلمية. والتأثير الذي تخلفه هذه المجالس على درجة بحيث تُعتبر ثورة حقيقية للعديد من الأفراد في هذه المجالس فعزموا على ترك الذنوب والمعاصي، وربما تنبه بعض الضالين إثر حضورهم تلك المجالس فعادوا إلى أنفسهم وساروا على الدرب. فهذه المجالس تعلم الإنسان درس العزة والكرامة والإيثار والتضحية ودروس الأخلاق والورع والتقوى، بالتالي فهي مصنع الأبطال وعشاق الحق والعدالة.

أضف إلى ذلك كانت هذه المجالس طيلة التاريخ بمثابة مدارس تعرف الجماهير بالمعارف والحقائق الدينية والتاريخ والرجال والأحكام ومختلف الموضوعات، وأنجح مراكز التزكية والتهذيب والتربية. قال المؤرخ الألماني «ماربين» بهذا الشأن: «إنّ المسلمين لن يعيشوا الذلّة مادامت لديهم هذه المجالس التي يتعلمون فيها دروس الشجاعة والتضحية»^١.

وفتح الأئمة الأطهار عليهم السلام لهذا الباب وحثهم في الواقع على الإنفتاح على التربية والتعليم في هذه الجامعة الحسينية. والحماس لدى قوات التعبئة في جبهات القتال في الحرب المفروضة وسنوات الدفاع المقدس، ولاسيما عشية العمليات وانتظارهم بفارغ الصبر والتضحية والفوز بالشهادة دليل دامغ على عمق تأثير المجالس الحسينية. وعليه فلا نرانا مبالغين لو أسمينا هذه المجالس بمجالس التأسّي والإقتداء.

قال المرحوم الفيض الكاشاني عليه السلام في كتابه «الحجة البيضاء» في توضيحه لحديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ».

١. فلسفة الشهادة والعزاء، ص ١٠٩.

«إنّ ذكر الصالحين وسجايهم الأخلاقية تجعل الآخرين يتأسون بهم فيستحقون نزول رحمة الله»^١.

وروى ثقة الإسلام الكليني وشيخ الطائفة الطوسي عليه السلام أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال لي أبي: يا جَعْفَرُ أَوْقِفْ مِنْ مَالِي كَذَا وَكَذَا لِلنَّوَادِبِ تَنْدُبَنِي عَشْرَ سِنِينَ بِمَنَى أَيَّامٍ مِنِّي»^٢.

ولصاحب الجواهر في كتاب الطهارة كلام في بيان حكمة وفلسفة هذه الوصية حيث قال: «وَقَدْ يُسْتَفَادُ مِنْهُ اسْتِحْبَابُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمُنْدُوبُ ذَا صِفَاتٍ تَسْتَحِقُّ النَّشْرَ لِيُقْتَدَى بِهَا»^٣.

وعليه فتخليد وتجليل ذكراهم فعل حسن وعمل مطلوب.

٤. الثناء على جهاد الإمام عليه السلام وتعظيم الشعائر

يعتبر العزاء على الشخص نوعاً من تعظيمه وتكريمه ورعاية موقعه وشخصيته. فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «مَيِّتٌ لَا بَوَاكِيَّ عَلَيْهِ، لَا إِعْزَازَ لَهُ»^٤ ولا سيما العزاء على أولياء الله الذي يعدّ من المصاديق البارزة لتعظيم شعائر الله والثناء على عقيدتهم وتكريم نهجهم وجهادهم. ومن هنا حين رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من معركة أحد ورأى قبيلتنا «بني الأشهل» و«بني الظفر» تبكيان شهدائها ولا بواكي لعمه حمزة قال: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَّ لَهُ الْيَوْمَ»^٥. فلما سمعت نسوة المدينة اجتمعن في دار حمزة وأخذن يندبنه ويقمن العزاء عليه. وحين أبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله بشهادة جعفر الطيار في مؤتة ذهب إلى بيت جعفر ثم الزهراء عليها السلام فرآها باكية فقال: «عَلَى مِثْلِ جَعْفَرٍ فَلَتَبْكِي

١. المحجة البيضاء، ج ٤، ص ١٧.

٢. الكافي، ج ٥، ص ١١٧؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٣٥٨.

٣. جواهر الكلام، ج ٤، ص ٣٦٦.

٤. مأساة الحسين، ص ١١٨.

٥. الاستيعاب، ج ١، ص ٢٧٥.

البواكي»^١.

وقد جاء القرآن الكريم عن تلك الطائفة من قوم موسى الذين سلكوا سبيل الغي والضلال، «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ»^٢. ويفهم من هذه العبارة أن عدم استحقاق بكاء الآخرين نوع من التحقير والتفاهة. وعلى هذا الأساس نفهم وصية الأئمة حين قالوا:

«خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِثُّكُمْ مَعَهَا بَكُوا عَلَيْكُمْ وَإِنْ عِشْتُمْ حَتُّوا إِلَيْكُمْ»^٣.

وعليه فإقامة مراسم العزاء على الإمام الحسين عليه السلام تلك الشخصية الفذة والفريدة من أهل بيت العصمة والطهارة والذي يعدّ من أولياء الله والأئمة المعصومين لمن المصاديق البارزة لتعظيم شعائر الله بغض النظر عن تخليد المقام الرفيع لذلك الإمام الهمام: «وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ»^٤.

وكيف لا يكون كذلك في حين اعتبرت الصفا والمروة من شعائر الله وهي ليست أكثر من مكان، وذلك كونها عامرة بذكر الله: «إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ»^٥. قطعاً إنّ الإمام الحسين عليه السلام الذي تعامل مع الله بكل كيانه ووطأ مذبح الشهادة بجميع أهل بيته ليقدم تلك القرابين في سبيل الله لمن أعظم شعائر الله، وإقامة مجالس العزاء عليه إنّما تعتبر تعظيماً لأحد أعظم شعائر الله.

السادس: أساليب إقامة العزاء

ذكرنا في الفصول السابقة أن أصل إقامة مراسم العزاء على الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الأوفياء لمن الأمور التي أكد عليها وأوصى بها أئمة الدين. وشيعة الحسين

١. بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٢٧٦.

٢. سورة الدخان، الآية ٢٩.

٣. نهج البلاغة؛ الكلمات القصار، الكلمة ١٠.

٤. سورة الحج، الآية ٣٢.

٥. سورة البقرة، الآية ١٥٨.

بن علي عليه السلام ومحبيه لم يهنوا طيلة التاريخ عن إقامة هذه المراسم. واليوم أينما كان حضور لمسلم عارف بواقعة كربلاء في أية نقطة من العالم فإنه يلتحق بقافلة العزاء الحسيني ويعرب عن وجوده ولو في العشرة الأولى من شهر محرم خاصة يومي تاسوعاء وعاشوراء. ونشير هنا إلى أساليب التعبير عن العزاء المطلوب بنحو الاختصار.

١. البكاء

من الأساليب العادية في العزاء والحداد، البكاء، حيث تقتضي طبيعة كل إنسان تداعي الحزن وذرف الدموع حين فقد الأعزة. ففي الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله بكى ابنه إبراهيم حين مات، ولما أنكر عليه البعض البكاء قال: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيُوجَعُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ»^١.

كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله بكى على الصحابي الجليل «عثمان بن مظعون» حين وفاته^٢، كما بكى جعفر الطيار وزيد بن حارثة^٣. كما نقرأ في السير التاريخية: «لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ افْتَجَعَ لَهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَكَثُرَ عَلَيْهِ الْبُكَاءُ ... وَلَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ وَالْأَصْحَابِ وَالْأَقْرَبَاءِ وَالْأَحْبَابِ، أَشَدُّ حُزْنًا وَأَعْظَمُ بُكَاءً وَانْتِحَابًا مِنْ مَوْلَاتِي فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَكَانَ حُزْنُهَا يَتَجَدَّدُ وَيَزِيدُ وَبُكَاءُهَا يَشْتَدُّ»^٤.

والبكاء على مصاب الحسين عليه السلام أيضا من أساليب العزاء الاعتيادية والذي ورد الحث والتأكيد عليه. قال الإمام الرضا عليه السلام:

١. بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٩١.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق، ص ١٠٤.

٤. المصدر السابق، ج ٤٣، ص ١٧٥.

«فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكُ الْبَاكُونَ»^١.

وكثيرة هي الروايات التي تحت على البكاء على أبي عبدالله عليه السلام وقد مرّ علينا في الفصول السابقة. طبعاً لا ينبغي أن ننسى أن ليس لهذا البكاء من بعد شخصي، بل يمثل في الواقع إعلان الحرب على الطواغيت الظلمة.

٢. التباكي

لعل هنالك البعض الذين لا تتناسب دموعهم في ظل بعض الظروف، إلا أن هذا لا ينبغي أن يمنع من حضور المجالس الحسينية، حيث يمكن في هذه الحالة الانخراط في صفوف المعزين ونيل الثواب المعنوي من خلال حالة التباكي والتعبير عن الشعور بالغم والأسى، فهذا الفصل يختزن دلالة رفض الظلم ومواجهة الظلم، وهل هدف الإمام الحسين عليه السلام إلا ذلك. وذكرنا رواية فضيلة التباكي.

٣. إرتداء الزي الأسود

إعتاد الناس على إرتداء الثياب السوداء على وفاة أحبّهم حيث عدوا هذا اللون علامة على المآتم والعزاء. وعليه فأحد أساليب العزاء على خامس آل العباء إرتداء السواد أيام محرم ذكرى شهادة الحسين عليه السلام جاء في الخبر:

«لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَبَسَ نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ السَّوَادَ وَالْمُسْوَحَ»^٢.

كما ورد في بعض الروايات أن يزيد أذن لآل هاشم بإقامة العزاء في دمشق (إثر خطبتي الإمام السجاد عليه السلام والعقيلة زينب عليها السلام)

«فَلَمْ تَبْقَ هَاشِمِيَّةٌ وَلَا قُرَشِيَّةٌ إِلَّا وَلَبَسَتْ السَّوَادَ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام

١. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٩٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٨٨.

وَنَدْبُوهُ عَلَى مَا نُقِلَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ»^١.

٤. إقامة مجالس العزاء

إنَّ إقامة مجالس العزاء ومحافل الحداد على أبي عبد الله عليه السلام من أساليب العزاء المتعارفة؛ فأتباع المدرسة الحسينية يتعرفون من خلال هذه المجالس على أهداف الإمام الحسين عليه السلام ويذرفون الدموع على ما ألم به وأصحابه من مصائب، فهذه المجالس وسيلة مهمة على الدوام لإيقاظ الجماهير وبث الوعي في صفوفها. قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه ويدعى الفضيل: تجلسون وتحدثون؟ (يعني تحدثون فيها عن المعارف الدينية وفصائل أهل البيت؟) قال: نعم. فقال عليه السلام: «إِنَّ تِلْكَ الْمَجَالِسَ أُحِبُّهَا فَأُحْيُوا أَمْرَنَا، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا»^٢. ثم أضاف الإمام عليه السلام: كل من ذكر مصائبنا أو ذُكرت مصائبنا عنده فبكى غفر الله ذنوبه.

٥. النياحة

الأسلوب الإعتيادي الآخر في العزاء هو النياحة بصيغة إنشاد الأشعار الأليمة العميقة في مصائب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه والتي تثير عواطف المسلمين وتبين أحداث ووقائع عاشوراء، حيث تعود جذور هذا الأسلوب إلى عصر الأئمة عليهم السلام. فالأئمة عليهم السلام بتشجيعهم النائحين والرائين إنما حثوهم على إنشاد الأشعار والنياح وبيان حوادث كربلاء وظلم بني أمية وذكروا جزيل الأجر والثواب لهذه الأعمال^٣.

١ . مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٣٢٧. جدير ذكره مع أنَّ الفقهاء أفتوا بناءً على بعض الروايات بکراهة لبس السواد خاصة في الصلاة، غير أنَّ هذه الکراهية ترتفع في لبس الثياب السوداء على الإمام الحسين عليه السلام ولعلها راجحة حيث يغلب عليها جانب تعظيم الشعائر.

٢ . وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٩٢ (مَرَّ عَلَيْنَا سَابِقاً إِقَامَةَ مَجَالِسِ الْعَزَاءِ عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ قَبْلِ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ).

٣ . وردت بعض الروايات بهذا الشأن في الفصول السابقة.

فقد أنشد أمير المؤمنين عليه السلام والزهراء عليهما السلام بعض المراثي عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^١. ونقل بعض علماء أهل السنة ما أنشدته الزهراء عليهما السلام من أشعار في أبيها. قال الحاكم النيشابوري: لما وري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التراب، خاطبت فاطمة عليهما السلام أنس قائلة:

«يا أنس أطابت أنفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا التُّرَابَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ».

ثم أنشدت:

يا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ يا أَبَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ
يا أَبَتَاهُ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ يا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرَائِيلَ أَنْعَاهُ^٢

كما رثت أم سلمى لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن عمها وأنشدت حزينة بعض الأشعار^٣. وقال الصادق عليه السلام: «قال لي أبي: يا جَعْفَرُ أَوْقِفْ مِنْ مَالِي كَذَا وَكَذَا لِلنَّوَادِبِ تَنْدُبِي عَشْرَ سِنِينَ بِمَنِي أَيَّامَ مِنِّي»^٤.

٦. لطم الرأس والصدر

إنَّ لطم الرأس والصدر في عزاء ومصيبة كبرى كمصيبة الإمام الحسين عليه السلام أمر عادي وطبيعي. فالسائد بين الناس أنهم يلطمون في موت أعز أعزتهم، رغم ضرورة الابتعاد عن الأفعال الشائنة والمستهجنة. ومما يؤسف له أنَّ بعض العوام عمدوا إلى بعض الممارسات المستهجنة التي تسيء إلى عظمة وروعة المراسم الحسينية ولا بدَّ لعقلاء القوم أن يمنعواهم بلسان الوعظ من هذه الممارسات.

١. راجع بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٥٢٣، ٥٤٧ و ج ٧٩، ص ١٠٦.

٢. مستدرک الحاكم، ج ١، ص ٣٨٣ كما وردت هذه العبارات والأشعار مع اختلاف يسير في صحيح البخاري،

كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، الحديث ٣٠.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٨٩، ح ٢.

٤. الكافي، ج ٥، ص ١١٧؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٣٥٨.

روي أنَّ أهل بيت الحسين عليه السلام حين حُمِلوا من الشام إلى المدينة، سألوا حادي القافلة أن يعرج بهم على كربلاء، فلما بلغوا كربلاء ...

«فَوَجَدُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ وَجَمَاعَةً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَرَجُلًا مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ؛ قَدْ وَرَدُوا لِمِيزَانَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَافُوا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَتَلَاقُوا بِالْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ وَاللَّطْمِ، وَأَقَامُوا الْمَأْتِمَ الْمُفْرَحَةَ لِلْأَكْبَادِ»^١.

ويبدو أن عبارة «اللطم» تشمل لطم الصدور، رغم أننا لم نعثر - حسب بحثنا وتحققنا - في الروايات على مطلب بشأن لطم الصدور على مصائب أهل البيت عليهم السلام.

٧. الكف عن العمل

الكف عن الكسب والعمل من الملامح الواضحة لحالة العزاء والمأتم. وهناك رواية بشأن ترك السعي والعمل الدنيوي يوم عاشوراء. قال الإمام الرضا عليه السلام:
«مَنْ تَرَكَ السَّعْيَ فِي حَوَائِجِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ قَضَى اللَّهُ لَهُ حَوَائِجَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمَ مُصِيبَتِهِ وَحُزْنِهِ وَبُكَائِهِ، جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ فَرَجِهِ وَسُرُورِهِ»^٢.

ملاحظات مهمة

رغم أنَّ مراسم العزاء على خامس آل العباء عليهم السلام من أفضل القربات وسبب إحياء المدرسة الحسينية وبقاء الشريعة السماوية، لكن ينبغي على المؤمنين أن لا يشوهوا هذا العمل القيم ببعض الممارسات الموهنة والطائشة والقبيحة. فلا بدّ من الإبتعاد عن الأشعار الركيكة والتي لا تليق بشأن أهل البيت عليهم السلام أو المقرونة بالكفر والغلو، والإجتناّب عن اختلاط الجنسين في تشكيل المجالس والهيئات، والإبتعاد عن

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤٦.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٨٤.

التطبير والممارسات التي توجب إضعاف الطائفة في العالم وتمنح العدو الذريعة وتوجب ضرر البدن، كما يتوجب على الخطباء الأجلاء تذكير المؤمنين وإرشادهم إلى الآداب الصحيحة للعزاء، وأن يجدوا ويجتهدوا في بيان أهداف نهضة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ونشر العقائد المحمدية الأصيلة وترسيخ المفاهيم الإسلامية الحقة وإشاعة الأخلاق الحسنة والتضحية والإيثار، وأن يقتصروا على المصادر المعتبرة في ذكر مصائب أهل البيت عليه السلام والتحفظ عن القضايا التي لا تنسجم مع عزة وكرامة الإمام الحسين عليه السلام، وأن لا تسلم تلك المجالس لسيئي السمعة والجهال من الأفراد، بل يتولاها الصالحون والواعون.

كما ينبغي على النسوة المحترمات رعاية الوقار والحشمة في حضورهن لتلك المجالس الحسينية بما يكشف عن هويتهن الإسلامية وعمق صلتهم بالمدرسة الحسينية، إلى جانب مراعاة الحجاب وعدم القيام بأية حركة أو تصرف من شأنه قدح كرامتهن فهن يتحملن مسؤولية ثقيلة بهذا الشأن.

وعلى الشبان الأعزاء - الذين يعدون السند لهذه المجالس - أن يغتنموا مجالس الإمام الحسين عليه السلام سيما أيام محرم وتاسوعاء وعاشوراء، وأن يمارسوا الحضور الواعي والواسع في هذه المجالس ليزدادوا إدراكا لمعارفهم المعنوية والدينية وأن يسعوا إلى إشاعة الثقافة الحسينية وتعريف الآخرين بهذه الملحمة الربانية الخالدة.



وصايا آية الله العظمى مكارم الشيرازي - مدّ ظلّه -

إلى الهيئات الحسينية والمداحين

ألقى سماحة آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي (مدّ ظلّه) كلمة في التجمع الذي عقد في مدينة قم المقدسة على أعتاب حلول شهر محرم الحرام لعام ١٤٢٦ هـ وإقامة مراسم العزاء على سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام والذي أطلق عليه

«التجمع العظيم للعاشورائيين» وهي محاضرة قيمة أشار فيها إلى أبعاد حادثة عاشوراء وعرض مشروعاً يتضمن أربع عشرة مادة كوصايا للخطباء الأعضاء والهيئات الحسينية، فكان له تأثير في الإعلام والأوساط الدينية وحظى باهتمام العلماء والمداحين المخلصين. وبالنظر لأهمية تلك المواد نذكرها هنا بصورة مختصرة:

١. لا بدّ أن يعتمد الأخوة الخطباء الأعضاء في محاضراتهم على المصادر المعتبرة (الكتاب والسنة) وأن يراعي المداحون شأن ومقام الإمام الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء في مضامين أشعارهم ويوضحوا لعامة الناس أهداف هذه النهضة العظيمة.
٢. الابتعاد عن طرح القضايا التي تشتم منها رائحة الغلو بشأن أئمة الدين عليهم السلام وسائر الأولياء.
٣. لما كان المدح يتألف من العلم والفن فلا بدّ من تولي أهل الفضل إمداد المداحين المحترمين بالتعليمات الضرورية.
٤. ينبغي اجتناب إعطاء الضوء الأخضر بالنسبة لمقارفة الذنوب بسبب العزاء في مجالس الوعظ والإرشاد والتأكيد على التحلي بالورع والتقوى.
٥. ينبغي للمعزين المحترمين التحفظ عن التعري وخلع الملابس.
٦. إن اللطم وضرب الزنجيل من الشعائر الحسينية، شريطة التحرز عن إيذاء وجرح البدن.
٧. يجب على الوعاظ والخطباء الأعضاء الالتزام بوقت الصلاة وأن لا تكون هنالك من ممارسة سوى إقامتها في وقتها.
٨. ينبغي أن لا تحاكي نغمة المداحين نغمات مجالس اللهو والفساد.
٩. يجب على الهيئات الحسينية الجليلة الالتفاف حول بعضهم لئلا تصبح أعبوة للسياسات المشبوهة.
١٠. السعي قدر المستطاع إلى عدم الاستغراق في بيان المصائب المفجعة

لأهل البيت عليه السلام والاكتفاء بالإشارة والإجمال.

١١. ينبغي أن لا يكون المجلس طويلاً بحيث يثير الملل والتعب لدى الآخرين ولا سيما الشبان.

١٢. رعاية حرمة الفضلاء والأجلاء في هذه المجالس.

١٣. السعي لتقوية النظام الإسلامي ومراجع التقليد وعشق إمام العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف) في المجالس كافة بصفاتها من أساسيات المواضيع.

١٤. على الوعاظ والخطباء الأعزاء أن يتخلّقوا بأخلاق الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الميامين، لتنفيذ كلماتهم إلى القلوب ويتأسى بهم الآخرون على أساس «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم». حقاً إن هذه المراسم العظيمة «بالشروط المذكورة» شوكة في عيون أعداء الإسلام ومدعاة لإقتدار الإسلام والمسلمين.

❦❦❦

كهف المظلومين

الطريف أن المجالس الحسينية تعتبر كهفاً حصيناً للمجتمعات المظلومة كافة طيلة التاريخ؛ فالانفتاح على المجالس الحسينية لم يؤت أكله في الثورة الإسلامية الإيرانية التي منحت الجماهير تلك القوة في الوقوف بوجه الطاغوت فحسب، بل إليها يعود استقلال العراق والباكستان و... فقد صرح الزعيم المعروف غاندي بطل استقلال الهند قائلاً:

لقد طالعت بدقة حياة الإمام الحسين عليه السلام وتابعت صفحات كربلاء فاتضح لي أنّ على الهند أن تقتدي بالإمام الحسين عليه السلام إن أرادت النصر^١.

طبعاً لا بدّ أن تكون النيات خالصة ويحل التعاون محل التنافس الهدام وأن تكون هذه المجالس مركزاً للوحدة وانطلاقة نحو الإيثار والفداء والتضحية. ولما كانت

١. نقلاً عن درسي كه حسين به انسان ها آموخت (بالفارسية)، ص ٢٨٩.

قضية إجراء العدالة ومناهضة الظلم ليست مقتصرة على العالم الإسلامي فإنّ التعاليم التي علّمها الإمام الحسين عليه السلام البشرية في كربلاء من شأنها أن تنير الدرب أمام جميع الشعوب والأمم.

ومن هنا ينبغي حفظ أصالة وجاذبية هذه المراسم من خلال تطهيرها من الانحرافات كافة وعدم السماح للجهال من الأفراد بأن يشوهوا الصورة الرائعة لهذه المراسم بأفكارها الضيقة ويحطوا من عظمتها ويثيروا الشكوك بشأن أهدافها المقدسة.



القسم الثاني

جذور نهضة عاشوراء

تنويه:

لا يمكن دراسة الوقائع التاريخية بمعزل عن بعضها البعض الآخر؛ ذلك لتعذر تقديم الإجابات الشافية لعلامات الإستفهام كافة التي تلاحق تلك الوقائع. فالواقع أنَّ الحادثة التاريخية إنما تفرزها مجموعة من الحوادث المتصلة على غرار حلقات السلسلة المترابطة. فلكل حادثة صغيرة أم كبيرة جذور في الماضي، كما لها آثارها ومعطياتها في المستقبل. ومن الطبيعي أن تتطلب الحادثة كلما كانت أعقد وأعظم قدراً من الدقة في البحث عن جذورها وامتداداتها.

واقعة الطف ليست بدعاً من هذه القاعدة؛ فلا يمكن دراستها من خلال الإقتصار على زمان تحقيقها، أي سنة ٦١ هـ؛ حيث يبقى الباب مفتوحاً للمحلل أمام العديد من الأسئلة والإستفسارات التي تبحث عن أجوبة وردود. وأحد هذه الأسئلة كيف يصدق أنَّ الأمة الإسلامية قتلت بتلك الطريقة البشعة ابن رسول الله ﷺ وفلذة كبذ الزهراء ﷺ والوحيد ممن تبقى من الخمسة أصحاب الكساء؛ فلم يرحموا صبيّاً ولا صبية وفتى وكهلاً وإمرأة لهذا البيت؛ فذبحت فئة وسبيت وأسرت أخرى وسامتهم غصص الظلم والجور.

ومن هنا يتحتم علينا العودة إلى الوراء للوقوف على جذور واقعة محرم سنة ٦١ هـ والأسباب والعوامل الأصلية التي تقف وراءها. بل علينا مطالعة الحوادث التي سبقت ولادة النبي الأكرم ﷺ وانبثاق الدعوة الإسلامية ولو بصورة مقتضبة. فالأحداث في السنين الممتدة نسبياً إنما اجتمعت معاً فكان لكل منها دور في ظل

تلك الحادثة الكبرى. وكما أسلفنا فإنّ هذه الأحداث متشابكة كحلقات السلسلة ولا يمكن فصلها عن بعضها أو غض الطرف عنها. وسندرس جذور هذه الحادثة العظيمة من خلال ثمانية فصول.



تجذر عداة بني أمية لبني هاشم

رغم انتماء النبي الأكرم ﷺ لقبيلة قريش، لكن الوقائع التاريخية تشير إلى أنّ أعدى أعداء الإسلام إنّما كانوا من هذه القبيلة، الذين لم يألوا جهداً للوقوف بوجه النبي ﷺ ومعاداة أهل بيته ﷺ، سيما بعيد رحيل رسول الله ﷺ حيث ارتكبوا مختلف الفضائع التي لا يمكن محوها من ذاكرة التاريخ الإسلامي.

يذكر أنّ بني هاشم وبني أمية ينحدرون من هذه القبيلة وقد نشبت بينهما العديد من الصراعات الدموية. وتأمل معارك صدر الإسلام يفيد أنّ بني هاشم لم يتعرضوا لاعتداء إلاّ وكان بنو أمية قادته، ولم يسلبوا سيوفهم إلاّ حين كان يواجههم من الجانب الآخر بنو أمية. وتعود أهم الاختلافات بينهما إلى بضعة أمور هي:

أ) جذور تاريخية

كان لعبد مناف الجد الثالث للنبي ﷺ منزلة خاصة لدى الناس لبعض فضائله وخلقه لكنه لم يكن يضمّر العداة لأخيه عبدالدار، وكانت وصية أبيه قصي بالرئاسة لأخيه عبدالدار فنشب الخلاف بين أبنائهما بعد وفاتهما وكان ولدان لعبد مناف ولداً معاً هما هاشم وعبد شمس وكان إصبع هاشم ملتصق بجهة أخيه عبد شمس فلما فصل عنه جرى منهما دم غزير^١.

١. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٣؛ الكامل لابن الأثير، ج ٢، ص ١٦.

عرف بنو هاشم بالجود والكرم والبذل والعطاء وكان أمية (أحد أولاد عبد شمس) ابن أخ هاشم يحسده على منزلته ونفوذ كلمته في مختلف القبائل، وحين عجز عن مساواته في فضله وكرمه عمد إلى ذمه والنيل منه. فحسدت أمية على رئاسته وإطعامه فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجر عنه فشمتت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم تدعه قريش حتى نافره بشرطين؛ نحر مائة ناقة أيتام الحج والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية. وجعلاً بينهما الكاهن الخزاعي ومنزله بعسفان فلم تكد تقع عينه على هاشم حتى امتدحه. فقضى لهاشم بالغلبة فغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين^١. وبغض النظر عن إيضاح هذه القضية لجذور العداء بين الطائفتين، فإنها تبين علل نفوذ الأمويين في الشام وكيف مهدت علاقاتهم القديمة بها لحكومتهم وتسلطهم. وروى ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة قضايا أخرى من شأنها كشف عمق الاختلاف بينهما منذ عصر الجاهلية، وهو الاختلاف الذي أفرزته عظمة وسمعة بني هاشم من جانب وتحمل حقارة وسوء بني أمية من جانب آخر. وعلى ما رواه ابن أبي الحديد أن يزيد بن معاوية فاخر عبد الله بن جعفر بين يدي معاوية. فقال له: «بأي آبائك تفاخرني أبحر أبحرناه أم بأمية الذي ملكناه أم بعبد شمس الذي كفلناه». فقال معاوية: ليزيد يا بني إيتاك ومنازعة بني هاشم. وحين اختلى بيزيد أخبره بأن هاشم كان ينفق على عبد شمس عشر سنوات^٢. وروى ابن أبي الحديد عن أستاذه (أبو عثمان) إن أشرف خصال قريش في الجاهلية اللواء والندوة والسقاية والرفادة وزمزم والحجابه وهذه الخصال مقسومة في الجاهلية لبني هاشم وسائر طوائف قريش^٣. حقاً كان لهذا الأمر تأثيره في شخصية بني هاشم والذي أثار حسد أعدائهم.

١. كامل ابن الأثير، ج ٢، ص ١٧.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ٢٢٩-٢٣٠، ذيل الرسالة ٢٨ (باختصار).

٣. المصدر السابق، ص ١٩٨ (باختصار) وانظر: الكامل لابن الأثير، ج ٢، ص ٢٢-٢٣.

ب) خصائص بني هاشم

١. التحلي بالعلم والفضل

لم تقتصر جذور الاختلاف والهوة بين بني هاشم وبني أمية على هذه المسائل الظاهرية والخارجية، بل إن تمتع بني هاشم بهذه المعنويات الواضحة جعلهم في موضع يحسدون عليه من جانب منافسيهم ومبغضيهم من بني أمية؛ حتى بلغ الشرف والفضل بهم مرتبة بحيث غرست فيهم شجرة «النبوة» و«الإمامة» فكانت بيوتهم مختلف الملائكة ومعادن العلم والحكمة. قال علي عليه السلام بهذا الشأن: «أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاكِبُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، بِنَا يُسْتَعطَى الْهُدَى وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى، إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»^١.

٢. طهارة وطيب الأعراق

ليست هنالك من حاجة لبيان طهارة حسب ونسب الصفوة التي نزلت بحق زعمائها وأشرفها آية التطهير؛ وبالمقابل كانت السيرة المخزية لبني أمية التي كانت أشهر من نار على علم بحيث لم يتمكنوا من إزالة فضائهم من الأذهان رغم تسلمهم لمقاليدهم الخلافة لعشرات السنوات وحكمهم المسلمين بقوة الحديد. فهناك النسوة اللاتي عرفن بصاحبات الرايات وكانت أبواب بيوتهن مفتوحة للأجانب، وبعض الأفراد الذين لم يكن يعرف نسبهم وكل يدعي أبوته لهم^٢. وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه القضية في ردّه على رسالة معاوية فقال:

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

٢. للوقوف على المزيد راجع ربيع الأبرار للزمخشري، ج ٣، باب القرباب والأنساب؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٣٦ وج ٢، ص ١٢٥.

«وَأَمَّا قَوْلُكَ: (إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ) فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ وَلَا حَزْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَا أَبَوَا سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيحِ وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ»^١.

وأشار ابن أبي الحديد في شرحه لهذه العبارة «وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ» بغية حرفها عن معناها فقال: «أراد الصريح بالإسلام واللصيق في الإسلام فالصريح فيه هو من أسلم اعتقاداً وإخلاصاً واللصيق فيه من أسلم تحت السيف أو رغبة في الدنيا»^٢.

بينما ردّ العلامة المجلسي رحمته الله ذلك قائلاً:

اعتقاداً وإخلاصاً ليس كاللصيق الذي أسلم خوفاً من السيف أو رغبة في الدنيا. انتهى ملخص كلامه. والظاهر أن قوله كاللصيق إشارة إلى ما هو المشهور في نسب معاوية كما سيأتي وقد بسط الكلام في ذلك في موضع آخر من هذا الشرح وتجاهل هنا حفظاً لكرامة معاوية. وقد ذكر بعض علمائنا في رسالة في الإمامة أن أمية لم يكن من صلب عبد شمس وإنما هو عبد من الروم فاستلحقه عبد شمس ونسبه إلى نفسه وكانت العرب في الجاهلية إذا كان لأحدهم عبد وأراد أن ينسبه إلى نفسه أعتقه وزوجه كريمة من العرب فيلحق بنسبه نسب العوام أبو الزبير إلى خويلد، فبنو أمية قاطبة ليسوا من قريش وإنما لحقوا ولصقوا بهم^٣.

٣. الفضائل الشخصية

يتمتع بنو هاشم ببعض المزايا الظاهرية من قبيل صباحة الوجه والفصاحة والبلاغة الفريدة بغض النظر عن الفضائل المعنوية والخلقية التي كانت بارزة في

١. نهج البلاغة، الرسالة ١٧.

٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٣٦ و ج ٢، ص ١٢٥.

٣. بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ١٠٧.

سلوكهم وسيرتهم من قبيل المروءة والجود والكرم والإيثار والتضحية والزهد والتقوى، وهذا الجمال والكمال إزاء الحياة المنحطة لبني أمية كان يؤرقهم ويؤجج في قلوبهم نيران الحسد.

فقد قال علي عليه السلام في جوابه عن سؤال بشأن خصائص كل طائفة من قريش ضمن بيانه للفوارق بين بني عبد شمس - ومنهم بني أمية - وبني هاشم: «وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْدَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْنَحُ»^١.

تنامي الاختلاف مع انبثاق الدعوة

كانت معظم القدرة السياسية والاقتصادية لمكة خاضعة لسلطة بني أمية إبان انبثاق الدعوة الإسلامية. فقد جمع زعماء هذه القبيلة أموالاً ضخمة من خلال التجارة والربا، كما حصلوا على سلطة دينية بفضل سدانتهم لبيت الله واستقبال الحجيج.

وعلى هذا الأساس كانت قريش تحمل بضاعتها من المزدلفة حين كان يفيض الحجاج من عرفات. ذلك لاعتقادهم بوجوب طواف الكعبة بثياب طاهرة والثياب إنما تكون طاهرة حين تؤخذ من إحدى طوائف قريش! وإن لم تمنح شخصاً ثوباً يضطر للطواف عرياناً^٢. والواقع أن قريش سنت في ظل هذه الرياسة والسلطة الدينية بعض القوانين التي انصاعت لها سائر القبائل العربية. ولكن بانبثاق الدعوة الإسلامية تعرضت السلطة الظاهرية لقريش لتهديد جدي على جهتين: الهيمنة المادية والرياسة الدينية، وقد اقتضت الدعوة أوائل انبثاقها على التوحيد وأداء الشهادتين. ورافقت شيئاً فشيئاً هذه الدعوة البسيطة بظاهرها نداءات أخرى في

١. نهج البلاغة، قصار الكلمات، الكلمة ١١٦.

٢. انظر: سيرة ابن هشام، ج ١، ص ١٢٥ وما بعدها.

مجال العدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس عند الله وتفويض ولاية الكعبة للصالحين. وهي النداءات التي لا تنسجم قط ومصالح زعماء قريش - لاسيما زعماء بني أمية كأبي سفيان وأبي جهل - ومكانتهم الاجتماعية وإن تأمل أولى آيات سورة الهمزة التي نزلت أوائل الدعوة ليكشف عن مدى جدية التهديد الذي شكله الإسلام على أولئك الظلمة وكانزي الأموال:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا * لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ...﴾.

فناقوس الخطر هذا لم يكن يروق لأسماع زعماء قريش الطاغين، من جانب آخر فإن اختراق دعوة النبي ﷺ للطبقات الضعيفة أو المتوسطة للمجتمع التي استماتت في الدفاع عن إيمانها لفت انتباه قريش إلى هذا الخطر الذي تمثل بتهديد القوانين الإسلامية لسلطتها الدينية إلى جانب هيمنتها الاقتصادية.

وهذا ما فجر أحقادهم الدفينة سيما بعد أن لمسوا زوال مصالحهم اللامشروعة ونفوذهم الاجتماعي. ومن هنا وقفوا بكل ما أوتوا من قوة بوجه الدعوة، فقد عمدوا إلى ممارسة عدة أمور دون أن يعوا ماذا يفعلون، من قبيل: تأليب مختلف القبائل ضد الدعوة الإسلامية، إبرام الاتفاقيات مع القبائل اليهودية المقيمة في المدينة وإثارتها ضد النبي ﷺ وأخيراً شن المعارك الدموية وتدمير المؤامرات، إلا أن كل هذه الجهود منيت بالفشل. كما ظن هؤلاء بتوقيعهم لصلح الحديبية - في السنة السادسة للهجرة - أنهم كسروا شوكة النبي ﷺ بمنعه من دخول مكة ورسخوا سلطتهم على مكة؛ في حين لم يكن يعني توقيعهم سوى إنهاءهم لحكومتهم الرسمية على الحجاز واعترافهم ضمناً بحكومة النبي ﷺ ليثرب، فكان من الطبيعي أن تنهش اتفاقياتهم التي عقدوها مع سائر القبائل في ظل ذلك الاعتراف. ومنذ ذلك العام حتى العام الثامن للهجرة كان زعماء سائر القبائل في الحجاز يتطلعون إلى نهاية هذا الصراع لصالح الإسلام والنبي ﷺ، وبالتالي انهارت قدرة قريش إثر

استسلام مكة.

والواقع أنَّ قريش فقدت في ظل تلك الهزيمة سلطتها الدينية وكذلك موقعها الاجتماعي وهيمنتها الاقتصادية ولكن لا ينبغي أن ننسى أنَّ الرأس المدبر لتلك المعارك والمؤامرات ضد النبي والإسلام طيلة هذا الصراع المرير والشامل إنما كان أبو سفيان زعيم طائفة بني أمية. فقد جنح ورهطه حين فقد قبل غيره تلك الرفاهية المادية والمعنوية، للإسلام لما لم يكن له من سبيل آخر.

إضافة إلى أنَّهم ظنوا بانفتاح باب جديد لاستعادة تلك المطامع الدنيوية بحيث يمكنهم تحقيق أهدافهم إن تمكنوا من ركوب هذه الموجة، ومن هنا دفعتهم انتهازيتهم ومصالحهم لاعتناق الإسلام^١.

ولكن حيث فقدوا جميع امتيازاتهم في العصر الجاهلي وباستحقاقهم لعنوان الطلقاء (الذين حرروا من قيود الأسر يوم فتح مكة) تحملوا هزيمة منكرة وذلة فائقة فاعتراهم بغض النبي ﷺ وبني هاشم إلى جانب ما ورثوه من بغض وكراهية. ولهذا لم يكفوا لحظة بعد استسلامهم من التآمر الخفي والعلني. وبناءً على ما تقدم، لا نتعجب من وقوع حادثة الطف الدموية من قبل هذه الطائفة، وقد تحدث يزيد صراحة عن انتقامه من بني هاشم بعد واقعة كربلاء (وهذا ما سيأتي في الفصل القادم).



١. قال علي بن أبي طالب بشأن إسلام هذه الطائفة، «وما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه» نهج البلاغة، الرسالة ١٦.

إنتقام أعداء الإسلام لهزائمهم على عهد النبي ﷺ

ثار بني أمية لهزائمهم التي مُنوا بها على عهد رسول الله ﷺ كان أحد الجذور التي أفرزت تلك الفاجعة الأليمة. فقد هبَّ مشركو قريش لمعاداة الدعوة، ومارسوا أنواع الضغوط والعراquil والأذى تجاه رسول الله ﷺ. ولم يأل بنو أمية سيما زعيمهم أبو سفيان جهداً عن الوقوف بوجه النبي ﷺ. كما استمر آذاهم للنبي ﷺ بعد هجرته، حتى تكبدوا هزيمة منكرة من جانب المسلمين في غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة، حيث تكبدت قريش سبعين قتيلاً^١، وكان من بين القتلى بعض قرابة معاوية منهم جده «عتبة» والد أمه هند وخاله «الوليد بن عتبة» وأخوه «حنظلة»^٢. وقد ظلَّت أحقاد بدر في قلوب بني أمية وتتبعهم للثأر من الإسلام رغم وقوع غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة والتي تزعم المشركين فيها أبو سفيان وخلفت العديد من شهداء المسلمين ومنهم حمزة.

أمَّا أبو سفيان الذي قاد عدَّة معارك بعد غزوة أحد ضد رسول الله ﷺ ولم يؤمن حتى فتح مكة، لم يستطع الوقوف بوجه الزحف الإسلامي الذي طوق مكة على

١. انظر: سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٣٧٢؛ وتاريخ الطبري، ج ١، ص ١٦٩.

٢. أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في الرسالة ٢٨ و ٦٤ من نهج البلاغة والتي كتبها لمعاوية، ومما جاء في الرسالة ٦٤، «وعندي السيف الذي أعضضته بجذك وخالك وأخيك في مقام واحد» وقد اشترك ثلاثة من ولد أبي سفيان في بدر، حنظلة الذي قتل وعمره الذي أسر ومعاوية الذي هرب حتى ورمت قدماه حين بلغ مكة فجعل يعالجها لشهرين. راجع سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٢٩٤.

أُعتاب فتحها في السنة الثامنة للهجرة فلم ير بداً من الإستسلام وإعتناق الإسلام ظاهرياً، وأسلم معه ولده معاوية، إلا أن القرائن الواضحة تفيد أنهم لم يسلموا رغبة ولم يكن لإسلامهم من حقيقة.

هذا ما أشار له الإمام علي عليه السلام في عدة مواضع من نهج البلاغة من أن أبا سفيان ومعاوية وولدهما لم يرغبوا في الإسلام قط، ومن ذلك ما ورد في الرسالة ١٧ أنه خاطب معاوية قائلاً:

«وَكُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً».

كما قال عليه السلام في الرسالة ١٦:

«فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسْرُوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ».

دور أمير المؤمنين علي عليه السلام في هزيمة مشركي قريش

لا شك في أن الدور الذي لعبه الإمام علي عليه السلام في كسر شوكة قريش كان حيويًا لا يمكن إنكاره، كما كان له الحظ الأوفى في تفتيت جبهة الكفر، هذا ما جعل مشركي قريش يكتنون له العداوة والبغضاء. وعلى هذا الضوء كان بنو أمية الذين ذهبت جهودهم التي بذلوها ضد الإسلام بفعل صمود النبي الأكرم عليه السلام وشجاعة الإمام علي عليه السلام أدراج الرياح يتحينون الفرص لشفاء غليلهم بالانتقام من بني هاشم. وقد بدت لهم الفرصة سانحة حين أخذوا بزمام الأمور، بعد أن يؤسوا من اغتنامها إبان انتصار الإسلام على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

هاجس قلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم

رغم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنظر إلى الظروف كافة - كان يكشف النقاب مراراً عن منزلة ومكانة علي عليه السلام وقد نصبه إماماً في يوم الغدير وكان لا ينفك عن وصية

المسلمين بأهل بيته خيراً؛ مع ذلك كان يعيش هاجس القلق على علي عليه السلام بسبب بغض قريش له.

فقد روى الطبراني - أحد كبار علماء أهل السنة - في «المعجم الكبير» أن رسول الله ﷺ نظر يوماً إلى علي عليه السلام وبكى. فلما سُئِلَ عن ذلك، قال لعلي عليه السلام: «ضَغَائِنُ فِي صُدُورِ قَوْمٍ لَا يُبْدُونَهَا لَكَ حَتَّى يَفْقِدُونِي»^١.

قلق علي عليه السلام على الحسن والحسين عليهما السلام

كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم أن قريش التي أسلم بعض رجالها ظاهرياً كانت تتطلع إلى فرصة الثأر؛ غير أن الأرضية لم تكن خصبة كما ينبغي مع وجود علي عليه السلام؛ لكنها كانت تتربص الدوائر فإذا ما سيطرت على مقدرات المسلمين ستشفي غليلها وتجبر كسر هزائمها التي تجرعتها من الإسلام والمسلمين. ويبدو هذا القلق واضحاً في كلمات ابن أبي الحديد التي رواها عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ؛ فَإِنَّهُمْ أَضْمَرُوا لِرَسُولِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ضَرْباً مِنَ الشَّرِّ وَالْغَدْرِ، فَعَجَزُوا عَنْهَا؛ وَحُلَّتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا؛ فَكَانَتِ الْوَجَبَةُ بِي، وَالِدَائِرَةُ عَلَيَّ. اللَّهُمَّ احْفَظْ حَسَنًا وَحُسَيْنًا، وَلَا تُمْكِنْ فَجَرَةَ قُرَيْشٍ مِنْهُمَا مَا دُمْتُ حَيًّا، فَإِذَا تَوَفَّيْتَنِي فَأَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»^٢.

١ . المعجم الكبير للطبراني، ج ١١، ص ٦١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ١٠٧ كما ورد هذا المعنى بعبارة أخرى أنه ﷺ قال، «إِحْنٌ فِي صُدُورِ قَوْمٍ لَا يُبْدُونَهَا لَكَ إِلَّا مِنْ بَعْدِي» (مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ لِلذَّهَبِيِّ، ج ٣، ص ٣٥٥).

٢ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٩٨ النقطة ٤١٣، كما وردت بعض هذه العبارات في الخطبة ١٧٢ من نهج البلاغة.

وضوح العداوة والبغضاء في كلمات معاوية

رغم إمكانية استنباط مدى عداة معاوية للإسلام والقرآن والنبى الأكرم ﷺ من سلوكه وتصرفاته إبان سيطرته على زمام البلاد الإسلامية^١؛ إلا أن التاريخ احتفظ ببعض كلماته التي عبر فيها صراحة عن عداته لرسول الله ﷺ وسعيه للقضاء على أسمه.

فقد كتب المؤرخ المعروف المسعودي: قال المطرف ابن مغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي على معاوية فكان أبي يأتيه فيحدث معه ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتماً فانتظرت ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا أو في عملنا، فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ قال: يا بني إني جئت من هند أخبرت الناس، قلت له: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به أنك قد بلغت سنأ يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنك قد كبرت ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه وأن ذلك ممّا يبق لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات هيهات أي ذكر أرجو بقاءه ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين والله فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل وعمل به فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به، وأن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات «أشهد أن محمداً رسول الله» فأى عمل يبقى وأي ذكر يدوم مه هذا؟ لا أم لك: «لا والله إلا دفناً دفناً»^٢.

١. انظر: پیام امام أميرالمؤمنین (علیه السلام) (نفحات الولاية) (شرح نهج البلاغة)، ج ٣، ص ٢٥٠-٢٥٣ و ج ٤، ص ٢٣٨-٢٤٠.

٢. مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٥٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٥، ص ١٢٩.

هذه القضية تكشف بجلاء خطط معاوية وحقده الدفين على الإسلام ورسول الله ﷺ. وعلى هذا الأساس لم يكف عن عدائه لأهل بيت رسول الله ﷺ وأتباعهم فارتكب أبشع الجرائم التي لا تحصى بحقهم، ولعل أبرز نماذج ذلك إشاعة لعن علي عليه السلام وسبّه وولده وقتل الإمام الحسن عليه السلام وحجر بن عدي وسائر الأتباع.

ثأر يزيد لآبائه

يزيد بن معاوية الذي ملأ الأرجاء فساداً وتهتكاً وارتكب فاجعة كربلاء الأليمة فاكتوى بعار قتل ابن رسول الله ﷺ وفلذة كبذ فاطمة الزهراء عليها السلام ليسود الصفحات الأموية الدموية بهذه الجناية الكبرى، قد تحدث كراراً عن ثأره من رسول الله ﷺ لقتلى آبائه وأجداده، إليك بعض نماذج ذلك:

١. النموذج الأول المتعلق بقصر يزيد حين جلس على «جبرون»^١ وجعل ينظر من هناك إلى قافلة سبايا أهل البيت عليه السلام والرؤوس وكان يتمثل بهذه الأبيات:

«لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ وَأَشْرَقَتْ تِلْكَ الشُّمُوسُ عَلَى رُبَى جِبْرُونِ
نَعَبَ الْعُرَابُ فَقُلْتُ صَحْ أَوْ لَا تَصَحْ فَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنَ الْغَرِيمِ دِيُونِي»^٢

فقد تحدث في هذه الأشعار بصيغة كناية أجلى من التصريح عن ثأره لدماء أجداده في المعارك الإسلامية، فمراده من ديونه أخذه الثأر من رسول الله ﷺ لدماء الجاهلية!

٢. المورد الآخر حين أتى برؤوس شهداء كربلاء إلى مجلس يزيد. فكان يزيد ينكت شفتي الحسين عليه السلام بمخصرته وينشد هذه الأبيات:

١. «جبرون» موضع في دمشق كان فيه معبد للصابئة ثم قدّسه اليونانيون، وآل إلى اليهود والوثنيين. ويطلق على باب هذا البناء الرائع «باب جبرون» الذي علق عليه رأس يحيى عليه السلام ثم رأس الحسين عليه السلام. (مقتل الحسين للمقرم، ص ٣٤٨).

٢. نفس المهموم، ص ٤٣٥.

لَعَبَثَ هَاشِمٌ بِأَمْلِكٍ فَلَا خَبَرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلُ^١
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحاً وَلَقَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلْ
فَجَزَيْنَاهُ بِبَدْرٍ مَثَلًا وَأَقَمْنَا مِثْلَ بَدْرٍ فَاَعْتَدَلْ
لَسْتُ مِنْ خُنْدِفٍ^٢ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمِ مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلْ^٣

كما روي أن يزيد كان ينكت ثغر الحسين عليه السلام ويقول «يوم بيوم بدر»^٤. ويتضح كفر يزيد وتنكره لمبادئ الإسلام من خلال هذه العبارات فكان يهيم بالانتقام من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث كان يسعى للتأثر من رسول الله صلى الله عليه وآله لقتلاه الذين شهروا سيوفهم بوجه الإسلام والقرآن والمسلمين.

إن أباه وجده لم يؤمنوا طرفة عين بالقرآن والإسلام والنبى صلى الله عليه وآله، بل عجزوا عن مواجهة المد الإسلامي العظيم لجحافل المسلمين وانتصاراتهم المتتالية الباهرة. ومن هنا اعتنقوا الإسلام ظاهرياً، بينما واصلوا تأمرهم في الخفاء، وحين تربعوا على عرش السلطة وصفى لهم الجو، انبروا لإحياء سنن الجاهلية وهبوا لطلب التأثر لدماء أجدادهم.

١. البيت الثاني من هذه الأبيات لعبد الله بن الزبيرى أعدى أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله. حيث أنشد شعراً بعد غزوة أحد وقتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله. (قصة كربلاء، ص ٤٩٥ بالفارسية).
٢. «خندف» لقب زوجة إلياس بن مضر بن نزار واسمها ليلى بنت حلوان وسمي أولاد إلياس بأبناء خندف (لسان العرب). فخندف من أجداد قريش ويزيد (راجع تاريخ الطبري، ج ١، ص ٢٤-٢٥).
٣. الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ١٢٢. كما وردت هذه الأشعار بعبارات مختلفة في عدة مصادر للفريقين ومنها: أمالي الصدوق، ص ٢٣١؛ المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٢٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٣؛ تاريخ الطبري، ج ٨، ص ١٨٨؛ البداية والنهاية لابن كثير، ج ٨، ص ٢٠٨؛ مقاتل الطالبين لأبي فرج الأصفهاني، ص ٨٠؛ أخبار الطوال للدينوري، ص ٢٦٧؛ تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤٢٣؛ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٧٢.
٤. المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٢٣.

كلمات سائر العناصر الأموية

لم يقتصر إعلان هدف حادثة عاشوراء الدموية بالثأر من رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام على يزيد فحسب، بل هذا ما ذكره سائر الأفراد من بني أمية.

١. فلما وقف الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء كان يخاطب آل أمية:

«عَلَامَ تُقَاتِلُونَنِي أَيْسُنَّةٍ غَيْرَتُهَا أَمْ حَقِّ تَرَكَتُهُ».

فقالوا:

«بَلْ نُقَاتِلُكَ بُغْضًا مِنَّا لِأَيِّكَ وَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاخِنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ...»^١.

٢. لما قتل الحسين عليه السلام صعد سعيد بن العاص الأموي الذي كان حاكم المدينة آنذاك فالتفت إلى قبر الرسول ﷺ وقال: «يَوْمُ بَيْتِ بَدْرٍ»^٢ فامتعض الأنصار وأنكروا عليه ذلك.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن التوصل إلى أنَّ أحد جذور واقعة الطف يتمثل في الأحقاد المتراكمة في قلوب الأمويين وسعيهم للثأر من رسول الله ﷺ لهزائمهم على عهده. فالواقع أنَّهم أرادوا الرد على تلك الهزائم بالانتقام من الإسلام والنبي ﷺ.

ونختتم البحث بما ذكره أحد كتّاب أهل السنة المعاصرين «عبد الكريم الخطيب» في كتابه «علي بن أبي طالب» بعد حديثه عن شجاعة علي عليه السلام وبطولاته في معارك صدر الإسلام ودوره في إبادة أئمة الكفر والشرك حيث قال:

«كان علي عليه السلام أشدَّ على المشركين من سائر المسلمين فقتل طائفة من آبائهم وأجدادهم وهذا ما أثار حقدهم عليه. وظل هذا الحقد في قلوب مشركي قريش حتى بعد إسلامهم ... حتى توفي رسول الله ﷺ فقتلت قريش كهول وفتية وصبية بني هاشم وسببت نسائهم».

١. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص ٩٢؛ معالي السبطين، ج ٢، ص ١١.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٧٢.

ثم أضاف:

«وَكَاثِمًا تَتَأَرُّ بِهَذَا لِقَتْلَاهَا فِي بَدْرِ وَأُحُدٍ، وَحَسْبُنَا أَنْ نَذْكُرَ مَصْرَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَأَلِ بَيْتِهِ فِي كَرْبَلَاءَ، وَمَا تَلَا ذَلِكَ مِنْ وَقَائِعٍ»^١.

❦❦❦

١ . نقلاً عن (في ظلال نهج البلاغة) باختصار لمحمد جواد مغنية، ج ٣، ص ١٥٤-١٥٥ .

التآمر في السقيفة (دور السقيفة في إرساء الخلافة الأموية)

إكتسب «بنو أمية» عنوان الطلقاء ليعيشوا الذل والهوان بين المسلمين إثر الهزائم المنكرة التي مُنوا بها بعد شنهم لتلك المعارك والمؤامرات على الإسلام في عهد رسول الله ﷺ. ولم يكن لهم حين رحيل رسول الله ﷺ أي اعتبار أو قيمة تذكر ليسعهم الوقوف بوجه الإسلام على غرار ما فعلوه في العقدين السابقين. ولكن بظهور تلك الحادثة التي أعقبت رحيل رسول الله ﷺ في السقيفة وأدّت بالنتيجة إلى إقصاء بني هاشم عن الحكومة الإسلامية وإدارة شؤون المجتمع الحديث والمليء بالمعطيات آنذاك، فقد تمهدت الظروف التي أدّت بالتالي إلى استيلاء سلالة بني أمية على المجتمع الإسلامي. ولنسمع هذا الكلام من أعظم المصادر اعتباراً عند أهل السنة، أعني به صحيح البخاري الذي ذكر أنّه اجتمع ذلك اليوم طائفة من الأنصار في السقيفة ليختاروا أميراً للمسلمين حيث اختاروا سعد بن عبادة الأنصاري - زعيم قبيلة الخزرج - إلا أنّ أبا بكر احتج بأنّ رسول الله ﷺ قال: «الإمارة في قريش»^١ فغلبهم على أساس فضل قريش على سائر قبائل العرب. وهو المبدأ الذي حاربه الإسلام، وقد حصر النبي ﷺ زعامة الأمة في أهل بيت العصمة والطهارة ﷺ. ولدينا الأخبار والروايات بشأن الحوارات التي دارت ذلك

١. صحيح البخاري، كتاب المحاربين، ج ٨، ص ٢٠٨ (بتصرّف وتلخيص) وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٤.

اليوم في السقيفة والتي تفيد أنَّ معيار انتخاب الخليفة في ذلك الجمع كان يدور بصورة رئيسية حول محور قضية قريش. قال ابن أبي الحديد في شرحه للخطبة ٢٦ من نهج البلاغة:

«قال عمر (للأنصار)، والله لا تَرْضَى الْعَرَبُ أَنْ تُؤَمِّرَكُمْ وَنَبِيِّهَا مِنْ غَيْرِكُمْ وَلَا تَمْتَنِعَ الْعَرَبُ أَنْ تُؤَلَّى أَمْرُهَا مَنْ كَانَتْ النَّبِيُّؤُ مِنْهُمْ مَنْ يُنَازِعُنَا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ وَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ؟»^١.

وجاء في رواية ابن إسحاق: «إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ لِقُرَيْشٍ مَنْزِلَةً لَيْسَتْ لِسِوَاهَا مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَا تَرْضَى الْعَرَبُ إِلَّا بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ».

كما جاء في كلام أبي بكر:

«وإِنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِقُرَيْشٍ»^٢.

ومفهوم هذا الكلام أنَّ الشرط اللازم لزعامة المسلمين لا يكمن في التقوى والفضيلة فحسب، بل ما ينبغي مراعاته والالتزام به «الشرف القبلي» والذي يقتصر على قريش فقط؛ فقريش التي كانت تتمتع في الجاهلية بذلك الشرف الديني والمالي، بحيث كانت سائر القبائل تمثل القوانين التي تسنها قريش، وقريش وحدها التي كان بيدها مصير الحجاز آنذاك. وعليه فلقريش الحق بعد النبي الأكرم ﷺ في أن تأخذ بزمام أمور المسلمين وتمارس سلطاتها على الجميع.

فكانت هذه الورقة الراححة المهمة التي استطاع أبو بكر من خلالها التغلب على كثرة الأنصار. ومجموع حوادث نصف القرن الأول الإسلامي يفيد أنَّ ما حدث في السقيفة لم يكن هزيمة الأنصار إزاء فضل قريش فحسب، بل فتح الباب على مصراعيه لمزيد من المشاكل على الإسلام.

ويمكن أيجاز أهم إفرازات السقيفة في ثلاثة مطالب هي:

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٣٨.

٢. المصدر السابق، ص ٢٤.

أ) إنتهاك حرمة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ

إنَّ أحدَ الإنعكاسات الخطيرة للسقيفة تمثّل في انتهاك حرمة النبي ﷺ. فقد دثرت في السقيفة الأحاديث الصريحة للنبي ﷺ في نصب علي ﷺ للخلافة وزعامة الأمة وثلمت عزّته لدى الأمة. وكان من الطبيعي أن لا ينزلق أهل بيت النبي ﷺ وأتباعهم في هذه الهاوية، وبالنتيجة واجهوا مقاومة الجهاز الحاكم، وهذا بدوره ضاعف من انتهاك حرمة آل بيت النبي ﷺ لتصبح هذه القضية رسمية وطبيعية لدى الأمة. وأمّا الجهاز الحاكم الذي استحوذ على الوضع من خلال إشعاله لنيران العصية القبلية، إنّما أوغل من أجل حفظ مركزه حتى زحف نحو بيت الوحي والرسالة؛ الأمر الذي لم يكن يساور ذهن كل مسلم قبيل بضعة أيّام. ونعلم أنّ بعض المسلمين أبوا - بعد قضية السقيفة - مبايعة أبي بكر. حيث أجمع كبار الصحابة في بيت الزهراء ﷺ ومنهم: الزبير، العباس بن عبد المطلب، عتبة بن أبي لهب، سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري، عمار بن ياسر، المقداد بن الأسود، البراء بن عازب وأبي بن كعب.

روى ابن عبد ربه، العالم المعروف لدى أهل السنّة:

«إِنَّ أَبَا بَكْرٍ بَعَثَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ بَيْتِ فَاطِمَةَ ﷺ وَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَبَوَا فَقَاتِلَهُمْ! فَأَقْبَلَ بِقَبَسٍ مِنْ نَارٍ عَلَى أَنْ يَضْرِمَ عَلَيْهِمْ فَلَقِيْنَهُ فَاطِمَةُ ﷺ فَقَالَتْ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَجِئْتَ لَتُحْرِقَ دَارَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ أَوْ تَدْخُلُوا فِيهَا دَخَلْتُ فِيهِ الْأُمَّةُ»^١.

كما ورد في تاريخ الطبري:

«أَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَنْزِلَ عَلِيٍّ وَفِيهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَرِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا خُرْقَنَ عَلَيْكُمْ أَوْ لَتَخْرُجَنَّ إِلَى الْبَيْعَةِ»^٢.

١. العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٥٩ و ٢٦٠؛ وراجع الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٣٠؛ أنساب الأشراف، باب أمر السقيفة تحقيق الدكتور زكّار والدكتور الزركلي، ج ٢، ص ٢٦٨.

٢. (تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤٣)؛ وروى الذهبي في (ميزان الاعتدال)، ج ٣، ص ١٠٨؛ وابن حجر في لسان

وقال البلاذري في «أنساب الأشراف» إن فاطمة الزهراء قالت لعمر بن الخطاب: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! أَتُرَاكَ مُخْرِقًا عَلَيَّ بَابِي؟ قَالَ: نَعَمْ وَذَلِكَ أَقْوَى فِيمَا جَاءَ بِهِ أَبُوكَ»^١.

وقد اتسع حجم انتهاك الحرمة الذي تمتد جذوره للسقيفة ليلبلغ هذا الحد: «فَأَخْرَجُوا عَلِيًّا وَمَضَوْا بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: إِنَّ لَمْ أَفْعَلْ فَمَهْ؟ قَالُوا: إِذَا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ نَضْرِبُ عُثْقَكَ»^٢.

وكان من الواضح أنّ انتهاك الحرمات هذا، ومن جانب أولئك الذين عاشوا مع رسول الله ﷺ فحصلوا من خلال ذلك على تلك الواجهة والاعتبار مدى استغلاله من قبل العناصر الإنتهازية مثل بني أمية ليقدفوا بمستقبل الإسلام في أتون تلك الحوادث الأليمة والتي جرّت الولايات على أبناء الأمة الإسلامية.

ب) تبديل الخلافة (العهد الإلهي) بالشأن البشري

النتيجة الأخرى التي أفرزتها السقيفة، تبديل الخلافة الإلهية التي يعود اعتبارها إلى النص والتعيين المباشر من جانب الله ورسوله، إلى شأن بشري عادي، وبالشكل الذي جعل مصير قضية بهذه الأهمية يتعين من خلال نزاع بسيط بين الأنصار وبضعة أفراد من قريش والإستناد إلى العصبية القبلية وبغياب كبار الشخصيات الإسلامية.

نعم، لو انتهك مبدأ أو سن قانون لصالح فئة معينة في النظام الاجتماعي فليس هنالك من ضمانة في عدم المساس بسائر الأصول والمبادئ.

→ الميزان، ج ٤، ص ١٨٩ في ترجمة علوان بن داود أنّ أبا بكر قال في علته التي مات فيها «وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وتركته وإن أغلق على الحرب» وروى ذلك الطبري في تاريخه، ج ٢، ص ٦١٩؛ كما ورد في الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٣٦؛ ومروج الذهب، ج ٢، ص ٣٠١.

١. أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٢٦٨، باب أمر السقيفة.

٢. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٣٠-٣١، باب كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعلى هذا الضوء فإنّ انتخاب الخليفة بعد السقيفة لم يخضع لأي قانون. فقد أصبح تعيين هذه القضية المهمة بواسطة مشاجرة بين الأنصار وبضعة أفراد يعدون بالأصابع من قريش يوماً ويوماً آخر بوصية الخليفة الأول وانتخابه الشخصي وأخرى من قبل شورى مؤلفة من ستة أعضاء. الغريب ما ينبغي أن نعلمه بأنّ هذه الفوضى والتخبط في انتخاب الخليفة أصبحت ذريعة تمسك بها معاوية في نصب ولده يزيد للخلافة، حيث خطب الناس قائلاً:

«ثم التفت إلى الناس وقال: تعلمون أنّه قبض رسول الله ﷺ ولم يستخلف أحداً، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى في ستة نفر اختارهم من المسلمين، فصنع أبوبكر ما لم يصنعه رسول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبوبكر، كل ذلك يصنعونه نظر المسلمين، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف^١.

أجل كانت هذه ثمرة النبتة المشؤومة التي غرست في السقيفة. ويبدو من مهازل الدهر أن تؤول الخلافة إلى فرد كيزيد!!

ج) رئاسة بني أمية في الشام (تحول الخلافة إلى ملك)

لعل الذين حضروا السقيفة لم يعتقدوا بادئ الأمر أنّ ما يقرروه سيؤول بعد عقد أو عقدين إلى حكومة ملوكية. فسلطة بني أمية لم تكن بالظاهر التي برزت خلال يوم في عالم الإسلام، بل انبثقت هذه الحكومة خلال سنوات من الدعم الذي قدمه الخلفاء سرّاً وعلانية. فالخلافة التي كانت عهد إليها هبطت في السقيفة إلى حكومة فردية لقريش لتؤول بالتالي إلى حكومة ملوكية لبني أمية في الشام، الحكومة التي كانت أعظم آمالها التوسع لتحول الحاكمية الإسلامية إلى إمبراطورية وملوكية

١. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢١١-٢١٢.

وراثية. ففي ذلك اليوم الذي زرعت فيه بذور العصبية القبلية في السقيفة، فإنّ أبا سفيان ورهطه الذين اعتبروا مسلمين حسب ظاهرهم، لم يكونوا في وضع يؤهلهم لاستغلال الفرصة ليستعيدوا أمجادهم الماضية ويستحوذوا على سائر القبائل ويعبئوها ضد الدين الجديد بسبب سوابقهم المشينة في إثارة الحروب ضد الإسلام والمسلمين.

لكنهم سروا حين رأوا بعض طوائف قريش المجهولة مثل «تيم» و«عدي» استطاعت من خلال الإستناد إلى أفضلية قريش إقصاء الأنصار في الخطوة الأولى ومن ثم الخروج على أحاديث النبي الأكرم ﷺ الصريحة بشأن خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام وسلوك طريق آخر. فكان هذا الامتياز من شأنه أن يكون مقدمة لإمтиازات أخرى. وهذا ما حدث حيث أشتد طمع زعماء بني أمية للهيمنة على السلطة! فقد اعترف بذلك أبو سفيان قائلاً:

«إِنَّ الْخِلَافَةَ صَارَتْ فِي تَيْمٍ وَعَدِيٍّ حَتَّى طَمَعْتُ فِيهَا»^١.

وكان من الواضح أن لا يهادن شخص كأبي سفيان الذي وقف حتى نفسه الأخير بوجه النبي ﷺ إزاء بعض الأفراد كأبي بكر وعمر الذين يراهما من أذل بيوت قريش «جاء أبوسفيان» إلى علي عليه السلام وقال:

«وَلَيْتُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ أَذَلَّ يَتَّ فِي قُرَيْشٍ»^٢.

إلا أنّ أبا سفيان لم يكن في المدينة حين حدثت السقيفة. فلما رجع واطلع على الأمر حاول إثارة الفتنة فقصد أمير المؤمنين عليه السلام فلم يجبه، فقصد أبي بكر. فقال عمر لأبي بكر سيأتينا أبوسفيان وهو رجل خطير وأرى أن تهبه ما أتى به من زكاة^٣! وعلى ضوء فكرة عمر فإنّ عهداً من التعايش السلمي قد حل بين أبي سفيان

١. الإستيعاب، ص ٦٩٠؛ الأغاني، ج ٦، ص ٣٥٦.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٤٥.

٣. المصدر السابق، ص ٤٤.

والخلافة الحاكمة، غير أنَّ الوثائق التاريخية تشير إلى أنَّ القضية أعظم بكثير من سكوت عادي لا قيمة له^١. ومهما كان الأمر فقد نال بنو أمية في السنة الثالثة عشرة للهجرة أجر ذلك السكوت والتسليم من الخليفة. وفي ذلك العام وجه أبو بكر جيشاً بقيادة يزيد - ابن أبي سفيان وشقيق معاوية - إلى الشام لقتال الروم، وكان معاوية يحمل الراية - الابن الآخر لأبي سفيان - وقد تولى أمرة الجيش بعد وفاة أخيه، وأخيراً نصبه عمر إبان خلافته والياً عليها.

الطريف في الأمر أنَّ معاوية تصدى لمنصبه دون إنتظاره لحكم الخليفة، بل باشر بنفسه ليلبغ بعد مدّة بحكم الخليفة. والحق أنَّ استيلاء بني أمية وولد أبي سفيان على الخلافة وبذلك السرعة عقب رحيل النبي الأكرم ﷺ في منطقة غاية البعد عن مركز الخلافة الإسلامية، لمن الأحداث التاريخية الحبلى بالأسرار. الحادثة التي تمت بواسطتها ركائز الحكومة الاستبدادية والوراثية لبني أمية في الشام، ثم في أرجاء العالم الإسلامي كافة آنذاك.

سر مُحاباة عمر لمعاوية!

العجب العجيب ما تفيدته الدراسات التاريخية أنَّ الخليفة الثاني ورغم كل تشدده إزاء عماله وولاته كان يعض الطرف عن أبشع زلّات معاوية، ومع أنَّه كان يرى مظاهر السلطنة الفارهة التي ابتدعها معاوية، وخلقه لبؤر الفساد في الشام المضادة للحكومة الإسلامية، لم يفكر قط في إصلاحه حتى من خلال تنبيه شفاف وبسيط، حقاً أنَّ هذا مدعاة للدهشة والإستغراب.

فقد بلغت شدة عمر على عمّاله وولاته أن عزل خالد بن الوليد الذي اكتسب

١. قال علي رضي الله عنه بشأن تواطؤ المنافقين مع أدعياء الخلافة بعد رحيل النبي ﷺ، «وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده، فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولوهم العمال وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا» نهج البلاغة، الخطبة ٢١٠.

لقب سيف الله من إمرة الجيش إثر تطاوله على بيت مال المسلمين^١. كما وجه محمد بن مسلمة الأنصاري إلى عمرو بن العاص الذي ولي مصر لمتابعة شؤونه فإن رأى مخالفة صادر أمواله. فلم يُلَبِّ رسول الخليفة دعوة عمرو له للطعام وصادر نصف أمواله وعاد بها إلى المدينة^٢.

وحين خان أبو هريرة بيت المال، أعاد سهمه إلى بيت المال وجلده ثم قال له: «ما رَجَعْتُكَ أُمِّيَّةً إِلَّا لِرَغِيَةِ الْحُمْرِ»^٣. وكانت سيرة عمر متابعة أموال وممتلكات ولاته سنوياً، فإن عزل أحدهم صادر أمواله^٤.

ولكن رغم كل هذه التشديدات يبقى هذا السؤال قائماً: ترى ما السر الكامن في تعامله مع معاوية بحيث لم يصدر عنه أي رد فعل إزاء كل تلك البدع المقيتة والفواحش البغيضة؟ في حين كان عزل معاوية ونصب آخر مكانه لا يتطلب أدنى جهدٍ من عمر آنذاك، غير أنه هادنه بما أثار دهشة وذهول جميع الحيايين من محققي الأمة. فممارسات معاوية السرية والعلنية المناهضة للدين لم تكن خفية قط على عمر. فقد وصفه مرة حين رآه بـ «كسرى العرب»^٥، بينما أطلق له العنان عملياً لإقصاء الحاكمية الإسلامية واستبدالها بالنظام الملوكي بعد أن فوضه مقاليد مناطق واسعة من سوريا وفلسطين والأردن ولبنان وسلّطه على مقدرات المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

وذاث يوم شاهد عمر الموكب الضخم لمعاوية في دمشق وقد أحاطت به المئات من رجاله فاكتفى بسؤال باهت دون القيام بأي عمل استنكاري^٦، بل لم تُثَرَّ حفيظته

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨٠.

٢. المصدر السابق ص ١٧٥. وقد ذهل عمرو بن العاص من هذه المعاملة فقال، «لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر».

٣. العقد الفريد، ج ٢، ص ١٤.

٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٧٤ وما بعدها.

٥. تاريخ ابن عساکر، ج ٥٩، ص ١١٤-١١٥؛ أسد الغابة، ج ٤، ص ٣٨٦.

٦. انظر: الإستيعاب، ج ١، ص ٢٥٣؛ الإصابة، ج ٣، ص ٤١٣.

حتى حين سمع معاوية يصف نفسه بأنه أول ملك للعرب، ثم اكتفى بأخذ عدل مملوء بالمال من أبي سفيان ولم تهزّه تلك الخيانة رغم علمه بأنّ تلك الأموال إنّما وهبه إياها معاوية من بيت مال المسلمين^١.

والأعجب من ذلك ما نقله ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة، أنّ عمر أوصى أصحاب الشورى حين حضرته الوفاة بعدم التفرقة والاختلاف فقال: «... وَإِنْ تَحَاسَدْتُمْ وَتَقَاعَدْتُمْ وَتَدَابَرْتُمْ وَتَبَاغَضْتُمْ غَلَبَكُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ حِينِيذٍ أَمِيرَ الشَّامِ»^٢.

ترى لماذا فتح الخليفة الباب على مصراعيه بغية ترسيخ سلطة بني أمية في الشام بينما يستعرض قوته على أصحاب الشورى؟! فهل كان مراد الخليفة من تقوية بني أمية في الشام إضعاف قوة بني هاشم؟ فإن أبدى بنو هاشم أية حركة أو نهضة قمعت من جانب أعداء الإسلام القدماء، أعني بني أمية؟

نعم، ربّما يكمن السرّ الأصلي لكل هذه المداراة والمحاباة في هذه النقطة! فالواقع أنّ الخليفة رقى باستتباب أمنه بواسطة إيصاله بني أمية للسلطة وحصن نفسه حيال النهضات التي ربّما يشنها أبناء النبي الأكرم ﷺ من بني هاشم فوظف بني أمية كدرع وقائي إزاء أمام وصول بني هاشم إلى السلطة.

وعلى هذا الأساس فسح المجال ليتفرغ لترسيخ دعائم حكومته المستبدة في تلك المنطقة المترامية الأطراف والغنية. الحكومة التي سفكت دم ابن رسول الله ﷺ سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين ﷺ ظلماً وعدواناً وارتكبت أفدح الجرائم التي تتعذر إزالتها من ذاكرة التاريخ. وقد تسارعت هذه القضية على عهد عثمان الذي يعد من عناصر بني أمية (وسنخوض في هذا الشأن في الفصل القادم). وعلى هذا الضوء يتضح عمق ما قيل: «قُتِلَ الْحُسَيْنُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ».

١. انظر: الغدير، ج ٦، ص ١٦٤.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨٧.

وقد أشار المرحوم المحقق الأصفهاني لهذه القضية بهذين البيتين الرائعين:
 وَمَا رَمَاهُ إِذْ رَمَاهُ حَرْمَلَةٌ وَإِنَّمَا رَمَاهُ مَنْ مَهَّدَ لَهُ
 سَهْمٌ أَتَى مِنْ جَانِبِ السَّقِيفَةِ وَقَوْسُهُ عَلَى يَدَيِّ خَلِيفَةٍ^١



١ . ديوان أشعار المرحوم المحقق الأصفهاني رحمته الله.



تنصيب عمر للشوري واستخلاف عثمان

القضية الرابعة التي يمكن عدّها من جذور حادثة كربلاء، مسألة الشورى المنصبة من قبل عمر التي مهدت السبيل أمام زعامة عثمان وأدّت بالتالي إلى تقوية الجبهة الأموية. وإليك مختصر تشكيل هذه الشورى وتسلم عثمان لزام الأمور: إنّ عمر لما طعنه أبو لؤلؤة وعلم أنّه ميت قال: إنّ رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عن هذه الستة من قريش: علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف. وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم. ثم قال: أدعوهم لي، فدعوهم. فنظر إليهم فقال: أكلكم يطمع في الخلافة بعدي! فوجموا. فقال لهم ثانية. فأجابه الزبير وقال: وما الذي يبعدنا منها! وليتها أنت فقمّت بها، ولسنا دونك. فقال عمر: أفلا أخبركم عن أنفسكم. فقال لطلحة: لقد مات رسول الله ﷺ ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب^١. ثم أقبل على علي عليه السلام فقال: «لله أنت لولا دُعابةُ فيك! أما والله لئن وليتَهُمْ لَتَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ الْوَاضِحِ وَالْمَحَجَّةِ الْبَيضَاءِ». وقال لعثمان:

١. المراد بآية الحجاب قوله تعالى، ﴿فَأَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ التي نزلت في نساء النبي ﷺ والكلمة التي قالها أنّ طلحة لما أنزلت آية الحجاب بمحضر ممن نقل عنه إلى رسول الله ﷺ، ما الذي يعنيه حجابهن اليوم، وسيموت غداً فننكحهن. والجدير بالذكر تناقض عمر في هذه العبارة مع ما قاله بادئ الأمر من أنّ النبي مات وهو راض عن هؤلاء الستة.

«كَأَنِّي بِكَ قَدْ قَلَّدْتُكَ قُرَيْشُ هَذَا الْأَمْرَ لِحُبِّهَا إِيَّاكَ، فَحَمَلَتْ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي أَبِي مُعِيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَآثَرَتْهُمْ بِالْفَيْءِ، فَسَارَتْ إِلَيْكَ عِصَابَةٌ مِنْ ذُؤَبَانِ الْعَرَبِ، فَذَبَحُوكَ عَلَى فِرَاشِكَ ذَبْحًا»^١.

ثم قال: أدعوا لي أبا طلحة الأنصاري. وقال له: إذا عدتم من حفرتي فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء النفر بإمضاء الأمر واجمعهم في بيت لكي يتشاوروا، فإن اتفق خمسة وخالف واحد فضرب عنقه وإن اتفق أربعة وخالف اثنان فضرب عنقهما، وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف فارجع إلى ما اتفقت عليه، فإن أصر الثلاثة الآخرون فاضرب أعناقهم، وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر فأضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم. فأول ما عمله طلحة لأنه أشدهم أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان. وذلك لعلمه أن الناس لا يعدلون به علياً وعثمان وأن الخلافة لا تكون له وهذان موجودان.

وأما الزبير فوهب حقه لعلي عليه السلام. وأما سعد بن أبي وقاص فقد وهب حقه لابن عمه عبد الرحمن بن عوف. وعليه فالشورى تتكون من ثلاثة هم: علي عليه السلام وعبد الرحمن وعثمان. ثم التفت عبد الرحمن إلى علي عليه السلام وقال: أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرة الشيخين. فأجابه علي عليه السلام بعمله بالكتاب والسنة واجتهاد رأيه. فالتفت عبد الرحمن إلى عثمان وكرر عليه ما قاله. فأجابه عثمان. ثم أعادها عليه ثلاثاً، فكان يجيب بنفس الجواب. فبايعه. وهنا قال له علي عليه السلام: «وَاللَّهِ مَا فَعَلْتَهَا إِلَّا لِأَنَّكَ رَجَوْتَ مِنْهُ مَا رَجَا صَاحِبُكُمْ، دَقَّ اللَّهُ بَيْنَكُمَا عِطْرَ مُنْشَمٍ»^٢. وهنا لابد من تأمل بعض الأمور:

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨٦.

٢. انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨٥-١٨٨؛ تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٩٢-٢٩٧؛ الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٤٢ (باختلاف العبارات) ونفحات الولاية، ج ١، ص ٣٦٨-٣٧٠.

الأول: الطريقة التي تمت بموجبها تشكيل الشورى من ستة أشخاص أعدت بحيث لا تؤول الخلافة إلى علي عليه السلام، فطلحة من قبيلة «تيم» وابن عم عائشة، وهي القبيلة التي ينتمي إليها أبو بكر والتي لا ترغب في علي عليه السلام. وأما سعد بن أبي وقاص فهو من بني أمية وقد قتل علي عليه السلام أخواله وقرابته في معارك صدر الإسلام، ومن هنا لم يبايع علياً عليه السلام حتى حين ولي الخلافة، وأكبر مجرم في واقعة الطف كان ابنه عمر بن سعد، وعليه فحقده على علي عليه السلام واضح لا شائبة فيه. ولهذا لم يكن راغباً في علي عليه السلام. الشخص الآخر هو عبد الرحمن بن عوف صهر عثمان، حيث كان زوج شقيقة عثمان أم كلثوم. فلم يكن لعلي عليه السلام سوى الزبير، بينما تتجه سائر الآراء إلى عثمان. وقد أشار علي عليه السلام في خطبته الشقشقية (الخطبة الثالثة من نهج البلاغة) إلى هذا الأمر فقال:

«فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لَصِغْنِهِ وَمَالَ الْآخِرُ لِصِغْرِهِ، مَعَ هُنِ وَهْنٍ»^١.

أضف إلى ذلك فقد تطرق عمر صراحة إلى عيوب طلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف بما يفيد عدم أهليتهم للخلافة. فقد قال بشأن طلحة: مات رسول الله صلى الله عليه وآله خاطئاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب^٢. وقال لسعد بن أبي وقاص إنك رجل حرب ولا تصلح للخلافة^٣. وقال لعبد الرحمن بن عوف: إنك ضعيف ورجل ضعيف مثلك لا يصلح لهذا الأمر^٤. وكأنني به بهذه العبارات قد منح الأفراد حق التصويت فقط لإختيار علي عليه السلام أو عثمان؛ غير أنه رتب الأجواء بحيث ترجح الكفة لصالح عثمان. ولعل المراقبين كانوا يعتقدون على هذا الأساس أن الخلافة سوف لن تؤول إلى علي عليه السلام وأشاروا على علي عليه السلام بعدم حضور الشورى. فبناءً على نقل الطبري، أن ابن عباس أشار عليه بعدم الحضور،

١. للوقوف على المزيد راجع نفحات الولاية، ج ١، ص ٣٥٨-٣٦٦.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨٤.

٣. المصدر السابق.

٤. المصدر السابق، ص ١٨٦.

فأجابه الإمام عليه السلام بأنه لا يريد أن تكون المعارضة من جانبه. فقال له ابن عباس: «إِذَا تَرَى مَا تَكْرَهُ»^١ فأمر المؤمنين علي عليه السلام كان يرى ضرورة حضور المجلس لأنه يعلم بجدارته بالخلافة، وقد استدل على أحقيته بها؛ إلا أن الخطبة المشبوهة حالت دون انتفاع الأمة بزعامته عليه السلام. أضف إلى ذلك فإن علياً عليه السلام لم يرد أن يُتهم بشق الصف، والحيلولة دون الزعمه أنه لو حضر الشورى لحصل على حقه. ومن هنا رأى عليه السلام الصلاح في حضور مجلس الشورى.

الثاني: أليس من العجب أن يُخطّط عمر الشورى بحيث تكون الخلافة لعثمان؛ ذلك لأنّ عثمان قدم خدمة عظيمة لعمر بغية نيل الخلافة بعد أبي بكر. قال ابن الأثير: دعا أبو بكر عثمان حين وفاته ليكتب وصيته في الخلافة فقال له: أكتب، بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر إلى المسلمين. أما بعد ... ثم أغمي عليه، فكتب عثمان:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَلَمْ أَلْكُمْ خَيْرًا». فأفاق أبو بكر فقال: اقرأ فقرأه. فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي! قال عثمان: نعم، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله^٢! وهل هنالك خدمة أعظم من هذه؟!

إفرازات خلافة عثمان ودورها في ترسيخ حكومة بني أمية
ما إن انتخب عثمان^٣ للخلافة حتى اشتدت شوكة بني أمية الذين ظهرت

١. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٩٣. كما ورد في تاريخ ابن الأثير: أن عباس نهى علياً عليه السلام عن حضور الشورى (الكامل، ج ٣، ص ٦٨).

٢. الكامل لابن الأثير، ج ٢، ص ٤٢٥؛ كنز العمال، ج ٥، ص ٦٧٦ و ٦٧٨.

٣. عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

عداوتهم منذ البداية للإسلام ورسول الله ﷺ وتمهدت الظروف للانتقام من آل رسول الله ﷺ. فقد آلت السلطة إلى طائفة شاركت بصورة مباشرة أو غير مباشرة في جميع المعارك ضد رسول الله ﷺ وتؤمن بأن قدرة وسلطة رسول الله ﷺ قضية دنيوية على غرار ما عليه السلطات والحكومات العادية، لا أنها تستند إلى الرسالة والنبوة. وعلى هذا الأساس لما ولي عثمان الخلافة خاطب أبوسفیان عثمان يوماً فقال:

«صَارَتْ إِلَيْكَ بَعْدَ تَيْمٍ وَعَدِي فَأَدْرِهَا كَالْكُرَّةِ، وَأَجْعَلْ أَوْتَادَهَا بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّمَا هُوَ الْمُلْكُ وَلَا أَذْرِي مَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ».

فأنكر عليه عثمان ذلك^١. كما ورد في بعض التواريخ أن أبا سفيان قصد قبر حمزة رضي الله عنه وقال:

«يا أبا عُمارة! إِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي اجْتَلَدْنَا عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ، أُمْسَى فِي يَدِ غِلْمَانِنَا الْيَوْمَ يَتَلَعَّبُونَ بِهِ»^٢.

والمؤسف أن عثمان لم يبعد بني أمية عن مناصب الحكومة، بل سعى لتقوية جبهة بني أمية من خلال إغداق الأموال والمناصب عليهم. وأمّا الأفعال التي قام بها عثمان وأدت إلى رص جبهة النفاق وإضعاف الإسلام والمؤمنين فكثيرة تقتصر هنا على ذكر جانب منها.

١. منح المناصب الحساسة للأمويين

كان معاوية والياً على الشام وظل عليها حين ولي عثمان الخلافة، فسعى معاوية لترسيخ حكومته. ويعتقد كل محقق منصف أن معاوية لم يؤمن بالإسلام قط.

١. الإستيعاب، ج ٢، ص ٤١٦ (العدد ٣٠١٧) كما ورد هذا الكلام بعبارات أخرى في سائر مصادر أهل السنة. (راجع تاريخ الطبري، ج ٨، ص ١٨٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٥٣؛ ومختصر تاريخ دمشق، ج ١١، ص ٦٨).

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٣٦.

وحسب تعبير العالم المعاصر المشهور «ويل ديورانت» فإن معاوية كان بارعاً في أمور الدنيا وغير ملتزم بالدين ولا يراه مانعاً من التمتع بلذات الدنيا^١. كما ولّى عثمان شقيقه من أمه الوليد بن عتبة بن أبي معيط الكوفة^٢. والوليد هو من نزلت بحقه الآية: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَاءٍ فَتَبَيَّنُوا»^٣. وقد روى العلامة الأميني رحمته الله إجماع المفسرين على سبب نزول الآية فيه^٤. والوليد من وصفه النبي صلّى الله عليه وآله بأنه من أهل النار كما روى المسعودي^٥.

وقد ارتكب مختلف الفواحش حين ولّى الكوفة ومنها شربه الخمر، حتى صلى الصبح يوماً أربع ركعات^٦. وحين عزل الوليد - بسبب اعتراض الجميع عليه ونقمة المسلمين منه - ولّى عثمان الكوفة سعيد بن العاص (أحد الأمويين) وقد ارتكب القبائح^٧. وقد بلغ غروره وسيطرته على إمارة الكوفة ليزعم أنها «بستان قريش» فأنكر عليه ذلك مالك الأشر^٨.

وولّى عثمان ابن خاله «عبد الله بن عامر بن كريز» البصرة بعد عزله لأبي موسى الأشعري ولم يكن له من العمر سوى ٢٥ سنة لئلي تلك الولاية الكبيرة. وكان يعرف ببذخه وإسرافه، وقد اعترض عليه المسلمون، إلا أن عثمان لم يجبههم^٩. والوالي

١. تريخ الحضارة، ويل ديورانت، عصر الإيمان، الفصل العاشر.

٢. صرح بذلك المسعودي في مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٤٧.

٣. سورة الحجرات، الآية ٦.

٤. الغدير، ج ٨، ص ٢٧٦.

٥. مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٣٤.

٦. بلغ شرب الخمر عند الوليد شهرة حتى ورد في صحيح مسلم (كتاب الحدود، باب حد الخمر، الحديث ٣٨).

وللوقوف على المزيد راجع الغدير، ج ٨، ص ١٢٠ وما بعدها.

٧. الغدير، ج ٨، ص ١٢٠؛ ومروج الذهب، ج ٢، ص ٣٣٧.

٨. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٦٥.

٩. انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٩؛ وحياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي، ج ١، ص ٣٤٤-٣٤٥.

الآخر من بني أمية أخو عثمان من الرضاعة «عبد الله بن أبي سرح» الذي جعله عثمان والياً على مصر. وكان من أعدى أعداء رسول الله ﷺ والمستهزئين به، فأباح رسول الله ﷺ دمه إن تعلّق بأستار الكعبة. ولذلك هرب مدّة حتى عاد إلى مكة ولاذ بعثمان فأواه. ثم أتى به ليشفع له عند رسول الله ﷺ فسكت رسول الله ﷺ ثم عفى عنه، وحين خرج عثمان وعبد الله بن أبي سرح من عنده قال: إنّما سكت ليقوم أحد فيضرب عنقه ... ثم ارتد بعد أن تظاهر بالإسلام. يذكر أنّه عامل أهل مصر بمنتهى الجور والظلم حتى شكوه لعثمان^١.

مروان بن الحكم مستشار عثمان

الأموي الآخر الذي لعب دوراً مهماً في ممارسات عثمان كان مروان بن الحكم، فقد أعاد عثمان في السنين الأولى من حكمته عمّه «الحكم بن أبي العاص» وابنه «مروان بن الحكم» طريد رسول الله ﷺ إلى المدينة.

قال ابن قتيبة وابن عبد ربه والذهبي وكلهم من مشاهير أهل السّنة إنّ الأمور التي أنكرها المسلمون على عثمان تقريبه الحكم بن أبي العاص، بينما لم يفعل ذلك أبو بكر وعمر^٢.

فقد قرّبه عثمان وألبسه جبة من الخز وأمره بجمع زكاة قبيلة «قضاة» ثم وهبه إيّاها وكانت ثلاثمائة ألف درهم. والأهم من كل ذلك إجلاله لمروان بن الحكم^٣. فكان مروان ابن عم الخليفة وموضع عنايته وقد زوجه من بنته ثم جعله مستشاراً له. يرى بعض المحققين أنّ الخلافة وإن كانت لعثمان، إلّا أنّ الخليفة الحقيقي أنّما

١. انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٤١؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٧٣ مختصر تاريخ دمشق،

ج ١٢، ص ٢٢٦؛ وحياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ج ١، ص ٣٥١-٣٥٢.

٢. انظر: الغدير، ج ٨، ص ٢٤١ وما بعدها.

٣. انظر: الغدير، ج ٨، ص ٢٦٠ وما بعدها للوقوف على خباثت وفواحش مروان وقبائحه.

كان مروان وعثمان خليفة بالاسم^١.

وقد أشار علي عليه السلام إلى هذه الحقيقة ومدى سلطة مروان في خلافة عثمان وتأثيره به حين خاطب عثمان قائلاً:

«أَمَّا رَضِيتَ مِنْ مَرْوَانَ وَلَا رَضِيَ مِنْكَ إِلَّا بِتَحَرُّفِكَ عَنْ دِينِكَ، وَعَنْ عَقْلِكَ مِثْلُ جَمَلِ الظَّعِينَةِ يُقَادُ حَيْثُ يُسَارُّ بِهِ»^٢.

كما تصدت المصادر التاريخية المعتبرة لذكر قضية شكوى وتظلم الناس من ولاية عثمان وقدومهم إلى المدينة ووعود عثمان بالنظر في شكواهم ومن ثم نقض الخليفة لتلك العهود والتي كان الدور الأساسي فيها لمروان بن الحكم. وقد كانت له سطوته في الخلافة بحيث لم يجعل الناس يحصلون على أدنى حقوقهم المشروعة وكان يحث عثمان دائماً على معاقبة المتظلمين حتى طلبت منه زوجته «نائلة» عدم سماع مروان، حيث كانت تعتقد بأن مروان وسائر أفراد بني أمية إنما يقودون عثمان للهلكة^٣. نعم كان عثمان مفرطاً في حبه لقبيلته ورهطه، ولذلك سلطهم على رقاب المسلمين وأموالهم وولاهم العديد من المناطق الإسلامية، وقد بلغ شغف عثمان ببني أمية درجة جعلته يقول:

«لَوْ أَنَّ بِيَدِي مَفَاتِيحَ الْجَنَّةِ لَأَعْطَيْتُهَا بَنِي أُمَيَّةٍ حَتَّى يَدْخُلُوهَا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ»^٤.



١. حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ج ١، ص ٣٣٧.

٢. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٩٧؛ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٤٧. كما جاء في الخطبة ١٦٤ من نهج البلاغة «فلا تكونن لمروان سيقه يسوقك حيث شاء بعد جلال السنن وتقضي العمر».

٣. انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٩٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٤٧.

٤. كنز العمال، ج ١٣، ص ٥٢٧؛ مسند أحمد، ج ١، ص ٦٢؛ اسد الغاية، ج ٣، ص ٣٨٠؛ والغدير، ج ٨، ص ٢٩١. وورد في أمالي المفيد عن عثمان أنه قال، «ولو كنت جالساً بباب الجنة ثم استطعت أن أدخل بني أمية جميعاً الجنة لفعلت» أمالي المفيد، ص ٧١؛ بحار الأنوار، ج ٣١، ص ٤٨١.

٢. إغداق الأموال على بني أمية

الفعل الآخر على عهد عثمان الذي أدى إلى تقوية جبهة النفاق ولاسيما بني أمية، الإغداق العجيب والطائش للأموال على هذه الفئة، والذي شد بنيتهم المالية، ونشير هنا إلى بعض نماذج ذلك:

١. وهب مروان بن الحكم خمس غنائم أفريقية ومقدارها ٥٠٠ ألف دينار (مئقال من الذهب) ومنحه مئة ألف درهم (فضة) من بيت المال فاعترض زيد بن أرقم خازن بيت المال.

٢. وهب أبا سفيان مئتي ألف درهم.

٣. وهب أخاه عبد الله بن أبي سرح مئة ألف دينار من غنائم معركة أخرى في أفريقيا.

٤. وهب الحارث بن الحكم (شقيق مروان بن الحكم) ثلاثمائة ألف درهم.

٥. وهب سعيد بن العاص مئة ألف درهم.

٦. وهب عبد الله بن خالد الأموي ثلاثمائة ألف درهم، وذكر اليعقوبي أن عثمان زوج ابنته من عبد الله بن خالد ووهبها ٦٠٠ ألف درهم.

٧. بعث أبو موسى الأشعري (والي البصرة)^١ إلى عثمان أموالاً طائلة من العراق فوزعها على بني أمية.

وهذه الهبات هي غير تلك الأموال التي أدخرها عثمان. فقد جاء في الخبر أن عثمان لما قتل كان قد أدخر ملايين الدراهم وأكثر من ٥٠٠ ألف دينار وألف ناقة وألف عبد وعدد من الخيول وأموال أخرى^٢. نعم كانت هذه النماذج من الهبات التي

١. كتب الطبري، ولى أبو موسى الأشعري البصرة لسته أشهر ثم عزله عثمان وولى مكانه ابن خالته عبد الله بن عامر (تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣١٩).

٢. نقل المرحوم العلامة الأميني فهرساً عن هبات عثمان بالاستناد إلى الكتب والمصادر التاريخية المعتبرة (الغدير، ج ٨، ص ٢٥٧-٢٨٦) وراجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٩٨-١٩٩؛ مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٣٢؛ وحياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ج ١، ص ٣٥٤-٣٦٣.

أغدقها الخليفة دون حساب والتي أثارت غضب المسلمين عليه لتنتهي بثورة عارمة.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام بشأن خلافة عثمان وإستغلاله بطانته لبيت المال: «وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَةَ الْإِبْلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ»^١.
والواقع أنَّ عثمان خلق بهذه الإمتيازات طبقة جديدة مترفة كان من نتائجها تلك الإنتفاضات الشعبية والآثار التي انعكست خطورتها على الإسلام.
على كل حال فقد كان لبني أمية على عهد عثمان قدرة وسلطة، كما تمتعوا بثروات طائلة، ومما لا شك فيه أنَّ هذه الإمتيازات أدت إلى تقوية شوكة حزب النفاق ضد الإسلام والمدرسة النبوية الحقّة.
ونختتم هذا الفصل بما كتبه الأديب المعاصر «جورج جرداق»، فقد قال بشأن تقوية بني أمية من جانب عثمان: «وَجَعَلَ عثمان في أيديهم مفتاح بيت المال، وسيف السلطان»^٢.



١. نهج البلاغة، الخطبة الثالثة.

٢. الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج ١، ص ١٢٤.

المؤامرات في عصر أمير المؤمنينؑ

كانت المؤامرات التي حاكها معاوية على عهد حكومة عليؑ من بين العوامل ذات التأثير البالغ في تحقيق واقعة كربلاء. فمعاوية الذي كان يتطلع منذ مدة إلى الخلافة، كان يتشبت بكل وسيلة لتحقيق هذا الهدف. ويمكن مشاهدة يده الأثيمة بوضوح خلف كواليس أحداث ذلك العصر كافة والتي ابتدأت بقتل عثمان من خلال تأمل الشواهد التاريخية، وهي الحوادث التي أدت كل واحدة منها إلى تقوية الجبهة الأموية وبسط سلطتها على العالم الإسلامي من جهة، وإضعاف وتغريب أهل بيت العصمة والطهارةؑ من جهة أخرى. وإليك صورة مجملة عن دور معاوية الهدام في تلك الأحداث المهمة:

١. التخلي عن عثمان

إن استعمال العناصر الأصلية لبني أمية في عصر عثمان في المناصب الحساسة كافة في المناطق والولايات وزجهم في المواقع الحكومية الأخرى في معظم مناطق البلاد الإسلامية آنذاك، وتفسير الخليفة لبيت المال على أنه ملك شخصي له أن يصرفه كما يشاء ويهبه لقربائه وبطانته، كان أرضية خصبة لتبلور حكومة معاوية الاستبدادية والملوكية الوراثية.

فقد ردّ عثمان على من أنكر عليه البذل والعطاء من بيت المال قائلاً:

«فَإِنَّ الْأَمْرَ إِلَيَّ أَحْكُمُ فِي هَذَا الْمَالِ بِمَا أَرَاهُ صَلاَحًا لِلْأُمَّةِ، فَلِمَاذَا كُنْتُ خَلِيفَةً؟»^١.

فمن الواضح أنَّ صلاح الأمة بعقيدته عبارة عن:

منح فذك لمروان، إعادة الحكم بن أبي العاص ومروان - طريد رسول الله ﷺ إلى المدينة وتوليّه المناصب الحكومية، بذل مائتي ألف درهم لأبي سفيان، بذل مائة ألف درهم لمروان، توزيع خراج بني أمية والبذل دون حساب لسائر بطانته^٢. (مرّ شرح ذلك في الفصل السابق).

كان من البديهي أن لا يكتب الدوام لاستمرار هذه الأوضاع. فكنز الثروات وجنابات رهط عثمان أثارت غضب المسلمين لنعم الثورة مختلف مناطق البلاد الإسلامية، خاصة المدينة - مركز الخلافة الإسلامية - التي كانت تعيش غليان هذه الثورة. وعثمان الذي كان يتصور في تلك الظروف المتأزمة أنَّ معاوية سوف لن يتردد قيد أنملة في مؤازرته ولن يأل جهداً في الوقوف إلى جانبه، فقد بعث كتاباً طلب فيه نصرته، وناشده التعجيل في توجيه جيش الشام بكل وسيلة ممكنة إلى المدينة.

لكن معاوية الذي كان يدرك حقيقة الأوضاع ومدى استياء المسلمين من الخليفة، كان يفكر في زوال الخليفة، فسيقترّب خطوة من عرش السلطة. ومن هنا تعلّل لأَيّام وأسابيع في توجيه الجيش إلى المدينة ويبرر فعله هذا بأنّ الصحابة هم الناقمون على عثمان وأنّه يتجنب صحابة النبي ﷺ!

وقد ذكر ابن أبي الحديد نقلاً عن البلاذري - مؤرخ القرن الثالث المعروف - قال: «لما أرسل عثمان إلى معاوية يستمده بعث يزيد بن أسد القسري جد خالد بن عبد بن يزيد أمير العراق وقال له إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٥، ص ١٣٠ وج ١ ص ٣٣٩، ذيل الخطبة ٢٥.

٢. المصدر السابق، ج ٥، ص ١٩٨؛ وراجع نفحات الولاية، ج ١، ذيل الخطبة ١٥.

الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإنني أنا الشاهد وأنت الغائب. قال فأقام بذى خشب حتى قتل عثمان فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه»^١.

ويرى البلاذري أن معاوية أراد في الواقع قتل عثمان في تلك الأحداث حتى يتمكن من خلال المطالبة بدمه من الاستيلاء على الخلافة^٢.

وكتب الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري بهذا الخصوص: «حين شخّص معاوية آنذاك أنه سيستفيد أكثر من قتل عثمان وأن إراقة دمه ستمنحه قوة أعظم فمهد السبيل لقتله، فتخلى عنه في تلك اللحظة التي كان يسعى فيها إلى بذل النصرة له ومنع قتله»^٣.

وقد صرح علي عليه السلام بهذا الشأن في موضعين من نهج البلاغة؛ أحدهما في الرسالة ٢٨ من نهج البلاغة التي كتب فيها لمعاوية:

«فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ - عثمان - وَأَهْدَى إِلَيَّ مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَفْعَدَهُ وَأَسْتَكْفَهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ؟».

والآخر في الرسالة ٣٧ حين خاطب معاوية فقال:

«فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النُّصْرَ لَكَ وَحَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النُّصْرَ لَهُ».

ودراسة الشواهد والقرائن التاريخية لذلك العصر تشير إلى أن معاوية كان يتطلع إلى حادثة المدينة وقتل عثمان من أجل الخلافة ليزيح منافساً قوياً كعثمان ويمهد

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٥٤. راجع دور عائشة في التاريخ الإسلامي أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري، ج ١، ص ٣٢٢؛ وروى السيوطي في تاريخه «تاريخ الخلفاء» أن صحابياً دخل على معاوية، فسأله معاوية، ألسنت من قتلة عثمان؟ قال، لا، لكنني كنت في المدينة ولم أنصره. فقال معاوية، لماذا لم تنصره؟ قال، لم ينصره المهاجرون والأنصار. قال معاوية، لكن كان يجب نصره. فقال الصحابي، فلم لم تنصره وعندك جيش الشام؟ (تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٣).

٢. شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ١٥٤ وراجع أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري، ج ١، ص ٣٢٢.

٣. سيري در نهج البلاغة، ص ١٦٨ (بالفارسية).

السبيل لزعامته. ولكن لم يحدث ما كان يحلم به بعد قتل عثمان، بل أقبلت الأمة برمتها على بيعه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذا ما جعله يفكر في خطط شيطانية أخرى.

٢. معركة الجمل أو المواجهة غير المباشرة من قبل معاوية للإمام (عليه السلام)

تمّت مراسم بيعه الأمة والعناصر الثورية لأمر المؤمنين (عليه السلام) بلهفة ورغبة جامحة. فالإمام (عليه السلام) بعد أن أبى قبول الخلافة في البداية - لمصلحة ما^١، أعرب عن استعداده لتسلم زمام الأمور إزاء إصرار الأمة شريطة إلغاء الإمتيازات الطبقية كافة التي ظهرت منذ عهد الخليفة الثاني، ومساواة جميع الأفراد في الحقوق إزاء القانون الإسلامي وبيت المال. وقد التفت المغيرة بن شعبة إلى الإمام علي (عليه السلام) بعد بيعته وقال له: آرى إقرار معاوية على الشام وعبد الله بن عامر ابن خال عثمان على البصرة إلى أن يسكن شغب الناس ولك بعد رأيك فلم يأخذ (عليه السلام) برأي المغيرة^٢.

وجاء في تاريخ الطبري: إنّ مغيرة بن شعبة قال لعلي (عليه السلام) بعد استلامه للخلافة: أترك معاوية فإنّ لمعاوية جرأة وهو في أهل الشام يسمع منه ولك حجة في إثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها.

فأجابه علي (عليه السلام):

«والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً»^٣.

فعدالة علي (عليه السلام) المذهلة كانت تقتضي مصادرة جميع الثروات التي حصلت عليها عصابة بني أمية على عهد عثمان وإعادتها إلى بيت المال. ومن هنا أعلن (عليه السلام) في اليوم الثاني من حكومته:

«وَاللّٰهُ لَوْ وَجَدْتُهُ تُزَوِّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَمِلِكَ بِهِ الْإِمَاءَ لَرَدَدْتُهُ»^٤.

١. راجع نفحات الولاية، ج ٤، ص ٢٠٨ ذيل الخطبة ٩٢.

٢. صوت العدالة الإنسانية، ج ١، ص ٧٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٣٢.

٣. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤٦١.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٥؛ راجع نفحات الولاية، ج ١، ص ٥٢٥.

فلما بلغ ذلك الخبر عمرو بن العاص قال لمعاوية:
«مَا كُنْتُ صَانِعاً فَاصْنَعْ إِذْ قَشَرَكَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ كُلِّ مَالٍ تَمْلِكُهُ كَمَا تُقَشِّرُ
عَنِ الْعَصَا لِحَاَهَا»^١.

وروح المساواة لدى علي عليه السلام دون أن تأخذه في الله لومة لائم أو ييزر أدنى
مرونة وهوادة إزاء التوقعات المفرطة لشخصيات مرموقة في المجتمع كطلحة
والزبير جعلتهم يخلصون بعد مضي بضعة شهور على بيعته علي عليه السلام إلى هذه النتيجة
التي ذكرها الطبري أنهم قالوا:

«مَا لَنَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا كَلَحْسَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ»^٢.

وفي الوقت الذي يؤس فيه أمثال طلحة والزبير من الحصول على أي امتياز
ومنصب في حكومة علي عليه السلام، كان معاوية يتابع عن كثب في الشام أوضاع المدينة،
فقد كان يعلم بشغف طلحة والزبير بالدنيا وعمق شوقهما للحكومة، فعمد إلى مؤامرة
أخرى، فكتب لهما كتاباً دفعهما فيه لقتال الإمام عليه السلام من خلال إثارة طمعهما في السلطة^٣.
إنطلقت حيلة معاوية عليهما. فقصدا علياً عليه السلام بحجة العمرة وزيارة بيت الله. فأخذ عليه السلام
منهما البيعة ثانية وقال لهما أو لبعض أصحابه: «وَاللَّهِ مَا أَرَادَا الْعُمْرَةَ، وَلَكِنَّهُمَا أَرَادَا
الْعُدْرَةَ»^٤. وبالتالي إنطلقا إلى مكة ليلتقيا حول راية مواجهة علي عليه السلام والتي حملتها
عائشة وسائر زعماء بني أمية. لا شك في أن معاوية كان على يقين أنه لا يستطيع
منافسة أمير المؤمنين عليه السلام لا في سابقته ولا في فضائله. ويعلم أن نتيجة تلك المعركة

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٠٢ ذيل الخطبة ١٥.

٢. تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٥٣.

٣. جاء في كتاب معاوية، «قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوثقوا الحلف فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقنك
إليها ابن أبي طالب ... وقد بايعت لطلحة ابن عبيد الله من بعدك فأظهروا الطلب بدم عثمان وادع الناس إلى
ذلك» فلما بلغت الزبير أطلع عليها طلحة ولم يشكا في أن معاوية يريد بهما خيراً. فعزما على قتال علي عليه السلام.

بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٣١.

٤. تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٢٧؛ تاريخ ابن الأعمش، ص ١٦٦-١٦٧.

ستكون لصالحه، فإن هزم علي عليه السلام فقد بلغ مراده، وإن هزم طلحة والزبير فقد تخلص من أقوى منافسين له في الخلافة، وفي كلا الحالتين يمكنه حث الخطى باتجاه الخلافة.

والفائدة الأخرى التي يجنيها معاوية من معركة الجمل هي أنه لا يمتلك الجرأة والشجاعة لمواجهة علي عليه السلام بمفرده، ومن هنا كان يجب على سائر البارزين من الأفراد كعائشة وطلحة والزبير أن يمهّدوا له ذلك السبيل ليسير عليه بسهولة. والواقع كان يفكر في ضرورة استغلال بعض الأفراد كطلحة والزبير الذين أصبحوا يوماً في مصاف علي عليه السلام في الشورى التي أوصى بها الخليفة الثاني بغية خداع السذج من الناس، ليمهد السبيل أمام أمثال معاوية للخروج على خليفة المسلمين. من جانب آخر فإن بني أمية الذين يُكثّنون العداء لعلي عليه السلام منذ القدم و ينتظرون الفرصة للوقوف بوجهه إنما اجتمعوا من كل حذب وصوب بترغيب معاوية وترهيبه ليجتمعوا حول عائشة في مكة، كما سارع إليها سائر ولاة عثمان وعماله بعد أن عزلهم أمير المؤمنين عليه السلام الواحد تلو الآخر. كما كان لمروان بن الحكم - صهر عثمان ومشاوره المقرب وحضوره الفاعل في تلك الواقعة.

روى المؤرخ المعروف الطبري عن الزهري أن عبد الله بن عامر - ابن خال عثمان ووالي البصرة من قبل عثمان - هرب بثروته إلى مكة بعد أن عزله علي عليه السلام فالتحق بعائشة، كما التحق بها يعلي بن أمية - والي عثمان على اليمن - بعد عزله من جانب علي عليه السلام^١.

وعلى هذا الضوء صُرِفَتْ نفقات معركة الجمل وما يلزمها من أسلحة من تلك الثروات الضخمة التي نهبها أزلام بني أمية على عهد عثمان من بيت مال المسلمين. وبناءً على ما تقدم لا نرانا مجانبين للحقيقة إن اعتبرنا موقعة الجمل مواجهة غير مباشرة بين معاوية وحكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

١. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤٦٩ وما بعدها.

٣. معركة صفين، مواجهة معاوية المباشرة للإمام علي عليه السلام

يفيد التحقيق بشأن الحوادث المتصلة لذلك العصر أنّ معاوية كان يتقدم خطوة بعد كل حادثة مهمّة نحو الخلافة وبسط السلطة على جميع البلاد الإسلامية، فيوم تعلل في نصرته عثمان فمهد السبيل لقتله فأزاح من طريقه للخلافة هذه العقبة الكؤود، ويوم آخر يؤلب طلحة والزبير وسائر أعوان بني أمية ليقوم بدوره المشبوه خلف كواليس الجمل فأدى ذلك إلى مقتل منافسيه الشديدين. وأخيراً فكر في خطته المشؤومة والبالغة الخطورة، فقام بتبني مظلومية عثمان^١ فزعم المطالبة بدمه من جهة، ومن جهة أخرى هب لمواجهة الإمام علي عليه السلام مباشرة بعد أن عبد الطريق باتجاه الخروج على خليفة المسلمين عقب معركة الجمل، فعبا أهل الشام وجنّدهم لقتال الإمام علي عليه السلام الذين تربوا عشرين عاماً على مفردات الجهل والحمق في مدرسة معاوية.

استغرق قتال أهل الشام لجيش الإمام علي عليه السلام عدّة أشهر، وكما نعلم أنّ اللحظات الأخيرة شهدت قيام عمرو بن العاص بتلك الخطة الشيطانية في رفع المصاحف على أسنة الرماح ليتغير مصير المعركة بعد أن اندفعت تلك الثلّة من الأبطال كمالك الأشتر ليخترق جبهة الشام ليوشك على القضاء على ممثل صرح العصر الجاهلي وإلى الأبد وينشر حكومة العدل العلوي على أرجاء البلاد الإسلامية كافة. والرجال الذين قاتلوا ببسالة لأشهر في معسكر علي عليه السلام وأوشكوا على تحقيق النصر وهنوا مقابل تلك الخدعة وانطلت عليهم اللعبة، بالتالي آل الأمر إلى التحكيم الذي تمكن فيه حاكم الشام عمرو بن العاص المراءوغ المعروف من خداع حاكم العراق أبي موسى الأشعري، فكانت هزيمة منكرة منوا بها، غير أنّهم قارفوا فضيحة أخرى لتدارك الهزيمة فتذرّعوا ببعض الحجج الواهية ليعتزلوا جبهة الإمام علي عليه السلام

١. كان معاوية يثير مشاعر أهل الشام من خلال رفعه لقميص عثمان وقيامه بجالس العزاء عليه ويؤلب الناس ضد علي عليه السلام. راجع تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٦٤.

ليلتحقوا نهاية المطاف بتلك الفئة التي عرفت لاحقاً بالخوارج. وهي الفئة التي أدت بجهلها وتحجرها من جانب وخداعها من جانب آخر إلى خلق هوة عميقة بين المسلمين وأشعلوا بنيران جهلهم فتيل فتنة أخرى هي معركة النهروان.

٤. إشاعة الرعب في أجواء الحكومة العلوية

تدارك معاوية خطة جديدة تستهدف الإمام عليه السلام بعيد عودته من صفين. فقد وجه جماعات من جيشه الهمجي المتعطش للدماء إلى بعض المناطق الخاضعة لحكومة الإمام عليه السلام لتنتشر أجواء الرعب بين صفوف المسلمين العزل في اليمن والعراق والحجاز. وكانت جيوش معاوية لا تملك سوى الهروب حين تواجه جند الإمام عليه السلام فكانت تعتمد إلى المناطق العزلاء وقد تلقت الأوامر بالقتل والنهب والسرقة وهدم المنازل وإحراقها! وكان يتقدم أولئك الجلاوزة من أمثال «بسر بن أرطاة» و«النعمان بن بشير» و«سفيان بن عوف» و«عبد الله بن مسعدة» الذين أمروا من جانب معاوية بسلب أمن المناطق الإسلامية بهدف شعورهم باليأس والإحباط من حكومة الإمام عليه السلام. وفي هذه الأثناء كان الإمام عليه السلام يواصل دعوته لأهل العراق وخاصة الكوفة بالدفاع عن المسلمين والكيان الإسلامي ولكن لا جدوى. ولما بلغه هجوم سفيان بن عوف على الأنبار وإراقته لدماء العديد من الرجال الأبرياء والنساء، توجه بخطابه المعهود لجيشه الذي فقد إرادته بادياً ردّ فعله العنيف إزاء تلك الممارسات الوحشية فقال:

«أَلَا وَإِنِّي دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَإِعْلَانًا وَقُلْتُ لَكُمْ: أُغْزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ ... فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنْتُ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ وَمَلِكْتُ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ»^١.

وكان بسر بن أرطاة من أعتى مجرمي حكومة معاوية، حيث لم يكن يرعى

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

حرمة حتى المرأة والطفل.

وقد ذكر صاحب كتاب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني أنَّ معاوية وجه بسر بن أرطاة بعد التحكيم إلى الحجاز والمدينة ومكة وأمره أن لا ينزل على بلدٍ أهله على طاعة علي عليه السلام إلا قتلهم ويسلبهم أموالهم وأن لا يدع حتى النساء والأطفال^١.

ولما سمع أمير المؤمنين عليه السلام بجرائم بسر دعا عليه قائلاً: «اللهم إنه باع دينه، فلا تمته حتى تسلبه عقله» فلم يلبث بسر بعد ذلك إلا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله^٢. والتأمل في ذلك الجانب من كلمات الإمام عليه السلام في نهج البلاغة التي يتألم فيها من ضعف أهل الكوفة وخذلانهم له، والأفطع من ذلك طلبه الموت، يجعلنا ندرك أن تلك الكلمات إنما ترتبط بذلك العصر الذي شهد أعمال السلب والنهب والقتل في المناطق الخاضعة لحكومة الإمام علي عليه السلام من جانب جلاوزة معاوية. والواقع أنَّ جيش الإمام خلص إلى هذه النتيجة وهي إن استجاب لدعوة الإمام عليه السلام فلا بد أن يلتزم بالمبادئ الأخلاقية والإنسانية كافة التي حددها الإمام عليه السلام. فإن ظهر الجيش فلا يحق له غنم أموال الأفراد الذين ينتحلون الإسلام ظاهرياً أو يأسر النساء والأطفال أو الاعتداء على الممتلكات.

وعليه فالقتال إلى جانب علي عليه السلام لا يجلب سوى الموت دون أي نفع مادي، ومن هنا لم يجد الإمام عليه السلام سوى أولئك النزر القليلين من أصحاب المواقف وطالبي الحق. وبالمقابل كان أهل الشام يطيعون معاوية طاعة عمياء، فقد كانوا أحراراً في قتل من يشاءون، ويأسرون الصبية والنساء ويصادرون لصالحهم كل ما يجدونه من أموال. وبالطبع كانت هذه الحرية المطلقة تلبّي طموحاتهم الحيوانية ورغباتهم الغريزية، ولذلك كانوا في غاية الطاعة لمعاوية. ووقوع ثلاث معارك دموية خلال أقل من أربع سنوات بالإضافة إلى إشاعة الرعب والفوضى في أقصى

١. الأغاني، ج ١٥، ص ٤٥؛ وراجع أسد الغابة، ج ٣، ص ٣٤٠.

٢. راجع نفحات الولاية، ج ٢، ص ٨٧ ذيل الخطبة ٢٥.

مناطق البلاد الإسلامية آنذاك جعل الأشراف الذين ساءت لهم بساطة عيشه ﷺ وبفضل ما هم عليه من فطنة يعتقدون بأن المستقبل سيكون لمعاوية فتأهبوا للتنسيق معه خفية. فأخذوا يبعثون بتلك الرسائل الرخيصة ليحصلوا على تلك الأموال التي كان يهبها من لا يملك إلى من يستحقها، فأخذ معاوية وعلى ضوء تلك الرسائل يوحى للآخرين بأن أهل العراق يطالبونه بالتوجه إليهم لتنظيم شؤونهم. حلت فترة غربة القرآن وإقصاء أهل بيت النبي ﷺ لتتمهد السبل كافة أمام معاوية لممارسة حاكميته دون منازع على البلاد الإسلامية. فلم يكن أمامه سوى شخص أمير المؤمنين ﷺ والذي تلقى صبيحة التاسع عشر من شهر رمضان عام أربعين للهجرة ضربة من أحد جلاوزة معاوية حتى أستشهد في ليلة الحادي والعشرين ودفن سراً. والدفن الخفي والغريب لهذا الحاكم الإسلامي العظيم وبقاء قبره مجهولاً لعدة سنوات إنما يكشف عن عمق جنایات معاوية وبني أمية وغربة الإسلام الأصيل وأهل بيت النبي ﷺ.



تبلور المؤامرات في عصر الإمام المجتبيؑ

النقطة السادسة التي يمكن أن تكون من جذور حادثة كربلاء ولها تأثيرها في ظهور تلك الواقعة هي المؤامرات التي حيكت في عصر الإمام الحسن عليه السلام وأدت إلى تقوية الجبهة الأموية.

وبعبارة أخرى: إنّ العاقبة المشؤومة التي اختزنتها تلك المؤامرات والحوادث تمثلت في السلطة لمعاوية على البلاد الإسلامية كافة. وإليك مختصر تلك المؤامرات والحوادث:

١. خداع بعض أمراء جيش الإمام الحسن عليه السلام من قبل معاوية

خطب الإمام الحسن عليه السلام بعد شهادة علي عليه السلام فعبأ المسلمين لقتال العصاة من أهل الشام وجعل إمرة بعض جيشه لعبيد الله بن عباس، الذي قتل بسر بن أرطاة سفاح معاوية ولديه علي عهد علي عليه السلام^١. فلما علم بذلك معاوية كتب رسالة لعبيد الله بن عباس وطلب منه التخلي عن الإمام عليه السلام والإلتحاق به مقابل مليون درهم دفع له نصفها مقدماً؛ فغرّر به فالتحق مع بعض جيشه ليلاً بمعاوية حيث افتقده جيشه صباحاً^٢.

١. انظر: شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٤؛ الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٣٨٣؛ نفحات الولاية، ج ٢، ص ٨٩.

٢. الإرشاد للمفيد، ص ٣٥٣؛ المناقب، ج ٤، ص ٣٨؛ تاريخ البعقوبي، ج ٢، ص ٢١٤؛ مقاتل الطالبين لأبي فرج الأصفهاني، ص ٤٢.

٢. إضعاف موقع الإمام (عليه السلام) من قبل المنافقين وعملاء معاوية

تعرض للإمام (عليه السلام) طائفة من جيشه أثناء استعداداته لمواجهة معاوية وانطلاقة بالجيش نحو ساحة القتال؛ ومما لا شك فيه أنَّ هذه الممارسات الأليمة وأمثالها والتي تختزن الصلة بالعناصر العميلة لمعاوية ومؤامراته سبب إضعاف معنويات الجيش وتشتت صفوفهم وبالتالي (كما سيأتي) أدت إلى ذلك الصلح المفروض. وقد بلغ تغلغل عناصر معاوية في صفوف جيش الإمام الحسن (عليه السلام) درجة بحيث ذكر المؤرخون أنَّ أحد جند الإمام هجم عليه بخنجره حين كان قائماً للصلاة^١. وأخرى سحب أحدهم السجادة من تحت رجله^٢. وأخيراً كتب أحد كبار جيشه رسالة لمعاوية أنَّه مستعد لتسليمه الإمام المجتنبى (عليه السلام) أو قتله^٣.

٣. الصلح المفروض

أخذ جمع من صحب الإمام (عليه السلام) المتخاذلين يتحدثون صراحة عن اعتزال القتال، في الوقت الذي كان معاوية يجيش الجيوش ويعبئها لقتال الإمام الحسن (عليه السلام). روى المؤرخ المعروف ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة» أنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) خطب الناس ودعاهم لجهاد معاوية، وسألهم: ما تقولون؟ إن كنتم تريدون الشهادة فسلوا سيوفكم وإن أردتم الحياة والبقية فقولوا ذلك صراحة. فأجابه العديد منهم: «البَقِيَّةُ البَقِيَّةُ»^٤. وأشار (عليه السلام) في هذه الخطبة إلى اختلاف معنوياتهم حين خاضوا

١. الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٣٥٢؛ المناقب، ج ٤، ص ٣٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٤١.

٢. الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٣٥٢؛ المناقب، ج ٤، ص ٣١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٤١.

٣. الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٣٥٣.

٤. أسد الغابة، ج ٢، ص ١٣ و ١٤. كما وردت هذه الخطبة مع اختلاف يسير في بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢١-٢٢. وروي أنهم قالوا، «البقية والحياة» (لا القتال والشهادة).

معركة صفين عما هي عليه الآن وقال:

«وَكُنْتُمْ فِي مُنْتَدَبِكُمْ إِلَى صَفَيْنَ وَدِينَكُمْ أَمَامَ دُنْيَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ الْيَوْمَ دُنْيَاكُمْ أَمَامَ دِينِكُمْ»^١.

على كل حال ففي ظل هذه الظروف التي شعر فيها الإمام عليه السلام بالغرابة والوحدة ولم يبقَ معه سوى ثلثة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وخاصة أصحابه فعقد الصلح مع معاوية^٢.

وذكر الشيخ المفيد رحمته الله في الإرشاد أنه لم يكن أمام الإمام الحسن عليه السلام سوى الصلح فليس لأصحابه من بصيرة كاملة بالإمام ولا يلتزمون بعهودهم وكان أغلبهم يبيع دم الإمام ومستعد لتسليمه للعدو، كما تركه ابن عمّه والتحق بمعاوية (وزيدة القول): «ميل الجمهور منهم إلى العاجلة، وزهدهم في الآجلة»^٣.

فالواقع كان الإمام الحسن عليه السلام أمام مفترق طرق، فإمّا أن يخوض الحرب التي لا يؤمل فيها نصر، فيضحي بأهل بيته وخاصة أصحابه دون أدنى نتيجة لصالح الإسلام؛ لأنّ معاوية كان يحتمل الإمام عليه السلام بحيله مسؤولية القتال، وكانت الأمة تتأثر بالأعيب معاوية، وإمّا أن يصالح لحفظ المصالح الإسلامية ليكشف اللثام عن الوجه القبيح لمعاوية، فيكشف للأمة باطن الحكومة الأموية ويثبت لها عدم التزامه بالعهود الدينية والسنة النبوية. وعلى ضوء الصلح إثر مؤامرات معاوية وغدر وضعف الأصحاب يفوز الإمام المجتبي عليه السلام الخلافة بعد سبعة أشهر^٤ إلى معاوية ليتحقق الهدف الثاني.

١. أسد الغابة، ج ٢، ص ١٣.

٢. جاء في التاريخ «فلما أفرده أمضى الصلح» أسد الغابة، ج ٢، ص ١٤. وورد في تاريخ اليعقوبي، «فلما رأى الحسن أنّ لا قوة به وأنّ أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له صالح معاوية». (تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٥).

٣. الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٣٥٤.

٤. أسد الغابة، ج ٢، ص ١٣؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر، ج ١٣، ص ٢٦١.

وأخيراً فإنّ مؤامرات العدو ووهن صحب الإمام عليه السلام ونفوذ المنافقين في الجيش الإسلامي دعت لذلك الصلح وتسليم الأمور لمعاوية، وهكذا تحولت الجبهة الأموية إلى قوّة مطلقة إثر تنامي شوكة معاوية وتفردّه رسمياً بالخلافة، ومنذ ذلك الوقت أخذت العودة إلى الجاهلية وإسقاط القيم السماوية والسنة النبوية تتسارع وتتسع في المجتمع آنذاك. وستتابع في الفصل القادم مخالفات معاوية ووقوفه بوجه التعاليم الإسلامية.





خلافة معاوية

يمكن اعتبار عصر خلافة معاوية^١ الذي استغرق عشرين عاماً من أهم العوامل التي أفرزت واقعة كربلاء. فقد شهد هذا العصر وقوع بعض الأحداث التي أعدت مقدمات ظهور حادثة كربلاء. والواقع أنّ هذا العصر أفرز الحادثة من زاويتين: فممارسات الظلم والعدوان والقتل والسلب والنهب والبدع ومناهضة الدين من قبل معاوية جعلت تبلور واقعة الطف سنة ٦١ هـ والثأر من الإسلام ذو وقع يسير على بني أمية من جانب، ومن جانب لآخر فإنّ أحداث عصره خاصة أرضية استخلاف ولده الفاجر يزيد اقترنت بردود فعل قوية من جانب المسلمين ولاسيما أهل بيت رسول الله ﷺ بزعامة الإمام الحسين عليه السلام.

وتفعلت ردود الفعل هذه بشروع خلافة يزيد وإصراره على أخذ البيعة من جميع المسلمين وإضافته طابع الرسمية على أفعاله القبيحة كافة، حتى انتهت - إثر سلسلة من الحوادث - بفاجعة الطف عام ٦١ هـ وإليك شرح مختصر للبدع والحوادث الأليمة والمأساوية لعصر معاوية والتي لا تعد ولا تحصى:

١. نقض الصلح مع الحسن عليه السلام

ذكرنا في الفصل السابق أنّ الإمام الحسن عليه السلام اضطر للصلح بسبب بعض الظروف

١. معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس.

المعقدة فأخذ منه بعض المواثيق منها: عدم سب أمير المؤمنين عليه السلام في القنوت للصلاة! والتعرض للشيعية وإعطاء كل ذي حقّ منهم حقّه.
وافق معاوية وأقسم على الالتزام بذلك لكنّه خطب الناس حين ورد النخيلة يوم الجمعة فقال:

«إِنِّي وَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُكُمْ لِيُصَلُّوا وَلَا لِيَتَصُومُوا، وَلَا لِيَتَحَبُّوا وَلَا لِيَتَزَكُّوا، إِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي قَاتَلْتُكُمْ لِأَتَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ! أَلَا وَإِنِّي كُنْتُ مُنِيتُ الْحَسَنَ أَشْيَاءَ، وَأَعْطَيْتُهُ أَشْيَاءَ، وَجَمِيعُهَا تَحْتَ قَدَمَيَّ لَا أَفِي بِشَيْءٍ مِنْهَا لَهُ».

ثم دخل الكوفة وأخذ البيعة وخطب الناس فتعرض لأmir المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن^١.

وعلى هذا الأساس بين في الخطوة الأولى من حاكميته أول أهدافه من كل تلك الممارسات والقتل. فهو لم يقاتل قط كأبي حاكم إسلامي في سبيل الله، وكان هدفه نيل السلطة، كما تكلم صراحة عن نقضه العهود وتجاوزه على معاهدة الصلح، بينما أقل ما يتوقع من المسلم الوفاء بالعهود والمواثيق. وقد جعل كافة المبادئ الإسلامية والعهود الأخلاقية والدينية والإنسانية تحت قدميه وكشف عن خبث سيرته بسببه لأmir المؤمنين - حامل لواء العدل والتوحيد - والإمام الحسن عليه السلام الذي قال فيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وفي أخيه الإمام الحسين عليه السلام: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

٢. نصب المنافقين في المناصب الحساسة

إنّ طبيعة حكومة معاوية تقتضي انفتاحه على الفاسدين من الأفراد بغية تحقيق

١. الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٣٥٥؛ وراجع مناقب، ج ٤، ص ٣٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٤٦ كما ورد جانب من هذه الخطبة في مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ٤٣؛ سيرة أعلام النبلاء للذهبي، ج ٤، ص ٣٠٤.

أهدافه المشبوهة. وهذا ما تطلب الإسراع في تفريق صفوف الأمة وإبعادها عن التعاليم السامية والعادلة للإسلام، لبسط نفوذ حكومته الجبارة وإخماد الأصوات المعارضة. وقد تنبأ أمير المؤمنين عليه السلام بشكل عجيب بهذه القضية فقال: «وَلَكِنِّي آسِي أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَارُهَا فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا وَعِبَادَهُ حَوْلًا وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا وَالْفَاسِقِينَ حِزْبًا»^١.

وتفيد عبارة أمير المؤمنين عليه السلام القصيرة والعميقة المعنى أنّ تواجد العناصر الفاسدة والمشبوهة في المؤسسات الفاعلة للحكومة يكشف عن فساد وانحراف تلك الحكومة، كما أنّ حضور العناصر الصالحة والنزيهة في أجهزة الحكومة تعكس سلامة تلك الحكومة.

وعلى ضوء تصريحات المؤرخين لم يكن هنالك فرد صالح تقريباً في مؤسسات أية حكومة في المناطق الخاضعة للسلطة الأموية. والواقع أنّ ولاية حكومة معاوية من الأفراد المعروفين بالطمع والهوس وقد شغلوا تلك المناصب بغية تحقيق أطماعهم الشيطانية ومآربهم المادية.

ولا يخفى أنّ استخدام العناصر الفاسدة والمنحرفة التي تتظاهر بالفسق والفجور علانية من شأنه أن يؤدي إلى جعل ارتكاب المنكرات قضية عادية في المجتمع وتهدد بالخطر القيم والمبادئ المعنوية. والحق إنّ الأجهزة الضخمة لحكومة معاوية إنّما كانت تدار من قبل أفراد وظفوا جميع طاقاتهم ودعائهم من أجل تشييد صرح دنياهم الفاسدة. فأصحاب الدنيا وعشاق الشهوة وعبدة الأهواء أمثال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزبيد بن أبيه الذين يعتبرون من مشاهير دهاة العرب^٢ قد وقعوا في شباك مصائد معاوية طمعاً بالرئاسة فباعوه دينهم لينالوا حكومة بعض

١. نهج البلاغة، الرسالة ٦٢.

٢. روى الشعبي، «إنّ دهاة العرب أربعة، معاوية وابن العاص والمغيرة وزبيد» الذريعة، ج ١، ص ٣٥٠؛ مختصر تاريخ دمشق، ج ٩، ص ٨٠.

مناطق البلاد الإسلامية حسب ظروفها وحساسيتها. والواقع أنَّ معاوية - لمعرفته بطبيعة أهل كل منطقة - كان يولي فيها أحد جلاوزته بما يتناسب وطبيعتها، وهكذا غير الهوية الدينية الاجتماعية وغرس بذور الفساد والإلحاد في أطراف وأكناف العالم الإسلامي. فولى عمرو بن العاص مصر والعراق للطاغية الظالم زياد والمدينة والحجاز لطريد رسول الله ﷺ مروان^١. كما وظف سائر العناصر المجرمة والسفاحية لممارسة القمع والقتل مثل الضحاك بن قيس وسعيد وبسر بن أرطاة وآخرين، فكان يوجههم بسرعة فائقة ويستبدل أحدهم بالآخر كلما شعر بخطر. فلما نصب عبد الله - ابن عمرو بن العاص - على الكوفة، قال المغيرة بن شعبة لمعاوية: «اسعملت عبدالله بن عمرو على الكوفة، وأما عمرو على مصر، تكون أنت بين تهين الأسد»^٢ فعزله عنها واستعمل المغيرة على الكوفة.

ونشير هنا بصورة إجمالية إلى بعض ولادة معاوية ونشر جانباً من سيرتهم المخزية وأفعالهم الإجرامية.

عمرو بن العاص (والي مصر)

ولد عمرو بن العاص قبل البعثة بأربع وثلاثين سنة. أبوه العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله ﷺ والمكاشفين له بالعداوة وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^٣ وأمه - طبق نقل المؤرخين - من ذوات الرايات في مكة كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبد الله بن جدعان التميمي بمكة فكانت بغياً ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب وأميه بن

١. تطرقنا سابقاً إلى مروان وفساده وفسقه.

٢. تجارب الأمم، ج ٢، ص ١٧.

٣. سورة الكوثر، الآية ٣.

٤. طبقات ابن سعد، ج ١، ص ١٣٣؛ تاريخ ابن عساکر، ج ٤٦، ص ١١٨؛ الغدير، ج ٢، ص ١٢٠ وما بعده.

خلف الجمحي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمرو فادّعاه كلهم فحكمت أمّه فيه فقالت: هو من العاص بن وائل وذاك لأنّ العاص ينفق عليها كثيراً.

بينما كان أبو سفيان يقول: أمّا أنّي لا أشك أنّي وضعت في رحم أمّه^١.
وكان «عمرو بن عاص» من ألد أعداء الإسلام في مكة.

وحين هاجر المسلمون إلى الحبشة بعثت قريش بعمر بن العاص وعمارة إلى الحبشة ليقتلا جعفر بن أبي طالب أو يسلمهم النجاشي المسلمون.
فقال بعض المؤرخين غضب عليهما ولم يسلمهما المسلمون.

إنّ عمرو بن عاص لم يعتنق الدين اعتناقاً وإنّما انتحله انتحالاً وهو في الحبشة نزل بها مع عمارة بن الوليد لاغتيال جعفر وأصحابه رسل النبي الأعظم ﷺ الذي تنتهي إليه الأنبياء عن أمر الرسالة ويبلغه التقدم والنشور، وسمع من النجاشي (ملك الحبشة) قوله: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟

فقال عمرو: أيّها الملك أكذلك هو؟ فقال: ويحك عمرو أطعني واتبعه فإنّه والله لعلّي الحق...

وهكذا انصرفت الأيام والسنين حتى فتحت بلاد الشامات في عهد عمر بن الخطاب وجعلها في ولاية معاوية، وأمر عمرو بن العاص بفتح مصر، ولما فتحها أصبح عليها والياً لمدة أربع سنوات من خلافة عثمان، ثم وقع خلاف بينهما وانتهى إلى عزله عن ولاية مصر، فانتقل مع أهله وولده إلى فلسطين.

وعندما خرج معاوية على أمير المؤمنين علي عليه السلام في الشام طلب من عمرو بن العاص أن يؤازره فتأمل عمرو في طلب معاوية وبعد أن استشار أبنيه وغلاه عزم المسير والالتحاق بمعاوية بشرط أن يتولى حكومة مصر، ونشد في ذلك قائلاً:

١. ربيع الأبرار للزمخشري نقل عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٢٨٣؛ الغدير، ج ٢، ص ١٢٣.

مُعَاوِيَةُ لَا أُعْطِيكَ دِينِي وَلَمْ أَنْلِ بِهِ مِنْكَ دُنْيَا فَانْظُرْ كَيْفَ تَصْنَعُ^١
وقد أشار علي عليه السلام إلى هذه النقطة فقال:
«إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتِيَّةً وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً»^٢.

كما كتب في رسالة لعمر بن العاص:
«إِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيْهٌ ... فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخَرْتَكَ»^٣.
نعم، فعمر بن العاص وقع أسير حبّه للدنيا ثم وظف طاقته الفكرية في ألاعبه الشيطانية. ولعل أشهر تلك الألاعيب قضية تعليقه المصاحف على أسنة الرماح في معركة صفين حين أوشك جيش معاوية على الإنهيار والهزيمة، فأنقذ ذلك الجيش من هزيمة حتمية حين أمر برفع المصاحف ليقولوا إننا أتباع القرآن وعلينا النزول على حكمه والكف عن القتال.

وقد انطلت هذه الخدعة على بعض البسطاء من جيش الإمام علي عليه السلام بحيث غيرت مصير المعركة. فما كان من معاوية إلا أن كافأ عمرو بن العاص فولاه مصر طيلة حياته.

ولكن حكومة عمرو المفعمة بالخداع والفساد لم تستمر طويلاً. فلم تمض مدة حتى بدت علامات الموت على جسده ليودع الحياة بذلك الأسى والندم.
ذكر اليعقوبي في تاريخه أنه: قال لولده لما حضرته الوفاة: لود أبوك أنه مات في غزوات ذات السلاسل، إني قد دخلت في أمور لا أدري ما حجتني عند الله فيها. ثم نظر إلى ماله فرأى كثرته فقال: ياليتني كان بعري، ياليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني، عمي علي رشدي حتى حضرني

١. انظر: الغدير، ج ٢، ص ١٢٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٤، وراجع نفحات الولاية، ج ٣، ص ٤٦١ وما بعدها.

٣. نهج البلاغة، الرسالة ٣٩.

أجلي، كأني بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي.
وأضاف اليعقوبي: وتوفي عمرو ليلة الفطر سنة ٤٥ للهجرة، فأقر معاوية ابنه
عبدالله بن عمرو، ثم استصفى مال عمرو، فكان أول من استصفى مال عامل، ولم
يكن يموت لمعاوية عامل إلا شاطر ورثته ماله^١.

زياد بن أبيه (والي البصرة والكوفة)

كان زياد بن أبيه في بداية أمره من أشد أعداء معاوية وأخطرهم، وكانت أمه
سمية من جملة النساء من ذوات الأعلام في الجاهلية (أي من الزانيات) وبما أنها
كانت جارية للحرب فقد زوجها من غلامه الرومي عبيد، وعندما ولد زياد لم يكن
أبوه معروفاً ومع أنه ينسب حسب الطاهر إلى أبيه عبيد إلا أنه قيل عنه زياد بن أبيه.
ولكن ذكاء زياد ودهائه وقدرته الخطائية كانت متداولة على الألسن بين العامة
والخاصة، وتدرجياً أصبح شخصاً يشار إليه بالبنان إلى أن نصب والياً على بلاد
فارس في أيام حكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام وربما كان ذلك من أجل عدم انجذابه
إلى معاوية.

وقد تحرك معاوية في تهديد وتطميع زياد مرات عديدة ولكن زياد كان يقاوم
هذه الاغراءات، حتى أن بلاد فارس بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بقيت
خارج سيطرة الأمويين بالرغم من أن جميع البلاد الإسلامية قد أصبحت خاضعة
لمعاوية.

وقد أرسل معاوية المغيرة بن شعبة والذي كان صديقاً لزياد إليه وهو يحمل
اقتراح معاوية في جعله أخاً للخليفة، وهكذا استطاع معاوية بهذه الحيلة العجيبة من
كسب ودّ زياد بن أبيه إليه، وقد فكر زياد في نفسه أنه إذا صار أخو معاوية فإنه
يتحول إلى أقدر العرب، وسيكون ابناً لأبي سفيان رئيس قريش بدلاً من انتسابه

١. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٢؛ نفحات الولاية، ج ٣، ص ٤٦١-٤٧٦.

لغلام الرومي، وبذلك يتخلص من احساسه بالحقارة والدونية في نسبه غير العربي. وهكذا خضع للمؤامرة وانطلق إلى دمشق. وبهذا وقع في شباك فخ معاوية ليصبح أحد ولاية الحكومة الأموية ليستغل نفوذه لسنوات مديدة من أجل ترسيخ دعائم سلطة معاوية الغاشمة.

فقد قال ابن الأثير - المؤرخ المعروف - إلحاق زياد بأبي سفيان كان أول حكم خالف الشريعة الإسلامية صراحة. حيث قال رسول الله ﷺ: «الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»^١ فالواقع أن زياد اشترى بهذا العمل فضيحة زناه. نقل الشيخ محمد عبده عن أحمد عباس صالح أنه قال بعد أن ذهل من إلحاق زياد بأبي سفيان: «وأغرب من هذه القصة أن ادعاء هذه الأمة تم في مجلس علني رسمي حتى يتحقق الادعاء على رؤوس الأشهاد، فلم يخجل منه زياد، موازناً بين مغنم هذه الأخوة وبين ازدياد الناس له، ففضل أخوة الخليفة على سلامة العرض»^٢.

وقد حظت هذه القضية بانعكاس سلبي عنيف في العالم الإسلامي، فقام جهابذة الشعراء بإنشاد أشعار الهجاء لتصفها بوصمة العار الكبرى على جبين بني أمية^٣. وعقب تلك الحادثة تغيرت سيرة حياة زياد الذي كان بالأمس من أعدى أعداء معاوية فأصبح اليوم من أعتى عتاة التاريخ الذي جهد من أجل ترسيخ دعائم حكومة معاوية. الشخص الذي أصبح اسمه يقترب بالرعب والخوف بالنسبة للأمة. قال ابن أبي الحديد - العالم المعتزلي المشهور - في شرحه نهج البلاغة: «إن معاوية ولّى زياد بن أبيه الكوفة والبصرة فكان يتبع شيعة علي عليه السلام تحت كل حجر

١. الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٤٤ حوادث عام ٤٤؛ أحاديث أم المؤمنين عائشة، للسيد مرتضى العسكري، ج ١، ص ٣٤٤-٣٤٦.

٢. شرح نهج البلاغة للعبده، في ذيل الرسالة ٤٤.

٣. للوقوف على ترجمة زياد راجع، مختصر تاريخ دمشق، ج ٩، ص ٧٥؛ تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ٢١٨؛ الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٤١ وما بعده (حوادث عام ٤٤ و ٤٥ هـ)، تاريخ الطبري، ج ٤ ص ١٦٣؛ تاريخ ابن عساکر، ج ١٩، ص ٢١٦-٢٢٧؛ مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٦ والغدير، ج ١٠، ص ٢١٦-٢٢٧.

ومدر فيقتلهم»^١. حقاً يمكن القول إنّ أحد العوامل التي جعلت أهل الكوفة ينفرجون بهذه السرعة عن إسناد مسلم بن عقيل إثر وصول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة هذا الرعب الذي خلقه أبوه الغاشم - زياد - في قلوب أهل الكوفة. هذه خلاصة لسيرة جلاد آخر أسهم في وقوع فاجعة الطف المأساوية.

المغيرة بن شعبة (والي الكوفة)

كان المغيرة حسب تصريح المؤرخين من مشاهير دهاة العرب^٢ وقد أفنى عمره في الفسوق والفجور^٣.

نقل ابن أبي الحديد عن أستاذه - المدائني - أنّ المغيرة كان من أزنى الناس في الجاهلية، وقد زنى على عهد عمر حين كان والياً على البصرة^٤ ورغم ولادته قبل البعثة بسبع سنوات إلاّ أنّه لم يسلم حتى صلح الحديبية (السنة السادسة للهجرة) ثم لجأ إلى المدينة بعد إراقته للدماء ليحفظ نفسه بالتظاهر بالإسلام، ولم يقرّه رسول الله ﷺ والمسلمون^٥. وكتب ابن أبي الحديد بهذا الخصوص:

«وكان إسلامُ الْمُغِيرَةِ مِنْ غَيْرِ إِعْتِقَادٍ صَحِيحٍ وَلَا إِنَابَةٍ وَنِيَّةٍ جَمِيلَةٍ»^٦.

وتأمل حياة المغيرة المفعمة بالفساد أفضل شاهد على أنّه لم يذق قط طعم الإيمان. ولم تحتفظ ذاكرة التاريخ بنقطة مضيئة عن حياته على عهد النبي ﷺ، لكنّه سعى بعد وفاة النبي ﷺ لدعم حكومة الخلفاء حتى كان له دور فاعل في الهجوم

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٤٤ (مع اختلاف يسير) وراجع الغدير، ج ١١، ص ٣٨.

٢. مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ١٧٤.

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ١٠ ذيل الحكمة ١٣٤.

٤. المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٣٩.

٥. مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ١٥٧ و ١٥٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٨ ذيل الحكمة ١٣٤.

٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٨ ذيل الحكمة ١٣٤.

على دار فاطمة الزهراء عليها السلام وإحراقها.

فقد خاطبه الإمام الحسن عليه السلام بمحضر معاوية وأعوان بني أمية قائلاً:
 «أَنْتَ ضَرَبْتَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَدْمَيْتَهَا وَأَلَقْتَ مَا فِي بَطْنِهَا»^١.
 ولى البصرة على عهد عمر ثم عزل بعد أن زنى بمحضره، ولم يبق عليه الخليفة
 الحدّ أو يعزّره^٢، بل ولاه بعد ذلك لمدة مدينة الكوفة، إلّا أنّ هذه الوصمة لم تفارقه
 أبداً.

كتب ابن أبي الحديد بهذا الشأن:

«وَكَانَ عَلِيٌّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: إِنَّ ظَفَرْتُ بِالْمَغِيرَةِ لِأَتُبْعُهُ الْجَارَةَ»^٣.
 وقال الإمام الحسن عليه السلام في خطابه للمغيرة بحضور معاوية وآخرين:
 «أَنْتَ الزَّانِي قَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ الرَّجْمُ»^٤.

وقد تمتع المغيرة على عهد معاوية بمكانة مرموقة ليوليه الكوفة ونواحيها فلم
 يكف عن سب علي عليه السلام في خطب صلاة الجمعة والجماعة. ولعل أعظم مصيبة
 خلقها المغيرة إثارته لطمع معاوية في عهده بالولاية ليزيد حيث كان أول من اقترحه
 عليه حتى قال:

«لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلَ مُعَاوِيَةَ فِي غَرْزِ بَعِيدِ الْغَايَةِ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ وَفَتَقْتُ عَلَيْهِمْ
 فَتْقًا لَا يُرْتَقَى أَبَدًا»^٥.

إرتكب المغيرة طيلة حكومته للكوفة ما لا يحصى من الجنايات، ولم يكف
 - بناءً على رغبته وتأكيده معاوية - عن تعقب شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وتعذيبهم

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٨٣؛ الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ٤٠.

٢. انظر: مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ١٦٥-١٦٩؛ مستدرک الحاكم، ج ٣، ص ٤٤٨؛ شرح نهج البلاغة ابن

أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢٣٨ و ج ٢٠، ص ٨ وما بعده.

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢٣٨.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٨٣؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٠.

٥. الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٥٠٤ حوادث سنة ٥٦ هـ.

والتنكيل بهم، وقال لحجر بن عدي ذلك المجاهد البطل الذي دافع بقوة عن الولاية: «إِتَّقِ السُّلْطَانَ، إِتَّقِ غَضَبَهُ وَسَطَوَتَهُ»^١.
إِلَّا أَنَّ «حجر» واصل دفاعه عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام رغم التهديد والوعيد حتى نال الشهادة.

سمرة بن جندب (خليفة زياد في البصرة)

رغم عدم اكتراث معاوية لابني رسول الله صلى الله عليه وآله الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وكذلك مئات الصحابة المقربين، بل توفرت موجبات مطاردتهم وقتلهم، وفي نفس الوقت وبغية قبول الرأي العام لأقواله وأفعاله؛ اضطر لتبرير أعماله لاستعمال الأفراد المتكالبين على الدنيا الذين يتذرعون بصفة صحبة النبي صلى الله عليه وآله ليتمكنوا من إضفاء الشرعية على ممارساتهم القبيحة من خلال إثارة فكرة كون الصحبة تساق النطق بالحق والثبات عليه.

وعلى هذا الضوء استقطب معاوية بعض العناصر كأبي هريرة أو حتى بعض الأفراد مثل «سمرة بن جندب» الذي ليس له أدنى سابقة في الإسلام، سوى أنه أدرك زمان النبي صلى الله عليه وآله فوظفهم لوضع الأحاديث لصالحه. ولعله يمكن الوقوف على روحية «سمرة» المعادية للإسلام والمناهضة للحق من خلال قصة القاعدة الفقهية «لا ضرار» وإليك خلاصتها:

كان لسمرة عذق في حائط لرجل من الأنصار وكان منزل الأنصار بباب البستان وكان يمر به إلى نخلته ولا يستأذن فكلمه الأنصاري فأبى سمرة، فجاء الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فشكى إليه. فساومه صلى الله عليه وآله للأنصاري: إذهب فأقلعها وارم بها إليه وقال: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ فِي الْإِسْلَامِ»^٢.

١. تاريخ ابن عساكر، ج ١٢، ص ٢٠٨ وما بعدها.

٢. الكافي، ج ٥، ص ٢٩٢، باب الضرار، الحديث ٢؛ التهذيب، ج ٧، ص ١٤٦ باب بيع الماء، الحديث ٦٥١.

القصة لم تنقل بصورة واضحة كما في الكتاب ص ١٧٥.
فقد ذكر ابن أبي الحديد نقلاً عن أستاذه «أبو جعفر» أنه قال: روي أن معاوية
بذل لسمره بن جندب أربعمئة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية:
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ...﴾^١. والتي نزلت بحق علي عليه السلام نزلت في ابن
ملجم^٢ (سيرد شرح هذه الرواية لاحقاً).

وزبدة الكلام جنى معاوية العديد من الأرباح من استعماله لسمره في حكومته،
كما قبض بالمقابل أجره من معاوية على خدماته حتى جعله خليفة زياد على
البصرة فقتل هذا السفاح آلاف الأبرياء في البصرة بتهمة الولاء لأهل بيت النبي ﷺ.
روي الطبري - المؤرخ المعروف - أن محمد بن سليم سأل ابن سيرين: هل قتل
سمره أحداً؟ فأجابته:

«هَلْ يُحْصَى مَنْ قَتَلَ سَمْرَةَ ابْنَ جُنْدَبٍ؟ اسْتَخْلَفَهُ زِيَادٌ عَلَى الْبَصْرَةِ وَأَتَى الْكُوفَةَ
فَجَاءَ وَقَدْ قَتَلَ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ مِنَ النَّاسِ».

وأضاف الطبري أن زياد سأل سمره: أما خفت أن تكون قتلت بريئاً؟ قال: لو
قتلت إليهم مثلهم ما حشيت^٣.

قال رجل هو «أبو سوار العدوي»: إن سمره قتل فجراً سبعين وأربعين من قومه
ممن جمعوا القرآن^٤. ورغم أن سمره كان مستعداً لارتكاب أية جناية من أجل
مصالحة المادية وانهمك لسنوات في تبرير جرائمه وجنایات زعماء بني أمية، غير
أن حكومته للبصرة لم تدم أكثر من ستة أشهر، وحين عزله معاوية قال غاضباً:

→ للوقوف على مضمون وتفصيل هذه القاعدة راجع القواعد الفقهية لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي،
ج ١، ص ٢٩ وما بعدها.

١. سورة البقرة، الآية ٢٠٧.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ذيل الخطبة ٥٦؛ الغدير، ج ١١، ص ٣٠.

٣. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٧٦ حوادث عام ٥٣؛ الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٦٢-٤٦٣ حوادث عام ٥٠.

٤. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٧٤.

«لَعَنَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ! وَاللَّهِ لَوْ أَطَعْتُ اللَّهَ كَمَا أَطَعْتُ مُعَاوِيَةَ مَا عَذَّبَنِي أَبَدًا»^١.

٣. النشاط الثقافي لتحقيق الأهداف المشؤومة

كان معاوية بحاجة إلى بعض المقدمات وخلق الأرضية الثقافية المناسبة لتحقيق أهدافه وترسيخ الحكومة الأموية والقضاء بالتدريج على مبادئ الإسلام. فكان يجب عليه عرض هوية جديدة للإسلام على الأمة الإسلامية، ليتمكن في ظل ذلك من النهوض بشؤونه السياسية. ومن هنا مارس عدة أساليب إليك جانب منها:

أ) المنع من تفسير القرآن

لم يكن من الممكن لمعاوية محو الآيات القرآنية في المجتمع الإسلامي ولكن بما أن وجود القرآن والتفسير الصحيحة يشكل مانعاً من انتهازية معاوية، فلذلك قام معاوية بمنع علماء الإسلام من طرح تفاسير صحيحة للقرآن. جاء في الخبر أن معاوية مرّ بمجلس لقريش فلما رأى ابن عباس قال له: إنا قد كتبنا في الآفاق نهي عن ذكر مناقب علي وأهل بيته فكفّ لسانك. قال ابن عباس: أتنهانا عن قراءة القرآن. قال: لا. قال أتنهانا عن تأويله. قال: نعم. قال ابن عباس: فنقرأه ولا نسأل عما عني الله به، ثم قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به. قال العمل به. فقال: كيف نعمل به ولا نعلم ما عني؟ الله. قال: سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك. فقال ابن عباس: إنما أنزل القرآن على أهل بيت؟ (رسول الله وأهل بيته) أنسأل عنه آل أبي سفيان. فما كان من معاوية إلا أن قال: إقرأوا القرآن وتأولوه ولا تروا شيئاً بما أنزل الله فيكم وإن كنت لا بدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً لا يسمعه أحد علانية^٢.

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٧٤.

٢. الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ١٦؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٢٤.

فمعاوية لا يريد أن تطلع الأمة على حقائق القرآن سيما المتعلقة بأهل البيت (عليه السلام)؛ فكان يتطلع إلى تفسير القرآن وبيان مصاديق وأسباب نزول الآيات على ضوء التفسير الأموي؛ ولا يتحمل بيانه من رجل كابن عباس العالم بتفسير القرآن وتأويله؛ وذلك لأن العلم بحقائق القرآن أعظم مانع لاستبداده والحكومة الأموية، وإبقاء الناس أسرى الجهل أفضل سبيل لتحقيق هذا الهدف؛ على غرار الجهل المطلق بحقائق القرآن من جانب أهل الشام، واستغلال جهلهم لتحقيق أهدافه وأطماعه.

ب) إشاعة مذهب الجبر

أشاع معاوية في أوساط الأمة مذهب الجبر بغية تحقيق أهدافه. وقد صرح معاوية: «أن لا فائدة من السعي والعمل فكافة الأمور بيد الله»^١. ولا يقصد معاوية المسائل العقائدية من كلامه هذا، بل هدف إلى فرض خلافته على الناس، حيث قال:

«هذه الخلافة أمر من الله وقضاء من قضاء الله»^٢.

فالواقع كانت إشاعته لهذه العقيدة تهدف إلى الحيلولة دون معارضة الأمة. فالمراد ما يقع اليوم قضاء الله، ولا جدوى من مواجهة القضاء. وهكذا استطاع معاوية بهذه الخدعة غرس بذور الضعف والوهن وعدم جدوى السعي والحركة لدى الأمة واضطرها للاستسلام لأعماله الطائشة.

ج) تحريم ذكر فضائل الإمام علي (عليه السلام) ووضع الأحاديث

عمد معاوية بغية الحيلولة دون النفوذ المعنوي لأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة

١. حياة الصحابة، ج ٣، ص ٥٢٩ نقلا عن تاريخ سياسي إسلام (بالفارسية)، ج ٢، ص ٤١٠.

٢. مختصر تاريخ دمشق، ج ٩، ص ٨٩ كما قال في ردّه على معارضة عائشة لاستخلاف يزيد عام ٥٦ هـ في المدينة «إنّ أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم». تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٦٠.

أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى حظر نشر فضائله؛ فمن جانب شدد على أتباع الإمام عليه السلام بحيث لم يكن يجزأ أحد على نشر فضائله، ومن جانب أمر بوضع الأحاديث في مناقب الخلفاء ولا سيما عثمان ووعدهم الوضاعين بجوائز ثمينة. كتب ابن أبي الحديد بهذا الخصوص:

«كتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم وإسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حاي أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والجباء القطائع فكثرت ذلك في كل مصر ثم كتب معاوية إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة».

ثم أضاف ابن أبي الحديد:

«ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البيئته أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه ومن اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به اهدموا داره، حتى إن الرجل من شيعة لا يحدث رواية إلى أحد حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه»^١.

كما كتب هذا العالم السني في موضع آخر:

«وقد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي عليه السلام، وعاقبوا ذلك الراوي له، حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر إسمه، فيقول عن أبي زينب^٢».

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٤٤-٤٦ باختصار.

٢. المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٣ نعلم أن كنية علي عليه السلام أبو الحسن، إلا أن بني أمية شددوا على شيعته بحيث لم يخافوا من ذكر اسمه ولقبه فحسب، بل تركوا لقبه المعروف واضطروا للتعبير عنه بالكنية (أبو زينب).

وقد نقل المرحوم الطبرسي في الاحتجاج قضية وضع الأحاديث في فضل سابق الخلفاء بما فيهم معاوية^١. فلبثوا بذلك حيناً ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتونني بمناقض له في الصحابة.

كما روى ابن أبي الحديد عن أحد كبار الرواة: «أنَّ أغلب الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة كانت على عهد خلافة بني أمية، وكان هدف الوضعيين التقرب من بني أمية (الحصول على المال والمقام) بضربهم لبني هاشم»^٢.

ولم يكتف معاوية بهذا الحد، بل بذل مالاً كثيراً لأحد الوضعيين ليحرف سبب نزول بعض الآيات لصالح أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام) وضده! فقد روي أنَّ معاوية بذل لسمرة بن جندب أربعمئة ألف درهم حتى يروي أنَّ هاتين الآيتين نزلتا في علي (عليه السلام):

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^٣.

والحال نزلت الآيتان حسب المفسرين في المنافق «الأخنس بن شريف» الذي ارتكب جناية على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

كما صرح بأن الآية ٢٠٧ من سورة البقرة:

١ . انظر: احتجاج الطبرسي، ج ٢، ص ٨٤؛ وقد شرح العلامة الأميني في كتابه القيم الغدير الأحاديث

الموضوعة في فضل سائر الخلفاء ومعاوية (الغدير، ج ٧، ٨، ٩، ١٠).

٢ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٤٦.

٣ . سورة البقرة، الآية ٢٠٥.

٤ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٧٣.

٥ . راجع تفسير الفخر الرازي وروح المعاني والدر المنثور ومجمع البيان والأمثل (ذيل تفسير هذه الآية).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾. نزلت في ابن ملجم (قاتل أمير المؤمنين) والحال نزلت الآية بحق علي عليه السلام حين نام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^١. وكانت كل هذه الجهود لتشكيك المسلمين بالفضائل العلوية، واستبدالها بالحقد والبغضاء، ليتمكن معاوية في ظل ذلك من إشاعة المد الأموي الأسود الذي يروى من منبع الجاهلية وتحقيق أهدافه الدنيوية الدنيئة.

د) إشاعة سب علي عليه السلام

لم يكنف معاوية بحجب فضائل علي عليه السلام ونشر الفضائل الموضوعة لسائر الخلفاء وبعض الصحابة، بل هب لسب علي عليه السلام ليوسع تلك السنة السيئة التي ابتدئها في الشام إلى سائر مناطق البلاد الإسلامية، فأمر بسبّه في المجالس وعلى المنابر وأثناء خطب الجمعة.

فقد كتب المرحوم الأمين مستنداً إلى مصادر أهل السنة: «أن معاوية وضع العديد من الروايات في ذم أمير المؤمنين علي عليه السلام حتى شاب عليه الصغير وهم عليه الكبير، ثم جعل يسب علياً في منابر الجمعة والجماعة وانتشر ذلك حتى في المدينة موضع نزول الوحي»^٢.

ونقل الجاحظ: أن معاوية كان يسب علياً عليه السلام ويلعنه في خطبة الصلاة ويذكره بكلمات قبيحة^٣، ثم بعث بهذه الكلمات لكافة البلاد الإسلامية ليلعنه سائر أئمة الجمعة بهذه العبارات^٤.

كما روي أنه كان يلعن علياً والحسن والحسين عليهما السلام في قنوته في الصلاة^٥.

١. أجل، نزلت هذه الآية في تضحية الإمام علي عليه السلام وحس ما نقله المفسرون والمؤرخون من الشيعة والسنة حينما بات على فراش وترجمة ناقصة الحاشية ٤ ص ١٨٣.

٢. الغدير، ج ٢، ص ١٠١-١٠٣.

٣. نقل هذه الكلمات ابن أبي الحديد عن الجاحظ في شرحه، ج ٤، ص ٥٦ نتحفظ عن نقلها لقباحتها.

٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٥٦ و ٥٧.

٥. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٥٢؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٦٩.

وذكر ابن أبي الحديد أن معاوية أمر جميع الخطباء بلعن علي عليه السلام على المنابر وسب أهل بيته عليه السلام^١.

وقال المؤرخ المعروف الطبري: «إن معاوية لما ولي المغيرة بن شعبة على الكوفة قال له: «لا تَتَحَمَّ عَنْ شَتْمِ عَلِيٍّ وَذَمِّهِ»^٢.

وقد بلغ إصرار معاوية على هذا الفعل أنه لما حج ودخل المدينة عزم على لعنه من منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقليل له فيها سعد بن أبي وقاص وسوف لن يرضى فهذا استشرته. فأشار عليه معاوية فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد، ثم لا أعود إليه، فأمسك عن لعنه حتى ما سعد^٣.

وجاء في صحيح مسلم - أحد المصادر المعروفة والمعتبرة لدى أهل السنة - أن معاوية قال لسعد: لم لا تلعن أبا تراب؟ فقال سعد: لثلاث قالها النبي صلى الله عليه وآله بحق علي عليه السلام ولو أن لي واحدة منها لكانت أحب لي من حمر النعم (كنية عن كثرة الأموال) ثم ذكر سعد تلك الفضائل الثلاث^٤.

كان معاوية غاية في الحقد بحيث قل من يناظره في حقه، حتى ناشده كبار الصحابة وبعض بني أمية ترك ذلك الفعل القبيح فلم يستجب واستمر في غيه.

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٤٤.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٨٨ حوادث عام ٥١ هـ؛ الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٧٢.

٣. العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٦٦.

٤. والفضائل الثلاث عبارة عن،

(أ) استخلفه يوم تبوك على المدينة وقال له، «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي».

(ب) قال له في خيبر حين عجز الآخرون عن فتح قلعتها، «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» ثم سلمه الراية ففتح علي عليه السلام قلعة خيبر.

(ج) لما كانت المباهلة نزلت الآية ٦١ من سورة آل عمران، ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم...﴾ فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام وقال، «اللهم هؤلاء أهلي» صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي، الحديث الثالث باختصار.

فقد روى العلامة المجلسي رحمته الله: دخل ابن عباس على معاوية فقال له: قد عرفت فضل علي بن أبي طالب وسابقته وقرابته قد كفاكه الموت أحب أن لا يشتم علي منابرهم قال: هيهات يا ابن عباس هذا أمر دين أليس أليس وفعل وفعل فعدد ما بينه وبين علي عليه السلام ^١.

وقال أبو عثمان الجاحظ: إن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل. فقال: لا والله، حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذكراً فضلاً ^٢.

على كل حال فقد أصبح سب علي عليه السلام سنة وقد نصب أكثر من سبعين ألف منبر في العصر الأموي في أنحاء البلاد الإسلامية كافة ليلعن من عليها علي عليه السلام ^٣، وقد استمر ذلك حتى زمان عمر بن عبد العزيز الذي ولى الخلافة سنة ٩٩ هـ فكتب لعماله بالكف عن هذه السنة ^٤ السيئة.

نعم، فقد أقبل بنو أمية على سب علي عليه السلام بغية كتمان سوابقهم القبيحة والحيولة دون نشر فضائل علي عليه السلام وبالنتيجة دون نزوع الأمة للخط العلوي. والواقع أنهم رأوا استمرار حكومتهم الغاشمة على أساس تلك السنة، وهذا ما صرح به مروان بن الحكم لما سئل عن سب لعنهم لعلي عليه السلام فقال:

«لا يَسْتَقِيمُ لَنَا الْأَمْرُ إِلَّا بِذَلِكَ» ^٥.

١. بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٢٥٦.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٥٧؛ الغدير، ج ٢، ص ١٠٢.

٣. ربيع الأبرار للزمخشري، ج ٢، ص ١٨٦ نقلاً عن الغدير، ج ١٠، ص ٢٦٦.

٤. الكامل لابن الأثير، ج ٥، ص ٤٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٥٨ (للقوف على المزيد بشأن سنة معاوية وأتباعه في لعن علي عليه السلام انظر: الغدير، ج ٢، ص ١٠١ وما بعدها ج ١٠ ص ٢٥٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤، ص ٥٦ ما بعدها؛ نفحات الولاية، ج ٢، ص ٦٥٢؛ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ج ١، ص ٥٩).

٥. راجع أنساب الأشراف للبلاذري، ج ٢، ص ٥٠٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٢٠؛ الغدير، ج ٧، ص ١٤٧، ج ٨، ص ٢٦٤ و ج ٩، ص ٣٩٢.

وبابتداعهم وتوسيعهم لهذه الممارسة المستهجنة والغادرة جعلوا أذى وقتل وسبي بني هاشم قضية بسيطة على أعوانهم، بل شجعوهم عليها، ليتمكنوا في خاتمة المطاف من الظفر بأهدافهم الدنيوية الرخيصة.

٤. قتل الإمام الحسن المجتبي عليه السلام

كان معاوية يدرك صعوبة تحقيقه لأهدافه البعيدة المدى وتثبيت الخلافة في بني أمية مع وجود الإمام الحسن عليه السلام؛ سيما أنه ورد في معاهدة الصلح عدم استخلاف معاوية لأحد بعده وتفويض الأمر للمسلمين^١.

ومن هنا عمد معاوية إلى جريمة أخرى بغية إزالة العراقيل عن طريقه والتمهيد لخلافة يزيد الفاسق فقتل الإمام الحسن عليه السلام. لكنّه دس السم خفية للإمام عليه السلام حذراً من إثارة تلك الجريمة. وحسب نقل مؤرخي الفريقين فإنّ معاوية أمر زوجة الإمام الحسن عليه السلام بنت الأشعث بن قيس^٢، بسّمه، فإن فعلت زوّجها من يزيد. وبعث لها معاوية بمائة ألف درهم. فوافقت جعده بنت الأشعث على ذلك (رغم أنّ معاوية لم يزوّجها من يزيد)^٣.

وذكر المؤرخ المعروف أبو الفرج الأصفهاني أنّ معاوية أراد البيعة ليزيد وشق

١. مناقب، ج ٤، ص ٣٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٦٥ (طبقاً لنقل ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٨٤) فإنّ معاوية تعهد بالخلافة للإمام الحسن عليه السلام من بعده، وهنا يصبح دافع معاوية أوضح في قتل الإمام الحسن عليه السلام. وروى ذلك العلامة الأميني في الغدير، ج ١١، ص ٩ نقلاً عن مقتل الطلبين لأبي الفرج الأصفهاني، وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب، ج ١، ص ٤٣٩ أنّ الإمام الحسن عليه السلام اشترط على معاوية الخلافة من بعده.

٢. للوقوف على سيرة الأشعث راجع نفحات الولاية، ج ١، ص ٦٤٤ (ذيل الخطبة ١٩).

٣. راجع المصادر المعتبرة للفريقين مثل، الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٣٥٦؛ مناقب، ج ٤، ص ٤٩-٤٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٤٧؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٢١٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢٩؛ مختصر تاريخ دمشق، ج ٧، ص ٣٩؛ تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي، ص ١٩٢؛ وكتب ابن عبد البر في الاستيعاب، ج ١، ص ٤٤٠، «وقالت طائفة، كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها وما بذل لها في ذلك».

عليه ذلك الإمام الحسن عليه السلام وسعد بن أبي وقاص فسَمَّهما^١. والأدهى من ذلك أن معاوية وزبانيته فرحوا وسجدوا لما بلغهم خبر قتل الإمام الحسن عليه السلام^٢. على كل حال فلا في شك أن معاوية كان يسعى للقضاء على الموانع كافة لتحقيق أهدافه وتمهيد السبيل لخلافة بني أمية الوراثية، وأحد أهم تلك الموانع وجود الإمام الحسن عليه السلام وماله من صفات وفضائل معروفة. ومن هنا عمد إلى تلك الجناية فنال - حسب ظنه الساذج - هدفه بواسطة تلك المرأة اللعينة.

٥. قتل الشيعة على التهمة

ما إن رسخ معاوية دعائم سلطته وبعد سَمَّه الإمام الحسن عليه السلام وخلافاً لبنود الصلح^٣ والمبادئ الإنسانية والدينية كافة مارس أبشع المجازر بحق شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ليعزز استبداده من خلال القضاء على المعارضة. وقد أشار ابن أبي الحديد إلى هذا العصر وما حلّ بالشيعة من الظلم والحرمان واستمرار الإرعاب والضغط إلى أن استشهد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام وبعده ازدادت تعسفات بني أمية يوماً بعد يوم وفي كل مكان بحيث لم يأمن أي شيعي على نفسه من بطشهم وقتلهم ونهب أمواله ونفيه من بلده وإلى هذا، يشير الإمام الباقر عليه السلام وإلى ذلك الجو الرهيب في عصر معاوية فقال:

«وَكَانَ عِظَمُ ذَلِكَ وَكِبَرُهُ زَمَنَ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ الْحَسَنِ عليه السلام فَقُتِلَتْ شِيعَتُنَا بِكُلِّ بَلَدَةٍ وَقُطِعَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ عَلَى الظَّنَّةِ وَكَانَ مَنْ يُذَكَّرُ بِحُبِّنَا وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْنَا سُجِنَ أَوْ نُهَبَ مَالُهُ أَوْ هُدِمَتْ دَارُهُ»^٤.

١. مقاتل الطالبين، ص ٤٨.

٢. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٩٦؛ العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٦١؛ المناقب، ج ٤، ص ٤٩.

٣. جاء في أحد بنود الصلح: «وأن يؤمن شيعته، ولا يتعرض لأحد منهم» (مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٣٨؛ وإرشاد الشيخ المفيد، ص ٣٥٥).

٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٤٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٦٨.

وولى معاوية «زياد بن أبيه»^١ آنذاك الكوفة؛ وحيث كان يعرف شيعة علي عليه السلام فبدأ يتتبعهم حتى قتل خلص أشياخ علي عليه السلام من المعروفين. وقد وصف ابن أبي الحديد ذلك فقال:

«فَقَتَلَهُمْ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ وَمَدَرٍ، وَأَخَافَهُمْ، وَقَطَعَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ وَسَمَلَ الْعُيُونَ وَصَلَبَهُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ، وَطَرَدَهُمْ وَشَرَّدَهُمْ عَنِ الْعِرَاقِ، فَلَمْ يُبْقِ بِهَا مَعْرُوفاً مِنْهُمْ»^٢.

كما وردت جنایات زياد في رسالة الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية ومنها:

«ثُمَّ سَلَّطَتْهُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، يَقْتُلُهُمْ وَيَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَيُصَلِّبُهُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ»^٣.

قتل حجر بن عدي^٤

إنَّ من أعظم الجنايات التي ارتكبت في هذه المدة من جانب أعوان معاوية ورواها أغلب مؤرخي الفريقين قتل حجر بن عدي وصحبه الأوفياء. هم ثلثة عرفت بزهدا وورعا وتقواها وقتلت شر قتلة لا لشيء سوى حبها لعلي عليه السلام ووقوفها

١. تقدمت سيرته سابقاً.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٤٤. وذكر المحقق الجليل سماحة الشيخ باقر القرشي، أراد زياد إخلاء الكوفة من الشيعة وكسر شوكتهم فشرّد خمسين ألفاً من شيعة الكوفة إلى منطقة خرسان. فنشر هؤلاء التشيع في تلك المنطقة وكونوا لبنات المقاومة ضد الأمويين (حياة الإمام الحسن بنعلي عليه السلام، ج ٢، ص ١٧٨).

٣. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٠٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢١٣.

٤. كان حجر بن عدي من كبار صحابة النبي صلى الله عليه وآله رغم صغر سنه. وذكره الحاكم النيشابوري في المستدرک أنه «راهب أصحاب محمد» ووصفه ابن الأثير في أسد الغابة وابن حجر العسقلاني في الإصابة أنه «حجر الخير» وقيل فيه، إنه رجل عابد كان دائماً على وضوء وإن توضأ صلى. وعده ابن عبد البر في الاستيعاب وابن الأثير في أسد الغابة مستجاب الدعوة. وللوقوف على المزيد راجع، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٣٨٥؛ والإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٣١٤؛ مختصر تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٢٣٦؛ أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٥٦٩ وما بعدها؛ الغدير، ج ١١، ص ٥٣ ما بعدها.

بوجه زياد إزاء طعنه بعلي عليه السلام وإليك خلاصة القضية:

إنّ معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة وأوصاه بسب علي على المنابر. فنهض حجر وقال: بل إيتاكم ذم الله ولعن، ثم ذكر فضائل علي عليه السلام وفضح معاوية. وقال المغيرة: إني قرب أجلي ولا أحب أن أقتل خيار هذا المصر. ثم توفي المغيرة في عام ٥١ هـ وولي زياد الذي كان والي البصرة وأخذ يسب علياً عليه السلام، فقام حجر وفعل كما كان يفعل بالمغيرة ولم يكثر لتهديدات زياد حتى غشيه وصحبه الشرطة، فأتوا بهم إلى منطقة مرج عذراء (قرب دمشق) وكانوا أربعة عشر رجلاً فشفع معاوية في سبعة منهم وقتل السبعة الباقين وفيهم حجر^١. وجاء في كتاب كنز العمال (من كتب أهل السنة المعروفة) أنّ حجراً أوصى حين شهادته قائلاً:

«لَا تُطْلِقُوا عَنِّي حَدِيداً، وَلَا تَغْسِلُوا عَنِّي دَمًا وَادْفُنُونِي فِي ثِيَابِي، فَإِنِّي لَأَقِ مُعَاوِيَةَ بِالْجَادَّةِ وَإِنِّي مُخَاصِمٌ»^٢.

ويقع قبر حجر وصحبه في منطقة قرب دمشق «مرج عذراء» يزوره العديد من المسلمين. وقد جوبه قتل حجر باعتراض المسلمين سواء آنذاك أو بعده فبقت وصمة عار في جبين معاوية.

وأشار الإمام الحسين عليه السلام في رسالته لمعاوية إلى قتل حجر وصحبه فقال: «أَلَسْتُ قَاتِلَ حُجْرٍ، وَأَصْحَابِهِ الْعَابِدِينَ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَفْظِعُونَ الْبِدْعَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَفَقَتَلْتَهُمْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، مِنْ بَعْدِ مَا أُعْطِيَتْهُمْ الْمَوَاقِيقَ الْغَلِيظَةَ، وَالْعُهُودَ الْمُؤَكَّدَةَ، جُرْأَةً عَلَى اللَّهِ وَاسْتِخْفَافاً بِعَهْدِهِ»^٣.

١. راجع تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٨٧-٢٠٧؛ الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٧٢-٤٨٦؛ مختصر تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٢٣٥-٢٤٢؛ مروج الذهب للمسعودي، ج ٣، ص ٣-٤؛ الغدير، ج ١١، ص ٣٧ وما بعدها؛ أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٥٦٩-٥٨٦.

٢. كنز العمال، ج ١١، ص ٣٥٣، ح ٣١٧٢٤؛ وراجع أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٣٨٦؛ والإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٣١٥.

٣. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٠٣؛ وراجع بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٢١٣.

كما أنكرت عائشة على معاوية قتله لحجر فأجابها أنه قتله من أجل مصلحة الأمة. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«سَيُقْتَلُ بَعْدَ رَأْيِ نَاسٍ، يَغْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ وَأَهْلُ السَّمَاءِ»^١.

وروي عن الحسن البصري أنه قال: «ارتكب معاوية أربع كل منها جريمة كبرى وكفى معاوية عتوا... قتل حجر بن عدي. ثم قال مرتين:

«وَيْلٌ لَهُ مِنْ حُجْرٍ وَأَصْحَابِ حُجْرٍ»^٢.

ويبدو أن قتل حجر بلغ مظلومية بحيث خشي - حسب الظاهر - معاوية عواقبه الأخروية. فقد جاء في كامل ابن الأثير نقلاً عن ابن سيرين أن معاوية قال حين وفاته:

«يَوْمِي مِنْكَ يَا حُجْرٌ طَوِيلٌ»^٣.

قتل عمرو بن الحمق

عمرو بن الحمق من سائر كبار الشخصيات الإسلامية الذي قتل على يد معاوية. كان من أصحاب رسول الله ﷺ وقال فيه المؤرخون والمحدثون أنه سقى يوماً رسول الله ﷺ اللبن. فدعا له ﷺ قائلاً: «اللَّهُمَّ مَتِّعْهُ بِشَبَابِهِ» فبلغ الثمانين من عمره ولم يَشِبْ شعر رأسه ببركة الدعاء^٤. وكان من خواص شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وكان يعدّه الكاظم عليه السلام من حواربي علي عليه السلام^٥.

وقال له أمير المؤمنين عليه السلام في صفين حين أعرب عن وفاته وإخلاصه: «لَيْتَ فِي

١. مختصر تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٢٤١؛ الإصابة، ج ١، ص ٣١٥.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٠٨؛ الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٨٧.

٣. الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٨٧.

٤. كنز العمال، ج ١٣، ص ٤٩٥؛ التهذيب لابن حجر، ج ٨، ص ٢١؛ أسد الغابة، ج ٤، ص ١٠٠؛ بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٢.

٥. بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٣٤٣.

جُنْدِي مَائَةٌ مِثْلُكَ»^١. أبغضه معاوية بسبب حبه لعلي عليه السلام، حتى جعل معاوية يطاردّه أيام خلافته. فهرب عمرو من منطقته، فعمد معاوية بكل وقاحة لحبس زوجته «آمنة» سنتين في سجن دمشق، حتى تمكن جلاوزة معاوية من القبض عليه في منطقة الموصل^٢، فقتل بطريقة بشعة وحمل رأسه لزياد ثم بعث به لمعاوية! وذكر المؤرخون أنّ أول رأس حمل من منطقة لأخرى في الإسلام هو رأس عمرو بن الحمق الخزاعي!

وقال ابن سعد في طبقاته نقلاً عن الشعبي (من كبار التابعين): «أَوَّلُ رَأْسٍ حُمِلَ فِي الْإِسْلَامِ رَأْسُ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ»^٣. وأمر معاوية بحمل رأس عمرو لزوجته في السجن حيث ألقى السفاحون بالرأس في حضنها فردت عليهم آمنة بكلمات حماسية مليئة بالحزن على فقدان زوجها^٤. وأشار الإمام الحسين عليه السلام في رسالته لمعاوية إلى قتل عمرو بن الحمق بعد أن ذكره بفضائله فقال:

«أَوَّلُكَتْ بِقَاتِلِ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ، الَّذِي أَخْلَقْتُ وَأَبْلُتُ وَجْهَهُ الْعِبَادَةُ»^٥. نعم، كان معاوية يروم بقتله لشيعه علي عليه السلام ولا سيما البارزين منهم وإشاعة الرعب بينهم الثأر من أمير المؤمنين علي عليه السلام والذي يمثل في الواقع الانتقام من الإسلام الأصيل لترسيخ الخط الأموي وحكومته الغاشمة.

١. بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٣٩٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ١٨٢.
٢. كتب الطبري، قبض عليه في الموصل وقتل هناك (تاريخ الطبري، ج ٣، ص ١٩٧) ولكن طبق نقل ابن سعد في الطبقات، ج ٦، ص ٢٥ قبض عليه في منطقة الجزيرة.
٣. الطبقات، ج ٦، ص ٢٥؛ وقال ابن حجر العسقلاني، «أول رأس اهدي في الإسلام، رأس عمرو بن الحمق، بعث به زياد إلى معاوية» (الإصابة، ج ٢، ص ٥٢٣).
٤. انظر: الغدير، ج ١١، ص ٤١-٤٤؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٩٧؛ طبقات ابن سعد، ج ٦، ص ٢٥؛ الإصابة، ج ٢، ص ٥٣٣؛ كنز العمال، ج ١٣، ص ٤٩٧؛ مصنف ابن أبي شيبة، ج ٨، ص ٣٥٧؛ مختصر تاريخ دمشق، ج ١٩، ص ٢٠٢؛ أعيان الشيعة، ج ٨، ص ٣٧٦.
٥. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٠٣ كما وردت هذه العبارات باختلاف في بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢١٣.

٦. المحاصرة الاقتصادية للمعارضة

روى المؤرخ المعروف اليعقوبي أنَّ النبي الأكرم ﷺ قال: «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا جَعَلُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا وَعِبَادَهُ خَوْلًا وَدِينَهُ دَحْلًا»^١.

وهذه الاصول الثلاثة تشكل دعائم الحكومات المستبدة التي استندت إليها حكومة بني أمية. فمعاوية الذي استهل حكومته بسياسة المكر سعى من خلال البذل والعطاء والتظاهر بالحلم والصفح عن خصومه، ليستقطبهم إليه حيث أراد أن يستسلم له الجميع مهما كان أو على الأقل السكوت عنه؛ وما إن استتب حكمه حتى كشف عن حقيقته فعرض الأمة لأشد الضغوط الاقتصادية. فرغم بذل معاوية لأموال البلاد الإسلامية على مواليه ومقربيه، لكنّه سن المقررات الاقتصادية العصبية على معارضيه بحيث كان أغلب الناس يئنون من الفقر والفاقة. وقد فعل ذلك حتى لا يفكر أحد في الوقوف بوجهه^٢. واستمرت هذه السياسة في عهد يزيد حتى طبقت على بعض الأفراد كعبد الله بن عباس. حتى كتب عبد الله كتاباً ليزيد اعترض فيه قائلاً:

«فَلَعَمْرِي مَا تُؤْتِينَا مِمَّا فِي يَدَيْكَ مِنْ حَقِّنَا إِلَّا الْقَلِيلَ وَإِنَّكَ لَتَحْسِبُ عَنَّا مِنْهُ الْغَرِيضَ الطَّوِيلَ»^٣.

وقد تحرك معاوية للاستيلاء على أموال المسلمين وكما يصدر في كل يوم أمراً بذلك، وفي أحد الأيام أمر بمصادرة جميع الأراضي العائدة للملوك الساسانيين في أطراف الكوفة، وكانت نتيجة ذلك أن جعل هذه الأراضي الشاسعة والمزدهرة ملكاً له، وكانت عوائد هذه الأراضي تقدر خمسة ملايين درهم.

١. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٥٦.

٢. انظر: العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٥٩.

٣. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٢٤؛ كذلك العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٥٨.

وفي يوم آخر أمر باضافة أراضي البصرة إليها، وفي المرحلة الثالثة أمر بدفع الهدايا التي كان الايرانيون يدفعونها إلى ملوكهم في أيام النيروز إلى البلاط الأموي^١.

وكانت سياسة معاوية ومنطقه تقوم على أساس: «الْأَرْضُ لِلَّهِ وَأَنَا خَلِيفَةُ اللَّهِ أَخَذُ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَهُوَ لِي وَمَا تَرَكَتُهُ كَانَ جَائِزاً لِي»^٢. وعلى أساس سياسة معاوية هذه كانت إدارة المدن تقوم على أساس التمييز، وفي حين أن أهل الشام وهم المدافعون عن حكومة معاوية، يعيشون في حالة الرفاهية والأمر ووفرة النعم والخيرات وينالون الهبات السخية من معاوية، كان المسلمون في المدن والبلاد والأخرى يعيشون في ضائقة مالية وظروف اقتصادية صعبة.

أما الكوفة التي تعتبر معقل الشيعة والموالين للإمام علي عليه السلام فكانت تعيش وضعاً سيئاً للغاية، فقد قام والي الكوفة المغيرة بن شعبة بمنع العطاء عن أهل الكوفة، وقد استمرت سياسة معاوية هذه لعشرات السنين بعده حتى أن عمر بن عبدالعزيز الذي يعتبر الخليفة العادل على حدّ تعبيرهم زاد في عطايا أهل الشام عشرة دنانير ولم يزد شيئاً منها لأهل الكوفة.

ولم يقتصر غصب أراضي البلاد الإسلامية بالكوفة والبصرة بل امتد بعد معاوية ليشمل أراضي اليمن والشام وما بين النهرين أيضاً والتي كانت في الماضي خالصة لأصحابها، فاستولت الحكومة الأموية عليها وطردت أصحابها منها.

ولم يكتف معاوية بذلك حتى طمع بمكة والمدينة، فكان يأخذ في كل عام خراجاً من تمر وحنطة الحجاز وتمت مصادرة «فدك» التي كانت متعلقة بأبناء رسول الله ﷺ وجعلها من ممتلكات مروان بن الحكم.

١. تاريخ البيعقوبي، ج ٢، ص ٢١٨ وراجع أحاديث أم المؤمنين عائشة، للسيد مرتضى العسكري، ج ١، ص ٣٤٦-٣٤٧.

٢. الغدير، ج ٨، ص ٣٤٩ نقلاً عن مروج الذهب، ج ٢، ص ٧٩.

وكتب «ابن عبد ربّه»:

«لم تخصص أية ميزانية من بيت المال للمدينة المنورة في أيام حكومة معاوية»^١.
 وكان كبار التجار في هذه المدينة من المخالفين للحكومة الأموية وقد أجبر
 الولاة الأمويون أهالي المدينة ببيع عقاراتهم للحكومة يثمن بخس، واستولوا على
 الكثير من الأراضي الواقعة في أطراف المدينة المنورة.
 وقد قام مروان بن الحكم وكذلك سعيد بن العاص في أيام ولايتهما على المدينة
 من قبل معاوية بتدمير الوصع الاقتصادي لأهالي المدينة وخاصة بالنسبة
 للشخصيات المهمة في المدينة.
 وقد بعث معاوية لولاته ضمن تتبعه للعلويين وأتباع المدرسة العلوية كتاباً قال
 فيه:

«أَنْظُرُوا إِلَى مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيْتَةُ أَنَّهُ يُحِبُّ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ فَأَمْحُوهُ مِنَ الدِّيَوَانِ
 وَأَسْقِطُوا عَطَاءَهُ وَرِزْقَهُ»^٢.

وبالطبع كان كل هذا التشدد من معاوية لشعوره بعظم خطر الشيعة ومن هنا
 مارس تجاههم أبشع الممارسات الإجرامية، حتى نقل ابن أبي الحديد عن الإمام
 الباقر (عليه السلام) أنه قال:

«وَكَانَ مَنْ يُذَكِّرُ بِحَبْنَا وَالانْقِطَاعِ إِلَيْنَا، سُجِّنَ أَوْ نُهِبَ مَالُهُ، أَوْ هُدِمَتْ دَارُهُ، ثُمَّ
 لَمْ يَزَلِ الْبَلَاءُ يَسْنَدُ وَيَزْدَادُ...»^٣.

وقد بلغت الضغوط درجة حتى قال الشعبي:

«مَا نَدْرِي مَا نَصْنَعُ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، إِنَّ أَحَبِّنَاهُ افْتَقَرْنَا وَإِنْ أَبْغَضْنَاهُ كَفَرْنَا»^٤.

١. راجع عقد الفريد، ج ٤، ص ٣٥٨.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٤٥ والغدير، ج ١١، ص ٢٩.

٣. شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٣.

٤. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٢٤٨.

٧. البدع

قام معاوية - بغية تحقيق أطماعه وترسيخ سلطته التي كان شغفاً بها - بالتطاول على الأحكام الإسلامية فابتدع في الدين، ولعل أهم بدعة حرفة الخلافة عن مسارها الصحيح واستبدالها بالسلطة الملوكية الوراثية، ولاسيما استخلافه لولده الفاسق يزيد. ولعلنا ندرك جدية خطورة هذا الأمر من خلال ما قاله الإمام الحسين (عليه السلام) في جمع من الصحابة والأنصار وأبنائهم في منى رغم وجود عيون معاوية هناك، إذ قال (عليه السلام):

«فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنْدَرِسَ هَذَا الْحَقُّ وَيَذْهَبَ»^١.

وقد صرح معاوية أنه لم يلي الخلافة بحب الناس ولا رضاهم بحكومته، بل بالسيف^٢. وعليه فليست هنالك من ضرورة لرعاية مصالح الأمة. وقال الجاحظ: «إنّ معاوية سمى العام الذي ولى فيه الخلافة بعام الجماعة، كان ذلك العام، عام الفرقة والقهر والغلبة، العام الذي أصبحت فيه الخلافة وراثية كحكومة كسرى وقيصر»^٣.

وقد عدّ معاوية نفسه أول ملك في الإسلام^٤. وكان سعيد بن المسيب يقول: إنّ معاوية أول من بدل الخلافة إلى ملكية^٥. وقد ذكر أبو الأعلى المودودي في كتابه الخلافة والملوكية بعض الفوارق بين حكومة معاوية ومن سبقه من الخلفاء منها: -
أولاً: تغيير طريقة تعيين الخليفة. حيث كان يعتمد معاوية لكل وسيلة من أجل

١. احتجاج الطبرسي، ج ٢، ص ٨٧؛ الغدير، ج ١١، ص ٢٨.

٢. العقد الفريد، ج ٤، ص ٨١.

٣. رسالة الجاحظ في بني أمية ص ١٢٤ نقلاً عن تاريخ سياسى إسلام (بالفارسية)، ج ٢، ص ٣٩٦ وراجع نفحات الولاية، ج ٣، ص ٢٥٠ والغدير، ج ١٠، ص ٢٢٧.

٤. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٣٢؛ وراجع تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٣.

٥. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٣٢.

الخلافة.

ثانياً: تغيير حياة الخلفاء والاستفادة من أساليب ملوك الروم وإيران.
 ثالثاً: كيفية صرف بيت المال. فقد أصبح بيت المال على عهد معاوية ثروة شخصية ولم يستطع أحد محاسبة الخليفة.
 رابعاً: إنتهاء حرية التعبير عن العقيدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي بدأ في عهد معاوية منذ قتل (حجر بن عدي).
 خامساً: نهاية حرية القضاء في الإسلام.
 سادساً: نهاية حكومة الشورى.
 سابعاً: ظهور التعصب القبلي.
 ثامناً: غلبة الرغبات الشخصية على القانون^١.

وقال ابن أبي الحديد بعد نقله لكلام بشأن بدع معاوية: «وأما أفعاله الظاهرة من قبيل: لبسه الحرير وشربه في آنية الذهب والفضة واستئنائه بمال الفيء وإسقاط الحد عمن يستحق إقامة الحد عليه وإستلحاقه زياداً وهو يعلم قول رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وقتله حجر بن عدي وأصحابه ومهانتة لأبي ذر وإشخاصه إلى المدينة على قتب بصير، ولعنه علياً وحسناً وحسيناً وابن عباس على منابر الإسلام وعهده بالخلافة إلى أبنه يزيد مع ظهور فسقه وشربه المسكر جهاراً... كل ذلك دليل على كفره وإلحاده»^٢.

وكان معاوية لا يعرف من حد لبدعه، كما لا يكثرث للآخرين. قال أبو الدرداء: قلت لمعاوية إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الشَّارِبَ فِيهَا - آنية الذهب والفضة - لَيُجْرَجَرُ فِي جَوْفِهِ نَارُ جَهَنَّمَ» قال معاوية: «أما أنا فلا أرى بذلك بأساً».

١. الخلافة والملوكية، ص ١٨٨-٢٠٥ نقلاً عن تاريخ سياسى إسلام (بالفارسية)، ج ٢، ص ٤٠٧-٤٠٨ ونفحات الولاية، ج ٣، ص ٢٥١-٢٥٠.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٥، ص ١٣٠-١٣١.

فقال أبو الدرداء: «من عذيري من معاوية! أنا أخبره عن الرسول ﷺ وهو يخبرني عن رأيه! لا أسألك بأرض أبدأ»^١.

وقد جمع المرحوم العلامة الأميني في كتابه النفيس الغدير البدع التي أتى بها معاوية على ضوء الوثائق والشواهد الواضحة، وإليك طائفة منها، ولمن أراد المزيد فليطالع الجزء الحادي عشر من الغدير. فقد ذكر هذا المحقق: كان معاوية أول من أحدث الأذان في صلاة العيدين، ورأى الجمع بين الأختين، غير السنة في الديات، عصى ربه بترك حدوده وإقامة سنته، حمل إليه رأس الصحابي العادل عمرو بن الحمق، بدل الخلافة الإسلامية إلى شر ملك وسلطة سوء، شن الغارة على مدينة الرسول ﷺ حرم أمن الله، قدم الخطبة على الصلاة في العيد لإسماع الناس سب علي عليه السلام، ترك التلبية (في مراسم حج بيت الله)، أعطى المال لوضع الحديث، اشترط البراءة من علي عليه السلام على من بايعه، هتك دين الله باستخلافه يزيد الفاجر التارك للصلاة، سب علي وقتت به وجعله سنة جارية^٢.

هذا جانب من فجائع معاوية في تغيير الأحكام ونقض سنة النبي ﷺ وتجاوز التعاليم الإسلامية، ولو تصفح شخص تاريخ حياته وسائر عناصر بني أمية لعثر على نماذج أخرى. والحق لو استمرت تلك الحكومة الظالمة الغريبة عن الإسلام لما بقي شيء من الإسلام، والوثائق المتوفرة لا تدع مجالاً لإنكار هذا الكلام. وإننا لنستغرب علة عصب البعض لعينيه فيثني على معاوية رغم كل هذه الجرائم. حقاً إن ذلك مدعاة للذهول والدهشة! أين الإنصاف؟!^٣



١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٥، ص ١٣٠؛ وراجع نفحات الولاية، ج ٣، ص ٢٠-٢١.

٢. انظر: الغدير، ج ١١، ص ٧١ الذي ذكر شواهد المطالب من كتب أهل السنة بأرقامها.

٣. راجع نفحات الولاية، ج ٤، ص ٣٢٩-٣٣٠.

٨. فرض بيعة يزيد على الأمة

سعى معاوية سبع سنوات طبق نقل ابن عبد ربه لبيعة يزيد^١ وقد استعان بكل وسائل المكر والخداع واستغل جميع الفرص من أجل تحقيق هذا الهدف. فمعاوية كان يعلم أن الأمة سوف لن تباع من بعده ولده يزيد. ومن هنا شعر بضرورة القيام ببعض الأعمال فعمد إلى التخلص ممن يسعه الخلافة فقصى على الإمام الحسن عليه السلام وسعد بن أبي وقاص^٢. بل قتل بواسطة طبيبه حتى نديمه في الجاهلية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لما سمع أهل الشام يرونه مناسباً للخلافة^٣.

ويرى جمع من المؤرخين كاليقوبي وابن الأثير^٤ أن ولاية عهد يزيد كانت من المغيرة بن شعبه، فإن معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص فبلغه ذلك فشخص إلى معاوية واقتراح عليه ولاية عهد يزيد.

فأشار عليه معاوية بالرجوع إلى الكوفة والمباشرة بهذا الأمر. ثم كتب معاوية لزياد حاكم البصرة أن المغيرة دعا أهل الكوفة لبيعة يزيد وأنه أجدر منه بالقيام بهذا الأمر لابن أخيه، فإن بلغه كتاب معاوية فليدع أهل البصرة لبيعة يزيد. فلما بلغه كتاب معاوية تعجب وكتب له أن يزيد أشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء واتخاذ الغلمان والكلاب فماذا سيفعل الناس لو دعاهم لبيعة يزيد؟ وفيهم الحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، فغضب معاوية وقال: الويل لابن عبيد إنه يطمع في الإمارة بعدي والله لألحقنه بأُمَّه سمية وأبيه عبيد^٥.

١. العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٦٨ وراجع الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٦.

٢. مقاتل الطالبين، ص ٧.

٣. انظر: الغدير، ج ١٠، ص ٢٣٣؛ الاستيعاب، سيرة عبد الرحمن؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٧١.

٤. الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٥٠٣ حوادث سنة ٦٥.

٥. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٠؛ تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٧٠ كما روى ابن الأثير هذه القصة بصورة أخرى،

ج ٣، ص ٥٠٣-٥٠٥.

ومن هنا لم يكن أمام زياد سوى الإستسلام. فدعا معاوية وولاته أشراف القبائل إلى دمشق وحملهم على بيعته يزيد بالوعد والوعيد وبذل الأموال، ولم تبق سوى مكة والمدينة التي كان فيها الحسين عليه السلام. فأمر معاوية واليه على المدينة مروان بن الحكم بأخذ البيعة ليزيد، فلم يجبه أهل المدينة وقال عبد الرحمن بن أبي بكر: إن مروان ومعاوية يكذبان ويريدان جعل الخلافة ملوكية فإن مات الملك خلفه ولده^١. وأخيراً فإن مخالفة الإمام الحسين عليه السلام حالت دون نجاح مروان في مهمته. فلم يكن أمام معاوية من سبيل سوى أن شخص إلى مكة والمدينة وحمل أهلها على البيعة.

وقد روى ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة تفاصيل قدومه إلى المدينة وعتابه للحسين بن علي عليه السلام فقال أمر معاوية بأن يجتمع الناس في المسجد فنهض وأثنى على يزيد وقال: إن الناس رضوا وباعوا يزيد فباعوا على اسم الله، ولو علمت في الأمة من هو خير منه لبايعته. فنهض الإمام الحسين عليه السلام وقال: والله لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له، فقام الحسين عليه السلام فقال: والله لقد تركت من هو خير منه أبا وأماً ونفساً، فقال معاوية: كأنك تريد نفسك؟ فقال الحسين عليه السلام: نعم أصلحك الله. فقال معاوية: إذا أخبرك، أمّا قولك خير منه أمّا فلعمري أمك خير من أمه، ولو لم يكن إلا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش أفضلهن، فكيف وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم فاطمة من دينها وسابقتها، فأما لعمر الله خير من أمه، وأمّا أبوك فقد حاكم أباه إلى الله ففضى لأبيه على أبيك. فقال الحسين عليه السلام: حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل. فقال معاوية: وأمّا ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفساً فيزيد والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين عليه السلام: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خير مني؟ فقال معاوية: مهلاً عن شتم ابن عمك، فإنك لو ذكرت عنده بشيء لم يشتبك^٢.

١. الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٥٠٦.

٢. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢١١-٢١٢؛ الغدير، ج ١٠، ص ٢٥٠.

وروى ابن الأثير أنَّ معاوية بقي في المدينة وقد نشر جيشه حول المسجد فأخذ البيعة - ولم يتخلف عنها سوى أربعة - ثم رجع إلى الشام^١. ورغم أخذ معاوية ببيعة البلاد لابنه يزيد ليصبح ولي عهده، إلَّا أنَّ هذه الفعلة بقيت من بوائق تاريخ معاوية. فمثل تلك البيعة لم تكن تروق حتى لرجل مثل زياد الذي قال لمعاوية كيف أدعو لبيعة رجل يشرب الخمر ويلعب بالقردة والكلاب.

وروى ابن الأثير عن الحسن البصري أنَّه قال: أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلَّا واحدة منها لكانت موبقة. «واستخلافه بعده ابنه سيكراً خَميراً يلبس الحريرَ وَيَضْرِبُ بِالطَّنَائِيرِ»^٢.

وذكر اليعقوبي لما طلب من عبد الله بن عمر البيعة ليزيد قال: فما عذري لله إن بايعت رجلاً يشرب الخمر ويلبس الحرير ويجهر بالفسق^٣. نعم حبّ معاوية ليزيد واستمرار الخلافة في بني أمية كان سبب تلك البيعة المفروضة التي وجهت صفة أخرى للمجتمع الإسلامي والشرعية السمحاء. فقد ذكر العالم المصري المعروف سيد قطب أنَّ استخلاف يزيد كان ضربة سدّدت لقلب الإسلام والنظام الإسلامي^٤.



١. انظر: الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٥١١؛ العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٧١-٣٧٢.

٢. الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٨٧؛ الغدير، ج ١٠، ص ٢٢٥. كان معاوية يعلم أكثر من غيره بعدم جدارة يزيد بالخلافة، إلَّا أنَّ حبه لولده ودوام الخلافة في بني أمية صده عن أتباع الحق. فقد روى عنه أنَّه قال، «لولا هواي بيزيد لأبصرت رشدي». تذكرة الخواص، ص ٢٥٧ وراجع مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٨، ص ١٨.

٣. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٠.

٤. العدالة الاجتماعية، ص ١٨١.



حكومة يزيد الغاشمة

كانت آخر حلقة في سلسلة الحوادث التي انتهت إلى مأساة كربلاء ولاية يزيد بن معاوية للخلافة، الحوادث التي استهلكت بالسقيفة وكانت في كل عصر أعمق من سابقه في تقوية الجبهة الأموية وجبهة النفاق، والتي أدّت في خاتمة المطاف إلى تفويض خلافة المسلمين ليزيد الفاسق شارب الخمر وعابد الهوى. فقد أنبرى بغرور وكبر لأخذ البيعة وإضفاء الشرعية على سلطته الغاشمة، فكان لا يتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم لتحقيق أهدافه، حتى قال المؤرخ المعروف المسعودي: «وَسِيرُهُ سِيرَةُ فِرْعَوْنَ، بَلْ كَانَ فِرْعَوْنُ أَعْدَلَ مِنْهُ فِي رَعِيَّتِهِ»^١. ونسلط الضوء على جانب من سيرته بغية التعرف على أفكاره وممارساته.

نشأت يزيد

ولد يزيد سنة ٢٥ أو ٢٦ هـ وأُمُّه ميسون التي طلقها معاوية حين كان يزيد في بطنها فولدته حين لم يكن معاوية زوجها^٢. ويرى بعض المفكرين أنّ يزيد تربى في البادية على أخواله وكانت قبيلة أُمّه قبل الإسلام على النصرانية ومازالت فيهم، ومن هنا كانت تربيته نصرانية، ولذلك

١. مروج الذهب، ج ٣، ص ٦٨.

٢. مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٨، ص ١٩.

ليس من المستغرب جهله بالقيم الإسلامية^١. ولعل هذا ما دعى يزيد - حين يهيم بشرب الخمر - ينشد:

وَإِنْ حَرَّمْتُ يَوْمًا عَلَى دِينِ أَحْمَدَ فَخُذْهَا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ^٢
 وكان للروم نفوذ واضح في خلافة يزيد حتى كان البعض منهم مستشاراً. فقد صرح بعض المؤرخين أنّ الحسين (عليه السلام) لما خرج إلى مكة دعا سرجون فقال له: أرايت لو نشر معاوية كنت تأخذ برأيه. قال: نعم. فأخرج عهد عبيد الله بن زياد على الكوفة وقال: هذا رأي معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب^٣.
 وروى أبو الفرج الأصفهاني أنّ الشاعر النصراني الأخطل كان من ندماء يزيد، فكانا يشربان الخمر ويسمعان الغناء، ثم أصبح من مقربي عبد الملك بن مروان بعد وفاة يزيد، كانت على عنقه قلادة من ذهب والخمر يقطر من لحيته^٤.

أفكار وعقائد يزيد

يفيد ما رواه التاريخ بشأن أفكار يزيد وتصرفاته مدى الفسق والفجور الذي طبع شخصيته. فقد ذكر القاضي نعمان المصري أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نظر يوماً إلى معاوية وقال:

«أَيُّ يَوْمٍ لَأُمَّتِي مِنْكَ، وَأَيُّ يَوْمٍ سُوءٍ لِدَرْيَتِي مِنْكَ مِنْ جَرَوْ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِكَ، يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًّا وَيَسْتَحِلُّ مِنْ حُرْمَتِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ»^٥.

١. حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، ج ٢، ص ١٨٠. نقل هذا الكلام عن الأستاذ عبد الله العلانلي.
٢. تتممة المنتهى في تاريخ الخلفاء، ص ٦٦. طبعا نحن نعتقد بحرمة الخمر في الأديان كافة ومنها الدين المسيحي وإن نسب لهذا الدين جوازه.
٣. الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٢٣؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٥٨ وكان سرجون نديم يزيد في الخمرة (أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٣٠١).
٤. الأغاني، ج ٧، ص ١٧٠ (مطابق لحياة الإمام الحسين (عليه السلام)، ج ٢، ص ١٨٤).
٥. المناقب والمثالب، ص ٧١ (نقلاً عن حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، ج ٢، ص ١٨٠).

كما تكشف أشعاره الإلحادية وكلماته المعبرة عن انتقامه من النبي ﷺ وتغنيه بأمجاد قتلاه المشركين في بدر وقتله بهم الإمام الحسين عليه السلام، عن كفره بالدين^١. وقد اشتهر بشربه الخمر على عهد أبيه معاوية. فقرر معاوية توجيهه على رأس جيش لقتال الروم وكان معه سفيان بن عوف الغامدي، وحمل معه عشيقته أم كلثوم. فأصاب الحمى والجذري طائفة من جيش يزيد، لكنه نزل في (دير مُرَّان موضع قرب دمشق)، ولما علم الخبر أنشد قائلاً:

مَا إِنْ أَبَالِي بِمَا لَاقَتْ جُمُوعُهُمْ بِالْغَذَقْدَوْتِ مِنْ حُمَى وَمِنْ مُومٍ
إِذَا اتَّكَأَتْ عَلَى الْأَنْمَاطِ فِي غُرْفٍ بِدِيرِ مُرَّانَ عِنْدِي أَمْ كُلُّثُومٍ^٢

يذكر أن بلاط الخلافة على عهد يزيد أصبح مركزاً للفساد والمعصية حتى عم ذلك البلاد، بحيث ذكر المسعودي أن آلات اللهو والغناء إنتشرت حتى في مكة والمدينة^٣. وحين انطلق فئة من أهل المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة إلى الشام للوقوف على أفعال يزيد ثم عادوا، فقد ذكروا بعض العبارات التي تكشف عن عمق فاجعة الأمة به. فروى ابن الأثير أن أحدهم قال:

«قَدِمْنَا مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ دِينٌ، يَشْرِبُ الْخَمْرَ وَيَضْرِبُ بِالطَّنَابِيرِ وَيُعْزَفُ عِنْدَهُ الْقِيَانُ وَيَلْعَبُ بِالْكِلَابِ وَيَسْمُرُ عِنْدَهُ الْحَرَّابُ وَهُمْ اللَّصُوصُ»^٤. وقال الآخر: والله أنه ليشرب الخمر ويشمل ويدع الصلاة^٥.

وروى ابن الجوزي عن عبد الله بن حنظلة أنه قال: «وَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا عَلَى يَزِيدَ حَتَّى خِفْنَا أَنْ نُزْمَى بِالْحِجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ، إِنَّهُ رَجُلٌ يَنْكَحُ الْأُمَهَاتِ، وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَيَشْرِبُ الْخَمْرَ وَيَدْعُ الصَّلَاةَ»^٦.

١. ذكرنا أشعاره وكلماته في المباحث السابقة.

٢. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٩؛ مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٨، ص ٢٣-٢٤.

٣. مروج الذهب، ج ٣، ص ٦٧.

٤. الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ١٠٣.

٥. المصدر السابق، ص ١٠٤.

٦. المنتظم، ج ٤، ص ١٧٩ حوادث سنة ٦٣ وورد شبه هذه العبارات في تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٢٣٣.

طبعاً شربه الخمر جهراً وإنشاده الشعر ثملاً وانتهاكه للقيم الإسلامية لمن الصفحات السوداء في تاريخ حياة يزيد.

قال السبط بن الجوزي في «تذكرة الخواص» أنشد يزيد قائلاً:

مَعَشَرَ التَّدْمَانِ قُومُوا	وَأَسْمَعُوا صَوْتَ الْأَغَانِي
وَأَشْرَبُوا كَأْسَ مُدَامٍ	وَأَثْرَكُوا ذِكْرَ الْمَعَانِي
شَغَلْتَنِي نِعْمَةُ الْعِيدَانِ	عَنْ صَوْتِ الْأَذَانِ
وَتَعَوَّضْتُ عَنِ الْحُورِ	خُمُوراً فِي الدَّنَانِ ^١

وجاء في الخبر أن يزيد دعا ابن زياد بعد قتل الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مأدبة فأجلسه قربه ونادى:

إِسْقِنِي شَرْبَةً تُرْوِي مُشَاشِي	ثُمَّ مِلْ فَاسْقِ مِثْلَهَا ابْنَ زِيَادٍ
صَاحِبِ السِّرِّ وَالْأَمَانَةِ عِنْدِي	وَلِتَسْدِيدِ مَغْنَمِي وَجِهَادِي ^٢

يذكر أن يزيد كان مغرمًا بالخمر بحيث لم يفارقها حتى حين دخل المدينة عندما حج مع أبيه معاوية^٣. فكانت تلك من الأمور التي أشار إليها الإمام الحسين (عليه السلام) في رسالته لمعاوية إذ قال:

«وَأَخْذُكَ النَّاسَ بَبِيعَةِ إِبْنِكَ، غُلَامٌ مِنَ الْعِلْمَانِ، يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَيَلْعَبُ بِالْكَعَابِ»^٤.

ولعل العبارة التي ذكرها المؤرخ المتعصب ابن الأثير تعكس مدى الفساد الخلقي لما يسمى بخليفة المسلمين يزيد بن معاوية إذ قال:

«وَقَدْ رُوي أَنَّ يَزِيدَ كُنَّ قَدْ اشْتَهَرَ بِالْمَعَارِفِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالْغِنَاءِ وَالصَّيْدِ

١. تذكرة الخواص ص ٢٦١.

٢. مروج الذهب، ج ٣، ص ٦٧.

٣. راجع مختصر تاريخ دمشق، ج ٢٨، ص ٢٤.

٤. الاحتجاج، ج ٢، ص ٩٢ والإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٠٤ مع اختلاف يسير.

وَاتَّخَذَ الْغِلْمَانِ وَالْقِيَانِ وَالْكِلَابِ وَالنَّطَاحَ بَيْنَ الْكِبَاشِ وَالِدُّبَابِ وَالْقُرُودِ وَمَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يُصْبِحُ فِيهِ مَخْمُوراً وَكَانَ يَشُدُّ الْقِرْدَ عَلَى الْفَرَسِ مُسْرِجَةً بِحِبَالٍ وَيَسُوقُ بِهِ وَيَلْبِسُ الْقِدَ قَلَانِسَ الذَّهَبِ وَكَذَلِكَ الْغِلْمَانُ وَكَانَ إِذَا مَاتَ الْقِرْدُ حَزَنَ عَلَيْهِ^١.
وكان أسم قرده «أبو قيس» ولما مات حزن يزيد فأمر بتكفينه ودفنه وأنشد فيه الشعر^٢.

جرائم يزيد

ارتكب يزيد خلال مدة خلافته التي استغرقت ثلاث سنوات وبضع شهور أفدح الجنايات كل واحدة تكفي لفضحه وشناره. ونقتصر هنا على الإشارة إلى ثلاث منها:

١. فاجعة الطف

كانت أهم جريمة استهمل بها يزيد خلافته فاجعة كربلاء عام ٦١ هـ وقتل الحسين عليه السلام وصحبه الأوفياء وسبي أهل بيته من قبل جلاوزة يزيد. فقد كتب لواليه على المدينة الوليد بن عتبة:
«... أَمَّا بَعْدُ! فَخُذْ حُسَيْنًا وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِالْبَيْعَةِ أَخْذًا شَدِيدًا، لَيْسَتْ فِيهِ رُحْصَةٌ، حَتَّى يُبَايَعُوا...»^٣.
وذكر ابن الأعمش أن يزيد لما علم بامتناع الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير عن البيعة كتب ثانية للوليد:
«... وَلْيَكُنْ مَعَ جَوَابِكَ إِلَيَّ رَأْسُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَعِنَّةَ الْخَيْلِ، وَلَكَ عِنْدِي الْجَائِزَةُ وَالْحِطُّ الْأَوْفَرُ»^٤.

١. البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٣٩.

٢. حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج ٢، ص ١٨٢.

٣. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٥٠؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ١٤.

٤. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٢٦.

وانتهى الأمر بفاجعة كربلاء إثر إمتناع الإمام الحسين عليه السلام عن البيعة وخروجه إلى الكوفة. وقد وردت تفاصيل هذه الحادثة وما تخللها من جرائم جيش يزيد وقادته في كتب الفريقين، كما حظيت بالتحليل والنقد من غير المسلمين فالت فيها عدة كتب. وسنعرض في القسم الرابع لهذه التفاصيل.

٢. واقعة الحرة

حدثت هذه الفاجعة في ذي الحجة سنة ٦٣ هـ^١ فقد بدأت المدينة ثورة بعد حادثة كربلاء عرفت بواقعة «الحرة»^٢، وعلم الناس بفسق يزيد وإعلان الجهاد من جانب عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وسائر الوجهاء. حيث أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد بن أبو سفيان عامل يزيد وبايعوا عبد الله بن حنظلة فاجتمع بنو أمية ومواليهم في دار مروان بن الحكم. وخلع أهل المدينة يزيد وسبوه ولعنوه. فبعث يزيد بجيش عظيم بقيادة مسلم بن عقبة^٣. فحاصر هذا القائد السفاح المدينة وأباحها ثلاثة أيام فقتل الكثير من الناس ونهبت أموالهم ودوابهم. كتب ابن الأثير: وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال»^٤.

١. الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ١٢٠؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٧٤.

٢. «أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كبيرة كانت بها وقعة، وقيل: أرض ذات أحجار سود نخرات كأنها أحرقت بالنار، وقال ابن الأثير: قد تكرر ذكر الحرة ويومها في الحديث المشهور في الإسلام أيام يزيد بن معاوية، لما وانتهت المدينة عسكره من أهل الشام الذين نديهم لقتال أهل المدينة... وأمر عليهم مسلم بن عقبة..» (لسان العرب، مادة حرة).

٣. أمر معاوية بقتل أهل المدينة مع مسلم بن عقبة إن نقضوا البيعة (كامل ابن الأثير، ج ٤، ص ١١٢؛ الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٣١).

٤. الكامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ١١٧.

وذكر ابن قتيبة أنَّ شامياً دخل دار امرأة كان لها رضيع فطلب منها المال، فأجابته أنَّ مالها نهب، فتناول الرضيع وضربه بالحائط^١. ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد على أنَّهم خول له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ما شاء فمن أمتنع من ذلك قتله^٢.

وقد قتل في هذه الواقعة ألف وسبعمائة من كبار المهاجرين والأنصار وعشرة آلاف من سائر المسلمين^٣.

قال ابن أبي الحديد: استعرض أهلها بالسيف جزراً كما يجزر القصاب الغنم حتى ساخت الأقدام في الدم وقتل أبناء المهاجرين والأنصار وذرية أهل بدر وأخذ البيعة ليزيد^٤.

وذكر المؤرخون أنَّ مسلم بن عقبة عرف بعد تلك الواقعة بمسرف بن عقبة^٥. وقد هتكت حرمة النساء المسلمات في هذه الفاجعة^٦.

فقد ذكر ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» أنَّ مسلم بن عقبة أباح لجنوده النساء^٧.

وروى السيوطي عن الحسن البصري أنَّه قال: والله لم ينج أحد من تلك الحادثة (إمّا قتل أو جرح أو انتهكت حرمة) حتى قتل العديد من الصحابة ونهبت الأموال وانتهكت الأعراض: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».

١. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٣٨.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٨١؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ١١٨؛ مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٠. والجدير بالذكر أنَّ يزيد أمر أن لا يتعرض جيشه لعلي بن الحسين وأهل البيت (عليهم السلام)، أن يجبنهم من هذه البيعة وذلك ما تركته فاجعة كربلاء تأثير عميق على أفكار الناس.

٣. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٣٩.

٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٥٩.

٥. مروج الذهب، ج ٣، ص ٦٩؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ١٢٠.

٦. الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٥.

٧. معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٩ (مادة حرّة واقم).

ثم قال: وقد قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَخَافَهُ اللَّهُ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ»^١.

٣. حرق الكعبة

لما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها شخص نحو مكة لقتال عبدالله بن الزبير، فلما انتهى إلى المشلل نزل به الموت^٢. فلما حضره الموت استخلف على الجيش الحصين بن نمير بأمر من يزيد. فسار الحصين فقدم مكة ورمى البيت بالمنجنيق وأحرقه بالنار. وذكر المؤرخون أن ذلك كان لثلاثة أيام مضت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين هجرية وأقام أهل الشام يحاصرون الزبير حتى وصلهم نعي يزيد بن معاوية فعادوا إلى الشام^٣.

نعم كان يزيد يرتكب كل سنة جناية أعظم من سابقتها خلال تلك المدة القصيرة ويتناول على أموال المسلمين وينتهك أعراضهم، وكانت حادثة عاشوراء أكبر تلك الجنايات. ونختم هذا البحث بما قاله الذهبي - أحد علماء أهل السنة - في يزيد إذ قال: «كَانَ نَاصِيئًا فَظًّا، غَلِيظًا، جَلْفًا، يَتَنَاولُ الْمُسْكِرَ، وَيَفْعَلُ الْمُكْرَ، إِفْتِتَحَ دَوْلَتَهُ بِمَقْتَلِ الشَّهِيدِ الْحُسَيْنِ، وَاخْتَتَمَهَا بِوَاقِعَةِ الْحَرَّةِ»^٤.

١. تاريخ الخلفاء، ص ٢٣٣؛ وردت هذه الرواية عن رسول الله ﷺ في كتب أهل السنة بعبارات مختلفة، انظر: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ح ١٠ و ١٦؛ مسند أحمد، ج ٤، ص ٥٥؛ كنز العمال، ج ١٢، ص ٢٤٦-٢٤٧.

٢. بعد أن دفن جيش الشام جنازة مسلم بن عقبة (مسرف) وانصرفوا وإلى الشام جاءت امرأة ونبتت قبره وأخرجته ثم صلبته وحين سمع الناس بالخبر جاءوا ورجموه بالحجارة (الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٤٢).
٣. انظر: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٨١-٣٨٤؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ١٢٣-١٢٤؛ الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٤١ و ج ٢، ص ١٩؛ وتاريخ الخلفاء، ص ٢٣٣.

٤. سيرة النبلاء، ج ٥، ص ٨٣.

القسم الثالث

دوافع ثورة الإمام الحسين

تنويه:

إنَّ ما يفيض الروح والحيوية على أقوال الإنسان وأفعاله نيّاته ودوافعه، فالنيّة والدافع توجه الأفعال كافة وتؤطر جميع الجهود والمسااعي. وتترك الدوافع المادية والنيات الربانية بصمات متميزة على جهود الإنسان، وتفضي إلى نتائج مختلفة وانعكاسات متنوعة. فالفرد الذي ينشد ما سوى الله في مسعاه، إنّما يستثمر الوسائل المشروعة واللامشروعة والمقدمات المطلوبة والمعوجة بغية الوصول إلى الهدف، لكن الجامع لكل هذه المسااعي والجهود بلوغ الهدف الدنيوي ونيل الغاية المادية مهما كلف الأمر. أمّا إن كان الدافع من الحركة الإتيان بالوظيفة الشرعية ورضى الله، آنذاك تكتسب كل المقدمات والوسائل والأفراد صبغة أخرى؛ كما يبدو للربح والخسارة والنفع والضرر والنجاح والفشل معنى آخر.

فجندي جبهة الحق والعامل بتكليفه الشرعي إنّما يرى سعادته ونجاحه حين يشعر بأنّه قام بوظيفته في العبودية والطاعة بأحسن نحو، ولا يشغله دافع سوى الحبيب والحركة من أجل الفوز برضاه، ولو عاش غير هذا التفكير أو العمل لآمن الخسران والضرر.

وعلى ضوء هذه المقدمة ننطلق نحو دوافع الطف. فقد ذكر المحللون عدّة تفاسير بشأن أهداف ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)؛ فجاءت بعض التحليلات بعيدة عن الواقع وغير منسجمة مع المباني العقائدية للإمام الحسين (عليه السلام) من جانب المستشرقين أو غير الملمين بحقيقة الدين وجوهر العقيدة الإسلامية.

كما امتازت بعض التحليلات بعدم الشمولية والإقتصار على جانب معين والتركيز على بعض كلمات الحسين عليه السلام. والطريق السليم أن نسلط الضوء على جميع كلمات الإمام عليه السلام وخطبه - بصورة شاملة - لنقف على دوافعه من خلال كلماته عليه السلام.



تهذيب الإسلام وإنقاذه من البدع

حقاً لا يمكن أن تكون مسألة بسيطة وعابرة ثورة دموية كثورة كربلاء وتحمل الإمام الحسين عليه السلام لكل أحداثها المفجعة واستعداده وصحبه وأهل بيته للقتل والنساء والصبية للسبي. ولا بدّ من اليقين بأنّ ذلك الإمام الهمام وصحبه الأوفياء كانوا ينشدون هدفاً مهماً بحيث استرخصوا من أجله أنفسهم وأموالهم وتحملوا في سبيل تحقيقه أفدح الخطوب، وهو الهدف الذي يسمو على حياة أولئك الأبطال الذين سطوروا ملحمة كربلاء. ونرى بادئ ذي بدء إلقاء نظرة على بعض الآيات لنعرف متى يأذن الله للمسلم بذلك، وما هو الهدف الذي يوجب من أجله التضحية بالأموال والأنفس.

فقد ورد الكلام في عدّة مواضع من القرآن عن «القتال في سبيل الله» وبشّر فيه المجاهدين وأثنى عليهم^١. وأشاد بالعباد الذين يقتلون في سبيل الله إلى جانب الأنبياء^٢، وتحدث عن عظمة الشهداء^٣. والواقع أنّ القدر المشترك لهذه الآيات الثناء على الجهاد الذي يهدف إلى تقوية

١. سورة آل عمران، الآية ١٩٥؛ النساء، الآية ٧٤، ٩٥، ٩٦؛ والتوبة، الآية ٢٠، ٢٢، ١١١؛ والعديد من الآيات الأخرى.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

٣. سورة آل عمران، الآية ١٦٩-١٧١.

الدين وإعلاء كلمة الحق: «وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا»^١.

نعم، فالتضحية بالنفس والمال والمقام عمل نبيل وقيم حين يتعرض الدين لخطر ويطغى الشرك والكفر والظلم والإلحاد على المجتمع الإسلامي. والحق إن دين الله الذي يسوق الناس إلى السعادة الأبدية، على درجة من الأهمية بحيث يضحي بعض الأفراد كالإمام الحسين (عليه السلام) وصحبه الميامين بأنفسهم من أجل إنقاذه من براثن المنافقين وأعداء الحق. وحسب تصريح الإمام الخميني (رحمته الله): «إن الإسلام لعزيز بحيث ضحى من أجله أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فقد قاتل سيد الشهداء (عليه السلام) مع أولئك الفتية والأصحاب من أجل الإسلام فضحوا بأنفسهم لإحياء الدين»^٢.

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

«فَإِذَا نَزَلَتْ نَزْلَةٌ فَاجْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ دُونَ دِينِكُمْ»^٣.

ويفيد التاريخ بوضوح أنه منذ استيلاء بني أمية على المقدرات الإسلامية فقد ذهبت جهود النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وسعي مجاهدي صدر الإسلام لنشر مبادئ الدين، أدراج الرياح، وغيت القيم الإسلامية وانتشرت البدع وشاع الفسوق والفجور، وجرى الحديث عن إزالة أسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتميزت هذه السلطة بالظلم والجور وتعقيب المؤمنين وتعذيبهم والتنكيل بهم وقد مر علينا ذلك في الفصل السابق. فالانحراف عن الإسلام الأصيل الذي انطلق من حادثة السقيفة إنما تعمق في عهد معاوية، فكان معاوية يسعى إلى تحقيق مآربه من خلال سياسته القائمة على أساس النفاق في الإبقاء على الدين ظاهرياً وهدمه باطنياً. ورغم اشتداد واتضاح جرأته على الدين كلما أشد ساعد سلطته، مع ذلك كان يتظاهر ببعض العناوين من قبيل «خال المؤمنين» و«صحابي رسول الله» و«كاتب الوحي»، حتى أعتقد أغلب عامة

١. سورة التوبة، الآية ٤٠.

٢. صحيفه نور (بالفارسية للإمام الخميني)، ج ٨، ص ١٥١ (يوم ١٥/٦/١٩٨٠).

٣. الكافي، ج ٢، ص ٢١٦، ح ٢.

الناس أن الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية من صحابة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله واختلافهما إنما يتعلق باختلاف رؤاهما الدينية وتفسيرهما للقرآن والسنة! وعلى هذا الأساس بدأ الإمام الحسين عليه السلام أواخر عمر معاوية المرحلة العلنية للمواجهة، فتعرض لمعاوية في خطبته المعروفة بمنى بطائفة من الصحابة والتابعين وأبنائهم ليمهد السبيل لقيام ثورة (سيرد في الفصل القادم شرح هذه الخطبة).

كما أن الرسائل التي وجهها الإمام عليه السلام لمعاوية وتعرض له فيها بالذم بكل شجاعة^١ تفيد هي الأخرى حقيقة انطلاقة الإمام عليه السلام بنهضته؛ ورغم عدم لجوئه إلى عمل مسلح التزاماً منه ببنود معاهدة الصلح التي أمضاها أخوه الإمام الحسن عليه السلام، لكن من الواضح أنه كان يخطط لثورة كبرى يتطلع إلى تفجيرها بعد معاوية.

فقد كتب الإمام الحسين عليه السلام لجماعة من الكوفة استعدادوا لمواكبته في نهضته: «... فَأَلْصِقُوا بِالْأَرْضِ، وَأَخْفُوا الشَّخْصَ، وَاكْتُمُوا الْهَوَى، وَاخْتَرِسُوا مِنَ الْأُظُنَاءِ مَا دَامَ ابْنُ هِنْدَ حَيًّا، فَإِنْ يَحْدُثَ بِهِ حَدَثٌ وَأَنَا حَيٌّ يَأْتِكُمْ رَأْيِي»^٢.

ورغم إطلاع معاوية على هذه الأمور، وكان أحياناً يهدد الإمام عليه السلام، لكنه كان يتجنب مواجهته والإصطدام به، ولكن كان من الواضح أن ذلك الوضع سوف لن يستمر إلى ما بعد وفاة معاوية. فقد تغيرت الأوضاع بعد معاوية؛ فمن جانب اشتهر يزيد بفسقه وفجوره وإلحاده ولم يتورع عن ارتكاب الذنوب علانية، ومن جانب آخر لم يكن ليزيد أية سابقة (ولو بصورة ظاهرة) في الإسلام، فهو ليس أكثر من فتى خامل وطائش، ومن هنا لم يكن لديه أي امتياز يجعله مقبولاً لدى الصحابة وأبنائهم، ومن جانب ثالث فإن طائفة عريضة من أهل الكوفة أعربت عن تأهبها لمواكبة الإمام الحسين عليه السلام.

١. سنورد هذه الخطبة في القسم القادم.

٢. أنساب الأشراف للبلاذري، ج ٣، ص ٣٦٦.

فراى الإمام عليه السلام إن لم يستغل تلك الفرصة لفضح الصورة الحقيقية لبني أمية ونصرة الدين، فسوف لن يبقى سوى الاسم للإسلام والقرآن والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فبادر الحسين عليه السلام لنهضته لإحياء دين الله، حيث يمكنه تحقيق هذا الهدف في المرحلة الأولى - إن أمكن ذلك - بواسطة تشكيل الحكومة الإسلامية أو بشهادته وأصحابه.

على كل حال فقد كان ينبغي إحياء الذي اندثر والسنة النبوية المنسية ومن أولى من ابن رسول الله صلى الله عليه وآله في القيام بهذه المهمة. وقد استهل الإمام الحسين عليه السلام حركته بالقول:

«وَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتْ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلَ يَزِيدٍ»^١.

كما أشار في رسالة إلى أشرف البصرة إلى البدع السائدة في المجتمع، وإن هدفه من الثورة على حكومة يزيد القضاء على تلك البدع وإحياء السنة فقال:

«وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَإِنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِيتَتْ وَإِنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ، وَإِنْ اسْتَمِعُوا قَوْلِي وَتَطِيعُوا أَمْرِي، أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ»^٢.

ثم التقى في طريقه إلى كربلاء «الفرزدق» فتطرق عليه السلام إلى بدع حكام الشام ونهضته من أجل نصرة الدين فقال:

«يَا فَرْزَدَقُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكَوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، وَأَبْطَلُوا الْحُدُودَ، وَشَرَبُوا الْخُمُورَ، وَاسْتَأْثَرُوا فِي أَمْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَأَنَا أَوْلَى مَنْ قَامَ بِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَإِعْزَازِ شَرْعِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، لِيَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا»^٣.

وكثيراً ما نرى هذه المضامين في عبارات خطب الإمام الحسين عليه السلام والتي

١. اللهوف، ص ٩٩؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٦؛ وفتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٢٤.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٦٦؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٤٠.

٣. تذكرة الخواص، ص ٢١٧-٢١٨.

ستعرض إليها في القسم القادم، ونختتم هذا المطلب بعبارة أخرى للإمام عليه السلام إذ قال: «أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَإِلَى الْبَاطِلِ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ رَبِّهِ حَقًّا حَقًّا»^١.

فقد بين الإمام الحسين عليه السلام بهذه الكلمات هدفه من النهضة، كما أعلن استعدادَه للشهادة في مقارعته للباطل وإحياء دين الله.



وعليه بات من الواضح أنّ أحد أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام إحياء الدين وإماتة بدع ومفاسد بني أمية وإنقاذ الدين من مخالب المنافقين وأعداء الله، وقد حقق الحسين عليه السلام انتصاراً باهراً في هذا المجال، رغم قتله وصحبه الميامين، فبقتلهم أيقظوا أفكار المسلمين وهزوا عروش الجبابة الظالمين، وبالنتيجة أحيوا الدين وحالوا دون ضياع مكتسبات النهضة النبوية وأنقذوا المسلمين من الحيرة والضلال. فقد جاء في زيارة الأربعين:

«وَبَدَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ».

كما ورد في رواية الإمام الصادق عليه السلام حين قال إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام للإمام السجاد: «يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ مَنْ غَلَبَ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَنْ غَلَبَ وَدَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَأَذِّنْ ثُمَّ أَقِمْ»^٢.

فالسجاد عليه السلام أراد أن يقول إنّ هدف حكومة يزيد محو اسم رسول الله صلى الله عليه وآله، لكن الإمام الحسين عليه السلام منع ذلك بدمه، فاسم محمد صلى الله عليه وآله الدال على بقاء مدرسته مازال يذكر عند الأذان والإقامة (وتتضح هذه الحقيقة كلما تقادم الزمان).



١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٠٥؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨١.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٧٧.



إصلاح الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ربما يبدو أنّ بعض العوامل أسهمت في تحقيق هذه الثورة الدموية من قبيل امتناع الإمام الحسين عليه السلام عن مبايعة يزيد وتلبية دعوة أهل الكوفة، إلا أنّ أحد الدوافع الأساسية لهذه الثورة العملاقة والذي ورد كراراً في كلمات الإمام عليه السلام إصلاح الأمة وممارسة الفريضة المهمة التي عزى القرآن هلاك الأقوام السابقة إلى نسيانها فقال تعالى:

﴿قُلْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ﴾^١.

وقال تعالى بشأن طائفة من بني إسرائيل لعنت من بعض الأنبياء كداود وعيسى عليه السلام:

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^٢.

فالواقع أنّ مساومة هذه الطائفة ولا مبالاتها أدت إلى تشجيع العناصر الآثمة وبالتالي أدّى ذلك إلى هلكة الجميع. وقال تعالى في آية أخرى بشأن إجراء هذه الفريضة بصورة شاملة ليعده من خصائص الأمة الإسلامية بصفتها الأمة الفضلى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^٣.

١. سورة هود، الآية ١١٦.

٢. سورة المائدة، الآية ٧٩.

٣. سورة آل عمران، الآية ١١٠.

والذي يجدر الالتفات إليه في هذه الآية أن سبب أفضلية الأمة يعزى إلى «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله» والأجدى من ذلك أنه قدم «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» على «الإيمان بالله» ليشير إلى هذا المعنى في تقطع عرى الإيمان بالله وانهيار دعائمه دون تلك الفريضتين، بعبارة أخرى إن الإيمان بالله يستند إلى تلك الفريضة^١، كما يتوقف عليها إصلاح شؤون المجتمع كافة. قال الإمام الباقر (عليه السلام):

«إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ بِهَا تُقَامُ الْفَرَائِضُ وَتَأْمَنُ الْمَذَاهِبُ وَتَحُلُّ الْمَكَاسِبُ وَتُرَدُّ الْمَظَالِمُ وَتُعْمَرُ الْأَرْضُ وَيَنْتَصِفُ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَيَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ»^٢.

كما قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

«قِوَامُ الشَّرِيعَةِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ»^٣.

فالذي يستفاد من هذه الروايات أن هذه الفريضة، أي المسؤولية العامة إن غيبت في المجتمع إنهارت دعائم الشريعة وانقرض الدين شيئاً فشيئاً وأنحدر المجتمع إلى الفساد والانحراف. وعلى هذا الضوء وصف رسول الله ﷺ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بخليفة الله في الأرض وخليفة رسوله ﷺ وخليفة كتابه:

«مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَخَلِيفَةُ كِتَابِهِ»^٤.

وقال علي (عليه السلام) في مقارنته لهذه الفريضة بسائر الفرائض:

«وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ

١. راجع تفسير الأمثل ذيل الآية.

٢. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٣١٥ ح ٦؛ وراجع تفسير الأمثل، ج ٢، ص ٣٨٦.

٣. غرر الحكم، الحكمة ٦٨١٧.

٤. مجمع البيان، ذيل تفسير الآية ٧٩ من سورة المائدة، راجع الأمثل، ج ٢، ص ٣٨٦.

الْمُنْكَرِ إِلَّا كَفَفْتَهُ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ»^١.

وندرک من هذه العبارة الأهمية القصوى والقيمة الفريدة لهذا الموضوع في الإسلام. وأشار علي عليه السلام في موضع آخر إلى المراحل الثلاث للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال:

«أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدُوَانًا يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرَّى، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى، فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ»^٢.

❦❦❦

حقاً ينبغي اعتبار الإمام الحسين عليه السلام بطل هذا الميدان. فقد بلغ الإمام الحسين عليه السلام بالأمر بالمعروف العملي ذروته فضلاً عن القلب واللسان وأتى بأرفع مراحل العملية، فأعلن ببسالة للجميع:

«أَيُّهَا النَّاسُ! فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَصْبِرُ عَلَى حَدِّ السَّيْفِ، وَطَعْنِ الْأَسِنَّةِ، فَلْيَقُمْ مَعَنَا وَإِلَّا فَلْيَنْصَرِفْ عَنَّا»^٣.

وطبق الروايات فإن النهوض بالسيف (في موضعه) أسمى وأفضل مرحلة من مراحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي قام بها الإمام الحسين عليه السلام. وقال أمير المؤمنين عليه السلام بعد بيانه لمراحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الثلاث (القلبي واللساني والعملي): «وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ»^٤. فالإمام الحسين عليه السلام لم يقتصر بالكلام على فضح جرائم بني أمية، بل شهر سيفه

١. نهج البلاغة، الكلمات القصار، الحكمة ٣٧٤.

٢. المصدر السابق، الحكمة ٣٧٢.

٣. ينابيع المودة، ص ٤٠٦.

٤. نهج البلاغة، الكلمات القصار، الحكمة ٣٧٤ وللقوقوف على المزيد بشأن المراحل الثلاث للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر راجع، جواهر الكلام، ج ٢١، ص ٣٧٤ وما بعدها.

بوجوههم واستمات في الصمود ونعت حركته هذه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح الأُمّة، وكان لا ينفك عن ذكر هذه الفريضة المقدسة ويرأها صراحة أحد دوافع نهضته.



ونشف أسمعنا الآن بأهم المقاطع من كلماته وخُطبه بهذا الشأن.

١. خطب الإمام (عليه السلام) قبيل عامين من وفاة معاوية في جمع كثير من المهاجرين والأنصار في منى، ذم فيها كبار المسلمين آنذاك لتهاونهم في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح الأُمّة فقال: «لم لا تتعظون بدم الله للأخبار؟ إذ قال ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ﴾! »

ثم قال (عليه السلام):

«وَأِنَّمَا عَابَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، لِإِنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ مِنَ الظُّلْمَةِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمُنْكَرَ وَالْفُسَادَ، فَلَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذَلِكَ».

ثم قال بشأن أهمية هذه الفريضة:

«إِذَا أُدِّيَتْ وَأُقِيمَتْ، اسْتَقَامَتِ الْفَرَائِضُ كُلُّهَا هَيَّيْهَا وَصَعْبُهَا»^٢.

فهذه الخطبة المهمة في تلك الظروف العصيبة وذلك الجمع الكثير تفيد أنّ الإمام (عليه السلام) كان ينتظر الفرصة للقيام عملياً بهذه الفريضة المقدسة. فقد كتب في رسالته لمعاوية:

«... وَمَا أَظُنُّ أَنَّ لِي عِنْدَ اللَّهِ عُذْرًا فِي تَرْكِ جِهَادِكَ»^٣.

أي أنني أتطلع إلى الفرصة المناسبة لمواجهتك.

١. سورة المائدة، الآية ٦٣.

٢. تحف العقول، ص ١٦٨-١٧٠؛ بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٧٩، ح ٣٧.

٣. مختصر تاريخ دمشق، ج ٧، ص ١٣٧؛ سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) وجاء في احتجاج الطبرسي، ج ٢، ص ٨٩، ح ١٦٤ «ما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً، وأيم الله إني لخائف من الله في ترك ذلك...» راجع بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢١٢.

٢. بعد هلاك معاوية حين دعي الإمام عليه السلام من جانب والي المدينة لمبايعة يزيد، فرفضها الإمام عليه السلام وقصد قبر جدّه ليلاً ليتضرع إلى الله قائلاً:
- «اللَّهُمَّ هَذَا قَبْرُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَنَا ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكَ وَقَدْ حَضَرَنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ عَلِمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّ الْمَعْرُوفَ وَأُكْرَهُ الْمُنْكَرَ...»^١.
- والواقع أن الإمام عليه السلام يبين دوافعه الأصلية للنهضة بهذه العبارة القصيرة وفي أقدس مكان عند قبر جدّه عليه السلام ليسطر ذلك في ذاكرة التاريخ.
٣. لعله يمكن اعتبار أبلغ عبارة للإمام عليه السلام في بيانه للدافع الأصلي لنهضته تلك التي وردت في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية. فبعد أن استبعد خروجه على أساس الأشر والبطر قال:
- «وَأِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»^٢.
- حيث يبين الإمام عليه السلام بهذه العبارات القصيرة والبلغية منذ البداية هدفه من النهضة والذي لا يتمثل في فتح البلدان وجني الأموال والمقامات الدنيوية، بل هدفه يتلخص في إصلاح شؤون المجتمع الإسلامي وإحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٤. بعد أن قبض رجال ابن زياد غدرًا على مسلم بن عقيل عليه السلام سفير الإمام إلى الكوفة وأدخل المجلس وإتهموه بإثارة الفتنة قال عليه السلام:
- «مَا لِهَذَا أَتَيْتُمْ، وَلَكِنَّكُمْ أَظْهَرْتُمْ الْمُنْكَرَ، وَدَفَنْتُمْ الْمَعْرُوفَ ... فَأَتَيْنَاهُمْ لِتَأْمُرَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ»^٣.
٥. حين واجه الإمام عليه السلام جيش الحر واتضح غدر أهل الكوفة ورأى الإمام عليه السلام

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٢٧؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٦؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٨.

٢. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٣٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.

٣. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٠١؛ اللهوف، ص ٧١؛ وراجع أنساب الأشراف للبلاذري، ص ٨٢.

نفسه مقتولاً، خطب في أصحابه قائلاً:
 «أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي
 لِقَاءِ اللَّهِ مُحِقًّا»^١.

فالذي يستفاد من كلام الإمام عليه السلام وجوب التضحية في ظل تلك الظروف؛ أي في
 المرحلة التي تهدد كيان الدين والمذهب، ولا يسع الضرر في المال وفي النفس أن
 يحول دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦. نقل المؤرخون أن الحرّ منع الإمام الحسين عليه السلام من الحركة، فكتب عليه السلام رسالة
 لأشراف الكوفة.

«... فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ فِي حَيَاتِهِ: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا
 مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ، ثُمَّ لَمْ يُغَيِّرْ يَفْعَلِ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ»^٢.

فقد أعلن الإمام عزمه الحاسم على إصلاح الأمور ومواجهة ظلمة بني أمية بعد
 أن ذكر المسلمين سيما أشراف الكوفة بوظائفهم، على أنه لا يشترط دعمهم في
 تلك المواجهة، وأنه مستعد للتضحية بنفسه، ومن هنا نخاطبه اليوم قائلين:

«أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ»^٣.

والجدير بالذكر أن تلك الشهادة ليست في محكمة القضاء، ولا حضور القاضي،
 بل تعني أنني أذعن بأن نهضتك إنما هي نهضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 وإصلاح شؤون الأمة الإسلامية.



١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨١؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٠٥؛ ومقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٣٧.

٢. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٤٣؛ ومقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٣٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨١.

٣. زيارة وارث.

تشكيل الحكومة الإسلامية ومقارعة الظلمة

كان الأنبياء والأولياء طيلة التاريخ يعملون جاهدين لتشكيل الحكومة لتحقيق أهدافهم الإلهية؛ ذلك لأنه ممّا لا شك فيه إنّما يمكن في ظلّ الحكومة سوق الأمة إلى القيم المعنوية والإنسانية والسعي لبسط العدالة الاجتماعية وإجراء الأحكام الشرعية بصيغة انضباطية وحث الخطى لإقامة العدل ودحر الظلم والشرك. كما يتعذر إجراء أغلب الأحكام دون تشكيل الحكومة أو - على الأقل - تحقيقها بالشكل المطلوب. وعلى هذا الأساس كان الأنبياء واستناداً للظروف يصيرون على تشكيل الحكومة الدينية، فقد بادر النبي الأكرم ﷺ في أول فرصة لتشكيل الحكومة الإسلامية في المدينة وتزعم بنفسه تلك الحكومة. كما نصب عليّاً عليه السلام خليفة له على الأمة يوم غدير خم بأمر الله ومواصلة لحكومة الصالحين. ولذلك ركزت بعض رواياتنا على الولاية والزعامة، ومنها الرواية الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال:

«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالْوِلَايَةِ»

ثم قال في رده على سؤال: أيّها أفضل قائلاً:

«الْوِلَايَةُ أَفْضَلُ، لِأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنَّ، وَالْوَالِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ»^١.

أجل، يمكن توفير المناخ المناسب في ظل تشكيل الحكومة الدينية والحكام

١ . الكافي، ج ٢، ص ١٨ باب دعائم الإسلام (وتوجد روايات متعددة بهذا المضمون في هذا الباب).

الصالحين لإجراء الأحكام الشرعية والتحقق العيني لمبادئ وأخلاق وأصول الشريعة. وللأسف لم تحتل زعامة الأمة الإسلامية موقعها الأصلي عقب وفاة رسول الله ﷺ حيث أبعد أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الخلافة، لكنّه عليه السلام كان يغتنم كل فرصة ليؤكد على حقّه في الحكومة ويرى نفسه الأجدر بها من الجميع. حتى أفضت تلك البيعة الشاملة سنة ٣٥ هـ لخلافته الظاهرية فسعى جاهداً لبسط العدل والقسط وإحياء القيم الدينية في المجتمع آنذاك، لكنّه لم يحقق جميع أهدافه السامية إثر العقبات التي خلقتها الفترة السابقة والأحداث العصبية والمفجعة لعصر الخلافة، وأخيراً شهادته عليه السلام.

وأما مؤامرات معاوية سواء في عصر أمير المؤمنين علي عليه السلام أو المدّة القصيرة لعصر الإمام الحسن عليه السلام وجهود جبهة النفاق لإضعاف الخط العلوي وجعل بعض الناس وتكالب البعض الآخر على الدنيا هي الأخرى أخرجت الخلافة عن مسارها لتستحوذ هذه الطغمة الفاسدة على المقدرات الإسلامية.

وكان الإمام الحسين عليه السلام الوريث الشرعي للحكومة النبوية والعلوية والزعيم الروحي للأمة الإسلامية نهض لإحياء القيم الإسلامية وبسط العدل والقسط ومقارعة الظلمة بهدف تشكيل الحكومة الإسلامية، بحيث إنّ أمكن تحقيق ذلك الهدف من خلال تشكيل الحكومة الإسلامية، وإلا فبقتله وصحبه سيكشف الوجه الحقيقي لبني أمية ويعمل على اجتثاث الظلم والكفر وينجد الأمة الإسلامية. فقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام هدفه من نهضته قائلاً:

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافُسًا فِي سُلْطَانٍ وَلَا اِتِّمَاسًا مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنُتْرِيَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، وَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ بِقَرَائِصِكَ وَسُنَّتِكَ وَأَحْكَامِكَ»^١.

١. تحف العقول ص ١٧٠ وبحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٧٩.

قال الإمام الخميني عليه السلام في بيانه لهذا المطلب:

«... أولئك الذين يظنون أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم ينهض من أجل الحكومة، كلا هذا الكلام ليس بصائب بل إنّ نهض من أجل الحكومة، لتكون الحكومة لشخص مثل سيد الشهداء، مثل أشخاص كشيعة سيد الشهداء»^١.

وإن علم الإمام عليه السلام أنّه سيقتل في هذه النهضة. وقال في موضوع آخر: «لقد كان هذا المعنى سائداً في حياة سيد الشهداء، حياة صاحب العصر والزمان عليه السلام وحياة جميع الأنبياء منذ آدم عليه السلام ولحدّ الآن بحيث يقيمون حكومة العدل مقابل الجور»^٢ وعلى ضوء هذه المقدمة نخوض الآن في سيرة وخطب الإمام عليه السلام لإثبات هذا المطلب (النهضة من أجل تشكيل الحكومة الإسلامية ومواجهة الظالمين).

نظرة إلى الماضي

لو تأملنا حياة الإمام الحسين عليه السلام لأدركنا أنّه يؤمن منذ صباه بأنّ الخلافة الإسلامية فقط لأهل البيت عليهم السلام. فقد جاء في الخبر أنّ عمر خطب الناس فقال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم. فقال الحسين عليه السلام:

«إنزل أيّها الكذاب عن منبر أبي رسول الله ﷺ لا منبر أبيك.

قال عمر: فمنبر أبيك لعمرى يا حسين لا منبر أبي من علمك هذا أبوك علي بن أبي طالب.

فقال له الحسين عليه السلام: إن أطع أبي فيما أمرني فلعمري أنّه لهادٍ وأنا مهتدٍ به وله في رقاب الناس البيعة على عهد رسول الله ﷺ نزل بها جبرائيل من عند الله تعالى لا ينكرها إلا جاحد بالكتاب قد عرفها الناس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم وويل للمنكرين حقنا أهل البيت.

١. صحيفة نور للإمام الخميني (بالفارسية)، ج ٢١، ص ٣.

٢. المصدر السابق، ص ٤.

قال عمر: يا حسين من أنكر حق أبيك فعليه لعنة الله أمّنا الناس فتأمّنا ولو أمّروا أباك لأطعنا.

فقال له الحسين عليه السلام: يا ابن الخطاب فأبي الناس أمرك على نفسه قبل أن تؤمّ أباً بكر على نفسك ليؤمّرك على الناس بلا حجة من نبي ولا رضى من آل محمد فرضاكم كان لمحمد عليه السلام رضا أو رضا أهله كان له سخطاً؟ فنزل عمر مغضباً فمشى معه أناس من أصحابه حتى أتى باب علي عليه السلام ليشكو حسيناً عليه السلام.^١

حيث وقف الإمام الحسين عليه السلام طيلة خلافة أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام وأخيه الحسن عليه السلام إلى جانبهما بغية تقوية الحكومة الإسلامية والوقوف بوجه خصوم الإسلام.

مواجهة الحسين عليه السلام لمعاوية

حين أراد معاوية أخذ البيعة لابنه يزيد وجاب المدن، عقد اجتماعاً في المدينة لأخذ البيعة فقال: والله لو علمت في المسلمين ممن هو أفضل من يزيد لبايعته!! فقام الإمام الحسين عليه السلام وقال:

«وَاللّٰهُ لَقَدْ تَرَكْتُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ أَبًا وَأُمًّا وَنَفْسًا».

قال معاوية: كأنك تريد شخصك؟ قال: بلى. فسكت معاوية.^٢

وطبق رواية أخرى قال الإمام عليه السلام:

«أَنَا وَاللّٰهُ أَحَقُّ بِهَا مِنْهُ، فَإِنَّ أَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ، وَجَدِّي خَيْرٌ مِنْ جَدِّهِ، وَأُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ وَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ».^٣

ويتضح من هذه الكلمات أن الإمام عليه السلام كان يرى شخصه فقط جديراً بالخلافة،

١. الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ٧٧-٧٨.

٢. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢١١.

٣. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص ٢٦٥.

ويعتقد بأن شخصاً مثله - بذلك الشرف النسبي والمعنوي - ينبغي أن يأخذ بزمام أمور المسلمين.

سعي الحسين عليه السلام لتشكيل الحكومة الإسلامية على عهد يزيد

توفر المناخ المناسب بعد وفاة معاوية وخلافة يزيد لمواجهة الظلمة وتشكيل الحكومة الإسلامية أكثر مما مضى، فاتخذ عليه السلام بعض الخطوات بهذا الشأن، منها:

أ) رفض بيعه يزيد (وإعلان عدم جدارته بالخلافة)

رفض الإمام الحسين عليه السلام بيعه يزيد ولم يقرّ بحكومته لإيمانه بعدم أهلية يزيد لهذا الموقع المنيع وأنه عليه السلام أحق بالخلافة. ومن هنا لما بلغ المدينة خبر وفاة معاوية وأحضر عليه السلام من جانب والي المدينة، رد الإمام عليه السلام على عبد الله بن الزبير لما سأله ماذا ستفعل؟ قال:

«إِنِّي لَا أَبَايَعُ لَهُ أَبَدًا، لَأَنَّ الْأَمْرَ إِنَّمَا كَانَ لِي مِنْ بَعْدِ أَخِي الْحَسَنِ»^١.

كما قال لوالي المدينة:

«إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ ... وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبُ الْخَمْرِ، قَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ، مُغْلِنُ بِالْفِسْقِ، وَمِثْلِي لَا يُبَايَعُ لِمِثْلِهِ»^٢.

ورد بحزم على مروان بن الحكم حين أصر عليه لمبايعة يزيد قائلاً:

«وَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتْ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدَ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: الْخِلَافَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَى آلِ أَبِي سُفْيَانَ»^٣.

فالإمام عليه السلام أشار في الواقع بهذه العبارة إلى عمق فاجعة خلافة يزيد ورأى حرمة

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٢.

٢. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٣٥.

٣. اللهوف، ص ٩٩؛ بحار الأنوار، ج ١، ص ١٨٤.

تصدي آل أبي سفيان للخلافة على ضوء حديث النبي ﷺ. ثم أكد ﷺ على رفضه لبيعة يزيد - مهما كلف الأمر - في حديثه لأخيه محمد بن الحنفية إذ قال: «يا أخي! والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية»^١.

ب) التصريح بحقه في الخلافة

كان الإمام الحسين ﷺ يصرح بحقه في الولاية والحكومة الإسلامية بالإضافة إلى عدم اعتبار يزيد جديراً بالخلافة. والواقع أن الإمام ﷺ انطلق بهذه العبارات في إطار تشكيل الحكومة الإسلامية والنهوض بولاية أمر المسلمين. فقد قال الإمام الحسين ﷺ في خطبة بعسكر الحرّ بعد صلاة العصر: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَنَا ابْنُ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ أَوْلَى بِوِلَايَةِ هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ»^٢.

كل هذه الموارد إلى جانب ما ذكره ﷺ في حياة معاوية - حين طرحت ولاية العهد ليزيد - كانت تشير إلى تأكيده ﷺ على أحقيته بالخلافة، بغض النظر عما ذكر سابقاً.

ج) تلبية دعوة أهل الكوفة

تلبية دعوة أهل الكوفة من أدلة سعي الإمام الحسين ﷺ لتشكيل الحكومة الإسلامية على أساس قبول زعامة الثورة ضد حكومة يزيد اللاشرعية. كما أن بعث الإمام ﷺ لسفيره وممثله مسلم بن عقيل ﷺ للكوفة للوقوف على دعوتهم وتعبئة طاقاتهم وأخذ البيعة من الناس يشير إلى عزم الإمام ﷺ على تشكيل الحكومة

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٣١؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.

٢. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٣٧؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٠٣ (مع اختلاف يسير).

الإسلامية الربانية.

واستناداً إلى كون الكوفة مركز عشاق وأشياع علي بن أبي طالب عليه السلام فقد عقد الإمام عليه السلام العزم على الإنطلاق بالثورة من تلك المنطقة التي تمثل القاعدة العريضة للثورة وتصديرها من هناك إلى سائر المناطق.

رسائل أهل الكوفة للإمام عليه السلام

عقب وفاة معاوية وإثر عقد اجتماع في دار «سليمان بن صرد الخزاعي» كتب طائفة من أشراف الكوفة رسالة إلى الإمام عليه السلام أعلنوا فيها استعدادهم للثورة بزعامة الإمام عليه السلام. وإليك مضمون الرسالة التي وقعت من أربعة من كبار الشيعة وهم سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وطائفة من الشيعة: «... فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَصَمَ عَدُوَّكَ الْجَبَّارَ الْعَنِيدَ، الَّذِي انْتَزَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فَابْتَرَّهَا أَمْرَهَا، وَغَصَبَهَا فَيَتَّيَّهَا، وَتَأَمَّرَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ رِضَى مِنْهَا، ثُمَّ قَتَلَ خِيَارَهَا، وَاسْتَبَقَى شِرَارَهَا، ... إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِمَامٌ فَأَقْبِلْ! لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْحَقِّ وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ، لَسْنَا نَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي جُمُعَةٍ، وَلَا نَخْرُجُ مَعَهُ إِلَى عِيدٍ، وَلَوْ قَدْ بَلَغْنَا أَنَّكَ قَدْ أَقْبَلْتَ إِلَيْنَا أَخْرَجْنَاهُ حَتَّى نَلْحَقَهُ بِالشَّامِ»^١.

رد الإمام عليه السلام وإيفاد مسلم إلى الكوفة

لما كثرت رسائل أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام والتي أعربوا فيها عن استعدادهم لزعامة الإمام عليه السلام ردّ عليهم برسالة، ثم بعث لهم ابن عمه مسلم بن عقيل. أما رسالة الإمام عليه السلام فهي:

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٣٣.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى الْمَلَأَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ هَانِئاً وَسَعِيداً قَدِمَا عَلَيَّ بِكِتَابِكُمْ - وَكَانَا آخِرَ مَنْ قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ رُسُلِكُمْ - وَقَدْ فَهِمْتُ كُلَّ الَّذِي اقْتَصَصْتُمْ وَذَكَرْتُمْ، وَمَقَالَةَ جُلُكُم: «أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِمَامٌ فَأَقْبِلْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ». وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ أَخِي وَأَبْنَ عَمِّي وَثِقَتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَأَمْرُئَهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيَّ بِحَالِكُمْ وَأَمْرِكُمْ وَرَأْيِكُمْ.

فَإِنْ كَتَبَ إِلَيَّ: أَنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيَ مَلَائِكُمْ، وَذَوِي الْفَضْلِ وَالْحُجَى مِنْكُمْ، عَلَى مِثْلِ مَا قَدِمْتُ عَلَيَّ بِهِ رُسُلُكُمْ وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِكُمْ، أَقْدِمُ عَلَيْكُمْ وَشَيْكاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَعَمْرِي مَا الْإِمَامُ إِلَّا الْعَامِلُ بِالْكِتَابِ، وَالْآخِذُ بِالْقِسْطِ، وَالِدَّائِنُ بِالْحَقِّ، وَالْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ وَالسَّلَامِ»^١.

فهذه الرسالة تشير بوضوح إلى أن الإمام (عليه السلام) كان ينشد إسقاط الحكومة الأموية الغاشمة وتشكيل الحكومة الإسلامية. وعلى هذا الضوء وبغية الوقوف على حقيقة الأوضاع بعث بادی الأمر سفيره الثقة إلى المنطقة ليقف على طبيعة الوضع وبالتالي تعبئة القوى الشيعية باتجاه النهضة.

والعبارة الأخيرة في خطبة الإمام (عليه السلام) تأكيد آخر على أحقيته في الإمامة والزعامة وعدم أهلية حاكم الشام - الذي لا يعمل بكتاب الله ولا يقيم القسط والعدل - وهذه قرينة على عزم الإمام (عليه السلام) على النهوض بإمامة وزعامة المسلمين وإقامة العدل. كما وجه الإمام (عليه السلام) رسالة إلى مسلم (عليه السلام) تزامناً مع بعثه، أكد فيها ثانية على تعبئة الأمة وإعدادها. جاء في الرسالة:

«... وَادْعُ النَّاسَ إِلَى طَاعَتِي، وَاخْذُلْهُمْ عَنْ آلِ أَبِي سُفْيَانَ، فَإِنْ رَأَيْتَ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَيَّ يَبْعَتِي فَعَجِّلْ لِي بِالْخَبَرِ، حَتَّى أَعْمَلَ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

١. الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٣٨٠-٣٨١.

تعالى، ...»^١. فخذلان الناس عن دعم آل أبي سفيان ودعوتهم لطاعة الإمام عليه السلام واجتماعهم على البيعة والمواكبة، كلها تشير إلى إعداد الأرضية الخصبة لتشكيل الحكومة.

وبعد دخول مسلم عليه السلام الكوفة ومبايعته من جانب أكثر الناس وإعلانهم الاستعداد للتضحية ومواكبة الإمام عليه السلام وإطلاعه عليه السلام على ذلك من قبل مبعوثي مسلم، انطلق الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة^٢.

قال الإمام عليه السلام لابن عباس:

«وَهَذِهِ كُتُبُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَرُسُلُهُمْ، وَقَدْ وَجَبَ عَلَيَّ إِجَابَتُهُمْ وَقَامَ لَهُمُ الْعُدْرُ عَلَيَّ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ»^٣.

وقال الإمام الحسين عليه السلام لعبد الله بن الزبير:

«أَتَتْنِي بَيْعَةُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا يَخْلِفُونَ لِي بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ^٤ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ»^٥.

وقال الإمام عليه السلام حين التقى عبد الله بن المطيع لما سأله عن سبب خروجه من مكة:

«إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ كَتَبُوا إِلَيَّ يَسْأَلُونَنِي أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْهِمْ لِمَا رَجَوْا مِنْ إِحْيَاءِ مَعَالِمِ الْحَقِّ وَإِمَاتَةِ الْبِدْعِ»^٦.

على كل حال واستناد؛ للشواهد التاريخية - التي مضى بعضها وسيأتي البعض الآخر في قسم الأحداث - فإن أحد أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام تشكيل

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٥٣؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٩٦.

٢. انظر: الطبري، ج ٣، ص ٢٩٧؛ الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٤١٨.

٣. معالي السبطين، ج ١، ص ٢٤٦؛ ناسخ التواريخ، ج ٢، ص ١٢٢.

٤. المراد من القسم بالطلاق والعتاق أن زوجاتهم لا تحلّ عليهم إن حنثوا في قسمهم ويكون جميع غلمانهم أحراراً. ويرى جمع من فقهاء أهل السنة صحة هذا النوع من القسم.

٥. تاريخ ابن عساكر (شرح سيرة الإمام الحسين عليه السلام)، ص ١٩٤، ح ٢٤٩.

٦. الأخبار الطوال للدينوري، ص ٢٤٥.

الحكومة الإسلامية، وفي الواقع إعادة الخلافة الإسلامية لمسارها الأصلي ليتم في ظلها بسط العدل والقسط وإحياء الحق وإزهاق الباطل وإماتة البدع. وقد تمتّ الحجة على الإمام (عليه السلام) من خلال دعم أهل الكوفة وتأهيبهم وتأكيدهم على هذا الأمر، بحيث ينبغي له مواجهة حاكم ظالم كيزيد بتلك الآلاف المقاتلة، ومن هنا قصد الكوفة وقد أخبر مسبقاً من قبل سفيره مسلم بمواكبة أهل الكوفة.

إعلان الثورة لتشكيل الحكومة الإسلامية مع العلم باستشهاد

والآن يرد هذا السؤال: هل كان الإمام الحسين (عليه السلام) يعلم بقتله وصحبه خلال حركته إلى الكوفة والثورة على يزيد، أم لا؟ وإن كان عالماً، فكيف ينسجم ذلك مع التخطيط لتشكيل الحكومة الإسلامية؟ على ضوء الشواهد التاريخية فإنه ليس هنالك أدنى شك في علم الإمام (عليه السلام) بقتله.

وقد مرّت شواهد ذلك واضحة في هذا الكتاب، لكننا سنشير هنا إلى جانب من الشواهد المذكورة التي تؤيد علم الإمام (عليه السلام) بقتله، ومن ثم نخوض في الرد على السؤال المذكور.

جدير بالذكر أنّ الروايات والأخبار الواردة عن الفريقين عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن قتل الإمام الحسين (عليه السلام) بلغت حدّاً من الشهرة بحيث قال ابن عباس: «ما كنّا نشكُّ أهل البيت وهم متوافرون أنّ الحسين بن عليّ (عليه السلام) يُقتل بالطّف»^١. فالذي يستفاد من هذه الرواية أن ليس الإمام وحده، بل عامة أهل بيته (عليهم السلام) كانوا عالمين حتى بموضع قتله.

وقد نقل العلامة المجلسي في البحار ٧١ رواية بهذا الخصوص^٢. ونذكر هنا طائفة منها والتي وردت على لسانه (عليه السلام).

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٦٠.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٢٣-٢٦٦.

١. كتب الإمام عليه السلام لبني هاشم في بداية حركته إلى المدينة: «إِنَّ مَنْ لِحَقِّ بِي مِنْكُمْ اسْتُشْهِدَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يَبْلُغِ الْفَتْحَ»^١.
٢. حين روى أحد أخوته خبر شهادة الإمام عن لسان الإمام الحسن عليه السلام قال له الإمام الحسين عليه السلام:
«حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَخْبَرَهُ بِقَتْلِهِ وَقَتْلِي، وَأَنَّ تُرْبَتِي تَكُونُ بِقُرْبِ تُرْبَتِهِ فَتَظُنُّ أَنَّكَ عَلِمْتَ مَا لَمْ أَعْلَمْهُ»^٢.
٣. ورد شبيه هذا المطلب في حديثه عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية في مكة. فأشار عليه محمد بن الحنفية بعدم التوجه إلى العراق. فقال عليه السلام:
«آتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا فَارَقْتُكَ فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ! أَخْرِجْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا»^٣.
٤. النموذج الآخر حين بعث مسلم وقال له: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ فَاحْزَمْ أَمْرَكَ كَمَا يَرْضَى اللَّهُ. ثم قال له:
«أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَنْتَ فِي دَرَجَةِ الشُّهَدَاءِ»^٤.
فهذا الكلام يفيد أن الإمام عليه السلام آثر الشهادة ورجاها له ولأصحابه.
٥. العجيب أن الإمام عليه السلام أشار إلى أهل الكوفة أنهم قاتلوه ضمن إجابته عن سؤال بعض أهل الكوفة وحديثه عن رسائلهم فقال:
«هَذِهِ كُتُبُ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَيَّ، وَلَا أَرَاهُمْ إِلَّا قَاتِلِي»^٥.

١. موسوعة كلمات الحسين، ص ٢٩٦؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٧٦. والطريف أنه ورد شبيه هذا المضمون حين حركته من مكة وما قاله في الناس، «من كان باذلاً فينا مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا» (أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٩٣).

٢. اللهوف، ص ٩٩-١٠٠.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٤؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٩٣.

٤. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٩٦.

٥. تاريخ ابن عساكر، ج ٣٣، ص ٢١١ (فصل الإمام الحسين عليه السلام).

٦. الكلام الأكثر صراحة مما ذكر ما قاله الإمام عليه السلام في أهل مكة قبيل حركته إلى

العراق:

« ... وَخَيْرٌ لِّي مَضْرَعٌ أَنَا لِأَقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَتَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفُلُوتِ بَيْنَ
النَّوَاوِيسِ وَكَزْبَلَاءَ، فَيَمْلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشًا جَوْفًا أَجْرِبَةً سَعْبًا، لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ
بِالْقَلَمِ »^١.

وبملاحظة هذه الأحاديث وسائر النماذج الكثيرة الأخرى لا يبقى من شك في
أنَّ الإمام لا يعلم بقتله فحسب، بل كان يعلم بموضع قتله واستناداً إلى علم الإمام
بعاقبة حركته فإنَّه يطرح هذا السؤال: كيف الجمع بين علم الإمام بقتله ونهضته من
أجل تشكيل الحكومة الإسلامية؟ أي كيف يعلم الإمام عليه السلام بعاقبة نهضته ويوقن
بقتله وصحبه وينهض في نفس الوقت لتشكيل الحكومة الإسلامية؟

والجواب عن هذا السؤال على درجة من الأهمية بحيث إنَّ بعض المفكرين
الذين لم يستطيعوا التوفيق بين «أداء التكليف» و«العلم بالنتيجة» إنزلوا إلى إنكار
علم الإمام بصورة كلية بمصير هذه النهضة! فأثاروا الشكوك إزاء الأدلة التاريخية
والروائية كافّة الواردة بهذا الشأن! وقد تناسوا أنَّ نتيجة العمل ليس من شأنها تعيين
وظيفة أولياء الله. فالمهم في المدرسة الدينية تشخيص الوظيفة والعمل بها، وتأتي
النتيجة المتوخاة في المرحلة الثانية. وتفيد تعاليم القرآن والإسلام وسيرة
المعصومين عليه السلام أنَّ الولاية وإن منحت لـ «الوظيفة» و«النتيجة» لكن «العمل
بالوظيفة» مقدم على «بلوغ النتيجة».

بعبارة أخرى: يجب على كل فرد مؤمن الحركة للقيام بالوظيفة، فإن ظفر
بالنتيجة المتوخاة، فأنعم بذلك، وإن لم يحققها، فإنَّ نفس هذا الفعل في الإنطلاق
للإتيان بالوظيفة مطلوب ومهم يمكنه سوق الأفراد المتقاعسين للعمل. ذلك لأنَّ
أغلب المخلفين يتذرعون بالشك في حصول النتيجة بغية التقاعس عن أداء الوظيفة

١. اللهوف، ص ٣٥.

والظفر بالنتيجة.

ومن هنا في الوقت الذي كان يتحدث فيه الإمام عليه السلام صراحة عن قتله وأصحابه، كان يتحدث عن الدوافع الدينية لنهضته بصفته وظيفته شرعية وتكليفاً دينياً، حتى قال إنَّ غدر الآخرين وقلة عدد الأصحاب لا يثنيه عن تكليفه. فقد أشار عليه السلام إلى هذه النقطة يوم عاشوراء قبل بدء القتال فقال:

«أَلَا قَدْ أَعَذَّرْتُ وَأَنْذَرْتُ، أَلَا إِنِّي زَاحِفٌ بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ عَلَى قَلَّةِ الْعِتَادِ وَخَذَلَةُ الْأَصْحَابِ»^١.

نعم، فالإمام عليه السلام كان بصدد أداء التكليف وقلة الناصر لا تُثنيه عن عزمه. ولهذا فرغم علمه التام بمصيره نهض بدافع تشكيل الحكومة الإسلامية، فكان ذلك بحكم «العمل بالوظيفة» كما جرت سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام على ضوء «التكليف الشرعي» و«العمل بالوظيفة» حيث كانوا يشعرون إثر ذلك بتحقيقهم للنصر، أو تحقيق الحسينيين^٢ النصر أو الشهادة - حسب ما ورد في القرآن. فهم منصورون إن قُتلوا أو قُتلوا. ومن هنا قال الإمام الحسين عليه السلام:

«إِنْ نَزَلَ الْقَضَاءُ بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نِعْمَائِهِ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَدَاءِ الشُّكْرِ، وَإِنْ حَالَ الْقَضَاءُ دُونَ الرَّجَاءِ، فَلَمْ يَعْتَدُ مَنْ كَانَ الْحَقُّ نِيَّتَهُ وَالتَّقْوَى سَرِيرَتَهُ»^٣.

فكانت نهضة الإمام عليه السلام إحدى المظاهر العظيمة «للعمل بالوظيفة» مهما كانت النتيجة، لذلك قال:

«أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مَا أَرَادَ اللَّهُ بِنَا، قُتِلْنَا أَمْ ظَفَرْنَا»^٤.

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.

٢. سورة التوبة، الآية ٥٢.

٣. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٩٠.

٤. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٩٧.

وبناءً على ما تقدم أتضح أن لا منافاة بين العلم بعاقبة العمل (القتل) والعمل بالوظيفة (النهضة من أجل تشكيل الحكومة الإسلامية).

❦❦❦

ولابدّ من الإشارة إلى نقطة في الختام وهي أنّ وجود الدافع لتشكيل الحكومة في هذه الثورة المقدّسة، لا يعني الظفر عملياً بتلك الحكومة في تلك الحقبة الزمانية، بل كان قتله ﷺ تمهيداً لقطع أيدي سليلي عصر الجاهلية عن التطاول مستقبلاً على الحكومة الإسلامية، وهذا ما كان ينشده الإمام ﷺ.

أضف إلى ذلك أنّ دوافع ثورة الإمام ﷺ لا تقتصر على ذلك الهدف، فهناك عدّة أهداف ذات صلة بتحقيق هذه النهضة المقدّسة والتي أشرنا إليها سابقاً.

❦❦❦

القسم الرابع

أحداث ثورة عاشوراء

من مدينة إلى كربلاء

تمهيد

يبحث هذا الفصل في موردين:

المورد الأول: (من المدينة إلى كربلاء) ويستعرض الحوادث والمتغيرات التي تتصل بسيرة الإمام الحسين عليه السلام في عصر خلافة معاوية إلى شهادته في كربلاء، وفي هذا المسار التاريخي يتمّ البحث عن تفاصيل الحوادث والوقائع التي تحكي عن روحية المواجهة والاستقامة والصمود التي كان يتمتع بها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه من جهة، ومن جهة أخرى يتمّ استعراض سلسلة من الحوادث التاريخية التي انتهت بواقعة عاشوراء سنة ٦١ للهجرة والتي انتهت بشهادة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأصحابه الميامين.

المورد الثاني: (من كربلاء إلى المدينة) وسوف نتناول في هذا المورد الحوادث المتعلقة بمسيرة أهل البيت عليهم السلام بعد رجوعهم من كربلاء وحضورهم في الكوفة وما جرى لهم في الشام، وعودتهم مرة أخرى إلى المدينة المنورة. والجدير بالذكر أنّ دراسة هذه الحوادث والوقائع ناظرة في الأساس إلى بعض النقاط الأساسية التي تمّ تسليط الأضواء عليها من موقع التحليل أو التجليل.

١. خطبة أم كلثوم

نقل المرحوم البحراني في كتاب «العوالم»: «إنّ معاوية كتب إلى مروان وهو عامله على الحجاز يأمره أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد فأتى

عبد الله بن جعفر فأخبره بذلك فقال: عبد الله إن أمرها ليس إليّ إنما هو إلى سيدنا الحسين (عليه السلام) وهو خالها فأخبر الحسين بذلك. فقال: أستخير الله تعالى اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين (عليه السلام) وعنده من الجلّة وقال: إن أمير المؤمنين أمرني بذلك وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ مع صلح ما بين هذين الحيين مع قضاء دينه واعلم أنّ من يغطكم بيزيد أكثر ممّن يغطه بكم والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفو من لا كفو له وبوجهه يستسقى الغمام فرد خيراً يا أبا عبد الله فقال الحسين (عليه السلام):

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَنَا لِنَفْسِهِ، وَارْتَضَانَا لِدِينِهِ وَاصْطَفَانَا عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابَهُ وَوَحْيَهُ، وَأَيَّمُ اللَّهُ لَا يَنْقُصُنَا أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا انْتَقَصَهُ مِنْ حَقِّهِ، فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَلَا يَكُونُ عَلَيْنَا دَوْلَةٌ إِلَّا كَانَتْ لَنَا الْعَاقِبَةُ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ. يَا مَرْوَانُ قَدْ قُلْتَ فَسَمِعْنَا.

أَمَّا قَوْلُكَ: مَهْرُهَا حُكْمُ أَبِيهَا بِالْغَا مَا بَلَغَ، فَلَعَمْرِي لَوْ أَرَدْنَا ذَلِكَ مَا عَدَوْنَا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ فِي بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ اثْنَتَا عَشْرَةَ أَقِيَّةً، يَكُونُ أَرْبَعِمِائَةً وَثَمَانِينَ دِرْهَمًا.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: مَعَ قَضَاءِ دَيْنِ أَبِيهَا، فَمَتَى كُنَّ نِسَائُنَا يَقْضِينَ عَنَّا دُيُونَنَا؟ وَأَمَّا صَلَاحُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ، فَإِنَّا قَوْمٌ عَادَيْنَاكُمْ فِي اللَّهِ، وَلَمْ نَكُنْ نَصَالِحُكُمْ لِلدُّنْيَا، فَلَعَمْرِي فَلَقَدْ أَغْيَى النَّسَبُ فَكَيْفَ السَّبَبُ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: الْعَجَبُ لِيَزِيدَ كَيْفَ يَسْتَمْهَرُ؟ فَقَدْ اسْتَمْهَرَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ يَزِيدَ، وَمِنْ أَبِي يَزِيدَ وَمِنْ جَدِّ يَزِيدَ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ يَزِيدَ كُفُو مَنْ لَا كُفُو لَهُ، فَمَنْ كَانَ كُفُوهُ قَبْلَ الْيَوْمِ فَهُوَ كُفُوهُ الْيَوْمِ مَا زَادَتْهُ فِي الْكَفَاءَةِ شَيْئاً.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: بِوَجْهِهِ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ، فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِوَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم).

وَأَمَّا قَوْلُكَ: مَنْ يَغِطُنَا بِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَغِطُهُ بِنَا، فَإِنَّمَا، يَغِطُنَا بِهِ أَهْلُ الْجَهْلِ، وَيَغِطُهُ بِنَا أَهْلُ الْعَقْلِ.

فَأَشْهَدُوا جَمِيعاً إِنِّي قَدْ زَوَّجْتُ أُمَّ كُلْثُومَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ مِنْ ابْنِ عَمِّهَا الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرٍ؛ عَلَى أَرْبَعَمِائَةٍ وَثَمَانِينَ دِرْهَمًا، وَقَدْ نَحَلْتُهَا ضَيْعَتِي بِالْمَدِينَةِ «أَوْ قَالَ» أَرْضِي بِالْعَقِيقِ، وَإِنْ غَلَّتْهَا فِي السَّنَةِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ دِينَارٍ، فَفِيهَا لَهُمَا غِنًى إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^١.



كان هذا الكلام سهماً نبت في قلب يزيد خصوصاً وبني أمية عموماً وأحبطت الخطة التي أعدت لخداع الناس عن طريق التقرب من بني هاشم. فقد كان بنو أمية من العناصر المقيمة والملوثة التي أرادت الظفر بالشرف عن طريق الانتساب لبني هاشم وترسيخ دعائم سلطتها الشيطانية؛ وأحد نماذج ذلك خطبة أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر. إلا أن الإمام الحسين (عليه السلام) حسم الأمر ورد كيدهم إلى نحورهم، ولم تلوث ساحة بني هاشم المقدسة بالانتساب لبني أمية.

٢. الخوف من اسم علي (عليه السلام)

استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة وأمره أن يفرض لشباب قريش ففرض لهم فقال: علي بن الحسين (عليه السلام) فأتيته. فقال: ما اسمك فقلت: علي بن الحسين. فقال: ما اسم أخيك. فقلت: علي. فقال: علي وعلي ما يريد أبوك أن يدع أحداً من ولده إلا سَمَّاهُ علياً ثم فرض لي فرجعت إلى أبي (عليه السلام) فأخبرته فقال: «وَيْلِي عَلَى ابْنِ الزَّرْقَاءِ دَبَاغَةَ الْأُدْمِ، كَوْ وَلَدَ لِي مِائَةً لَا حُبِّتُ أَنْ لَا أُسَمِّيَ أَحَدًا

١. العوالم، ج ١٧، ص ٨٧، ح ٢؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٤٤-٤٥ (مع اختلاف يسير) وبحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٠٧-٢٠٨، ح ٤.

مِنْهُمْ إِلَّا عَلِيًّا^١.

❦

نعم أراد أعداء الإسلام وأهل البيت عليه السلام محو أسم علي من أذهان الناس، إلا أن أبناء علي عليه السلام سعوا إلى ترسيخ هذا الاسم في القلوب. ومن هنا اختار الإمام الحسين عليه السلام اسم علي لجميع ولده ليكون شوكة في عيون الظالمين.

٣. الفخر بفاطمة فقط!

روى المرحوم الطبرسي في الاحتجاج قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن علي عليه السلام: لولا فخركم بفاطمة بما كنتم تفتخرون علينا. فوثب الحسين عليه السلام وكان عليه السلام شديد القبضة فقبض على حلقه فعصره ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه ثم تركه وأقبل الحسين عليه السلام على جماعة من قريش فقال:

«أُنشِدُكُمْ بِاللَّهِ إِلَّا صَدَّقْتُمُونِي إِنْ صَدَقْتُ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ فِي الْأَرْضِ حَبِيبَيْنِ كَانَا أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي وَمِنْ أَخِي؟ أَوْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّ غَيْرِي وَغَيْرِ أَخِي؟

قَالُوا: أَللَّهُمَّ لَا.

قال: وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مَلْعُونُ ابْنُ مَلْعُونٍ غَيْرُ هَذَا وَأَبِيهِ طَرِيدِي رَسُولِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَا بَيْنَ جَابَرْسَ وَجَابَلَقَ بِيَابِ الْمَشْرِقِ وَالْآخِرِ بِيَابِ الْمَغْرِبِ رَجُلَانِ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ أَعْدَى لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْكَ وَمِنْ أَبِيكَ إِذْ كَانَ وَعَلَامَةُ قَوْلِي فِيكَ أَنَّكَ: إِذَا غَضِبْتَ سَقَطَ رِدَاؤُكَ عَنْ مَنْكَبِكَ^٢.

❦

١. الكافي، ج ٦، ص ١٩، ح ٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢١١، ح ٨.

٢. الاحتجاج، ج ٢، ص ٩٦، ح ١٦٦؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٥٨ (باختصار) وبحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٠٦، ح ٢.

أَصْرَ بَنِي أُمِيَّةَ عَلَى إِزَالَةِ مَفَاخِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام فَإِنْ عَجَزُوا قَلَّلُوا مِنْ شَأْنِهَا عَلَى الْأَقْلَ حَيْثُ نَشَاهِدُ نُمُودَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ. إِلَّا أَنَّ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عليه السلام بِمَنْطَقِهِ الرِّسَالِي أَلْقَمَ هَذَا الْأُمُويَ الْقَذْرَ وَالْمَعَادِي لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام حَجْرًا، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ مَفَاخِرَهُمْ أَوْسَعُ وَأَشْمَلُ بَغْضِ النَّظَرِ عَنْ فَخْرِهِمْ بِفَاطِمَةَ عليها السلام.

٤. مصادرة أموال عامة

ورد في الخبر أَنَّ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عليه السلام صَادَرَ الْأَمْوَالَ الَّتِي حَمَلَتْ إِلَى مُعَاوِيَةَ مِنَ الْيَمَنِ، وَكَتَبَ لِمُعَاوِيَةَ:

«مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ عِيرًا مَرَّتْ بِنَا مِنْ الْيَمَنِ تَحْمِلُ مَالًا وَخَلَلًا وَعَنْبَرًا وَطَبِيبًا إِلَيْكَ، لِتُودَّعَهَا خَزَائِنَ دِمَشْقَ، وَتَعْلَ بِهَا بَعْدَ النَّهْلِ بَيْتِي أَبِيكَ، وَإِنِّي اخْتَجْتُ إِلَيْهَا فَأَخَذْتُهَا وَالسَّلَامُ»^١.



فغضب معاوية لما سمع بالخبر، سيما أَنَّهُ يَعْتَقِدُ بِجَدِيدَةِ خَطَرِ بَنِي هَاشِمٍ إِنْ زَادَتْ أَمْوَالُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ سِوَى الصَّمْتِ وَالسَّكُوتِ.

٥. المنع عن لقاء الحسين!

روى البلاذري: أَنَّ الْوَلِيدَ ابْنَ عَتْبَةَ وَالِي الْمَدِينَةَ مَنَعَ أَهْلَ الْعِرَاقِ مِنْ لِقَاءِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَكَتَبَ لَهُ عليه السلام:

«يَا ظَالِمًا لِنَفْسِهِ، عَاصِيًا لِرَبِّهِ، عَلَامَ تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمٍ عَرَفُوا مِنْ حَقِّي مَا جَهِلْتَهُ أَنْتَ وَعَمُّكَ؟»^٢.



١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٨، ص ٤٠٩؛ ناسخ التواريخ، ج ١، ص ١٩٥.

٢. أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١٥٦-١٥٧، ح ١٥.

نعم، فبنوا أُمّية كانوا يعلمون بموضع أهل البيت عليهم السلام بصورة تامة وخاصة الإمام الحسين عليه السلام في قلوب الناس، وارتباطهم بالناس إنّما يهزّ عروش حكومتهم، ومن هنا سعوا بكل الوسائل لقطع هذا الارتباط. أجل كان أولئك يربعون من لقاء الناس بالأمام الحسين عليه السلام، وكانوا يخلقون العراقيل لعشاق أهل البيت عليهم السلام، لكن الحسين عليه السلام كان يثور عليهم بسيف لسانه ويوطد ارتباطه بالناس.

٦. غلظة الإمام الحسين عليه السلام على معاوية

روى المرحوم الطبرسي في كتابه الإحتجاج: أنّ معاوية لما قتل «حجر بن عدي» وأصحابه، حجّ ذلك العام فلما رأى الإمام الحسين عليه السلام قال له: يا أبا عبد الله! هل بلغك ما فعلنا بحجر وأصحابه؟ فقال عليه السلام: وما صنعت بهم؟ قال: قتلناهم وكفّناهم وصلّينا عليهم! فتبسم الإمام عليه السلام ممتعظاً وقال:

«خَضُمُكَ الْقَوْمُ يَا مُعَاوِيَةَ، لَكِنَّا لَوْ قَتَلْنَا شِيعَتَكَ مَا كَفَّناهُمْ وَلَا صَلَّينا عَلَيْهِمْ وَلَا قَبَرناهُمْ، وَلَقَدْ بَلَّغَني وَقِيعَتُكَ فِي عَلِيٍّ وَقِيَامِكَ بِبُغْضِنَا، وَاعْتِراضِكَ بَنِي هَاشِمٍ بِالْعُيُوبِ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى نَفْسِكَ، ثُمَّ سَلِّها الْحَقَّ عَلَيْها وَلِها ... فَإِنَّكَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَطَعْتَ فِينا رَجُلًا ما قَدِمَ إِسلامُهُ، وَلَا حَدَثَ نِفاقُهُ، وَلَا نَظَرَ لَكَ فَانْظُرْ أَوْ دَعْ»^١.

❦❦❦

أراد معاوية استعراض عضلاته بذلك الكلام وتهديد الإمام عليه السلام والاستخفاف بشيعة علي عليه السلام؛ إلّا أنّ الإمام عليه السلام ردّ عليه فألقمه حجراً. كما أشار إلى أحد الجذور المهمّة لشقائه، أي طاعته لعمر بن العاص.

❦❦❦

١. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٨٨-٨٩، ج ١٦٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٢٩-١٣٠، ح ١٩.

٧. رسالة الإمام عليه السلام الشديدة اللهجة لمعاوية

كتب الإمام الحسين عليه السلام في رده على رسالة معاوية^١:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ تَذَكُّرُ فِيهِ أَنَّهُ انْتَهَتْ إِلَيْكَ عَنِّي أُمُورٌ لَمْ تَكُنْ تَتُنَبِّئُنِي بِهَا ... وَإِنَّ الْحَسَنَاتِ لَا يَهْدِي لَهَا وَلَا يُسَدِّدُ إِلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ أَنَّهُ رُقِيَ إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّمَا رَقَاءُ الْمَلَاقُونَ الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ بَيْنَ الْجَمْعِ، وَكَذِبَ الْغَاوُونَ الْمَارِقُونَ، مَا أَرَدْتُ حَرْبًا وَلَا خِلَافًا، وَإِنِّي لِأَخْشَى اللَّهَ فِي تَرْكِ ذَلِكَ مِنْكَ وَمِنْ حِزْبِكَ الْقَاسِطِينَ الْمُحِلِّينَ، حِزْبِ الظَّالِمِ، وَأَعْوَانِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. أَلَسْتُ قَاتِلَ حُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ الْعَابِدِينَ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَقْطِعُونَ الْبِدْعَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟! فَفَقَتَلْتَهُمْ ظُلْمًا وَعُدُوَانًا مِنْ بَعْدِ مَا أُعْطِيَتْهُمْ الْمَوَاقِيقُ الْغَلِيظَةُ، وَالْعُهُودُ الْمُؤَكَّدَةُ جُرْأَةً وَاسْتِخْفَافًا بِعَهْدِهِ. أَوَلَسْتُ بِقَاتِلِ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ الَّذِي أَخْلَقْتَ وَأَبْلَغْتَ وَجْهَهُ الْعِبَادَةُ؟ فَفَقَتَلْتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا أُعْطِيَتْهُ مِنَ الْعُهُودِ مَا لَوْ فَهِمْتَهُ الْعُصْمُ نَزَلَتْ مِنْ شَعَفِ الْجِبَالِ. أَوَلَسْتُ الْمُدَّعِي زِيَادًا^٢ فِي الْإِسْلَامِ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَقَدْ قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَّ الْوَلَدَ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ». ثُمَّ سَلَّطْتَهُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَقْتُلُهُمْ وَيَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَيُصَلِّبُهُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا مُعَاوِيَةَ! لَكَأَنَّكَ لَسْتُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَيْسُوا مِنْكَ أَوْ لَسْتُ قَاتِلَ الْحَضَرَمِيِّ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْكَ فِيهِ زِيَادٌ أَنَّهُ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَدِينُ عَلِيٍّ هُوَ دِينُ ابْنِ عَمِّهِ ﷺ الَّذِي أَجْلَسَكَ مَجْلِسَكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ وَلَوْلَا ذَلِكَ كَانَ شَرَفُكَ

١. هذه رسالة جوابية لمعاوية الذي بعث برسالة ظن أنه نصحه وهدده فيها وقد وردت رسالة معاوية في الغدير،

ج ١٠، ص ٢٤.

٢. كان زياد مجهول الحال نسباً من جانب أب، بل كان يدعى لأتمه ويقال له «زياد بن سمية» أو «زياد بن أبيه»، وكان أبو سفيان يربطه بأم زياد رابطة قديمة وفي جلسة خاصة أعلن معاوية أن زياداً أخاه من أبيه وهو ابن أبي سفيان وبذلك ارتكب هذه الجريمة البشعة وابتدعها في التاريخ.

وَشَرَفُ آبَائِكَ تَجَشُّمَ الرِّحْلَتَيْنِ^١: رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَوَضَعَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ بِنَا مِنَّةً عَلَيْكُمْ، وَقُلْتَ فِيمَا قُلْتَ: لَا تَرُدَّنْ هَذِهِ الْأُمَّةَ فِي فِتْنَةٍ. وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ لَهَا فِتْنَةً أَعْظَمَ مِنْ إِمَارَتِكَ عَلَيْهَا.

وَقُلْتَ فِيمَا قُلْتَ: أَنْظِرْ لِنَفْسِكَ وَلِدِينِكَ وَلِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ. وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ أَفْضَلَ مِنْ جِهَادِكَ، فَإِنْ أَفْعَلْ فَإِنَّهُ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّي، وَإِنْ لَمْ أَفْعَلْهُ فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدِينِي، وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى.

وَقُلْتَ فِيمَا قُلْتَ: مَتَى تَكِدُنِي أَكِيدُكَ، فَكِدُنِي يَا مُعَاوِيَةَ فِيمَا بَدَأَكَ، فَلَعُمْرِي لَقَدِيمًا يُكَادُ الصَّالِحُونَ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تُضُرَّ، إِلَّا نَفْسَكَ وَلَا تَمَحِّقْ إِلَّا عَمَلَكَ، فَكِدُنِي مَا بَدَأَكَ، وَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ! وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ كِتَابًا لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِنَاسٍ لَكَ قَتْلَكَ بِالظُّنَّةِ، وَأَخْذَكَ بِالتُّهْمَةِ، وَإِمَارَتَكَ صَبِيًّا يَشْرَبُ الشَّرَابَ، وَيَلْعَبُ بِالْكِلَابِ، مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ أَوْبَقْتَ نَفْسَكَ، وَأَهْلَكَتَ دِينَكَ، وَأَضَعْتَ الرِّعِيَّةَ وَالسَّلَامَ»^٢.

❦❦❦

إنَّ هذه الرسالة الشجاعة والرصينة والدقيقة للإمام الحسين عليه السلام وفي ذلك الزمان الذي لا يمتلك فيه قدرة ظاهرية إزاء سلطان ظالم وجبار كمعاوية الذي يسيطر على كل شيء، الرسالة التي تفضح التاريخ المشين لبني أمية وتعرض لهم بالنقد، تشير إلى أَنَّ الإمام عليه السلام لم يتخل عن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى على عهد اقتدار معاوية، وينعت حكومة معاوية صراحة باللا إسلامية واللا إنسانية.

وقد أشار عليه السلام في رسالته إلى ثلاث وقائع من التاريخ الأسود لمعاوية وكل واحدة

١. إشارة إلى الرحلة التجارية التي كانت تقوم بها قريش في أيام الجاهلية قبل الإسلام، رحلة في فصل الشتاء إلى الجنوب يعني الأراضي اليمنية حيث موسم الحار، ورحلة في الصيف إلى الشام حيث يكون هوائها ملائمة في هذا الفصل.

٢. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٠٢-٢٠٤؛ الغدير، ج ١٠، ص ١٦٠-١٦١.

منها يندى لها جبين التاريخ:

الأولى: سفك دماء المؤمنين الأتقياء الذين يعدون أسوة الجهاد ومقاومة الظلم مثل «حجر بن عدي» و«عمرو بن الحمق».

الثانية: إحياء سنن الجاهلية ومخالفة القانون الإسلامي «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

الثالثة: منح المناصب الحساسة في البلاد الإسلامية لأغلب الرجال عديمي الشخصية.

وأخيراً يعتبر الإمام (عليه السلام) في هذه الرسالة جهاد الجهاز الفرعوني لمعاوية من أهم آماله ولا يشعر بأدنى وجل من تهديده ووعيده.

٨. الرسالة المذكورة في رواية أخرى

طبق رواية أخرى كتب سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) في رده على رسالة معاوية:

«أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ، تَذَكُّرُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَكَ عَنِّي أُمُورٌ أَنْتَ لِي عَنْهَا رَاغِبٌ، وَأَنَا بِغَيْرِهَا عِنْدَكَ جَدِيرٌ، فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ لَا يَهْدِي لَهَا وَلَا يُسَدِّدُ إِلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّمَا رَقَاهُ الْمَلَائِقُونَ الْمَشَاءُونَ بِالنِّمِيمَةِ، وَمَا أَرَدْتُ حَرْباً وَلَا خِلَافاً، وَأَيُّمُ اللَّهِ إِنِّي لَخَائِفٌ لِلَّهِ فِي تَرْكِ ذَلِكَ ...

أَلَسْتُ الْقَاتِلَ حُجْراً أَخَا كِنْدَةَ وَالْمُصَلِّينَ الْعَابِدِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُنْكِرُونَ الظُّلْمَ وَيَسْتَعْظِمُونَ الْبِدْعَ، وَلَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَانِمْ، ثُمَّ قَتَلْتَهُمْ ظُلْماً وَعُدُوَاناً مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ أَعْطَيْتُهُمُ الْإِيمَانَ الْمَغْلَظَةَ، وَالْمَوَاتِيقَ الْمُؤَكَّدَةَ، وَلَا تَأْخُذْهُمْ بِحَدَثٍ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَلَا بِأَحَنَّةٍ تَجِدُهَا فِي نَفْسِكَ.

أَوْ لَسْتُ بِقَاتِلِ عَمْرٍو بْنِ الْحَمِقِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَبْدِ الصَّالِحِ الَّذِي أَبْلَتْهُ الْعِبَادَةُ، فَتَحَلَّ جِسْمُهُ، وَصَفَرَ لَوْنُهُ، بَعْدَ مَا أَمَّنْتَهُ وَأَعْطَيْتَهُ مِنْ عُهُودِ اللَّهِ وَمَوَاتِيقِهِ مَا

لَوْ أَعْطَيْتُهُ طَائِرًا لَنَزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ جُرْأَةً عَلَى رَبِّكَ وَاسْتِخْفَافًا بِذَلِكَ الْعَهْدِ.

أَوْ لَسْتَ الْمُدَّعِي زِيَادَ بْنِ سُمَيَّةَ الْمُؤَلَّدِ عَلَى فِرَاشِ عُيَيْدٍ ثَقِيفٍ، فَرَعَمْتَ أَنَّهُ ابْنُ أَبِيكَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»، فَتَرَكْتَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ تَعَمَّدًا وَتَبَعْتَ هَوَاكَ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ سَلَّطْتَهُ عَلَى الْعِرَاقَيْنِ، يَقْطَعُ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ وَأَرْجُلَهُمْ، وَيَسْمَلُ أَعْيُنَهُمْ وَيُصَلِّبُهُمْ عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ، كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَيْسُوا مِنْكَ.

أَوْ لَسْتَ صَاحِبَ الْحَضَرَمِيِّينَ الَّذِينَ كَتَبَ فِيهِمْ ابْنُ سُمَيَّةَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى دِينِ عَلِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَقْتُلْ كُلَّ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ، فَقَتَلَهُمْ وَمَثَلَ بِهِمْ بِأَمْرِكَ، وَدِينَ عَلِيٍّ ﷺ الَّذِي كَانَ يَضْرِبُ عَلَيْهِ أَبَاكَ وَيَضْرِبُكَ، وَبِهِ جَلَسْتَ مَجْلِسَكَ الَّذِي جَلَسْتَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ شَرَفُكَ وَشَرَفُ أَبِيكَ الرَّحْلَتَيْنِ.

وَقُلْتَ فِيمَا قُلْتَ: «أُنْظُرْ لِنَفْسِكَ وَلِدِينِكَ وَلِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، وَاتَّقِ شَقَّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَنْ تَرُدَّهُمْ إِلَى فِتْنَةٍ». وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِتْنَةً أَعْظَمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ وَلَا يَتَكَ عَلَيْهَا، وَلَا أَعْلَمُ نَظْرًا لِنَفْسِي وَلِدِينِي وَلِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَيْنَا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أَجَاهِدَكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّهُ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدُنْيِي، وَأَسْأَلُهُ تَوْفِيقَهُ لِإِرْشَادِ أَمْرِي.

وَقُلْتَ فِيمَا قُلْتَ: «إِنِّي أَنْكَرْتُكَ تُنْكَرُنِي، وَإِنْ أَكِدْكَ تَكِدُنِي». فَكَدَّنِي مَا بَدَأَكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ لَا يَضُرَّنِي كَيْدُكَ فِيَّ، وَأَنْ لَا يَكُونَ عَلَى أَحَدٍ أَضَرٌّ مِنْهُ عَلَى نَفْسِكَ، لِأَنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ جَهْلَكَ، وَتَحَرَّصْتَ عَلَى نَقْضِ عَهْدِكَ، وَلَعَمْرِي مَا وَفَيْتَ بِشَرْطٍ، وَلَقَدْ نَقَضْتَ عَهْدَكَ بِقَتْلِكَ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمْ بَعْدَ الصُّلْحِ وَالْإِيمَانِ وَالْعَهْدِ وَالْمَوَاتِيقِ، فَقَتَلْتَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا قَاتِلُوا وَقَتَلُوا وَلَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَّا لِذِكْرِهِمْ فَضْلَنَا، وَتَعْظِيمِهِمْ حَقًّا، فَقَتَلْتَهُمْ مَخَافَةَ أَمْرِ لَعَلَّكَ لَوْ لَمْ تَقْتُلْهُمْ مِتَّ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلُوا أَوْ مَاتُوا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكُوا.

فَأَبَشِرْ يَا مُعَاوِيَةَ بِالْقِصَاصِ، وَاسْتَيْقِنْ بِالْحِسَابِ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كِتَابًا ﴿١﴾ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^١، وَلَيْسَ اللَّهُ بِنَاسٍ لِأَخْذِكَ بِالظَّنَّةِ، وَقَتْلِكَ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى الثُّمِّ، وَنَفْيِكَ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ دُورِهِمْ إِلَى دَارِ الْغُرْبَةِ، وَأَخْذِكَ النَّاسَ بِنَيْعَةٍ ابْنِكَ غُلَامٍ حَدَثٍ، يَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَيَلْعَبُ بِالْكِلاِبِ، لَا أَعْلَمُكَ إِلَّا وَقَدْ خَسِرْتَ نَفْسَكَ، وَبَثَرْتَ دِينَكَ، وَعَشَشْتَ رَعِيَّتَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ، وَسَمِعْتَ مَقَالََةَ السَّفِيهِ الْجَاهِلِ، وَأَخَفْتَ الْوَرَعَ التَّقِيَّ لِأَجْلِهِمْ وَالسَّلَامُ»^٢.



فلما قرأ معاوية الكتاب قال: لقد كان في نفسه ضب ما أشعر به. فقال يزيد: يا أمير المؤمنين أجبه جواباً يصغر إليه نفسه وتذكر فيه أباه بشر فعله، قال ودخل عبدالله بن عمرو بن العاص فقال له معاوية: أمّا رأيت ما كتب به الحسين. قال: وما هو؟ قال: فأقرئه الكتاب فقال: وما يمنحك أن تجيبه بما يصغر إليه نفسه وإنّما قال ذلك في هوى معاوية. فقال يزيد: كيف رأيت يا أمير المؤمنين رأيي فضحك معاوية. فقال: أمّا يزيد فقد أشار علي بمثل رأيك قال: عبد الله فقد أصاب يزيد.

فقال معاوية: أخطأتما أرايتما لو إنّي ذهبت لعيب علي محققاً ما عسيت أن أقول فيه ومثلي لا يحسن أن يعيب بالباطل وما لا يعرف ومتى ما عبت رجلاً بما لا يعرفه الناس لم يحفل بصاحبه ولا يراه الناس شيئاً وكذبوه وما عسيت أن أعيب حسيناً والله ما أرى للعيب فيه موضعاً وقد رأيت أن أكتب إليه أتوعده وأتهده ثم رأيت أن لا أفعل ولا أمحكه.

كما أسلفنا فإنّ الإمام عليه السلام وجه لمعاوية في هذه الرسالة أصابع الاتهام ليصدر أحكامه عليه ويدينه، وصرّح بذمه وتقريعه ولم يبق له من باقية. أضف إلى ذلك

١. سورة الكهف، الآية ٤٩.

٢. رجال الكشي، ص ٤٩-٥١؛ الإحتجاج، ج ٢، ص ٨٩-٩٣ (مع اختلاف يسير) وبحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢١٢-٢١٤.

أعلن الحرب عملياً ليراه مستحقاً لكل عقاب وإنتهاك. ويدل هذا على أن مواجهة بني أمية لم تشرع منذ عهد يزيد بل منذ عهد أبيه معاوية.

٩. حكومة معاوية أعظم فتنة!

روي أن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية وهو عامله على المدينة: «أما بعد أن رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين وذكر أنه لا يأمن وثوبه وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه لا يريد الخلاف يومه هذا ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده فاكتب إلي برأيك في هذا والسلام».

وكتب معاوية إلى الحسين بن علي عليه السلام:

«أما بعد فقد انتهت إلي أمور عنك إن كانت حقاً فقد أظنك تركتها رغبة فدعها، ولعمر الله إن من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، فإن كان الذي بلغني باطلاً فأنت أنت أعزل الناس لذلك، وعظ نفسك، فاذكر، وبعهد الله أوف فأنت متى ما تنكرني أنكرك ومتى ما تكذني أكذك...».

فلما وصل الكتاب إلى الحسين صلوات الله عليه كتب إليه:

«أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عني جدير، والحسنات لا يهدي لها إلا الله، وما أردت لك محاربة ولا عليك خلافاً، وما أظن أن لي عند الله عذراً في ترك جهادك!!».

ولما قرأ معاوية الكتاب قال:

«إن أثرتنا بأبي عبد الله إلا أسداً»^١.



نعم، فبمسالة الإمام الحسين عليه السلام اتضحت منذ بداية حركته بحيث يراه ألد الأعداء الغاشمين والمقتدرين مثل معاوية «أسداً»، وهل يرجى منه غير ذلك وهو ابن «أسد

١ . مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج ٧، ص ١٣٧ (سيرة الإمام الحسين).

الله وأسد رسوله».

وكانت هذه الرسائل توجب نيران العداوة والبغضاء كل يوم في قلوب بني أمية ليفكروا في الشر، ولكن ممّا لا شك فيه لا يخفى التأثير العميق لهذه الرسائل في احتواء استبداد هذه الأسرة القذرة والشجرة الخبيثة.

١٠. تقرير معاوية على إختيار يزيد

روى القاضي نعمان المصري^١ أنّ الإمام الحسين عليه السلام كتب رسالة لمعاوية أدانه وقرعه فيها على ما ارتكبه من أفعال قبيحة. وممّا جاء فيها:

«ثُمَّ وَلَيْتَ ابْنَكَ وَهُوَ غُلَامٌ يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَيَلْهُو بِالْكَلَابِ، فَخُنْتَ أَمَانَتَكَ وَأَخْرَبْتَ رَعِيَّتَكَ، وَلَمْ تُؤَدِّ نَصِيحَةَ رَبِّكَ، فَكَيْفَ تُوَلِّي عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ مَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ؟ وَشَارِبُ الْمُسْكِرِ مِنَ الْفَاسِقِينَ، وَشَارِبُ الْمُسْكِرِ مِنَ الْأَشْرَارِ. وَلَيْسَ شَارِبُ الْمُسْكِرِ بِأَمِينٍ عَلَى دِرْهِمٍ فَكَيْفَ عَلَى الْأُمَّةِ؟! فَعَنْ قَلِيلٍ تَرُدُّ عَلَى عَمَلِكَ حِينَ تُطَوِّى صَحَائِفَ الْإِسْتِغْفَارِ»^٢.



فقد تكهن الإمام عليه السلام بالمستقبل المشؤوم الذي ينتظر المجتمع الإسلامي بعد مجيء يزيد ليذكر أباه الضال بذلك، لم تكن لديه آذان صاغية لسماع نداء الحق، وظل يسبح في بحر من أوهامه وخيالاته الفاسدة.

١١. ردّ الإمام عليه السلام القاطع على معاوية

قام معاوية ببعض الأعمال في المدينة بغية التمهيد لبيعة يزيد، حيث بعث في اليوم الثاني من وصوله للمدينة للحسين عليه السلام وابن عباس. فأتاه ابن عباس فتحدث

١. أحد علماء الإمامية المتوفي في ٣٦٣ هـ - صاحب كتاب دعائم الإسلام.

٢. دعائم الإسلام، ج ٢، ص ١٣٣، ح ٤٦٨.

معه حتى وصل الحسين عليه السلام، فأجلسه معاوية عن يمينه وجعل يسأله عن ولد الحسن عليه السلام.

ثم خطب معاوية بشأن بيعة يزيد وأثنى عليه. فلما أراد ابن عباس الحديث، أشار عليه الحسين عليه السلام بالسكوت، ثم وقف عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال:

«أَمَّا بَعْدُ: يَا مُعَاوِيَةُ! فَلَنْ يُؤَدِّيَ الْقَائِلُ وَإِنْ أَطْنَبَ فِي صِفَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَمِيعِ جُزْءٍ، وَقَدْ فَهِمْتُ مَا لَبَسَتْ بِهِ الْخَلْفَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ إِجْزَارِ الصِّفَةِ وَالتَّنَكُّبِ عَنِ اسْتِبْلَاحِ الْبَيْعَةِ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا مُعَاوِيَةُ! فَضَحَ الصُّبْحُ فَحْمَةً الدُّجَى، وَبَهَرَتِ الشَّمْسُ أَنْوَارَ الشُّرُجِ، وَلَقَدْ فَضَّلْتَ حَتَّى أَفْرَطْتَ، وَأَسْتَأْثَرْتَ حَتَّى أَجْحَفْتَ، وَمَنَعْتَ حَتَّى بَخِلْتَ، وَجُزْتَ حَتَّى جَاوَزْتَ مَا بَذَلْتَ لِذِي حَقٍّ مِنْ أَمٍّ حَقَّهُ بِنَصِيبٍ حَتَّى أَخَذَ الشَّيْطَانُ حَظَّهُ الْأَوْفَرَ، وَنَصِيبَهُ الْأَكْمَلَ، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَهُ عَنْ يَزِيدَ مِنْ اكْتِمَالِهِ وَسِيَاسَتِهِ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تُرِيدُ أَنْ تُوَهِّمَ النَّاسَ فِي يَزِيدَ، كَأَنَّكَ تَصِفُ مَحْجُوبًا، أَوْ تَنْعُتُ غَائِبًا، أَوْ تُخْبِرُ عَمَّا كَانَ مِمَّا اخْتَوَيْتَهُ بِعِلْمٍ خَاصٍّ، وَقَدْ دَلَّ يَزِيدَ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مَوْقِعِ رَأْيِهِ، فَخُذْ لِيَزِيدَ فِيمَا أَخَذَ بِهِ مِنْ اسْتِقْرَائِهِ الْكِلَابِ الْمَهَارِشَةَ عِنْدَ التَّحَارُشِ، وَالْحَمَامِ السَّبْقِ لِاتِّرَابِهِنَّ، وَالْقَيْنَاتِ ذَوَاتِ الْمَعَارِفِ، وَضُرُوبِ الْمَلَاهِي، تَجِدُهُ نَاصِرًا، وَدَعْ عَنْكَ مَا تُحَاوِلُ.

فَمَا أَغْنَاكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ جَوْرَ هَذَا بِأَكْثَرِ مِمَّا أَنْتَ لَاقِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا بَرَحْتَ تُقَدِّرُ بَاطِلًا فِي جَوْرِ، وَحَقًّا فِي ظُلْمٍ، حَتَّى مَلَأْتَ الْأَسْقِيَةَ، وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا غَمُضَةٌ، فَتَقْدِمَ عَلَى عَمَلٍ مَحْفُوظٍ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ، وَرَأَيْتَكَ عَرَضْتَ بِنَا بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَنَعْتَنَا عَنْ آبَائِنَا، وَلَقَدْ لَعَنَ اللَّهُ أَوْرَثَنَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَادَهُ، وَجِئْتُ لَنَا بِهَا مَا حَجَجْتُمْ بِهِ الْقَائِمَ عِنْدَ الرَّسُولِ، فَأَدْعُنَا لِلْحُجَّةِ بِذَلِكَ، وَرَدَّهُ الْإِيمَانُ إِلَى النَّصْفِ، فَارْكَبْتُمُ الْأَعَالِيلَ، وَفَعَلْتُمُ الْأَفَاعِيلَ، وَقُلْتُمْ كَانَ وَيَكُونُ، حَتَّى أَتَاكَ الْأَمْرُ يَا مُعَاوِيَةُ مِنْ طَرِيقٍ كَانَ قَصْدُهَا لِغَيْرِكَ، فَهُنَاكَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي

الْأَبْصَارِ، وَذَكَرَتْ قِيَادَةَ الرَّجُلِ الْقَوْمَ بِعَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَأْمِيرَهُ لَهُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ وَلِعَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ يَوْمَئِذٍ فَضِيلَةً بِصُحْبَةِ الرَّسُولِ، وَبِيعْتِهِ لَهُ، وَمَا صَارَ لِعَمْرٍو يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَنْفَ الْقَوْمِ إِمْرَتَهُ، وَكَرِهُوا تَقْدِيمَهُ وَعَدُّوا عَلَيْهِ أَفْعَالَهُ فَقَالَ ﷺ «لَا جَرَمَ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَا يَعْمَلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ غَيْرِي» فَكَيْفَ يُحْتَجُّ بِالْمَنْسُوحِ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ فِي أَوْكِدِ الْأَحْوَالِ وَأَوَّلَاهَا بِالْمُجْتَمَعِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوَابِ أَمْ كَيْفَ صَاحِبَتِ بِصَاحِبٍ تَابِعٍ وَحَوْلَكَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ فِي صُحْبَتِهِ، وَلَا يُعْتَمَدُ فِي دِينِهِ وَقَرَابَتِهِ، وَتَتَخَطَّاهُمْ إِلَى مُسْرِفٍ مَفْتُونٍ، تُرِيدُ أَنْ تَلْبَسَ النَّاسَ شُبُهَةً يَسْعُدُ بِهَا الْبَاقِي فِي دُنْيَاهُ، وَتَشْقَى بِهَا فِي آخِرَتِكَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ»^١.



إنَّ هذه الخطبة الدقيقة والمنطقية والصريحة والشجاعة في نفس الوقت تشير إلى حقيقة هي:

أولاً: سعى الإمام الحسين عليه السلام بواسطة الدليل والبرهان ليحول دون تسلط معاوية - سيما في نصب يزيد كخليفة - ويذكره بعواقب فعله الدنيوية والأخروية. فعدد قبائح يزيد واستنفار الرأي العام الإسلامي ضده.

ثانياً: ذكر معاوية بأنَّ الرأي العام الإسلامي ضده وضد يزيد، فالجميع يعلم بسوابقه المشينة والتي لا يمكن حجبها والتغطية عليها.

أضف إلى ذلك ذكره بقرب انتهاء أجله وإنذاره مصيره في محكمة العدل الإلهي.

كل ذلك يشير وخلافاً لما يظنه البعض إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يتخل قط عن المواجهة في عصر معاوية.



١. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٠٧-٢٠٩؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٨٣-٥٨٤.

١٢. لا أرى أصلح من يزيد

لما سمع معاوية كلام الإمام الحسين (عليه السلام) اعتزل الناس ثلاثة أيام ثم أمر معاوية بأن يجتمع الناس في المسجد فنهض وأثنى على يزيد وقال: إن الناس رضوا وبايعوا يزيد فبايعوا على اسم الله، ولو علمت في الأمة من هو خير منه لبايعته. فنهض الإمام الحسين (عليه السلام) وقال:

والله لقد تركت من هو خير منه أباً وأماً ونفساً. فقال معاوية كأنك تريد نفسك. قال (عليه السلام) بلى. فقال معاوية: بلى والله أمك خير من أمه كفاها فضلاً أنها بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأما أبوك فاعلم أن الله نصر أباه على أبيك فقال الحسين (عليه السلام): «حَسْبُكَ جَهْلُكَ! آثَرْتَ الْعَاجِلَ، عَلَى الْآجِلِ».

ثم قال معاوية: وأما أنك خير من يزيد فوالله ليزيد خير منك لولاية أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). فقال (عليه السلام):

«هَذَا هُوَ الْإِفْكُ وَالزُّورُ، يَزِيدُ شَارِبُ الْخَمْرِ وَمُشْتَرِي اللَّهْوِ خَيْرٌ مِنِّي».

فقال معاوية: لا تدم ابن عمك، ثم التفت إلى الناس وقال: تعلمون أنه قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يستخلف أحد فأرتضى الناس أبا بكر. فسار بالمسلمين بكتاب الله وسنة رسوله فلما حضرته الوفاة عهد إلى رجل من قريش هو عمر فسار فيهم بكتاب الله وسنة رسوله، ثم جعل الأمر شورى في ستة نفر وكل ذلك ظناً منهم لصالح المسلمين، ولذلك أمرت بأخذ البيعة ليزيد حياشة للاختلاف والفرقة^١.



كان معاوية يدرك من جانب أن المدينة - مركز انطلاق هدى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومركز أقطاب الإسلام بما فيهم المهاجرين والأنصار وأبنائهم - إن لم تباع ولده فلا جدوى من عمله وستراجع سائر المناطق عن البيعة، ولذلك سعى بمختلف الحيل لأخذ البيعة له، من خلال الترغيب والترهيب والخدعة والتغيير وكل وسيلة ممكنة

١. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢١١-٢١٢.

أخرى. إلا أن فشل خططه حال دون تحقيقه لهدفه هو الإمام الحسين عليه السلام الذي حضر جلسات معاوية وكان يلقيه حجراً بتلك الفصاحة والبلاغة والشجاعة التي ورثها من أبيه ويفضحه على رؤوس الأشهاد.

١٣. الخطبة المهمة والمصيرية

روى سليم ابن قيس أن الإمام الحسين عليه السلام حج البيت مع عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر لسنة قبل وفاة معاوية فجمع عليه السلام آل بني هاشم ثم بعث لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منى فكانوا أكثر من سبعمائة نفر أغلبهم من التابعين ومائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخطبهم عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه فقال:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا الطَّاعِيَةَ قَدْ فَعَلَ بِنَا وَبِشِيعَتِنَا مَا قَدْ رَأَيْتُمْ وَعَلِمْتُمْ وَشَهِدْتُمْ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنْ صَدَقْتُ فَصَدِّقُونِي وَإِنْ كَذَبْتُ فَكَذِّبُونِي، وَأَسْأَلُكُمْ بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَرَابَتِي مِنْ نَبِيِّكُمْ لَمَا سَيَّرْتُمْ مَقَامِي هَذَا وَوَصَفْتُمْ مَقَالَتِي وَدَعَوْتُمْ أَجْمَعِينَ فِي أَمْصَارِكُمْ مِنْ قِبَائِلِكُمْ مَنْ آمَنُتُمْ مِنَ النَّاسِ».

وفي رواية أنه قال بعد قوله: «إِنْ كَذَبْتُ فَكَذِّبُونِي».

«إِسْمَعُوا مَقَالَتِي وَاكْتُبُوا قَوْلِي ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَمْصَارِكُمْ وَقِبَائِلِكُمْ فَمَنْ آمَنُتُمْ مِنَ النَّاسِ وَوَقَّعْتُمْ بِهِ فَأَدْعُوهُمْ إِلَى مَا تَعْلَمُونَ مِنْ حَقِّنَا فَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ يَذُرَّ هَذَا الْأَمْرُ وَيَذْهَبَ الْحَقُّ وَيَغْلِبَ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ...».

ثم تلى الإمام الحسين عليه السلام ما نزل من القرآن في أهل البيت وما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشأن علي عليه السلام والزهراء عليهما السلام وأخيه الحسن وأهل بيته عليهم السلام فكانوا يجيبون بلى تشهد بذلك. فقال عليه السلام:

«أُنشِدُكُمْ اللَّهَ إِلَّا حَدَّثْتُمْ بِهِ مَنْ تَتَّقُونَ بِهِ وَبِدِينِهِ...».

روى سليم بن قيس: كان ممّا أشهدهم به الإمام عليه السلام أنه قال:

«أُنشِدْكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ أَخَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَخَى بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَأَخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَقَالَ أَنْتَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟»
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أُنشِدْكُمْ اللَّهُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اشْتَرَى مَوْضِعَ مَسْجِدِهِ وَمَنَازِلِهِ فَأَيْتَنَاهُ ثُمَّ ابْتَنَى فِيهِ عَشْرَةَ مَنَازِلَ تِسْعَةٌ لَهُ وَجَعَلَ عَاشِرَهَا فِي وَسْطِهَا لِأَبِي، ثُمَّ سَدَّ كُلَّ بَابٍ شَارِعٍ إِلَى الْمَسْجِدِ غَيْرَ بَابِهِ فَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ مَنْ تَكَلَّمَ. فَقَالَ: مَا أَنَا سَدَدْتُ أَبْوَابَكُمْ وَفَتَحْتُ بَابَهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِسَدِّ أَبْوَابِكُمْ وَفَتْحِ بَابِهِ، ثُمَّ نَهَى النَّاسَ أَنْ يَنَامُوا فِي الْمَسْجِدِ غَيْرَهُ...»
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أَفَتَعْلَمُونَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَرَصَ عَلَى كُوَّةٍ قَدَرِ عَيْنِهِ يَدْعُهَا فِي مَنْزِلِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَبَى عَلَيْهِ، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ مَسْجِدًا طَاهِرًا لَا يَسْكُنُهُ غَيْرِي وَغَيْرُ أَخِي وَبَنِيهِ؟»
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أُنشِدْكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَصَبَهُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَنَادَى لَهُ بِالْوِلَايَةِ وَقَالَ لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ».
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أُنشِدْكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي؟»
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أُنشِدْكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ دَعَا النَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ لَمْ يَأْتِ بِهِ وَبِصَاحِبَتِهِ وَابْنَتِهِ».
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أُنشِدْكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ دَفَعَ إِلَيْهِ الْإِلَوهَاءَ يَوْمَ خَيْبَرٍ ثُمَّ قَالَ: لَا دَفْعَتَهُ إِلَيَّ

رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، كَرَارٌ غَيْرِ فَرَارٍ يَفْتَحُهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ؟
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ بِبَرَاءَةٍ وَقَالَ: لَا يُبْلَغُ عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي؟»

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ تُنْزَلْ بِهِ شِدَّةٌ قَطُّ إِلَّا قَدَمُهُ لَهَا ثِقَةٌ بِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَدْعُهُ بِاسْمِهِ قَطُّ إِلَّا يَقُولُ: يَا أَخِي وَادْعُوا لِي أَخِي؟».

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَعْفَرٍ وَزَيْدٍ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ وَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي؟».

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّ يَوْمٍ خَلْوَةٌ وَكُلُّ لَيْلَةٍ دَخَلَةٌ، إِذَا سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَإِذَا سَكَتَ أَبْدَاهُ؟».

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَضَّلَهُ عَلَى جَعْفَرٍ وَحَمْزَةَ حِينَ قَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا: زَوْجَتُكَ خَيْرُ أَهْلِ بَيْتِي، أَقْدَمُهُمْ سَلَمًا، وَأَعْظَمُهُمْ حِلْمًا وَأَكْثَرُهُمْ عِلْمًا؟».

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ بَنِي آدَمَ، وَأَخِي عَلِيُّ سَيِّدُ الْعَرَبِ، وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ابْنَاي سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟».

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَهُ بِغُسْلِهِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ جَبْرَائِيلَ يُعِينُهُ عَلَيْهِ؟»
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: «أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خُطَبَاهَا: إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَأَهْلَ بَيْتِي، فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا؟
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

ثم قال ﷺ: «أُنْشِدْكُمْ اللَّهُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَذَّبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي وَيُبْغِضُ عَلِيًّا».

ف قيل له: وكيف ذاك يا رسول الله؟
قال ﷺ: «لَأَنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ فَمَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ عَادَاهُ فَقَدْ عَادَانِي وَمَنْ عَادَانِي فَقَدْ عَادَا اللَّهَ».
فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.. ثم تفرقوا وانصرفوا^١.



والخلاصة فقد بين الإمام ﷺ كل ما ورد في القرآن والسنة بشأن علي وأهل بيته وكان الصحابة والتابعون يؤيدون ذلك (وانتشر هذا الخبر في المدينة).



رام الإمام ﷺ بهذه الخطبة العميقة المعنى في ذلك التجمع العظيم والذي يعتبر آنذاك أهم تجمع من نوعه وبحضور مائتي شخص من الصحابة ومئات التابعين والشخصيات الدينية والعلمية البارزة في العالم الإسلامي تحقيق عدة أهداف:

١. كشف الإمام أن ذلك الشخص الذي أمر بلعنه على المنابر الحكام الظلمة من بني أمية هو علي ﷺ نفس النبي ﷺ وأخوه ووصيه. وهذا ما جعل الناس يدركون من جانبه ماهية بني أمية المعادية للإسلام، ومن جانب آخر يعبتون ضد هذه الخطة المشينة، أي السب على المنابر.

٢. الهدف الآخر أن قدرة بني أمية لا تعدّ دليلاً على أحقيتهم، ولا ينبغي للأمة نسيان جرائمهم.

١. بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ١٨١-١٨٥.

٣. زرع الإمام عليه السلام بذور الثورة والنهضة في المستقبل ضد هذه الشجرة الملعونة في قلوب الناس والتي أثمرت بعد مضي مدة قليلة.

٤. إن كان الإمام عليه السلام فضح بني أمية في كربلاء بنهضته وثورته المسلحة وشهادته، فقد أثبت إيقاظه للأفكار بهذه الثورة الثقافية ومنهجية مواجهة هذه الطغمة من المنافقين التي احتلت للأسف موقع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١٤. إنما نهضت بالأمر لإقامة الحق

من الخطب التي ألقاها الإمام الحسين عليه السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (نقل هذا الكلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام):

«إِعْتَبِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِمَا وَعَظَ اللَّهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ سُوءِ ثَنَائِهِ عَلَى الْأَخْبَارِ إِذْ يَقُولُ: «لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ»^١ وَقَالَ: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» إِلَى قَوْلِهِ: «لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»^٢ وَإِنَّمَا عَابَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ مِنَ الظُّلْمَةِ الَّذِينَ يَبْنِ أَظْهَرِهِمُ الْمُنْكَرَ وَالْفُسَادَ فَلَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذَلِكَ رَغْبَةً فِيمَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُمْ وَرَهْبَةً مِمَّا يَحْذَرُونَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: «فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ»^٣ وَقَالَ: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»^٤ فَبَدَأَ اللَّهُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرِضَةً مِنْهُ لِعَلِّمِهِ بِأَنَّهَا إِذَا أُدِيتْ وَأُقِيمَتِ اسْتِقَامَتِ الْفَرَائِضُ كُلُّهَا هَيَّتُهَا وَصَعِبُهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ دُعَاءٌ إِلَى الْإِسْلَامِ مَعَ رَدِّ الْمَظَالِمِ وَمُخَالَفَةِ الظَّالِمِ، وَقِسْمَةِ الْفَيْئِ، وَالْغَنَائِمِ وَأَخْذِ الصَّدَقَاتِ مِنْ مَوَاضِعِهَا، وَوَضْعِهَا

١. سورة المائدة، الآية ٦٣.

٢. سورة المائدة، الآية ٧٨-٧٩.

٣. سورة المائدة، الآية ٤٤.

٤. سورة التوبة، الآية ٧١.

فِي حَقِّهَا.

ثُمَّ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْعَصَابَةُ عَصَابَةُ بِالْعِلْمِ مَشْهُورَةٌ، وَبِالْخَيْرِ مَذْكُورَةٌ، وَبِالْصِّحَّةِ مَعْرُوفَةٌ، وَبِاللَّهِ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مَهَابَةٌ يَهَابُكُمْ الشَّرِيفُ، وَيُكْرِمُكُمْ الضَّعِيفُ، وَيُؤْثِرُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، تَشْفَعُونَ فِي الْحَوَائِجِ إِذَا امْتَنَعَتْ مِنْ طَلَابِهَا، وَتَمْشُونَ فِي الطَّرِيقِ بِهَيْبَةِ الْمُلُوكِ وَكَرَامَةِ الْأَكَابِرِ، أَلَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا نِلْتُمُوهُ بِمَا يُرْجَى عِنْدَكُمْ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ اللَّهِ، وَإِنْ كُنْتُمْ عَنْ أَكْثَرِ حَقِّهِ تَقْصُرُونَ، فَاسْتَحَقَقْتُمْ بِحَقِّ الْأَيِّمَةِ، فَأَمَّا حَقُّ الضُّعْفَاءِ فَضَيَّعْتُمْ، وَأَمَّا حَقُّكُمْ بِرَعْمِكُمْ فَطَلَبْتُمْ، فَلَا مَالَ بَذَلْتُمُوهُ، وَلَا نَفْسًا خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، وَلَا عَشِيرَةً عَادَيْتُمُوهَا فِي ذَاتِ اللَّهِ، أَنْتُمْ تَتَمَنُّونَ عَلَى اللَّهِ جَنَّتَهُ وَمُجَاوَرَةَ رُسُلِهِ وَأَمَانَهُ مِنْ عَذَابِهِ.

لَقَدْ خَشِيتُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُتَمَنُّونَ عَلَى اللَّهِ أَنْ تَحُلَّ بِكُمْ نِقْمَةٌ مِنْ نِقْمَاتِهِ، لِأَنَّكُمْ بَلَعْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ مَنْزِلَةً فَضَلْتُمْ بِهَا وَمَنْ يُعْرِفُ بِاللَّهِ لَا تُكْرِمُونَ وَأَنْتُمْ بِاللَّهِ فِي عِبَادِهِ تُكْرِمُونَ، وَقَدْ تَرَوْنَ عَهْدَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَفْرَعُونَ، وَأَنْتُمْ لِبَعْضِ ذِمِّ آبَائِكُمْ تَفْرَعُونَ وَذِمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ مَحْقُورَةً، وَالْعُمَى وَالْبُكْمَ وَالزَّمِينَ فِي الْمَدَائِنِ مُهْمَلَةً لَا تَرْحَمُونَ وَلَا فِي مَنْزِلَتِكُمْ تَعْمَلُونَ، وَلَا مَنْ عَمِلَ فِيهَا تَعْنُونَ، وَبِالْأَذْهَانِ وَالْمُصَانَعَةِ عِنْدَ الظُّلْمَةِ تَأْمَنُونَ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّهْيِ وَالْتِنَاهِي وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ، وَأَنْتُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ مُصِيبَةً لِمَا غَلِبْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ لَوْ كُنْتُمْ تَسْعُونَ.

ذَلِكَ بِأَنَّ مَجَارِيَ الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ، الْأُمْنَاءِ عَلَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، فَأَنْتُمْ الْمَسْلُوبُونَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ، وَمَا سُلِبْتُمْ ذَلِكَ إِلَّا بِتَفَرُّقِكُمْ عَنِ الْحَقِّ وَاخْتِلَافِكُمْ فِي السُّنَّةِ بَعْدَ الْبَيِّنَةِ الْوَاضِحَةِ، وَلَوْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَذَى وَتَحَمَّلْتُمْ الْمُؤُونَةَ فِي ذَاتِ اللَّهِ كَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرْدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، وَلَكِنَّكُمْ مَكَّنْتُمُ الظُّلْمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، سَلَّطَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِرَارُكُمْ مِنَ الْمَوْتِ

وإِعْجَابُكُمْ بِالْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مُفَارِقَتُكُمْ، فَأَسْلَمْتُمْ الضُّعْفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبِدٍ مَقْهُورٍ وَبَيْنِ مُسْتَضْعَفٍ عَلَى مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ، يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمُلْكِ بِأَرَائِهِمْ وَيَسْتَشْعِرُونَ الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِمْ، إِفْتِدَاءً بِالْأَشْرَارِ، وَجُرْأَةً عَلَى الْجَبَّارِ، فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مِنْبَرِهِ حَطِيبٌ يَضَعُ، فَلَا أَرْضَ لَهُمْ شَاغِرَةٌ وَأَيْدِيهِمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَالنَّاسُ لَهُمْ حَوْلٌ لَا يَدْفَعُونَ يَدَ لَامِسٍ، فَمِنْ بَيْنِ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَذِي سَطْوَةٍ عَلَى الضَّعْفَةِ شَدِيدٍ، مُطَاعٌ لَا يَعْرِفُ الْمُبْدَى وَالْمُعِيدَ، فَيَا عَجَباً وَمَالِي لَا أَعْجَبُ وَالْأَرْضُ مِنْ غَاشٍ غَشُومٍ وَمُتَصَدِّقٍ ظُلُومٍ، وَعَامِلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ غَيْرِ رَحِيمٍ، فَاللَّهُ الْحَاكِمُ فِيمَا فِيهِ تَنَازَعْنَا، وَالْقَاضِي بِحُكْمِهِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافُساً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا اِتِّمَاساً مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنُرِيَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، وَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وَسُنَنِكَ وَأَحْكَامِكَ، فَإِنَّكُمْ إِلَّا تَنْصُرُونَا وَتَنْصِفُونَا قَوَى الظُّلْمَةَ عَلَيْنَا، وَعَمِلُوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ نَبِيِّكُمْ، وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْهِ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ»^١.

❦❦❦

فالخطبة تشير بوضوح إلى عدم سكون الإمام (عليه السلام) طيلة عهد معاوية ولا يرى جواز السكوت على الظالم الغاشم وهو مستعد لتحمل الأخطار الكامنة كافة في هذا الطريق. فكان يسعى دائماً لإيقاظ الأمة - سيما نخبها - ويدعو الجميع لمواجهة تلك الحكومة غير الإسلامية التي تتزعمها فلول العصر الجاهلي - أي آل أبي سفيان - وتفيد كلمات الإمام (عليه السلام) في تلك الخطبة واستدلالاته المتينة والمحكمة وما ضمنها من فصاحة وبلاغة إنه حقاً ابن علي بن أبي طالب (عليه السلام) بذلك المنطق الرصين الذي اعتمده في مخاطبة الظلمة. ولفت الانتباه في الختام إلى الحذار من التكيف مع ذلك الوضع المزري ونسيان التعاليم الإسلامية والاستسلام للحكومات الفرعونية.

١. تحف العقول، ص ١٧١-١٧٢؛ بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٧٩.

١٥. مكر الليل لأخذ البيعة

بعث الوليد والي المدينة ليلاً للحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير. فالتفت ابن الزبير إلى الإمام عليه السلام وقال: ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها. قال عليه السلام: وأنا ما أظن غيره ثم قال:

«إِذَا أَخْبِرَكَ أبا بَكْرٍ، إِنِّي أَظُنُّ بِأَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ مَاتَ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِي مَنَامِي كَأَنَّ مَنِيرَ مُعَاوِيَةَ مَنُكُوسٌ، وَرَأَيْتُ دَارَهُ تَشْتَعِلُ نَاراً، فَأَوَّلْتُ ذَلِكَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ مَاتَ»^١.

وطبق رواية أبو مخنف قال الإمام عليه السلام:

«قَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ طَاعِيَهُمْ قَدْ هَلَكَ، فَبَعَثَ، إِلَيْنَا لِيَأْخُذَنَا بِالْبَيْعَةِ قَبْلَ أَنْ يَفْشَوْ فِي النَّاسِ الْخَبَرُ»^٢.

ثم قال عبد الله بن الزبير فما تريد أن تصنع يا ابن علي؟ فقال عليه السلام:

«أَصْنَعُ أَنِّي لَا أَبَايَعُ لَهُ أَبَدًا، لِأَنَّ الْأَمْرَ إِنَّمَا كَانَ لِي مِنْ بَعْدِ أَخِي الْحَسَنِ عليه السلام، فَصَنَعَ مُعَاوِيَةُ مَا صَنَعَ وَحَلَفَ لِأَخِي الْحَسَنِ عليه السلام أَنَّهُ لَا يَجْعَلُ الْخِلَافَةَ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ وَلَدِهِ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَيَّ إِنْ كُنْتُ حَيًّا، فَإِنْ كَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ خَرَجَ مِنْ دُنْيَاهُ وَلَمْ يَفِ لِي وَلَا لِأَخِي الْحَسَنِ عليه السلام بِمَا كَانَ ضَمِنَ فَقَدْ وَاللَّهِ أَتَانَا مَا لَا قِيَامَ لَنَا بِهِ، أَنْظُرُ أبا بَكْرٍ أَنِّي أَبَايَعُ لِيَزِيدَ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ مُعْلِنُ الْفُسْقِ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَلْعَبُ بِالْكِلاَبِ وَالْفُهْودِ، وَيُبَغِضُ بَقِيَّةَ آلِ الرَّسُولِ! لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا»^٣.



كانت هذه أول شرارة من يزيد بعد موت أبيه معاوية أراد فيها الاستباق وبظنه أخذ البيعة لنفسه من الإمام عليه السلام ليجعلها وسيلة لأخذ البيعة من سائر الناس، لكن كيده

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨١-١٨٢.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٥١؛ الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٣٧٨.

٣. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٢؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٩٦.

رد إلى نحره كما سنرى في البحث القادم ولم يعرف شخصية الإمام عليه السلام، ولا عجب فهو لا يحسن شيئاً من ثقافة أهل بيت النبوة. فلم يكن يعلم بأن الإمام الحسين عليه السلام يؤثر الشهادة المقرونة بالقدسية والعزة والكرامة على بيعة الظلمة الفسقة ويستحيل عليه مد يد البيعة لفاسد وغريب عن الإسلام، ولو فعل لما بقى شيء من دين جده عليه السلام.

١٦. كيفية إفتسال الخطة

كان الإمام الحسين عليه السلام يتحدث لعبدالله بن الزبير فعاد مبعوث الوليد وقال للإمام عليه السلام أن الأمير يطلبك. فقال الإمام الحسين عليه السلام: «انطلق إلى أميرك لا أم لك! فمن أحب أن يصير إليه مناً فإنه صائر إليه، وأما أنا فإني أصير إليه الساعة إن شاء الله تعالى». ثم ألتفت الإمام عليه السلام إلى الحاضرين وقال: «قوموا إلى منازلكم فإني صائر إلى هذا الرجل فأنظر ما عنده وما يريد». فقال عبد الله بن الزبير للإمام عليه السلام: «جعلت فداك يا ابن رسول الله! أخشى أن لا يتركوك حتى تباع أو تقتل». فقال الإمام عليه السلام: «إني لست أدخل عليه وخدي، ولكن أجمع أصحابي إليّ وخدمي وأنصاري وأهل الحق من شيعتي، ثم أمرهم أن يأخذ كل واحد سيفه مسلواً تحت ثيابه، ثم يصيرون بإزائي، فإذا أنا أومأت إليهم وقلت يا آل الرسول دخلوا! دخلوا وفعلوا ما أمرتهم به، فأكون على الامتناع، ولا أعطي المقادة والمذلة من نفسي، فقد علمت والله أنه جاء من الأمر ما لا قوام به، ولكن قضاء الله ماضٍ فيّ، وهو الذي يفعل في بيت رسوله ما يشاء ويرضى»^١.



١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٢ وراجع تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٥١؛ الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٣٧٨.

نعم فقد عزم والي المدينة الوليد على أخذ البيعة من الإمام (عليه السلام) مهما كلف الأمر، وقد غفل عن إتخاذ الإمام (عليه السلام) التدابير كافة وهو يقدم عليه ليفشل خطته. ولكن لم يُرجح الإمام (عليه السلام) تلبية دعوة الوليد وذهب إليه ليلاً؟ يبدو أن الإمام (عليه السلام) أراد أن يقف حسب الظاهر على ما يجري خلف الكواليس لكي لا يسلب زمام المبادرة، ويتحدث من موقع القوة إزاء موت معاوية وبيعة يزيد.

١٧. الموضوع طبق رواية أخرى

ذهب الإمام الحسين (عليه السلام) إلى داره فارتدى ثيابه وتوضأ وصلى ركعتين، ولما فرغ من الصلاة بعث إلى فتية بني هاشم ومواليهم وأطلعهم على عزمه ثم قال: «كُونُوا بِبَابِ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنِّي ماضٍ إِلَيْهِ وَمُكَلِّمُهُ، فَإِن سَمِعْتُمْ أَنَّ صَوْتِي قَدْ عَلَا وَسَمِعْتُمْ كَلَامِي وَصَحْتُ بِكُمْ فَادْخُلُوا يَا آلَ الرَّسُولِ وَأَقْتَحِمُوا مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ، ثُمَّ اشْهَرُوا السُّيُوفَ وَلَا تَعْجَلُوا، فَإِن رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَضَعُوا سُيُوفَكُمْ ثُمَّ اقْتُلُوا مَنْ يُرِيدُ قَتْلِي».

وطبق رواية أخرى أن الإمام الحسين (عليه السلام) خرج من الدار ويده عصا رسول الله ﷺ ومعه ثلاثون رجلاً من بني هاشم وأشياعهم. فجعلهم (عليه السلام) خارج دار الوليد وقال:

«أَنْظَرُوا مَاذَا أَوْصَيْتُكُمْ، فَلَا تَعْتَدُوهُ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ سَالِمًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^١.



فشجاعة الحسين (عليه السلام) كانت تتطلب عدم التخلف عن تلبية دعوة حاكم المدينة خوف المؤامرة، لكن حكمة الإمام (عليه السلام) كانت تقتضي رعاية جانب الاحتياط، ومن هنا انطلق إلى حاكم المدينة (الوليد) بتلك الطائفة الشجاعة من فتية بني هاشم، فإن

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٣؛ الفتوح، ج ٥، ص ١٦-١٧.

تطلب الأمر دعاهم للدخول وإفشال خطة العدو.
والطريف أنَّ الإمام عليه السلام لم يحمل تلك العصابة معه إلى الدار وأبقاهم على الباب
ليدخل وحده. وتفيد الأحداث اللاحقة مدى صلابته الإمام عليه السلام وشِدَّتِه في الحديث
للوليد وجعله يشعر باليأس من طرح قضية البيعة وكشف له عليه السلام عن موقفه.

١٨. رد الإمام عليه السلام الحاسم

دخل الإمام الحسين عليه السلام على الوليد. فسلم فرحب به الوليد وأجلسه قربه، وكان
في المجلس مروان بن الحكم الذي كان يكنى للوليد العدا. فقال عليه السلام:
«هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ مُعَاوِيَةَ كَائِنَتْ خَبْرٌ فَإِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا وَقَدْ طَالَتْ عِلَّتُهُ، فَكَيْفَ حَالُهُ
الآن؟».

فأقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة.
فقال عليه السلام: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».
قال الوليد: دعوناك لتبايع يزيد فقد بايعته الأمة. فقال عليه السلام:
«إِنَّ مِثْلِي لَا يُعْطَى سِرًّا، وَإِنَّمَا أَحِبُّ أَنْ تَكُونَ الْبَيْعَةُ عَلَانِيَةً بِحَضْرَةِ الْجَمَاعَةِ،
وَلَكِنْ إِذَا كَانَ مِنَ الْعَدِ وَدَعَوَتِ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ دَعَوْتَنَا مَعَهُمْ فَيَكُونُ أَمْرُنَا
وَاحِدًا»^١.

وروى الشيخ المفيد أنَّ الإمام عليه السلام قال:
«إِنِّي لَا أَرَاكَ تَقْنَعُ بِبَيْعَتِي لِيَزِيدَ سِرًّا حَتَّى أَبَايَعُهُ جَهْرًا فَيَعْرِفَ النَّاسُ».
قال الوليد: بلى. فقال عليه السلام:
«فَتُضَيِّحُ وَتَرَى رَأْيَكَ فِي ذَلِكَ»^٢.

وطبق نقل أبي مخنف فإنَّ الإمام عليه السلام لما سمع بخبر وفاة معاوية قال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٧ ومقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٣ (مع اختلاف يسير).

٢. الإرشاد للمفيد ص ٣٧٤.

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ثم قال:

«وَأَمَّا مَا سَأَلْتَنِي مِنَ الْبَيْعَةِ، فَإِنَّ مِثْلِي لَا يُعْطَى بَيْعَتُهُ سِرًّا، وَلَا أَرَاكَ أَنْ تَجْتَزِيَ بِهَا مِنِّي سِرًّا دُونَ أَنْ تُظْهِرَهَا عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ عَلَانِيَةً».

فقال الوليد: بلى. قال عليه السلام:

«فَإِذَا خَرَجْتَ إِلَى النَّاسِ فَدَعْوَتُهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ دَعْوَتُنَا مَعَ النَّاسِ، فَكَانَ أَمْرًا وَاحِدًا»^١.

قال الوليد: انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس.

فقال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى يكثر القتلى بينكم وبينه، إحبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه.

فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال:

«يَا ابْنَ الزَّرْقَاءِ أَنْتَ تَقْتُلُنِي أَمْ هُوَ؟ كَذِبْتَ وَاللَّهِ وَأَثِمْتُ»^٢.

وحسب رواية ابن الأَعمش قال له الإمام عليه السلام:

«وَيْلِي عَلَيْكَ يَا ابْنَ الزَّرْقَاءِ أَتَأْمُرُ بِضَرْبِ عُنُقِي؟! كَذِبْتَ وَاللَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ رَامَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ لَسَقَيْتُ الْأَرْضَ مِنْ دَمِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنْ شِئْتَ ذَلِكَ فَرُمُ ضَرْبِ عُنُقِي إِنْ كُنْتُ صَادِقًا»^٣.

١٩. مواصلة الكلام

ثم ألتفت الإمام عليه السلام إلى الوليد بن عتبة وقال:

«أَيُّهَا الْأَمِيرُ! إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَمَحَلُّ

١. الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٣٧٨.

٢. الإرشاد للمفيد، ص ٣٧٤؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٥١.

٣. الفتوح لابن الأَعمش، ج ٥، ص ١٨؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٤.

الرَّحْمَةِ وَبِنَا فَتَحَ اللَّهُ وَبِنَا خَتَمَ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبُ خَمْرٍ قَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ مُعْلِنٌ بِالْفُسْقِ، وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ لِمِثْلِهِ، وَلَكِنْ نُصِيحُ وَتُصْبِحُونَ وَنَنْتَظِرُ وَتَنْتَظِرُونَ أَتَيْنَا أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ وَالْبَيْعَةِ»^١.

وقال المرحوم الصدوق عليه السلام: إِنَّ الإِمَامَ عليه السلام خَاطَبَ الْوَلِيدَ قَائِلًا:
«يَا عْتَبَةُ^٢ قَدْ عَلِمْتَ أَنَا أَهْلُ بَيْتِ الْكِرَامَةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ، وَأَعْلَامُ الْحَقِّ الَّذِينَ أَوْدَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلُوبَنَا، وَأَنْطَقَ بِهِ أَلْسِنَتَنَا، فَتَطَقَّتْ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «إِنَّ الْخِلَافَةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى وَلَدِ أَبِي سَفْيَانَ» وَكَيْفَ أَبَايُ أَهْلَ بَيْتٍ قَدْ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله هَذَا»^٣.

❦❦❦

فقد أدان يزيد بهذا الكلام الصريح وبالذليل العقلي، ذلك أنه لا يصلح للخلافة من تلوث بالفسق والفجور وقتل النفس البريئة، ومن جانب آخر بالذليل النقلي؛ فقد صرح النبي صلى الله عليه وآله بأن الخلافة محرمة على ولد أبي سفيان. فهذا الكلام كان مطرقة نزلت على رأس الوليد، فأدرك أنه أمام شخص غاية في السمو والرفعة لا يقع قط في مصائده.

٢٠. الجواب الأخير: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان

خرج الإمام عليه السلام في اليوم التالي فرأى مروان بن الحكم. فقال له مروان: يا أبا عبدالله أنصحك بما فيه خيرك وصلاحك! فقال عليه السلام:
«وَمَا ذَلِكَ؟ قُلْ حَتَّى أَسْمَعَ».

١. الفتوح لابن الأعمش، ج ٥، ص ١٨-١٩؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٤ (مع اختلاف يسير) وبحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٥.

٢. العبارة «يا ابن عتبة» صحيحه بالنظر إلى أن والي المدينة آنذاك الوليد بن عتبة.

٣. أمالي الصدوق، ص ١٣٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣١٢.

فقال مروان: بايع أمير المؤمنين يزيد فإنّ ذلك خير لك في دينك ودنياك!
فقال عليه السلام:

«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَعَلَى الْإِسْلَامِ أَلَسْلَامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتْ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ
يَزِيدَ».

ثم ألتفت عليه السلام إلى مروان وقال:

«وَيْحَكَ! أَتَأْمُرُنِي بِبَيْعَةِ يَزِيدَ وَهُوَ رَجُلٌ فَاسِقٌ! لَقَدْ قُلْتَ شَطَطًا مِّنَ الْقَوْلِ
يَا عَظِيمَ الزَّلَلِ! لَا أَلُومُكَ عَلَى قَوْلِكَ لِأَنَّكَ اللَّعِينُ الَّذِي لَعَنَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتَ
فِي صُلْبِ أَبِيكَ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، فَإِنَّ مَن لَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُمَكِّنُ لَهُ وَلَا
مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَدْعُوَ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ».

ثم قال:

«إِلَيْكَ عَنِّي يَا عَدُوَّ اللَّهِ! فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْحَقُّ فِينَا وَبِالْحَقِّ تَنْطِقُ
أَلْسِنَتُنَا، وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (الْخِلَافَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَى آلِ أَبِي سُفْيَانَ،
وَعَلَى الطُّلُقَاءِ أَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ ...)»^١.

فغضب مروان وقال: لن أدعك حتى تباع يزيدي بن معاوية. إنكم آل أبي تراب
لتحملون العداوة لآل أبي سفيان في قلوبكم. فقال عليه السلام:

«وَيْلَكَ يَا مَرْوَانُ! إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ رَجُسٌ، وَإِنَّا أَهْلُ بَيْتِ الطَّهَارَةِ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»»^٢.

فأطرق مروان برأسه وسكت. فقال عليه السلام:

«أَبَشِّرْ يَا بَنَ الزَّرْقَاءِ بِكُلِّ مَا تَكْرَهُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ تَقْدِمُ عَلَى رَبِّكَ فَيَسْأَلُكَ

١. الفتوح لابن الأعمش، ج ٥، ص ٢٣-٢٤؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٤-١٨٥؛ بحار الأنوار، ج ٤٤،
ص ٣٢٦ (باختلاف).

٢. سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

جَدِّي عَنْ حَقِّي وَحَقِّ يَزِيدَ».

فقام مروان غاضباً وذهب إلى الوليد وأطلعه على ما سمع^١.
وطبق نقل ابن شهر آشوب لما سمع يزيد بذلك (تساهل الوليد في أخذ البيعة من
الإمام) عزله من المدينة وجعل مكانه مروان^٢.

٢١. الإمام الحسين عليه السلام عند قبر النبي صلى الله عليه وآله

روي عن أبي سعيد المقبري أنه قال: رأيت الإمام الحسين عليه السلام في مسجد المدينة
وينشد أشعار يزيد بن المفرغ:

لَا دُغْرَتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ مُغَيَّرًا وَلَا دُعِيْتُ يَزِيدًا
يَوْمَ أُعْطِيَ مِنَ الْمَهَابَةِ ضَيْمًا وَالْمَنَايَا يَرْصُدُنِي أَنْ أَحِيدًا
فقلت في نفسي: والله! إن الإمام عليه السلام يريد أن يقول بهذه الأبيات إن بايعت يزيد
فلمست حسيناً ابن رسول الله صلى الله عليه وآله^٣.

فقصده الإمام الحسين عليه السلام قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً فنادى:
«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ فَاطِمَةَ، أَنَا فَرْخُكَ وَابْنُ فَرْخَتِكَ،
وَسِبْطُكَ فِي الْخَلْفِ الَّذِي خَلَفْتَ عَلَى أُمَّتِكَ، فَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنَّهُمْ قَدْ
خَذَلُونِي وَضَيَّعُونِي وَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْفَظُونِي، وَهَذَا شَكَاوِي إِلَيْكَ حَتَّى أَلْقَاكَ».

ثم قام الإمام الحسين عليه السلام إلى الصلاة^٤.

❦❦❦

فقد حسم الإمام عليه السلام موقفه إزاء مطالبات يزيد فسلك ذلك الطريق الوعر المليء

١. الفتوح لابن الأعمش، ج ٥، ص ٢٤-٢٥؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٥.

٢. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٩٦.

٣. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٦؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٥٣.

٤. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٦؛ الفتوح لابن الأعمش، ج ٥، ص ٢٦.

بالمخاطر لإنقاذ الإسلام والمسلمين، فوضع نصب عينيه عهده مع الله - في عدم مهادنة الظلمة والطواغيت، بل يرى وظيفته مواجعتهم - واستعد للحركة من المدينة.

٢٢. اللهم إني أحب المعروف

قدم الإمام عليه السلام في الليلة الثانية إلى قبر النبي ﷺ فصلى ركعتين وقال: «اللَّهُمَّ! إِنَّ هَذَا قَبْرُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ وَأَنَا ابْنُ ابْنِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ حَضَرَنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ عَلِمْتُ، اللَّهُمَّ! وَإِنِّي أَحِبُّ الْمَعْرُوفَ وَأَكْرَهُ الْمُنْكَرَ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِحَقِّ هَذَا الْقَبْرِ وَمَنْ فِيهِ مَا^١ اخْتَرْتُ مِنْ أَمْرِي هَذَا مَا هُوَ لَكَ رِضَى^٢».



فقد بين الإمام عليه السلام الدافع الأصلي لثورته - أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - بهذه العبارة القصيرة وفي أقدس مكان عند قبر جده ﷺ ليضعه أمام التاريخ فتصدر الأجيال القادمة أحكامها بهذا الشأن.

٢٣. وداع الإمام الحسين عليه السلام لقبر جده النبي ﷺ

ودع الإمام عليه السلام قبر جده بعد أن ملكته عينه وحين أفاق قال: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ جِوَارِكَ كُرْهًا وَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَيْثُ أَنِّي لَمْ أَبَايَعُ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، شَارِبِ الْخُمُورِ، وَهَا أَنَا خَارِجٌ مِنْ جِوَارِكَ عَلَى الْكَرَاهَةِ، فَعَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ».

فلما علم الناس بعزم الإمام عليه السلام حذروه من الحركة إلى الكوفة^٣.



١. مقتل الحسين للخوارزمي.

٢. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٦؛ الفتوح لابن الأعمش، ج ٥، ص ٢٦؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٨.

٣. منتخب الطريحي، ص ٤١٠؛ ناسخ التواريخ، ج ٢، ص ١٤؛ ينابيع المودة، ص ٤٠١ باختصار.

إضطّر الإمام عليه السلام إلى التوجه للكوفة بعد رفضه وامتناعه عن مبايعة يزيد، والذي يمثل في الواقع إعلان الحرب على حكومة بني أمية سليلة العصر الجاهلي، فنفوذ بني أمية الذي بلغ ذروته على عهد خلافة عثمان مازال متنامياً في أوساط مشاهير المدينة ومتنفذيها، كما كان ينبغي أن يكون الحرم الآمن الإلهي - مكة - بعيداً عن أي نزاع. بينما كانت الكوفة شيعة أهل البيت عليه السلام ومحبيهم ولو نبذوا الفرقة والتشتت وابتعدوا عن الجبن والخوف لما شق عليهم الإطاحة بحكومة يزيد المشبوهة.

على كل حال كان ينبغي للإمام عليه السلام تلك الحركة بعد معارضته علانية للبيعة وبصورة عامة لحكومة يزيد وآل أبي سفيان.

٢٤. رفض البيعة جملة وتفصيلاً

تهياً الحسين عليه السلام للخروج من المدينة ومضى في جوف الليل إلى قبر أمه فودعها ثم مضى إلى قبر أخيه الحسن فودّعه ثم رجع إلى منزله وقت الصبح فأقبل إليه أخوه محمد بن الحنفية وقال له: يا أخي أنت أحبّ الخلق إليّ وأعزهم عليّ ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق وليس أحد أحق بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري وكبير أهل بيتي ومن وجب طاعته في عنقي لأن الله قد شرفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنة. وساق الحديث كما مر إلى أن قال: تخرج إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار فذاك وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن فإنهم أنصار جدك وأبيك وهم أرف الناس وأرقهم قلوباً وأوسع الناس بلاداً فإن اطمأنت بك الدار وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال وجزت من بلد إلى بلد حتى تنتظر ما يثول إليه أمر الناس ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين».

فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعتُ يزيد بن معاوية».

فقطع محمد بن الحنفية الكلام وبكى فبكى الحسين عليه السلام معه ساعة ثم قال: «يا أخي جزاك الله خيراً، لقد نصحت وأشرت بالصواب وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً عليهم ولا تخف عني شيئاً من أمورهم»^١.

❦❦❦

تشير عبارات الإمام عليه السلام إلى أن بني أمية ضيقوا عليه الخناق، لكنه حسم موقفه بعدم الاستسلام للذل والعار؛ الذل والعار يعني انكسار المسلمين وقبح المباني الإسلامية.

أجل، فهو لا يبايع يزيد قط ولا يقر بخلافته. وهذا ما عاهد عليه الله وجده النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله فوفى بعهده ونال الشهادة بعزة.

٢٥. وصية الإمام الحسين التاريخية

ثم دعا عليه السلام بدواة وبياض وكتب لأخيه محمد بن الحنفية هذه الوصية: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأنني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أضير

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٣٠-٣٢؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.

حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، وَهَذِهِ وَصِيَّتِي يَا أَخِي إِلَيْكَ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»^١.

ثم طوى الإمام الحسين عليه السلام الكتاب وختمه بخاتمه ودفعه إلى أخيه محمد ثم ودعه.



فهذه الوصية تعكس بصراحة أهداف الإمام عليه السلام من ثورته القادمة وتقول: إن هدفه ليس توسيعاً ولا تعطشاً للسلطة والسيطرة على الناس أو الحصول على شيء من حطام الدنيا وأموالها ومناصبها؛ بل الهدف إصلاح الأمة الإسلامية والقضاء على الانحرافات التي خلقها الحكام الفسقة، وإحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسنة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسيرة علي عليه السلام.

حقاً ليس هنالك سوى هذا الهدف الرباني لاقتحام هذا الوادي الخطير الذي أوجدته طغمة بني أمية، وإن لم يرق لأصحاب الراحة والدعة ضيق الأفق.

٢٦. هيهات منا الذلة

روى محمد بن عمر عن أبيه عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام (أحد إخوة الإمام الحسين) قال دخلت على أخي الحسين عليه السلام لما امتنع عن البيعة ليزيد فقلت له: يا أبا عبدالله جعلت فداك. حدثني الإمام الحسن عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام فارتفع صوتي بالبكاء فضمني عليه السلام وقال:

«حَدَّثَكَ أَنِّي مَقْتُولٌ».

فقلت: معاذ الله يا ابن رسول الله.

فقال: «سَأَلْتُكَ بِحَقِّ أَبِيكَ بِقَتْلِي خَبَرَكَ؟».

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٣٣-٣٤؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٩؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩-٣٣٠.

قلت: بلى. فلم لا تباع؟

فقال عليه السلام: «حَدَّثَنِي أَبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهُ بِقَتْلِهِ وَقَتْلِي، وَأَنَّ تُرْبَتِي تَكُونُ بِقُرْبِ تُرْبَتِهِ، فَتُطْنُ أَنْكَ عَلِمْتَ مَا لَمْ أَعْلَمْهُ، وَأَنَّهُ لَا أُعْطِي الدَّيْنَةَ مِنْ نَفْسِي أَبَدًا وَكَتْلَقِينَ فَاطِمَةً أَبَاهَا شَاكِيَةً مَا لَقِيتُ ذُرِّيَّتَهَا مِنْ أُمَّتِهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ آذَاهَا فِي ذُرِّيَّتِهَا»^١.

٢٧. أُمّاه أعلم أنني سأقتل

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام لما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة رضي الله عنها فقالت: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق فإنني سمعت جدك يقول يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء فقال لها:

«يَا أُمّاهُ وَأَنَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ ذَلِكَ، وَأَنِّي مَقْتُولٌ لَا مَحَالَةَ، وَلَيْسَ لِي مِنْ هَذَا بُدٌّ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَعْرِفُ الْيَوْمَ الَّذِي أُقْتَلُ فِيهِ، وَأَعْرِفُ مَنْ يَقْتُلُنِي، وَأَعْرِفُ الْبُقْعَةَ الَّتِي أُدْفَنُ فِيهَا، وَإِنِّي أَعْرِفُ مَنْ يَقْتُلُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَقَرَابَتِي وَشِيعَتِي، وَإِنْ أَرَدْتَ يَا أُمّاهُ أُرِيكَ حُفْرَتِي وَمَضْجَعِي».

ثم أشار عليه السلام إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديداً وسلّمت أمره إلى الله فقال لها:

«يَا أُمّاهُ قَدْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرَانِي مَقْتُولًا مَذْبُوحًا ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَقَدْ شَاءَ أَنْ يَرَى حَرَمِي وَرَهْطِي وَنِسَائِي مُشَرَّدِينَ، وَأَطْفَالِي مَذْبُوحِينَ مَظْلُومِينَ مَأْسُورِينَ مُقَيَّدِينَ، وَهُمْ يَسْتَغِيثُونَ فَلَا يَجِدُونَ نَاصِرًا وَلَا مُعِينًا».

وفي رواية أخرى قالت أم سلمة: وعندي تربة دفعتها إلي جدك في قارورة فقال: «وَاللَّهِ إِنِّي مَقْتُولٌ كَذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ أَخْرُجْ إِلَى الْعِرَاقِ يَقْتُلُونِي أَيْضًا».

١. اللهوف (الملهوف)، ص ٩٩-١٠٠.

ثم أخذ تربة فجعلها في قارورة وأعطائها إياها وقال:
 «إجعلها مع قارورة جدِّي فإذا فاضتا دماً فأعلمي أنَّي قد قُتِلْتُ».
 تقول أم سلمة: عندما حلَّ عصر يوم عاشوراء نظرت إلى القاروتين فوجدتهما
 تغليان دماً عبيطاً^١.

٢٨. العاقبة الشهادة

عن حمزة بن حرمان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ذكرنا خروج الحسين عليه السلام وتخلف
 ابن الحنفية. فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا حمزة إنِّي سأخبرك بحديث لا تسأل عنه بعد
 مجلسك هذا إن الحسين لما فصل متوجَّهاً دعا بقرطاس وكتب فيه:
 «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ،
 أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمْ اسْتَشْهَدَ وَمَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الْفَتْحِ وَالسَّلَامِ»^٢.

❦❦❦

تشير هذه العبارة القصيرة والعميقة المعنى إلى أنَّ الإمام عليه السلام كان يرى مصير
 حركته منذ الانطلاقة، وتقول لنا إنَّ الإمام عليه السلام انطلق من المدينة مع علمه بقتله الذي
 ينتظره، رغم الظنون الخاطئة لأولئك الذين لا يمتلكون رؤية صحيحة لسعة أفاق
 الأئمة عليهم السلام ومدى علمهم.

نعم، فالإمام عليه السلام كان يدرك الثمن الذي سيدفعه من جراء رفض مبايعة يزيد بغية
 حفظ الدين؛ وهكذا يكشف عن عظم شأنه عليه السلام. كما أشار إلى أنَّ المتبقيين أو بالأحرى
 المتخلفين عن قافلة الشهادة سوف لن يظفروا بشيء وسيذوقون الأمرين من حكومة
 يزيد الغاشمة.

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٣١-٣٣٢ وج ٤٥، ص ٨٩، ح ٢٧؛ الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٢٥٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٣. وج ٤٥، ص ٨٤-٨٥؛ اللهوف، ص ١٢٨-١٢٩؛ كامل الزيارات، ص ٧٦ (مع
 اختلاف يسير).

٢٩. خروج الحسين عليه السلام من المدينة

خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة ليلة الأحد قبل يومين من آخر شهر رجب سنة ٦٠ للهجرة مع أهله وأنبائه وأخوته وأبناء عمومته ما عدا محمد الحنفية وهو يقرأ الآية الكريمة: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^١. ولزم الطريق الأعظم فقال له مسلم بن عقيل يا بنت رسول الله: لو تنكبت عن الطريق كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب فقال: «لا والله يا ابن عمي! لا فارقتُ هذا الطريقَ أبداً أو أنظرُ إلى أيّاتِ مَكَّةَ أو يَفْضِيَ الله ما يُحِبُّ وَيَرْضَى»^٢.



بيّن الإمام عليه السلام مذ خطواته الأولى أنّه سلك الدرب ببسالة وأنّه لا يشعر بأدنى خوف لو تعرّض له الأعداء أثناء الطريق، وهو مستعد للرد عليهم بضربات موجعة. فالإمام عليه السلام ليس من شأنه ترك الجادة الأصلية خيفة التعرض. وتتضح ضمناً هذه الحقيقة أنّ العدو الغادر والجبان كان يتتبع ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد رفضه الإنصياع لأطماعه ومآربه.

٣٠. دخول الإمام الحسين عليه السلام مكة

ولما دخل الحسين عليه السلام مكة كان دخوله إليها يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان دخلها وهو يقرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدِينَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^٣؛ ثم نزلها وأقبل أهلها يختلفون إليه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة وهو قائم يصلي عندها ويطوف ويأتي

١. سورة القصص، الآية ٢٢.

٢. الفتوح لابن الأعمش، ج ٥، ص ٣٤-٣٥؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٩ (مع اختلاف يسير).

٣. سورة القصص، الآية ٢٢١.

الحسين عليه السلام فيمن يأتيه فيأتيه اليومين المتواليين ويأتيه بين كل يومين مرة وهو عليه السلام أثقل خلق الله على ابن الزبير لأنه قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين في البلد^١.

❦❦❦

قطعاً لم تكن مكة المحطة الأخيرة للإمام الحسين عليه السلام لأنه كان يعلم بحتمية المواجهة مع أعوان يزيد، ولا يريد لهم انتهاك حرمة البيت الآمن وبالتالي الطعن في قدسيته بفعل هجوم أولئك الأوباش الذين لا يرعون حرمة للمقدسات الإسلامية. وهذا ما حصل مع عبدالله بن الزبير، فقد اجتمع معه بعض أهل مكة وحين هجم عليه جيش يزيد لجأ إلى الكعبة، لكنهم لم يرعوا لها من حرمة فقصفوها بالمنجنيق.

٣١. سعي ابن عباس وعبدالله بن عمر لثني الإمام عليه السلام

وأقام الحسين عليه السلام بمكة باقي شهر شعبان وشهر رمضان وشوال وذي العقدة وبمكة يومئذ عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر فأقبلا جميعاً وقد عزم أن ينصرفا إلى المدينة حتى دخلا على الحسين عليه السلام فقال عبد الله بن عمر: يا أبا عبدالله اتق الله رحمك الله الذي إليه معادك، فقد عرفت عداوة هذا البيت لكم وظلمهم أيام، وقد ولي الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية، ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء، فيقتلوك ويهلك فيك بشر كثير، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «حسين مقتول، فلئن خذلوه ولم ينصره ليخذلنهم الله إلى يوم القيامة» وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس وتصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين.

١ . الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٣٧٧؛ الفتوح لابن الأعمش، ج ٥، ص ٣٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٣٢ (مع اختلاف يسير).

فقال الحسين عليه السلام:

«أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! أَنَا أَبَايُزِيدَ وَأَدْخُلُ فِي صَلَاحِهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ وَفِي أَبِيهِ مَا قَالَ؟». فسكت ابن عمر ولم يحر جواباً.

فقال ابن عباس: صدقت فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لِي وَيزيد لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي يزيد فَإِنَّهُ يَقْتُلُ وَلَدِي وَوَلَد ابْنَتِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُقْتَلُ وَلَدِي بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٌ فَلَا يَمْنَعُونَهُ إِلَّا خَالَفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَالسِّنَنِيهِمْ».

ثم بكى ابن عباس وبكى معه الحسين عليه السلام وقال له:

«يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! تَعْلَمُ أَنِّي ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

فقال ابن عباس: اللَّهُمَّ نَعَمْ لَا نَعْرِفُ فِي الدُّنْيَا أَحَدًا هُوَ ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ غَيْرَكَ وَأَنْ نَصْرَكَ لِفَرْضٍ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ كَفَرِيضَةِ الصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ أَحَدَاهُمَا دُونَ الْأُخْرَى.

فقال له الحسين عليه السلام:

«يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! فَمَا تَقُولُ فِي قَوْمٍ أَخْرَجُوا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَارِهِ وَقَرَّارِهِ وَمَوْلِدِهِ، وَحَرَمَ رَسُولِهِ وَمُجَاوَرَةَ قَبْرِهِ وَمَوْلِدِهِ وَمَسْجِدِهِ، وَمَوْضِعَ مَهَاجِرِهِ، فَتَرَكَوهُ خَائِفًا مُرْعَبًا لَا يَسْتَقِرُّ فِي قَرَارٍ، وَلَا يَأْوِي فِي مَوْطِنٍ، يُرِيدُونَ فِي ذَلِكَ قَتْلَهُ وَسَفْكَ دَمِهِ، وَهُوَ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ».

فقال ابن عباس: مَا أَقُولُ فِيهِمْ إِلَّا:

«إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى»^١. «يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» * مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا»^٢.

١. سورة التوبة، الآية ٥٤.

٢. سورة النساء، الآية ١٤٢-١٤٣.

ثم قال ابن عباس: فعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأما أنت أبا عبد الله فإنك رأس الفخار ابن رسول الله وابن وصيه وفرخ الزهراء نظيرة البتول فلا تظن يا ابن رسول الله بأن الله غافل عما يعمل الظالمون وأنا من رغب عن مجاورتك ومجاورة بنيك فما له في الآخرة من خلاق.

فقال الحسين عليه السلام: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

فقال ابن عباس: جعلت فداك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله كأنك تنعى إلي نفسك، ولا تريد مني أن انصرك، والله الذي لا إله إلا هو لو ضربت بين يديك بسيفي حتى ينقطع وتتخلع يداي جميعاً لما كنت أبغ من حقك عشر العسير، وها أنا بين يديك فمرني بأمرك.

فقال ابن عمر: اللهم عفواً ذرنا عن هذا يا ابن عباس. ثم أقبل ابن عمر على الحسين وقال له: مهلاً أبا عبد الله عما أزمعت عليه وارجع إلى المدينة، وادخل في صلح القوم ولا تغب عن وطنك وحرم جدك ولا تجعل لهؤلاء القوم الذين لا خلاق لهم على نفسك حجة وسبيلاً، وإن أحببت أن لا تباع فإنك متروك حتى ترى رأيك، فإن يزيد بن معاوية عسى أن لا يعيش إلا قليلاً، فيكفيك الله أمره.

فقال الحسين عليه السلام:

«أَفِ لِهَذَا الْكَلَامِ أَبَدًا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ! أَسْأَلُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنَا عِنْدَكَ عَلَى خَطَا مِنْ أَمْرِي هَذَا؟ فَإِنْ كُنْتُ عِنْدَكَ عَلَى خَطَا فَرُدَّنِي فَإِنِّي أَخْضَعُ وَأَسْمَعُ وَأُطِيعُ».

فقال ابن عمر: اللهم لا ولم يكن الله تبارك وتعالى ليجعل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على خطأ، وليس مثلك في طهارته وموضعه من رسول الله، أن يسلم على يزيد بن معاوية باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الجسن الجميل بالسيف وترى من هذه الأمة ما لا تحب، فارجع معنا إلى المدينة، وإن شئت أن لا تباع أبداً، واقعد في منزلك.

فقال الحسين عليه السلام:

«هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عُمَرَ! إِنَّ الْقَوْمَ لَا يَتْرُكُونِي وَإِنْ أَصَابُونِي، وَإِنْ لَمْ يُصِيبُونِي فَلَا يَزَالُونَ حَتَّى أَبَايَعَ وَأَنَا كَارَهُ، أَوْ يَقْتُلُونِي، أَمَا تَعْلَمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ! أَنَّ مِنْ هَوَانِ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ أَتَى بِرَأْسِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليه السلام إِلَى بَغِيَّةٍ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالرَّأْسُ يَنْطِقُ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟! أَمَا تَعْلَمُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَقْتُلُونَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ سَبْعِينَ نَبِيًّا ثُمَّ يَجْلِسُونَ فِي أَسْوَاقِهِمْ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ كُلُّهُمْ كَانَتْهُمْ لَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا، فَلَمْ يُعْجَلِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ؛ اتَّقِ اللَّهَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَلَا تَدْعَنَّ نَصْرَتِي وَادُّكُرْنِي فِي صَلَاتِكَ ... يَا ابْنَ عُمَرَ! فَإِنْ كَانَ الْخُرُوجُ مَعِيَ مِمَّا يَصْعَبُ عَلَيْكَ وَيَثْقُلُ فَأَنْتَ فِي أَوْسَعِ الْعُذْرِ، وَلَكِنْ ... اجْلِسْ عَنِ الْقَوْمِ، وَلَا تَعْجَلْ بِالْبَيْعَةِ لَهُمْ حَتَّى تَعْلَمَ إِلَى مَا تَوَلَّى الْأُمُورَ».

ثم أقبل لتفت عليه السلام إلى عبدالله بن عباس وقال له:

«وَأَنْتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! إِنَّكَ ابْنُ عَمِّ وَالِدِي، وَلَمْ تَزَلْ تَأْمُرُ بِالْخَيْرِ مُنْذُ عَرَفْتُكَ، وَكُنْتُ مَعَ وَالِدِي تُشِيرُ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ الرَّشَادُ، وَقَدْ كَانَ يَسْتَنْصِحُكَ وَيَسْتَشِيرُكَ فَتُشِيرُ عَلَيْهِ بِالصَّوَابِ، فَأَمَضَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَكَلَائِهِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ أَحْبَارِكَ، فَإِنِّي مُسْتَوْطِنٌ هَذَا الْحَرَمَ، وَمُقِيمٌ فِيهِ أَبَدًا مَا رَأَيْتُ أَهْلَهُ يَحِبُّونِي، وَيَنْصُرُونِي فَإِذَا هُمْ خَذَلُونِي اسْتَبَدَلْتُ بِهِمْ غَيْرَهُمْ، وَاسْتَعْصَمْتُ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام يَوْمَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فَكَانَتْ النَّارُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا».

فبكى عبدالله بن عباس وابن عمر وبكى معهما الحسين عليه السلام ثم ودعهما وانصرف ورجع عبدالله بن عمر وابن عباس إلى المدينة^١.

❦❦❦

١ . فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٣٨-٤٤؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٩٠-١٩٣.

فهذه الحوارات تفيد حسم الإمام (عليه السلام) لموقفه مسبقاً خلافاً لرؤى أصحاب الأفكار المنحرفة، وكان يرى عظم الخطر الذي يهدد الإسلام إن استسلم ليزيد وحكومة بني أمية التي عقدت العزم على القضاء على الهوية الإسلامية. نعم، اتخذ موقفه بالصمود حتى الإستماتة وعدم الإستسلام، ولم يستمع حتى لآراء بعض الأفراد كابن عباس وابن عمر في الاعتزال والسكوت، ليكتفي بالنظر لشجرة الإسلام تقتلع من جذورها من قبل السلطة الأموية الفاسدة. فقد أراد لهذه الشجرة البقاء والنمو ولو سقيت بدمه الطاهر.

٣٢. رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) لأهل الكوفة حين بعث إليهم مسلم (عليه السلام)

كان الإمام الحسين (عليه السلام) في مكة يتلقى رسائل أهل الكوفة التي دعوها فيها بالقدوم إليهم. فكتب (عليه السلام) رسالة جوابية بعثها مع آخر رسلهم هاني بن هاني وسعيد بن عبدالله. والرسالة:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، إِلَى الْمَلَأِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ هَانِئاً وَسَعِيداً قَدِمَا عَلَيَّ بِكُتُبِكُمْ - وَكَانَا آخِرَ مَنْ قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ رُسُلِكُمْ - وَقَدْ فَهِمْتُ كُلَّ الَّذِي افْتَضَّصْتُمْ وَذَكَرْتُمْ، وَمَقَالَةَ جُلُكُمُ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِمَامٌ فَأَقْبِلْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ. وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ أَخِي وَابْنَ عَمِّي وَثِقَتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَأَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيَّ بِحَالِكُمْ وَأَمْرِكُمْ وَرَأْيِكُمْ. فَإِنْ كَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيَ مَلِكِكُمْ، وَذَوِي الْفَضْلِ وَالْحِجَى مِنْكُمْ، عَلَى مِثْلِ مَا قَدِمْتُ عَلَيَّ بِهِ رُسُلَكُمْ، وَقَرَأْتُ فِي كُتُبِكُمْ، أَقْدِمُ عَلَيْكُمْ وَشَيْكاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَعَمْرِي مَا الْإِمَامُ إِلَّا الْعَامِلُ بِالْكِتَابِ، وَالْآخِذُ بِالْقِسْطِ، وَالْدَائِنُ بِالْحَقِّ، وَالْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ وَالسَّلَامِ»^١.

١. الإرشاد للشئ المفيد، ص ٣٨٠-٣٨١، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٦٢؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٢١؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٤٤ (مع اختلاف يسير).

لقد عرض أهل الكوفة أنفسهم لامتحان جديد بكتابتهم تلك الرسائل للإمام عليه السلام والتي أعربوا فيها عن انضوائهم تحت لوائه واستعدادهم التام لمواجهة أعداء الإسلام معه. ورغم علم الإمام عليه السلام بسوء سابقته على عهد أبيه وأخيه، لكنه كان يأمل باتعاضهم بالحوادث الأليمة والخطوب التي أشعل نارها حكام بني أمية الظلمة وعديمو الإيمان، فرد بالإيجاب على جميع رسائلهم وبعث بسفيره مسلم بن عقيل ذلك الرجل الشجاع والمخلص لاختبار حقيقة نواياهم. فاتجه مسلم نحو الكوفة رغم علمه بمخاطر الحركة، إلا أن التجربة أثبتت أن أهل الكوفة - سوى فئة قليلة - هم أولئك الغدرة المكرة الذين كانوا على ما هم عليه سابقاً.

٣٣. التخطيط للبيعة والثورة

بعد أن فرغ الإمام عليه السلام من كتابة الرسالة سلمها لمسلم بن عقيل وقال له: «إِنِّي مُوجِّهُكَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَهَذِهِ كُتُبُهُمْ إِلَيَّ، وَسَيَقْضِي اللَّهُ مِنْ أَمْرِكَ مَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَنْتَ فِي دَرَجَةِ الشُّهَدَاءِ، فَأَمْضِ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ حَتَّى تَدْخُلَ الْكُوفَةَ، فَإِذَا دَخَلْتَهَا فَانْزِلْ عِنْدَ أَهْلِهَا، وَادْعُ النَّاسَ إِلَى طَاعَتِي وَاخْذُلْهُمْ عَنْ آلِ أَبِي سُفْيَانَ، فَإِنَّ رَأْيَتِ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى بَيْعَتِي فَعَجِّلْ لِي بِالْخَبَرِ حَتَّى أَعْمَلَ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى».

ثم ضمَّ ابن مسلم إلى صدره وودعه وبكى^١

فانطلق مسلم ليلاً حتى أتى المدينة فصلى في مسجد رسول الله ﷺ وودع من أحبَّ من أهله ثم أستأجر دليلين من قيس فأقبلا به يتنكبان الطريق فضلاً وأصابهما عطش شديد فعجزا عن السير فأومئا له إلى سنن الطريق بعد أن لاح لهما ذلك (فسلك مسلم وكتب للحسين عليه السلام بذلك فواصل الإمام عليه السلام مسيرته حتى دخل الكوفة)^٢.

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٥٣؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٩٦.

٢. الإرشاد للمفيد، ص ٣٨١.

٣٤. رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة والتخطيط للثورة

بعث الإمام الحسين عليه السلام برسالة إلى خمسة من أشراف البصرة - مالك بن مسمع البكري، الأحنف بن قيس، المنذر بن الجارود، مسعود بن عمرو، قيس بن هيثم وعمرو بن عبيد الله بن معمر - ومضمونها:

«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَكْرَمَهُ بِنُبُوتِهِ، وَاخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَقَدْ نَصَحَ لِعِبَادِهِ وَبَلَغَ مَا أُرْسِلَ بِهِ ﷺ وَكُنَّا أَهْلَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَأَوْصِيَاءَهُ وَوَرَثَتَهُ وَأَحَقَّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ فِي النَّاسِ، فَاسْتَأْثَرَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا بِذَلِكَ، فَرَضِينَا وَكَرِهْنَا الْفُرْقَةَ وَأَخْبَيْنَا الْعَافِيَةَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّا أَحَقُّ بِذَلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقِّ عَلَيْنَا مِمَّنْ تَوَلَّاهُ...

وَقَدْ بَعَثْتُ رَسُولِي إِلَيْكُمْ بِهَذَا الْكِتَابِ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَإِنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِيتَتْ، وَإِنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ، وَإِنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي وَتُطِيعُوا أَمْرِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»^١.

❦❦❦

كانت البصرة من المراكز الحساسة في العراق بعد الكوفة ولالإمام عليه السلام فيها الكثير من الأتباع، رغم عدم قلة أعدائه هناك، ولعل الإمام عليه السلام أراد اختبارهم بهذه الرسالة وكشف روحية زعمائهم، أو يمنع على الأقل معارضتهم الصريحة. على كل حال فإن تصريح الإمام عليه السلام بأن هدفه إحياء الإسلام وسنة النبي الأكرم ﷺ وإماتة سنن الظلمة يكشف ماذا كان شعار الإمام عليه السلام منذ بداية تلك الحركة والهدف الذي كان ينشده.

٣٥. المهمة المقدسة

ورد في بعض الروايات أن ابن عباس أشار على الإمام الحسين عليه السلام بمبايعة يزيد

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٦٥-٢٦٦.

ومساومة بني أمية، فقال ﷺ:

«هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّ الْقَوْمَ لَنْ يَتْرُكُونِي وَإِنَّهُمْ يَطْلُبُونَنِي أَتَيْنَ كُنْتُ، حَتَّى أَبَايَعَهُمْ كُرْهًا وَيَقْتُلُونِي، وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَيُعْتَدُونَ عَلَيَّ كَمَا اعْتَدَتِ الْيَهُودُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، وَإِنِّي ماضٍ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ أَمَرَنِي، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»^١. فقال ابن عباس: سمعت إنك تريد الذهاب إلى العراق، فلا تعجل وابق في مكة. قال ﷺ: «لَئِنْ أُقْتِلَ وَاللَّهِ بِمَكَانٍ كَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُسْتَحِلَّ بِمَكَّةَ، وَهَذِهِ كُتُبُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَرُسُلُهُمْ وَقَدْ وَجَبَ عَلَيَّ إِجَابَتُهُمْ وَقَامَ لَهُمُ الْعُذْرُ عَلَيَّ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ». فبكى ابن عباس حتى بلت دموعه لحيته ونادى «واحسيناه، وأسفاه على الحسين» وقيل: إن ابن عباس أصرَّ على منع الحسين ﷺ من التوجه إلى الكوفة. فكشف ﷺ القرآن فكانت الآية الشريفة: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ»^٢.

فقال ﷺ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»^٣.

ثم قال: «يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَلَا تُلَحَّ عَلَيَّ بَعْدَ هَذَا فَإِنَّهُ لَا مَرَدَّ لِقَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^٤.

❦❦❦

فهذه العبارات تشير بوضوح أنه كانت للإمام ﷺ مهمة إلهية في تلك النهضة وكان الإمام ﷺ يجد في تنفيذها. ولكن أمثال ابن عباس الذين لا علم لهم بما خلف الغيب إنما ينظرون بعين أخرى إلى المسألة ويؤثرون العافية والاستسلام لمبايعة يزيد.

ويستفاد ضمناً من الكلام السابق أنَّ الإمام ﷺ كان يعلم - على سبيل فرض

١. قضية يوم السبت بين اليهود أنهم منعوا فيه من الصيد، لكن البعض منهم خالف الأمر الإلهي فغضب الله عليهم وعاقبهم.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

٣. سورة البقرة، الآية ١٥٦.

٤. معالي السبطين، ج ١، ص ٢٦٤.

المحال - أنهم لن يكفّوا عنه وإن إستجاب لتلك البيعة المشينة، فهم يتربصون به الدوائر لقتله، حيث يرونه ﷺ خطراً جدياً عليهم، والحق إنه كذلك!

٣٦. حجّية بيعة أهل الكوفة على الإمام ﷺ

قال الإمام الحسين ﷺ لعبد الله بن الزبير:
«أَتَتْنِي بَيْعَةُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا يَخْلُقُونَ لِي بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ^١ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ».
فقال ابن الزبير: «أَتَذْهَبُ إِلَى مَنْ قَتَلَ أَبَاكَ وَأَخْرَجَ أَخَاكَ»^٢.



على ضوء هذه الرواية فإنّ أهل العراق سئموا ظلم بني أمية وجورهم، وأنّ انتهاك المقدّسات والقيم الإسلامية من قبل سليلي العصر الجاهلي قد عرّفت الجميع بماهية هؤلاء المجرمين الخونة ولم يبق للناس من شك في كفرهم. ولذلك كانوا يبحثون عن زعيم ينضون تحت رايته، وأي زعيم أفضل من الإمام الحسين ﷺ. كما أنّ سيل رسائل أهل الكوفة وبيعتهم للإمام ﷺ أتمّ الحجّة عليه، رغم أنّ هؤلاء الأفراد الغدرة نقضوا عهودهم ومواثيقهم أيضاً وتركوا الإمام ﷺ آخر المطاف وحده في الساحة.

٣٧. ليرافقنا المضحون فقط

لما أنطلق الإمام ﷺ إلى العراق خطب قائلاً:
«الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وَلَدِ أَدَمَ مَخْطًى الْقَلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، وَمَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقُ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَخَيْرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَا قِيَةَ. كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تُقَطِّعُهَا عَسْلَانُ»

١ . المراد من القسم بالطلاق والعتاق أنّهم إن حنثوا في قسمهم أصبحت نساؤهم مطلقات وحرر جميع

غلمانهم. ويرى بعض فقهاء أهل السنّة صحة هذا النوع من القسم.

٢ . تاريخ ابن عساكر (سيرة الإمام الحسين)، ص ١٩٤، ح ٢٤٩.

الْفُلُوتِ بَيْنَ التَّوَاوِسِ وَكَرْبَلَاءَ فَيَمْلَأَنَّ مِثِّي أَكْرَاشاً جَوْفًا وَاجْرِبَةً سُغْبًا، لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رَضِيَ اللَّهُ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصَبِرُ عَلَى بَلَائِهِ وَيُؤَفِّقُنَا أَجْرَ الصَّابِرِينَ. لَنْ تَشُدَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِحِمَّتِهِ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ، تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ وَيُنَجِّزُ بِهِمْ وَعْدَهُ. مَنْ كَانَ بَاذِلًا فِينَا مُهْجَتَهُ، وَمُوطِنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ فَلْيُزَحَلْ مَعَنَا فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»^١.

❦❦❦

تعتبر هذه الخطبة القصيرة من أعمق خطب الإمام عليه السلام معنى والتي تشير إلى ما يلي:
أولاً: كان الإمام عليه السلام واقفاً على مصير تلك الحركة الخطيرة - الانطلاق إلى العراق - لكنه يبادر إليها لأن فيها رضى الله. بعبارة أخرى كان يراها امتحاناً إلهياً ستؤتي أكلها للعالم الإسلامي على المدى القريب والبعيد وسبب فضيحة ألد أعداء الإسلام والإطاحة به وتخزين الدروس والملاحم والعزة والكرامة التي ستعتبر بها الأجيال في المستقبل.

ثاني: لم يحجب مصير كل من رافقه أو يستغفله لينطلق معه عشاق الشهادة في سبيل الله فقط، أولئك الذين ستحتفظ بأسمائهم ذاكرة التاريخ كأعظم الشهداء.

٣٨. إحترام الحرم الإلهي

قال السيد ابن طاووس بسنده عن الامام الصادق عليه السلام: جاء محمد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الحسين الخروج في صبيحتها من مكة فقال له: يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من بالحرم وأمنعه. فقال: «يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت».

١ . اللهوف (الملهوف)، ص ١٢٦؛ بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٣٦٦ و ٣٦٧.

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد.

فقال عليه السلام: أنظر فيما قلت.

فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ بزمام ناقته وقد ركبها. فقال: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك. قال: بلى. قال: فما حداك على الخروج عاجلاً قال عليه السلام:

«أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا فَارَقْتُكَ، فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ ﷺ أَخْرِجْ فَإِنَّ اللَّهَ، قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا».

فقال محمد بن الحنفية: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»؛ فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال قال:

«قَدْ قَالَ لِي: إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرِيَهُنَّ سَبَايَا».

فسلم عليه ومضى^١.



ما أمر به النبي الأكرم ﷺ ولده الإمام الحسين عليه السلام في المنام يميظ اللثام عن حقيقة مهمة وهي أن القضاء على العدو يكون سبب النصر وتحقيق الأهداف المقدسة أحياناً، وأحياناً أخرى القتل والأسر، والوارد هنا القتل والأسر!

لا شك في أن إرادة الله ليست معزولة عن الحكمة، وقد اقتضت حكمة الله البالغة أن تتكشف الصورة الحقيقية المخزية لحكام بني أمية الظلمة والملاحدة وتعبئة العالم الإسلامي ضدهم من خلال شهادة الإمام عليه السلام وأصحابه وسبي نسائه من جانب، ومن جانب آخر يحظى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بموقع في تاريخ العالم ليصبحوا أسوة للشعوب المظلومة فيتعلمون من مدرستهم درس التحرر.

وأخيراً بلوغ الإمام عليه السلام مقاماً جعله أعظم شفيع يوم الجزاء.

١ . اللهوف (الملهوف)، ص ١٢٧-١٢٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٤.

٣٩. الإمام عليه السلام يخبر عن شهادته

لما بلغ أهل المدينة خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق كتب عبد الله بن جعفر (زوج العقيلة زينب) كتاباً يقول فيه:

أما بعد، فإنني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي هذا فإنني مشفق عليك من هذا التوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك إن هلك اليوم طفئ نور الأرض فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين ولا تعجل بالسير فإنني في أثر كتابي والسلام.

فكتب الإمام عليه السلام في جوابه:

«أما بعد! فإن كتابك ورد عليّ فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أنني رأيت جدّي رسول الله ﷺ في منامي فخبّرني بأمر وأنا ماضٍ له، لي كان أو عليّ، والله يا ابن عمي لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لأستخرجوني ويقتلوني؛ والله يا ابن عمي ليغتدن عليّ كما اعتدت اليهود على السبت والسلام»^١.



تشير هذه العبارات إلى أن الإمام عليه السلام رأى نفسه أمام مفترق طرق؛ الإستسلام ليزيد والإقرار بجنايات وجرائم بني أمية، أو الشهادة المشرقة، فاختار الإمام عليه السلام الطريق الثاني، وإن أشار عليه البعض بالطريق الأول. وقد أثبت الإمام عليه السلام برسائله الحماسية وتحذيراته الشديدة التي ساقها على عهد معاوية - ومضى شرحها - مدى صلابته، فعزم الخصم على ممارسة الضغوط عليه بغية حمله على الإستسلام أو القتل، لكنهم لم يعلموا بعمق معطيات ذلك القتل والآثار - على المدى القريب والبعيد - التي سينالها العالم الإسلامي.

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١١٥-١١٦؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢١٧-٢١٨ (مع اختلاف يسير).

٤٠. رفض الإمام الحسين (عليه السلام) لأمان العدو

اتجه عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد والي مكة ليأخذ الأمان للإمام الحسين (عليه السلام) وطلب منه أن يسأله الرجوع إلى مكة فكتب له الأمان. فلما بلغه ذلك كتب (عليه السلام):

«إِنْ كُنْتُ أَرَدْتُ بِكِتَابِكَ إِلَيَّ بَرِّي وَصَلَتِي فَجَزَيْتَ خَيْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنَّهُ لَمْ يُشَاقِقِ اللَّهَ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْرُ الْأَمَانِ أَمَانُ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ مَنْ لَمْ يَخَفْهُ فِي الدُّنْيَا فَتَسْأَلُ اللَّهَ مَخَافَةً فِي الدُّنْيَا تُوجِبُ لَنَا أَمَانَ الْآخِرَةِ عِنْدَهُ»^١.



تفيد عبارة الإمام (عليه السلام) هذه أولاً: أَنَّ الإمام (عليه السلام) لم يكن يثق بعهود أمانهم ومواثيقهم؛ لأنَّ بني أمية وعملائهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وعليه فلا يمكن الوثوق بعهودهم التي لا تعد أكثر من سراب يحسبه الظمآن ماءً.

ثانياً: كان الإمام (عليه السلام) وبأمر النبي (صلى الله عليه وآله) يسعى لهدف يتجاوز حدود فكر هؤلاء وإدراكهم. وأفضل محمل لهم أنَّهم كانوا يريدون سلامة الإمام (عليه السلام)، بينما كان يهدف (عليه السلام) إلى سلامة دين جدّه؛ الأمر الذي لا يمكن في ظلِّ حكومة بني أمية سلبية الجاهلية والوثنية.

٤١. النهضة لإعلاء كلمة الحق

التقى الإمام الحسين (عليه السلام) الفرزدق (الشاعر العربي المعروف) فسأله عن أهل الكوفة. فقال الفرزدق: قلوبهم معك وسيوفهم عليك. فقال (عليه السلام):

«يَا فَرَزْدَقُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكَوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ، وَأَبْطَلُوا الْحُدُودَ، وَشَرَبُوا الْخُمُورَ، وَاسْتَأْثَرُوا فِي

١. تاريخ ابن عساكر (سيرة الإمام الحسين)، ص ٢٠٣.

أَمْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَساكِينِ، وَأَنَا أَوْلَى مَنْ قَامَ بِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَإِعْزَازِ شَرْعِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ؛ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا»^١.



فالإمام عليه السلام لم يكن يعول على دعم أهل الكوفة، بل كان يرى وظيفته في ذهابه لأرض يقتل فيها إنَّما يوقظ العالم الإسلامي من غفوته ويهز عروش الظالمين، وإلاَّ كان الأولى به العودة إلى مكة أو سلوك طريق آخر إثر سماعه ما قاله الفرزدق في جواب سؤاله. وبعبارة أخرى كان يرى وظيفته تتمثل في مقارعة من لزم طاعة الشيطان وآثرها على طاعة الرحمن وعاث في الأرض الفساد وعطل الحدود وشرب الخمر وجاهر بالفسق والفجور وهضم حقوق المستضعفين، ولابدَّ من القيام بهذه الوظيفة مهما كان الثمن.

٤٢. رسالة أخرى من الإمام عليه السلام لأهل الكوفة

لما بلغ الإمام عليه السلام وادي حجاز بطن الرمة^٢ بعث قيس بن مسهر الصيداوي برسالة لأهل الكوفة ومضمونها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ كِتَابَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ جَاءَنِي يُخْبِرُنِي فِيهِ بِحُسْنِ رَأْيِكُمْ، وَاجْتِمَاعِ مَلِكِكُمْ عَلِيٍّ نَصْرِنَا، وَالطَّلَبِ بِحَقِّنَا، فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الصَّنْعَ، وَأَنْ يُثَبِّتَكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَعْظَمَ الْأَجْرِ، وَقَدْ شَخَصْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِثَمَانٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَسُولِي فَارْكَبُوا أَمْرَكُمْ وَجِدُّوا، فَإِنِّي قَادِمٌ عَلَيْكُمْ فِي أَيَّامِي هَذِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

١. تذكرة الخواص، ص ٢١٧-٢١٨؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٩٤.

٢. بطن الرمة موضع في طريق الكوفة يلتقي فيه أهل الكوفة والبصرة.

فأقبل قيس بن مسهر بكتاب الحسين عليه السلام حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة فقال له عبيد الله بن زياد: اصعد فسبّ الكذاب الحسين بن علي.

فصعد المنبر وحمد الله وصلى على النبي وأكثر من الترحم على علي وولده صلوات الله عليهم ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم ثم قال أنا رسول الحسين إليكم وقد خلفته بموضع كذا فأجيبوه.

ثم قال المفيد رحمه الله: فأمر به عبيد الله بن زياد أن يرمى من فوق القصر فرمي به فتقطع استشهد^١.



فالرسالة تشير إلى بيعة أهل الكوفة لسفير الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، حيث كتب الإمام عليه السلام هذه الرسالة لرفع معنويات أهل الكوفة لعلمه بوهنهم وسوابقهم في نقض العهود والمواثيق علّهم يعون هذه المرة وسيلتحق بهم الإمام عليه السلام عن قريب إلى جانب مسلم، ولو فعلوا لتغيرت مسيرة النهضة. ورغم القبض على سفير الحسين عليه السلام وقتله، لكنّه في الواقع أدى رسالته وانطلق ببيان أهدافه حتى في قصر الإمارة، إلا أنّ أصحاب الراحة والدعة من أهل الكوفة كأنّهم لم يسمعوا تلك الرسالة الصريحة ليختاروا طريق الذل والهوان.

٤٣. إحياء معالم الحق

روى المحدث المعروف الدينوري أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما خرج من بطن الرمة التقى عبد الله بن مطيع^٢ الذي جاء من العراق، فسلم على الإمام عليه السلام وقال: بأبي

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٩٧؛ الإرشاد للشيخ المفيد ص ٤١٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٩-٣٧٠ (مع اختلاف يسير).

٢. ولد عبد الله بن مطيع على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وترعرع فيها. وحين استباح يزيد المدينة في



وأمي يا ابن رسول الله ﷺ ما الذي أخرجك من حرم جدك؟ قال ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ كَتَبُوا إِلَيَّ يَسْأَلُونَنِي أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْهِمْ لِمَا رَجَوْا مِنْ مَعَالِمِ الْحَقِّ وَإِمَاتَةِ الْبِدْعِ»^١.

❦❦❦

حين يتعجب بعض الأفراد مثل «محمد بن الحنفية» و«ابن عباس» و«عبد الله بن عمر» من حركة الإمام الحسين ﷺ ويجهلون فلسفة وعمق تلك النهضة المصيرية في تاريخ الإسلام، فلا يبدو من العجيب ما أصاب فرد مثل عبد الله بن المطيع الذي لا سابقة له في الإسلام بذلك الذهول والإستغراب لكن المهم بالنسبة لنا ما قاله الإمام ﷺ في الرد عليه من هدي إحياء معالم الحق وإماتة البدع سواء عن طريق القضاء على العدو أو عن طريق الشهادة.

٤٤. حوار الإمام ﷺ مع ولده علي الأكبر ﷺ

نقل المؤرخ المعروف الخوارزمي أنّ الإمام الحسين ﷺ سار حتى نزل «الثعلبية»^٢ وذلك في وقت ونزل أصحابه فوضع رأسه فاغفى ثم انتبه باكياً فقال له ابنه علي بن الحسين: يا أبة لا أبكي الله عينيك.

«يَا بُنَيَّ إِنَّهَا سَاعَةٌ لَا تُكَذِّبُ الرُّؤْيَا، فَأُعْلِمُكَ أَنِّي خَفَقْتُ بِرَأْسِي خَفَقَةً فَرَأَيْتُ فَارِسًا عَلَى فَرَسٍ وَقَفَ عَلَيَّ فَقَالَ يَا حُسَيْنُ! إِنَّكُمْ تُسْرِعُونَ الْمَسِيرَ وَالْمَنَايَا بِكُمْ

→ واقعة الحرة هرب من المدينة إلى مكة والتحق بعبد الله بن الزبير فدافع عنه حين حوَصِر في الكعبة من قبل يزيد ومرة أخرى من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي. ولاه ابن الزبير الكوفة فهرب منها حين حاصره المختار والتحق بمصعب بن الزبير في البصرة (انظر: أسد الغابة ج ٣، ص ٢٦٢؛ الكامل لابن الأثير ج ٤، ص ٢١٧؛ طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ١٤٤-١٤٥).

١. الأخبار الطوال للدينوري، ص ٢٤٥.

٢. موضع في طريق الكوفة إلى مكة وقد استخرج منه الماء رجل من بني أسد يدعى ثعلبة فسمي باسمه (معجم البلدان، ج ٢، ص ٧٨).

تُسْرِعُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ أَنْفُسَنَا نُعِثُ إِلَيْنَا».
 فقال له ولده علي بن الحسين (عليه السلام): «أَفَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ؟!». قال (عليه السلام): «بَلَى يَا بَنِي وَالَّذِي إِلَيَّ مَرْجِعُ الْعِبَادِ». قال: «إِذَا لَا نُبَالِي بِالْمَوْتِ». فقال (عليه السلام): «جَزَاكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ خَيْرَ مَا جُزِيَ بِهِ وَكَدُّ عَنْ وَالِدٍ»^١.

❦❦❦

قطعاً لم يكن بكاء الإمام (عليه السلام) على نفسه، فقد أعرب كراراً في أقواله السابقة عن رغبته بالشهادة، وليس لهذه الرؤيا من جديد بهذا الخصوص، وعليه فإما كان يبكي على ولده وصحبه، أو على الإسلام والمسلمين. كما كان على كل حال اختباراً لولده علي الأكبر (عليه السلام)، وقد كشف حقيقة الأمر بجوابه الشجاع والمخلص وبين أن أهل البيت لا يخشون في الحق أحداً ويفتحون صدورهم للشهادة.

٤٥. بنو أمية وتتبع الإمام الحسين (عليه السلام)

دخل على الإمام (عليه السلام) في منطقة الثعلبية رجل يدعى «أبو هريرة الأزدي» فسلم عليه وسأله عن سبب خروجه من حرم الله وجدّه رسول الله ﷺ، فقال (عليه السلام): «يَا أَبَا هِرَّةَ! إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ أَخَذُوا مَالِي فَصَبَرْتُ، وَشَتَمُوا عِرْضِي فَصَبَرْتُ، وَطَلَبُوا دَمِي فَهَرَبْتُ، وَأَيْمُ اللَّهِ يَا أَبَا هِرَّةَ لَتَقْتُلَنِي الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ! وَلَيَلْبَسَنَّهُمْ اللَّهُ ذُلًّا وَسَيْفًا قَاطِعًا، وَلَيَسْلَطَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يَذِلُّهُمْ حَتَّى يَكُونُوا أَذَلَّ مِنْ قَوْمِ سَبَأٍ إِذْ مَلَكَتْهُمْ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ فَحَكَمَتْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَدِمَائِهِمْ»^٢.

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٢٦.

٢. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٢٦؛ فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٢٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٧-٣٦٨.

٤٦. الإمام الحسين عليه السلام يترك للناس حرية الإنصراف

ثم سار عليه السلام حتى انتهى إلى «زبالة»^١. فبلغه خبر عبد الله بن يقطر أخوه من الرضاة مضافاً إلى اسشتهاد مسلم بن عقيل، فأخرج للناس كتاب وقرأه عليهم: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ أَتَانَا خَبَرٌ فَضِيعٌ! قَتْلُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَهَانِي بْنِ عُزُورَةَ بْنِ يَقْطَرٍ، وَقَدْ خَذَلْتَنَا شِيعَتُنَا، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ الْإِنْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ، لَيْسَ عَلَيْهِ مِنَّا ذِمَامٌ».

فتفرق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي من أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضموا إليه وإنما فعل ذلك لأنه عليه السلام علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه وهم يظنون أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهلها فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون^٢.



تشير هذه العبارة إلى أن الإمام عليه السلام كان ينهض برسالة ومهمة خاصة في هذا السفر الخطير، وإلا لانبغي له بعد العلم والإطلاع نقض أهل الكوفة لعهدهم وقتل مسلم وهاني وعبد الله بن يقطر العودة إلى مكة أو المدينة، لا أن يتجه إلى الكوفة الخاضعة لحكم ابن زياد، ولا سيما دفعه البيعة من مرافقيه حين أبلغهم بخطورة المهمة فمن شاء فليرجع.

٤٧. الإمام عليه السلام يستعرض لصحبه الحقائق

روى المحدث المعروف القندوزي أن الإمام عليه السلام لما سمع في موضع «زبالة» بخبر قتل مسلم بن عقيل، التفت إلى أصحابه وقال:

١. زبالة: موقع معروف في طريق الكوفة إلى مكة قرب موضع الثعلبية.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٠٠-٣٠١؛ الإرشاد للمفيد، ص ٤٢٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٧٤ (مع اختلاف يسير).

«أَيُّهَا النَّاسُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَصْبِرُ عَلَى حَدِّ السَّيْفِ وَطَعْنِ الْأَسِنَّةِ فَلْيَقُمْ مَعَنَا وَإِلَّا فَلْيَنْصَرِفْ عَنَّا»^١.

٤٨. أهداف الإمام عليه السلام في الأشعار المعبرة

واصل الإمام عليه السلام مسيره إلى الكوفة حتى رأى الفرزدق، فسلم عليه وقال: يا ابن رسول الله ﷺ كيف تتق بأهل الكوفة وقد قتلوا ابن عمك - مسلم بن عقيل - وصحبه؟ فجرت دموعه عليه السلام وقال:

«رَحِمَ اللَّهُ مُسْلِمًا فَلَقَدْ صَارَ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ وَرَيْحَانِهِ وَجَنَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ، إِلَّا إِنَّهُ قَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ وَبَقِيَ مَا عَلَيْنَا».

ثم أنشد:

فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً فَدَارُ ثَوَابِ اللَّهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ أَنْشَتَتْ فَقَتْلُ امْرِئٍ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ قِسْمًا مُقَدَّرًا فَقَلَّةُ حِرْصِ الْمَرْءِ فِي الرِّزْقِ أَجْمَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَمْوَالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُهَا فَمَا بَالُ مَثْرُوكٍ بِهِ الْحُرُّ يَبْخَلُ^٢

وأضاف ابن شهر آشوب صاحب كتاب المناقب هذا البيت:

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ يَا آلَ أَحْمَدٍ فَإِنِّي أَرَانِي عَنْكُمْ سَوْفَ أَرْحَلُ^٣

كما أضاف الأربلي مؤلف «كشف الغمة» هذا البيت:

وَإِنْ كَانَتْ الْأَفْعَالُ يَوْمًا لِأَهْلِهَا كَمَالًا فَحُسْنُ الْخُلُقِ أَبْهَى وَأَكْمَلُ^٤

وجاء في الخبر أن الإمام الحسين عليه السلام التفت إلى بنت مسلم بن عقيل وقال:

١. ينابيع المودة، ص ٤٠٦.

٢. تاريخ ابن عساكر (سيرة الإمام الحسين)، ص ١٦٣؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ٣٧٤.

٣. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٠٣-١٠٤.

٤. كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٨.

«يَا ابْنَتِي أَنَا أَبُوكِ وَبَنَاتِي أَخَوَاتُكِ»^١.

❦❦❦

تجسدت في هذه الأشعار ذروة عظمة الإمام عليه السلام وأهدافه، فهو يعلم أن لا سبيل أمامه سوى الشهادة واستقبال السيوف والرماح بغية رفض فضيحة الاستسلام للاستبداد وإنقاذ الإسلام من مخالب المشركين المتشبهين بالمسلمين من فلول بني أمية. والإمام عليه السلام يُعدّ أصحابه من خلال ذلك لهذا الهدف العظيم.

٤٩. خطبة الإمام عليه السلام في أول لقاء بالعدو

التقى الإمام عليه السلام في منطقة «ذو الحسم»^٢ بجيش الحر (الجيش الذي بعث من جانب ابن زياد لمنع الحسين عليه السلام من دخول الكوفة)، فلما حل الظهر قال الإمام عليه السلام للحجاج بن مسروق:

«أَذِّنْ رَحِمَكَ اللَّهُ! ... حَتَّى نُصَلِّيَ».

فنهض الحجاج وأذن. فقال الإمام عليه السلام للحر بن يزيد:

«يَا ابْنَ يَزِيدَ! أَتُرِيدُ أَنْ تُصَلِّيَ بِأَصْحَابِكَ وَأُصَلِّيَ بِأَصْحَابِي؟».

فقال الحر: صلّ بأصحابك ونحن معكم. فاقتدوا جميعاً بالأمام عليه السلام فلما فرغ استند على سيفه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهَا مَعَذَرَةٌ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِنِّي لَمْ أَقْدِمُ عَلَى هَذَا الْبَلَدِ حَتَّى أَتَتَّنِي كُتُبُكُمْ وَقَدِمْتَ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْنَا إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِمَامٌ، فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْهُدَى، فَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ جِئْتُمْكُمْ، فَإِنْ تُعْطُونِي مَا يَتَّقُ بِهِ قَلْبِي مِنْ عُهْدِكُمْ وَمِنْ مَوَائِقِكُمْ دَخَلْتُ مَعَكُمْ إِلَى مِصْرِكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ كَارِهِينَ لِقُدُومِي عَلَيْكُمْ انْصَرَفْتُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ

١. مثير الأحزان، ص ٤٥.

٢. ذو حُسم أو (ذو حُسم) جبل كان يقصده النعمان بن المنذر للصيد.

إِلَيْكُمْ»^١.

فسكت الحر وجيشه أمام كلمات الإمام عليه السلام وخطبته دون أن يحيروا جواباً.

وعلى رواية أخرى قال:

«إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ تَرَوْنَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ
مَعْرُوفُهَا، وَاسْتَمَرَّتْ جِدًّا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كُصْبَابَةِ الْإِنَاءِ، وَخَسِيسَ عَيْشٍ
كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لَا يُعْمَلُ بِهِ وَإِلَى الْبَاطِلِ يَتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ
الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ رَبِّهِ حَقًّا حَقًّا، فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ
إِلَّا بَرَمًا»^٢.

وقال العلامة المجلسي إن الإمام الحسين عليه السلام قال:

«إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالِدِّينُ لِعَقٍّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَائِشُهُمْ
فَإِذَا مُحِصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ»^٣.



رغم فائق الاحترام الذي أبداه ظاهرياً «الحر بن يزيد الرياحي» للإمام عليه السلام وصلى
وصحبه خلفه، لكنه كان مكلفاً بالحيلولة دون دخول الإمام عليه السلام إلى الكوفة وعدم
السماح له بالعودة إلى المدينة، بل أبعد من ذلك جعجع بالأمام عليه السلام في منطقة نائية
حتى تصل التعزيزات فيخضع الإمام عليه السلام لمحاصرة تامة.

وما قاله الإمام عليه السلام: «إِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي، فَأَنْ أَيْتِمَ نَصْرَتِي، دَعَوْنِي أَعُودُ، إِنَّمَا يَهْدَفُ
فِي الْوَاقِعِ إِلَى إِتِمَامِ الْحُجَّةِ عَلَى تِلْكَ الْفِتْنَةِ النَّاكِثَةِ لِلْعَهْدِ، لِأَنَّ الْإِمَامَ عليه السلام لَوْ أَرَادَ
الْعُودَةَ، لَرَجَعَ لَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ قَتْلِ مُسْلِمٍ وَهَانِي وَنَقَضَ أَهْلَ الْكُوفَةِ لِلْبَيْعَةِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٣٤-١٣٥؛ الإرشاد للمفيد، ص ٤٢٧ (مع اختلاف يسير).

٢. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨١؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٠٥ (مع اختلاف يسير).

٣. بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١١٦؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٣٧ (جدير بالذكر أن الخوارزمي يعتقد أن الإمام عليه السلام ألقى هذه الخطبة في كربلاء في الثاني من محرم).

أي مانع حسب الظاهر. نعم، كان الإمام عليه السلام يعتقد أنّ مساره إلى كربلاء ميدان المواجهة سيتوج بالشهادة وهذا ما بلغه عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

٥٠. خطبة الإمام عليه السلام إزاء جيش الحر

فلما كان وقت العصر أمر الحسين عليه السلام أن يتهيأوا للرحيل ففعلوا ثم أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام فاستقدم الحسين وقام فصلى بالقوم ثم سلم وانصرف إليهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ! أَنَا ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ أَوْلَى بِوِلَايَةِ هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَيْكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ وَالسَّائِرِينَ فِيكُمْ بِالْظُلْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَإِنْ تَتَّقُوا بِاللَّهِ وَتَعَرَّفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًى، وَإِنْ كَرِهْتُمُونَا وَجَهِلْتُمْ حَقَّنَا وَكَانَ رَأْيُكُمْ عَلَى خِلَافٍ مَا جَاءَتْ بِهِ كُتُبُكُمْ وَقَدِمَتْ بِهِ رُسُلُكُمْ انصَرَفْتُ عَنْكُمْ».

فقال له الحر: أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر. فقال الحسين عليه السلام لبعض أصحابه: «يَا عُقْبَةُ! هَاتِ الْخُرُجِينَ الَّذِينَ فِيهِمَا الْكُتُبُ»؛ فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنثرت بين يديه. فقال له الحر: لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا أنا إذا لقيناك لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد.

فتبسم الإمام والحسين عليه السلام وقال:

«الْمَوْتُ أَذْنَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ»^١.



مرة أخرى أتم الإمام عليه السلام الحجة على أهل الكوفة وجيش الحر الذين كان الكثير منهم ممن كتب للإمام عليه السلام ودعاه للكوفة، ذلك أنه لم ينكر كتابة الرسالة أحد سوى

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٣٧-١٣٨؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٠٣ (مع اختلاف يسير)؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٣٢ (مع اختلاف يسير).

الحر. وقطعاً كان بينهم الكثيرون الذين شعروا بالخجل، لكنهم كانوا أضعف من العودة إلى الصواب والرجوع عن الخطأ. وكانت عبارة الإمام عليه السلام الأخيرة ضربة قاضية وجهت للحر، فسكت ولم ينبس ببنت شفة.

٥١. ردّ الحسين على الحر

ثم قال لأصحابه فقوموا فاركبوا فركبوا وانتظر حتى ركبت نساؤه فقال لأصحابه انصرفوا فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف. فقال الحسين عليه السلام للحر: «تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ! مَا الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ؟».

فقال له الحر: أمّا لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمّه بالمثل كائناً من كان، ولكن والله ما لي من ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه.

فقال له الحسين عليه السلام: فما تريد؟ قال: أريد أن انطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد فقال:

«إِذَا وَاللَّهِ لَا أَتَّبِعُكَ أَوْ تَذْهَبَ نَفْسِي».

فقال له الحر: إذن والله لا أفارقك وتذهب نفسي وأنفس أصحابي.

فقال الحسين عليه السلام:

«قَدْ أَذِنَ أَصْحَابِي وَأَصْحَابُكَ وَابْرَزُوا إِلَيَّ، فَإِنْ قَتَلْتَنِي خُذْ بِرَأْسِي إِلَى ابْنِ زِيَادٍ وَإِنْ قَتَلْتُكَ أَرَحْتُ الْخَلْقَ مِنْكَ».

فقال الحر: إنني لم أؤمر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك أو قدم بك على الأمير، وأنا والله كاره أن يبتليني الله بشيء من أمرك غير إنني أخذت ببيعة القوم وخرجت إليك وأنا أعلم أنه ما يوافي القيامة أحد من هذه الأمة إلا وهو يرجو شفاعته جدك، وأناي والله لخائف إن أنا قاتلتك أن أخسر الدنيا والآخرة، ولكن أنا يا أبا عبد الله فلست أقدر على الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا، ولكن خذ نير الطريق وامض

حيث شئت حتى أكتب إلى الأمير أن الحسين خالفني الطريق فلم أقدر عليه، وأنا أنشدك الله في نفسك.

فقال له الحسين عليه السلام: كأنك تخبرني بأني مقتول.

فقال الحر: نعم يا أبا عبد الله لا أشك في ذلك إلا أن ترجع من حيث جئت.

فقال الحسين عليه السلام: لا أدري ما أقول لك ولكنني سأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرته رسول الله صلى الله عليه وآله فخوفه ابن عمه حين لقيه وقال أين تذهب فإنك مقتول فقال له.

سَأَمْضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا مَا نَوَى خَيْرًا وَجَاهَدَ مُسْلِمًا
وَوَاسَى الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ بِنَفْسِهِ وَفَارَقَ مَذْمُومًا وَخَالَفَ مُجْرِمًا
أَقْدَمُ نَفْسِي لَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا لَتَلْقَى خَمِيسًا فِي الْوِغَاءِ عَزْمَرَمًا
فَإِنْ عِشْتُ لَمْ أَلَمْ وَإِنْ مِتُّ لَمْ أَدَمْ كَفَى بِكَ ذُلًّا أَنْ تَعِيشَ مُرَغَمًا!



العبارات والأشعار التي وردت في كلمات الإمام عليه السلام تشير إلى وراثته التامة لشجاعة أبيه علي عليه السلام. فكما قال أبوه عليه السلام: «والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بشدي أمه»^٢.

قال الحسين عليه السلام: «سأَمْضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى» الشجاعة التي جعلته يبتسم للموت ولا يخشى أي تهديد ويسعى لتحقيق هدفه المقدس مهما بلغ الأمر. ولو تأملنا الأشعار المذكورة ثانية التي تمثل لسان حال الإمام عليه السلام وتمعنا في مضمونها لرأينا كيف تتحدث عن الموت كمصدر للحياة والعزة والكرامة، والحياة كأساس للذل والعار والبؤس والشقاء.

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٣٨-١٤٠؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٣٣ (مع اختلاف يسير)؛

بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٧٧-٣٧٨ (مع اختلاف يسير).

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٥.

٥٢. تعبير آخر للإمام عليه السلام برفض الذل

وجاء في الخبر أن الإمام عليه السلام بعد أن تمثل بذلك الشعر قال:
«لَيْسَ شَأْنِي شَأْنُ مَنْ يَخَافُ الْمَوْتَ، مَا أَهْوَنَ الْمَوْتُ عَلَى سَبِيلِ نَيْلِ الْعِزِّ
وإِخْيَاءِ الْحَقِّ، لَيْسَ الْمَوْتُ فِي سَبِيلِ الْعِزِّ إِلَّا حَيَاةً خَالِدَةً وَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ مَعَ الذُّلِّ إِلَّا
الْمَوْتُ الَّذِي لَا حَيَاةَ مَعَهُ، أَفَبِالْمَوْتِ تُخَوِّفُنِي، هَيْهَاتَ طَاشَ سَهْمُكَ وَخَابَ ظَنُّكَ
لَسْتُ أَخَافُ الْمَوْتَ، إِنَّ نَفْسِي لِأَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ وَهَمَّتِي لِأَعْلَى مِنْ أَنْ أُحْمَلَ الضَّيْمَ
خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ تَقْدِرُونَ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ قَتْلِي؟! مَرْحَبًا بِالْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
وَلَكِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى هَدْمِ مَجْدِي وَمَحْوِ عِزِّي وَشَرَفِي فَإِذَا لَا أَبَالِي بِالْقَتْلِ»^١.



تحية لهذه الهمة العالية، وسلام الله على هذه الروح العظيمة والبسالة المطلقة؛
فهل سمعت مثل هذه الكلمات من فم أحد لحد الآن؟
وهل يسع كل شخص أن يتفوه بهذه الكلمات؟
السلام عليك يا إمام الأحرار وسيد الشهداء! يا من علمتنا أعظم الدروس بأقصر
العبارات، لك آلاف التحية والثناء!

٥٣. خطبة الإمام الأخرى في أصحاب الحر

وصل الحسين عليه السلام وصحبه والحر وجيشه موضع «البيضة»^٢ فخطب الإمام
لأصحابه وجيش الحر، فحمد الله عليه وأثنى عليه وقال:
«أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ،
نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ فَلَمْ يُغَيِّرْ
عَلَيْهِ بِفِعْلٍ، وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ). أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا

١. إحقاق الحق، ج ١، ص ٦٠١؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٨١.

٢. البيضة بكسر الباء: بركة بين الواقعة وعذيب.

طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكَوْا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَظَّلُوا الْحُدُودَ وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ، وَحَرَّمُوا حَلَالَ اللَّهِ، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ. قَدْ أَتَنَّى كُتُبَكُمْ، وَقَدِمْتُ عَلَى رُسُلِكُمْ بِيَعْتِكُمْ أَنْكُمْ لَا تُسَلِّمُونِي وَلَا تَخَذُلُونِي، فَإِنْ تَمَمْتُمْ عَلَى بِيَعْتِكُمْ تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ، فَأَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَابْنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ، وَأَهْلِي مَعَ أَهْلِكُمْ، فَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَقْضُوا عَهْدَكُمْ، وَخَلَعْتُمْ بِيَعْتِي مِنْ أَعْنَاقِكُمْ فَلَعَمْرِي مَا هِيَ لَكُمْ بِبُكَرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَابْنِ عَمِّي مُسْلِمًا! وَالْمَعْرُورُ مَنْ اغْتَرَّ بِكُمْ، فَحَظَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ، وَنَصِيبَكُمْ ضَيَّعْتُمْ ﴿فَمَنْ نَكثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^١ وَسَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ^٢.

فعندما انتهى الحسين عليه السلام من خطبته جاءه أصحابه بأجمعهم وأعلنوا عن بيعتهم ووفائهم بعهدهم وأن يمضوا في نصرته، فدعا لهم الحسين عليه السلام وطلب من الله عز وجل لهم الخير والسعادة.



فقد شرح الإمام عليه السلام بهذه الخطبة التاريخية جميع أهدافه من هذه النهضة الملحمية، حيث يستضاء بنوره في كل عصر ومصر. ويرى الإمام عليه السلام أن نهضته ستكون القدوة للمسلمين كافة للثورة على الحكام الظلمة. الظلمة والطواغيت الذين لم يقتصر جورهم على استعباد العباد، بل جاوزوا ذلك ليحلوا حرام الله ويحرموا حلاله.

حقاً لا يجوز لمسلم السكوت تجاه هؤلاء الأفراد! ذلك أن السكوت يعني تقرير أفعالهم، وتقرير أفعالهم يؤدي إلى وحدة مصير الساكت والظالم الجائر. نعم، لا بد أن

١. سورة الفتح، الآية ١٠.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٠٤؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٤٨؛ والفتوح لابن الأعمش، ج ٥، ص ١٤٤-١٤٥.

يصرخ الجميع ويثور ليحطم عروش الطواغيت، وأولى الناس بهذا الأمر ابن النبي ﷺ والإمام المعصوم ﷺ.

فهل هنالك من منطق أبلغ وأسمى من هذا!

٥٤. عبید الله بن الحر الجعفي وفوات الفرصة

ثم مضى الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى (قصر بني مقاتل)^١ فنزل به وإذا هو بفسطاط مضروب فقال: لمن هذا. فقيل: لعبید الله بن الحر الجعفي. قال: ادعوه إلي فلما أتاه الرسول قال له هذا الحسين بن علي ﷺ يدعوك.

فقال عبید الله: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهية أن يدخلها الحسين وأنا فيها والله ما أريد أن أراه ولا يراني. فأتاه الرسول فأخبره فقام إليه الحسين فجاء حتى دخل عليه وسلم وجلس ثم دعاه إلى الخروج معه فأعاد عليه عبید الله بن الحر تلك المقالة واستقاله ممّا دعاه إليه فقال له الحسين ﷺ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ الْحَرِّ! فَإِنَّ مَصْرَكُمْ هَذِهِ كَتَبُوا لِي وَخَبَرُونِي أَنَّهُمْ مُجْتَمِعُونَ عَلَى نُصْرَتِي، وَأَنْ يَقُومُوا دُونِي وَيُقَاتِلُوا عَدُوِّي، وَأَنَّهُمْ سَأَلُونِي الْقُدُومَ عَلَيْهِمْ، فَقَدِمْتُ، وَلَسْتُ أَدْرِي الْقَوْمَ عَلَى مَا زَعَمُوا، لِأَنَّهُمْ قَدْ أَعَانُوا عَلَى قَتْلِ ابْنِ عَمِّي مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ) وَشِيعَتِهِ. وَأَجْمَعُوا عَلَى ابْنِ مَرْجَانَةَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يُبَايِعُنِي لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْحَرِّ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُوَاخِذُكَ بِمَا كَسَبْتَ وَأَسْلَفْتَ مِنَ الذُّنُوبِ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ، وَأَنَا أَدْعُوكَ فِي وَقْتِي هَذَا إِلَى تَوْبَةٍ تُغْسِلُ بِهَا مَا عَلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَدْعُوكَ إِلَى نُصْرَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنْ أُعْطِينَا حَقَّنَا حَمْدَنَا اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَبْلِنَاهُ، وَإِنْ مُنِعْنَا حَقَّنَا وَرُكِبْنَا بِالظُّلْمِ كُنْتَ مِنْ أَعْوَانِي عَلَى طَلَبِ الْحَقِّ».

فقال عبید الله بن الحر: والله يا بن رسول الله لو كان لك بالكوفة أعوان يقتاتلون

١ . قصر بني مقاتل: موضع بين عين تمر والقطقطانية (قرب الكوفة) كان ينسب لمقاتل بن حسان.

معك لكنت أنا أشدهم على عدوك، ولكنتي رأيت شيعتك بالكوفة وقد لزموا منازلهم خوفاً من بني أمية ومن سيوفهم فأشدك بالله أن تطلب مني هذه المنزلة وأنا أواسيك بكل ما أقدر عليه وهذه فرسي ملجمة، والله ما طلبت عليها شيئاً إلا أذقته حياض الموت، ولا طلبت وأنا عليها فلحقت، وخذ سيفي هذا فوالله ما ضربت به إلا قطعت. فقال الإمام عليه السلام:

«يَا ابْنَ الْحُرِّ! مَا جِئْنَاكَ لِفَرَسِكَ وَسَيْفِكَ، إِنَّمَا أَتَيْنَاكَ لِنَسْأَلَكَ النُّصْرَةَ، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ بَخَلْتَ عَلَيْنَا بِنَفْسِكَ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي شَيْءٍ مِنْ مَالِكَ، ... قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ سَمِعَ دَاعِيَةَ أَهْلِ بَيْتِي، وَلَمْ يَنْصُرْهُمْ عَلَى حَقِّهِمْ إِلَّا أَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ»^١.

ثم نهض الإمام الحسين عليه السلام راجعاً إلى أصحابه.

وجاء في هذا الخبر أن الإمام الحسين عليه السلام قال في الختام لعبيد الله بن الحر: «فَالَا تَنْصُرُنَا فَاتَّقِ اللَّهَ أَنْ لَا تَكُونَ مِمَّنْ يُقَاتِلُنَا، فَوَاللَّهِ لَا يَسْمَعُ وَاعِيَتَنَا أَحَدٌ ثُمَّ لَمْ يَنْصُرْنَا إِلَّا هَلَكَ».

فقال له: أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله^٢.



دل الإمام عليه السلام مرة أخرى بهذه الكلمات العميقة المعنى أنه ورغم يأسه من أهل الكوفة وعلمه أنهم أعظم غدرًا من الوفاء بعهدهم ودعوتهم ونصرتهم له، لكنه سيواصل مسيرته، فهناك رسالة أخرى وخطة أخرى ينشدها الإمام عليه السلام وكان عليه السلام يتم الحجة على كل من يراه فيصطحب ذوي النفوس الشامخة والسعيدة والمؤمنين الأشداء، ليرتشفوا في الغاضرية شهد الشهادة ويرووا شجرة الإسلام بدمائهم الطاهرة ويكشفوا حقيقة النفاق والدجل.

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٣٠-١٣٢.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٠٧-٣٠٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٧٩.

٥٥. هوان الدنيا

عن علي بن الحسين عليه السلام قال خرجنا مع الحسين فما نزل منزلاً وما ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقتله وقال يوماً:
 «وَمِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنْ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا أُهْدِيَ إِلَى بَغِيِّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ»^١.

وفي رواية أخرى أَنَّ الإمام عليه السلام قال:
 «إِنَّ أَمْرًا مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَبُرَتْ وَأَرَادَتْ أَنْ تُزَوِّجَ بِنْتَهَا مِنْهُ لِلْمَلِكِ، فَاسْتَشَارَ الْمَلِكُ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا فَتَهَا عَنْ ذَلِكَ، فَعَرَفَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ وَزَيَّنَتْ بِنْتَهَا وَبَشَّتْهَا إِلَى الْمَلِكِ فَذَهَبَتْ وَلَعِبَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: مَا حَاجَتُكِ؟
 فَقَالَتْ: رَأْسُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا.
 فَقَالَ الْمَلِكُ: يَا بَنِيَّةُ حَاجَةٌ غَيْرَ هَذِهِ.
 قَالَتْ: مَا أُرِيدُ غَيْرَهُ... فَقَتَلَهُ، ثُمَّ بَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهَا فِي طُشْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَأُمرِتِ الْأَرْضُ فَأَخَذَتْهَا، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُخْتَ نُصْرَ»^٢.

قيل كانت الدماء تغلي من الموضع الذي دفن فيه رأس يحيى عليه السلام ولم يسكن حتى قتل بخت نصر طائفة عظيمة من ظلمة بني إسرائيل. ولذلك قال الإمام الحسين عليه السلام لولده السجاد عليه السلام:

«يَا وَلَدِي عَلَيَّ وَاللَّهِ لَا يَسْكُنُ دَمِي حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ الْمَهْدِيَّ فَيَقْتُلَ عَلَى دَمِي مِنَ الْمُتَافِقِينَ الْكُفْرَةَ الْفَسَقَةَ سَبْعِينَ أَلْفًا»^٣.



كل قول من الأقوال القصيرة والعميقة المعنى للإمام عليه السلام في مسيرته لكرلاء أعظم

١. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٩٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨٩.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق.

دهشة وثمره من الآخر.

وهدف الإمام عليه السلام من طرح واقعة يحيى عليه السلام إشارة إلى نقطة وهي أن الحكام الظلمة والطواغيت إنما قتلهم لظهوره وورعه وتقواه ومناهضته للفساد والانحراف ويهدون رأسه إلى أحد البغاة، ويدل هذا على أن الإمام عليه السلام كان عالماً بتفاصيل قتله وكان يشرحها لأصحابه وولده فيعدهم للقتال بشجاعة حتى آخر قطرة دم في عروقهم. وقوله عليه السلام: «لا يسكن دمي حتى يبعث الله المهدي عليه السلام» إشارة عميقة لتواصل النهضة الحسينية طيلة التاريخ، الأمر الذي نشاهده اليوم بأعيننا. صدق الله ورسوله وأوليائه عليه السلام.

٥٦. الوصول إلى المكان المطلوب

فرحل من موضعه حتى نزل في يوم الأربعاء أو يوم الخميس بكرلاء وذلك في الثاني من المحرم سنة إحدى وستين. ثم أقبل على أصحابه فقال:

«النَّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ لَعِقُوا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحْطُونَ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَّانُونَ».

ثم قال: أهذه كربلاء.

فقالوا: نعم يا ابن رسول الله.

فقال:

«هَذَا مَوْضِعُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ، هُنَا مَنَاخُ رِكَابِنَا، وَمَحَطُّ رِحَالِنَا، وَمَقْتَلُ رِجَالِنَا وَمَسْفَكُ دِمَائِنَا»^١.

ثم نزل أصحاب الإمام عليه السلام. وفي رواية أخرى أن الإمام الحسين عليه السلام سأل: ما اسم هذا المكان؟ قيل: كربلاء. فقال عليه السلام:

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٣٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨٣.

«ذاتُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ، وَلَقَدْ مَرَّ أَبِي بِهَذَا الْمَكَانِ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى صِفِّينَ، وَأَنَا مَعَهُ، فَوَقَفَ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأُخْبِرَ بِاسْمِهِ، فَقَالَ: «هَا هُنَا مَحْطُ رِكَابِهِمْ، وَهَا هُنَا مِهْرَاقُ دِمَائِهِمْ»، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «ثَقُلَ لِأَلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، يَنْزِلُونَ هَاهُنَا»، وَقَبِضَ قَبْضَةً مِنْهَا فَشَمَّهَا وَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا جِبْرَائِيلُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّنِي أُقْتَلُ فِيهَا، أَخْبَرْتَنِي أُمُّ سَلَمَةَ»^١.

قالت له أم سلمة: كان جبرائيل عند رسول الله ﷺ وأنت معي فبكيت، فقال رسول الله ﷺ: دعي ابني فتركته فأخذك ووضعك في حجره، فقال جبرائيل: أتحبّه؟ قال: نعم. قال: «فَإِنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتَكَ ثُرْبَةً أَرْضِهِ الَّتِي يُقْتَلُ فِيهَا، قَالَ: نَعَمْ. فَبَسَطَ جِبْرَائِيلُ جَنَاحَهُ عَلَى أَرْضِ كَرْبَلَاءِ فَأَرَاهُ إِيَّاهَا».

وفي رواية عن أبي مخنف في مقتله باسناده عن الكلبي أنّ قال: وساروا جميعاً إلى أن أتوا إلى أرض كربلاء وذلك في يوم الأربعاء فوقف فرس الحسين عليه السلام من تحته فنزل عنها وركب أخرى فلم ينبعث من تحته خطوة واحدة ولم يزل يركب فرساً بعد فرس حتى ركب سبعة أفراس وهنّ على هذا الحال فلما رأى الإمام عليه السلام ذلك الأمر الغريب قال: ما يقال لهذه الأرض. قالوا: أرض الغاضرية، قال: فهل لها اسم غير هذا. قالوا: تسمى نينوا. قال: هل لها اسم غير هذا. قالوا: تسمى بشاطيء الفرات، قال: هل لها اسم غير هذا. قالوا: تسمى بكربلاء فتتنفس سعداء وقال: أرض كرب وبلاء ثم قال:

«قِفُوا وَلَا تَرْحَلُوا مِنْهَا، فَهَا هُنَا وَاللَّهِ مَنَاخُ رِكَابِنَا، وَهَا هُنَا وَاللَّهِ سَفْكُ دِمَائِنَا، وَهَا هُنَا وَاللَّهِ هَتْكُ حَرِيمِنَا، وَهَا هُنَا وَاللَّهِ قَتْلُ رِجَالِنَا، وَهَا هُنَا وَاللَّهِ ذَبْحُ أَطْفَالِنَا، وَهَا هُنَا وَاللَّهِ تَرَارُ قُبُورُنَا، وَبِهَذِهِ الثُّرْبَةِ وَعَدَنِي جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَا خُلْفَ لِقَوْلِهِ»^٢.

❦❦❦

١. مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٩٢.

٢. ناسخ التواريخ، ج ٢، ص ١٦٨ وراجع إثبات الهداة، ج ٥، ص ٢٠٢.

أرض كربلاء من أعظم أراضي البلاد الإسلامية تداعياً للأحداث؛ أرض البطولة والبسالة وميدان التضحية والفداء وموضع الصلابة في تحقيق الأهداف. واسم كربلاء لدى الإمام الحسين عليه السلام، ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله أخبره بها على عهده، بعد أن أطلعته عليها - طبق الروايات - الأمين على الوحي جبرائيل وأنّ ولدك الحسين سيقتل فيها (قتلة تستوعب معطياتها سعة التاريخ). حتى أمير المؤمنين عليه السلام طبق رواية لما عبر من هناك رأى الحوادث القادمة في تلك البقعة فصلى ودعا لولده الحسين عليه السلام بالصبر. ومن هنا لما بلغ الحسين عليه السلام تلك الأرض، أمر بالنزول فيها وضرب الخيام وقال: هاهنا مناخ ركبنا.

٥٧. موقف الإمام الحسين عليه السلام الصلب إزاء رسول عبيد الله

كتب ابن زياد رسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام: «أما بعد يا حسين فقد بلغني نزولك بكربلاء وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسد الوثير ولا أشبع من الخمير أو ألحقك باللطيف الخبير أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية». فلما ورد الكتاب إلى الحسين عليه السلام وقرأه ألقاه وقال: «لا أَفْلَحَ قَوْمٌ آثَرُوا مَرْضَاةَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى مَرْضَاةِ الْخَالِقِ». فطلب رسول عبيد الله من الإمام الحسين جواباً على كتابه ابن زياد فقال عليه السلام: «مَا لَهُ عِنْدِي جَوَابٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ». فرجع الرسول وأخبر ابن زياد بذلك فغضب (لكنه لم يجب بشيء)^١.



يبيّن الإمام عليه السلام بهذه العبارة القصيرة والعميقة المعنى أن لا مساومة قط مع من يؤثر طاعة البغاة على طاعة الله، ولا يرى رسالة أمثال ابن زياد الذين يعدون جزءاً

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٥٠-١٥١؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٣٩؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨٣ (مع اختلاف يسير).

من هذه الفئة جديرة بالجواب، فالإمام عليه السلام إكتفى بقراءتها ورمىها جانباً وإن تعرضت روحه الطاهرة للخطر.

٥٨. الصمت معصية

ونزل الإمام الحسين عليه السلام في موضعه ذلك ونزل الحر بن يزيد حذاه في ألف فارس ودعا الحسين بدواة وقرطاس وكتب إلى أشرف الكوفة ممن كان يظن أنه على رأيه.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، وَالْمُسَيَّبِ بْنِ نَجْبَةَ، وَرُفَاعَةَ بْنِ شَدَّادٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَالٍ، وَجَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ فِي حَيَاتِهِ: (مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ثُمَّ لَمْ يُغَيِّرْ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلُهُ). وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَوَلَّوْا عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفُسَادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِيءِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ، وَإِنِّي أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ لِقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَدْ أَتَنِي كُتُبُكُمْ وَقَدِمَتْ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ بِيَعْتَكُمْ أَنْكُمْ لَا تُسَلِّمُونِي وَلَا تَخَذُلُونِي، فَإِنْ وَفَيْتُمْ لِي بِيَعْتِكُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ حَظَّكُمْ وَرُشْدَكُمْ، وَنَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ، وَأَهْلِي وَوَلَدِي مَعَ أَهَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ، فَلَكُمْ بِي أَسْوَةٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ، وَخَلَعْتُمْ بِيَعْتَكُمْ فَلَعَمْرِي مَا هِيَ مِنْكُمْ بِنُكْرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَإِنِّي عَمِي! وَالْمَغْرُورُ مَنْ اغْتَرَّ بِكُمْ، فَحَظَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ وَنَصِيْبَكُمْ ضَيَّعْتُمْ ﴿فَمَنْ نَكثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وَسَيُعْزِي اللَّهُ عَنْكُمْ، وَالسَّلَامُ»^١.

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٤٣-١٤٥؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٣٤-٢٣٥؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨١-٣٨٢.

ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى قيس بن مسهر الصيدائي وساق الحديث كما مرّ ثم قال: ولما بلغ الحسين قتل قيس استعبر باكيّاً ثم قال:
«اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا وَلِشِيعَتِنَا عِنْدَكَ مَنْزِلًا كَرِيمًا، وَاجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي مُسْتَقَرٍّ مِنْ رَحْمَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^١.



أتمّ الإمام عليه السلام الحجّة مرّة أخرى في هذه الرسالة التي كتبها لعامة أهل الكوفة - سيما أشرافها - فكشف من جانب وظيقتهم الخطيرة في النهضة ضد جنود الشيطان وأئمة الكفر والطغيان والفساد، ومن جانب آخر يذكرهم بعهدهم وبيعتهم في دعم أهدافه.

والجدير بالذكر أنّه عليه السلام لم يشترط قيام ثورته بنهضتهم وقيامهم ويعلن عن عزمه وجزمه على النهضة بعد التوكل على الله والتضحية بآخر قطرة دم. فهذه الأهداف لا تنشأ حكومة ولا تبغى مقاماً؛ بل تقتصر على مقارعة المستبدين والطواغيت والحكام الجائرين وأولئك الذين ضربوا القيم السماوية عرض الحائط والفوز برضى الله.

٥٩. مرحبا بهذا الموت

لم يمض وقت طويل حتى قدم عمر بن سعد بجيشه إلى كربلاء. فأتى رسوله إلى الإمام الحسين عليه السلام فسلم عليه وسلّمه رسالة ابن سعد ثم سأله: لم قدمت إلى مصرنا يا سيدي. فقال عليه السلام:

«كَتَبَ إِلَيَّ أَهْلُ مِصْرِكُمْ هَذَا أَنْ أَقْدِمَ، فَأَمَّا إِذْ كَرِهُونِي فَأَنَا أَنْصَرِفُ عَنْهُمْ»^٢.

وروى الخوارزمي أنّ الإمام عليه السلام قال لرسول عمر بن سعد:

«يَا هَذَا بَلَغَ صَاحِبُكَ عَنِّي إِنِّي لَمْ أَرِدْ هَذَا الْبَلَدَ، وَلَكِنْ كَتَبَ إِلَيَّ أَهْلُ مِصْرِكُمْ هَذَا

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٤٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨٢.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣١١، الإرشاد للمفيد ص ٤٣٥ وبحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨٤.

أَنْ آتِيَهُمْ فَيُبَايِعُونِي وَيَمْنَعُونِي وَيَنْصُرُونِي وَلَا يَخْذُلُونِي فَإِنْ كَرِهُونِي انْصَرَفْتُ عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ جِئْتُ»^١.

فلما عاد رسول عمر بن سعد، رجا ابن سعد أن يتخلص من قتال الحسين عليه السلام فأبلغ ابن زياد بذلك. فأمره ابن زياد بأخذ البيعة من الحسين وأصحابه ليزيد ... قال ابن سعد: ما أراه إلا مقاتل الحسين، ثم سلم كتاب ابن سعد للإمام الحسين. فقال عليه السلام: «لَا أُجِيبُ ابْنَ زِيَادَ بِذَلِكَ أَبَدًا، فَهَلْ هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ، فَمَرْحَبًا بِهِ»^٢.

٦٠. حوار الحسين لعمر بن سعد

أرسل الحسين إلى عمر بن سعد لعنه الله إني أريد أن أكلمك فالتقي الليلة بين عسكري وعسكريك فخرج إليه ابن سعد في عشرين وخرج إليه الحسين في مثل ذلك فلما التقيا أمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحوا عنه وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه وبقي معه ابنه حفص و غلام له. فقال له الحسين عليه السلام:

«وَيْلَكَ يَا ابْنَ سَعْدٍ أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ مَعَادُكَ؟ أَتَقَاتِلُنِي وَأَنَا ابْنُ مَنْ عَلِمْتَ؟ دَرَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَكُنْ مَعِي، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ لَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى».

فقال عمر بن سعد: أخاف أن يهدم داري فقال الحسين عليه السلام: «أَنَا أَبْنِيهَا لَكَ» فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي فقال الحسين عليه السلام:

«أَنَا أَخْلِفُ عَلَيْكَ خَيْرًا مِنْهَا مِنْ مَالِي بِالْحِجَازِ».

فقال: لي عيال وأخاف عليهم. ثم سكت ولم يجبه إلى شيء.

فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو يقول:

«مَا لَكَ دَبَحَكَ اللَّهُ عَلَى فِرَاشِكَ عَاجِلًا، وَلَا عَفَرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَوَاللَّهِ إِنِّي

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٤١.

٢. الأخبار الطوال للدينوري، ص ٢٥٣.

لَأَرْجُو أَلَّا تَأْكُلَ مِنْ بُرِّ الْعِرَاقِ إِلَّا يَسِيرًا».

فقال ابن سعد: «وَفِي الشَّعِيرِ كِفَايَةٌ عَنِ الْبُرِّ» مستهزئاً بذلك القول^١.

❦❦❦

كان الإمام عليه السلام يتم الحجة في كل خطوة حتى لا يزعم أحد الفضلة غداً، والطريف أن أمر قوات العدو يقر تلويحاً بحقانية الإمام عليه السلام وبطلان عدوه، وليس له من عذر سوى خشية قسوتهم وغلظتهم وهذا اعتراف رائع! من جانب آخر كانت جميع جهود الإمام عليه السلام تنصب على إطفاء نيران الحرب، بينما كان العدو يسعى لتأجيجها، متناسين أن السنة هذه النيران ستتصاعد لتلتهم سليلي بني أمية كافة.

٦١. حبّ الدعاء والمناجاة

بعد أن فشلت مفاوضات الصلح وبعد إباء الإمام الحسين عليه السلام أمر ابن سعد عصر تاسوعاء بالهجوم على معسكر الإمام الحسين عليه السلام حيث حمل عليه ألف فارس وألف راجل فقال له العباس بن علي عليه السلام يا أخي أتاكَ القوم فنهض ثم قال: «يَا عَبَّاسُ ازْكَبْ بِنَفْسِي أَنْتَ - يَا أَخِي - حَتَّى تَلْقَاهُمْ فَتَقُولَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ؟ وَمَا بَدَأَ لَكُمْ؟ وَتَسْأَلَهُمْ عَمَّا جَاءَ بِهِمْ؟»^١.

فأتاهم العباس في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون. قالوا: قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم. قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم فوقفوا. فقالوا: ألقه وأعلمه ثم ألقنا بما يقول لك: فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين عليه السلام يخبره الخبر ووقف أصحابه يخاطبون القوم ويعطونهم ويكفونهم عن قتال الحسين. فجاء العباس إلى الحسين عليه السلام وأخبره بما قال القوم. فقال:

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٦٤-١٦٦؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨٨-٣٨٨.

«ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُؤَخِّرَهُمْ إِلَى غُدْوَةٍ وَتَدْفَعَهُمْ عَنَّا الْعَشِيَّةَ لَعَلَّنَا نُصَلِّيَ لِرَبِّنَا اللَّيْلَةَ وَنَدْعُوهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَحَبُّ الصَّلَاةِ لَهُ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ وَكَثْرَةِ الدُّعَاءِ وَالْإِسْتِغْفَارِ».

فمضى العباس إلى القوم ورجع من عندهم ومعه رسول من قبل عمر بن سعد يقول: إنا قد أجلناكم إلى غد فإن استسلمتم سرحناكم إلى عبيد الله بن زياد وإن أبيتم فلسنا بتاريكمكم^١.



نعم، وقف العسكران في كربلاء مقابل بعضهما كان أحدهما أظهر وأنقى سلالة آدم والآخر أخبث وأقذر أعوان الشيطان. عسكر أراد المهلة ليلة ليختلي بمعبوده في ساعاتها الأخيرة من حياته ويجد ويجتهد تأهباً للقاء الله في أفضل حالاته، في حين أنحدر الآخر لأقصى درجات الانحطاط والخسة والدناءة حيال ابن بنت رسول الله ﷺ. وهكذا كان ميدان كربلاء فريداً في هذا المجال. وكانت ليلة مذهلة! فشجون مناجاة صاحب الإمام ﷺ الذين حذوا حذوه ملاً أركان كربلاء، وكأنه ابتهالات الملاء الأعلى حول العرش أو تسبيح خزنة الجنان؛ حيث كانت تلك القلوب الوالهة تخفق في ذلك الجو الروحي الرائع شوقاً للشهادة وتنتظر بزوغ الفجر على أحر من الجمر.

٦٢. خطبة الإمام ﷺ ليلة عاشوراء

دعى الإمام ﷺ أصحابه عند الغروب بعد أن رجع جيش ابن سعد. وقال علي بن الحسين ﷺ: كنت مع الأصحاب لأسمع ما يقوله الحسين ﷺ حيث قال:

«أُثْنِي عَلَى اللَّهِ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، اَللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنَّبُوَّةِ، وَعَلَّمْتَنَا الْقُرْآنَ، وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً، وَلَمْ تَجْعَلْنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣١٥-٣١٦؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٩١-٣٩٢ (مع اختلاف يسير).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْلَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِّي جَمِيعًا خَيْرًا، أَلَا وَإِنِّي لَأُظَنُّ يَوْمَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ غَدًا، أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَمِيعًا فِي حِلٍّ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا»^١.

قال ابن الأَعمش أَنَّ الإمامَ الحَسينَ (عليه السلام) قال تلك الليلة:

«إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَصَحَّ مِنْكُمْ وَلَا أَعْدَلَ وَلَا أَفْضَلَ أَهْلَ بَيْتٍ، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا، فَهَذَا اللَّيْلُ قَدْ أَقْبَلَ فَقُومُوا وَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا، وَلْيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ صَاحِبِهِ أَوْ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَتِي وَتَفَرَّقُوا فِي سَوَادِ هَذَا اللَّيْلِ وَذَرُونِي وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَطْلُبُونَ غَيْرِي، وَلَوْ أَصَابُونِي وَقَدَرُوا عَلَيَّ قَتْلِي لَمَا طَلَبُوكُمُ»^٢.

❦❦❦

روى أبو حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: «كنت مع أبي في الليلة التي قتل في صبيحتها فقال لأصحابه: هذا الليل فاتخذوه جنة فإن القوم إنما يريدونني ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم وأنتم في حل وسعة» فقالوا: والله لا يكون هذا أبدًا فقال:

«إِنَّكُمْ تُقْتَلُونَ غَدًا كَذَلِكَ، وَلَا يَفْلِتُ مِنْكُمْ رَجُلٌ».

قالوا: «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنَا بِالْقَتْلِ مَعَكَ».

ثم دعا فقال لهم: «ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ وَانْظُرُوا».

وجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة وهو يقول لهم:

«هَذَا مَنْزِلُكَ يَا فُلَانُ، وَهَذَا قَصْرُكَ يَا فُلَانُ، وَهَذِهِ دَرَجَتُكَ يَا فُلَانُ».

فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف ب صدره ووجهه ليصل إلى منزلته من الجنة^٣.

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣١٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٩٢-٣٩٣.

٢. فتوح ابن الأَعمش، ج ٥، ص ١٦٩-١٧٠.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٩٨.

تشير خطبة الإمام التاريخية في تلك الليلة التاريخية إلى أن الإمام (عليه السلام) والثلة من أسوة شهداء الحق المتمثلة بأصحابه الشجعان والأوفياء إنما اندفعوا بكامل إدراكهم ووعيهم التام للمصير الذي ينتظرهم فعانقوا الشهادة التي أضاءت تاريخ الإسلام وفضحت هوية المنافقين سيئي الصيت. الشهادة التي عمّت أصدائها الأعصار والأمصار كافة لتضحى أسوة خالدة للشعوب والأمم التي تئن من الأسر والظلم.

نعم، تحدث الإمام (عليه السلام) صراحة عن أحداث الغد، فأعلن لأصحابه أنهم مقتولون غداً في الميدان، ودلهم على سبيل الخلاص قبيل فوات الأوان. لكن أولئك الأفذاذ العشاق رفضوا بصوت واحد الحياة من بعده! وراحوا يعانقون الشهادة بعلم ووعي فشرّبوا شهداء كماء الحياة فبلغوا ساحة القرب ونالوا الحياة الأبدية. فهذا الشهد كان أحلى لديهم من أي شراب هنيء.

٦٣. لن نتخلى عنك أبداً!

جاء في كتاب «الدمعة الساكبة» نقلاً عن كتاب «نور العين» أن سكينه بنت الإمام الحسين (عليه السلام) خرجت من الخيمة فرأت أباهما الحسين وقد التف حوله أصحابه، كما أشارت إلى ذلك في قولها: كنت جالسة في خيمتي في ليلة مقمرة فجاءة سمعت صوت البكاء والنحيب فخرجت من الخيمة وأنا أخشى أن يراني إحدى النساء حتى اقتربت من خيمة أبي ورأيت أنه قد جمع أصحابه حوله وهو يقول لهم:

«إِعْلَمُوا، أَنْكُمْ خَرَجْتُمْ مَعِيَ لِعِلْمِكُمْ أَنِّي أَقْدِمُ عَلَى قَوْمٍ بَايَعُونِي بِالسِّنَتِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَقَدْ انْعَكَسَ الْأَمْرُ، لِأَنَّهُمْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ. وَأَلَانَ لَيْسَ يَكُنْ لَهُمْ مَقْصَدٌ إِلَّا قَتْلِي وَقَتْلَ مَنْ يُجَاهِدُ بَيْنَ يَدَيَّ، وَسَبِي حَرِيمِي بَعْدَ سَلْبِهِمْ، وَأَخْشَى أَنَّكُمْ مَا تَعْلَمُونَ أَوْ تَعْلَمُونَ وَتَسْتَحْيُونَ. وَالْخَدْعُ عِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مُحَرَّمٌ، فَمَنْ كَرِهَ مِنْكُمْ ذَلِكَ فَلْيَتَصَرَّفْ، فَالَلَّيْلُ سَتِيرٌ وَالسَّبِيلُ غَيْرُ خَطِيرٍ وَالْوَقْتُ لَيْسَ بِهَجِيرٍ، وَمَنْ وَاسَانَا بِنَفْسِهِ كَانَ مَعَنَا غَدًا فِي الْجَنَانِ نَجِيًّا مِنْ غَضَبِ الرَّحْمَنِ،

وَقَدْ قَالَ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَلَدِي حُسَيْنٌ يُقْتَلُ بِطَفٍّ كَرْبَلَاءٍ غَرِيباً وَحِيداً عَطْشَاناً فَرِيداً، فَمَنْ نَصَرَهُ فَقَدْ نَصَرَنِي وَنَصَرَ وَلَدَهُ الْقَائِمَ، وَلَوْ نَصَرْنَا بِلِسَانِهِ فَهُوَ فِي حِزْبِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فنظرت إلى أبي فبكيت فرفعت رأسي إلى السماء وقلت: «اللهم أن هؤلاء القوم قعدوا عن نصرتنا اللهم فلا تجب دعاءهم وسلط عليهم الظلمة ولا ترزقهم شفاعته جدِّي يوم القيامة».

فلما رجعت إلى الخيمة رأيتني عمتي أم كلثوم فرويت لها ما سمعت فصاحت واجداه واعلياه واحسنه واحسيناه، ثم قالت عمتي: «أخي ردنا إلى حرم جدنا رسول الله».

فقال ﷺ: «يَا أُخْتَاهُ لَيْسَ إِلَيَّ ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ».

قالت أم كلثوم: «ذكرهم بمنزلة جدك وأبيك وأمك وأخيك». فقال ﷺ: «ذَكَرْتُهُمْ فَلَمْ يُذَكِّرُوا، وَوَعَّظْتُهُمْ فَلَمْ يَتَّعِظُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا قَوْلِي، فَمَا لَهُمْ غَيْرُ قَتْلِي سَبِيلاً، وَلَا بُدَّ أَنْ تَرَوْنِي عَلَى الثَّرَى جَدِيلاً، لَكِنْ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ رَبِّ الْبَرِّيَّةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْبَلِيَّةِ وَكَظْمِ نَزْوِلِ الرَّزِيَّةِ، وَبِهِذَا وَعَدَ جَدُّكُمْ، وَلَا خُلْفَ لِمَا وَعَدَ، وَدَعَّكُمْ إِلَهِي الْفَرْدَ الصَّمَدَ».

فبكيت وكان ﷺ يتلو هذه الآية:

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^١.

قال الحسين ﷺ لأصحابه: «أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَكُمْ فَانْطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ مِنِّي وَلَا ذِمَامٌ هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً».

فقال له إخوته وأبناءؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: لم نفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً بدأهم بهذا القول العباس بن علي وأتبعته الجماعة عليه فتكلموا بمثله ونحوه. فقال الحسين ﷺ:

١. سورة البقرة، الآية ٥٧.

«يا بني عقيل! حَسْبُكُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِمُسْلِمٍ، إِذْهَبُوا قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ».

فقالوا: «سبحان الله ما يقول الناس؟ يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف ولا ندري ما صنعوا لا والله ما نفعل ذلك ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقيح الله العيش بعدك».

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: «أنخلي عنك وبما نعتذر إلى الله في أداء حقك لا والله حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتمهم بالحجارة والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك أما والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أذرى يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً».

وقام زهير بن القين فقال: «والله لو ددت أنني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك».

وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد فجزاهم الحسين خيراً وانصرف إلى مضربه^١.



تصفح تاريخ العالم، فهل يسعك أن تجد واقعة كليلة عاشوراء، ليلة أذن فيها زعيم القوم وقائد الجيش لجنوده بالإنسحاب والنجاة من الهلكة، فثبتوا بحزم وعلم ويقين بموتهم غداً وأعربوا عن سرورهم وفخرهم واستعدادهم للتضحية بأنفسهم ألف مرة صبيحة الغدا! يا لها من ملحمة رائعة ومشهد عجيب وخالد، يا لها من علاقة ورغبة

١. الدمعة الساكبة، ج ٤، ص ٢٧١؛ ناسخ التواريخ، ج ٢، ص ١٥٨-١٨٠ كما ورد بعض ذلك في إرشاد الشيخ المفيد، ص ٤٤٢-٤٤٣.

جامحة في الشهادة في سبيل الله ومع زعيم رباني.
حقاً لو وزعت تلك الإرادة الفولاذية والعزم الراسخ والوفاء الفريد لتلك الثلة على
مسلمي العالم لنال كل مسلم حظه الوافر وأدخلوا اليأس في قلوب الأعداء. فالسلام
عليكم يا أحبباء الله وأوداءه.

٦٤. أحلى من العسل

روى أبو حمزة الثمالي عن الإمام السجاد عليه السلام قصة أصحاب الحسين عليه السلام وأهل
بيته ليلة عاشوراء، حتى أخبر عن قتل جميع أصحابه. فسأله القاسم بن الحسن عليه السلام:
«أَنَا فِي مَنْ يُقْتَلُ؟»
قال عليه السلام: «يَا بُنَيَّ كَيْفَ الْمَوْتُ عِنْدَكَ؟»
قال: «يَا عَمَّ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».
فقال عليه السلام: «إِي وَاللَّهِ فِدَاكَ عَمَّكَ إِنَّكَ لِأَحَدٍ مَنْ يُقْتَلُ مِنَ الرِّجَالِ مَعِيَ بَعْدَ أَنْ تَبْلُغُوا
بِبِلَاءٍ عَظِيمٍ وَابْنِي عَبْدُ اللَّهِ».

قال القاسم: يا عم أو يصلون إلى النساء حتى يقتل عبد الله؟ قال عليه السلام:
«فِدَاكَ عَمَّكَ يُقْتَلُ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ جَفَّتْ رُوحِي عَطَشًا وَصِرْتُ إِلَى خِيَمِنَا فَطَلَبْتُ مَاءً
وَلَبَنًا فَلَا أَجِدُ قَطُّ؛ فَأَقُولُ نَاوِلُونِي ابْنِي لِأَشْرَبَ مِنْ فِيهِ، فَيَأْتُونِي بِهِ فَيَضَعُونَهُ عَلَى
يَدِي فَأَحْمِلُهُ لِأُدْنِيهِ مِنْ فَيِّ فَيَزِمِيهِ فَاسِقُ بِسَهْمٍ فَيَنْحَرُهُ وَهُوَ يُنَاغِي فَيَفِضُ دَمَهُ فِي
كَفِّي، فَأَرْفَعُهُ إِلَى السَّمَاءِ وَأَقُولُ اللَّهُمَّ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا فَيْكَ، فَتَعْجَلَنِي الْأَسِنَّةُ فِيهِمْ
وَالنَّارُ تَسْتَعْرِ فِي الْخَنْدَقِ الَّذِي فِي ظَهْرِ الْخِيَمِ، فَأَكُرُّ عَلَيْهِمْ فِي أَمْرِ أَوْقَاتٍ فِي
الدُّنْيَا، فَيَكُونُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ».

قال الإمام السجاد عليه السلام: فبكى وبكىنا معه وارتفعت البكاء والصراخ من ذراري
رسول الله ﷺ في الخيم ويسأل زهير بن القين وحبيب بن مظاهر عني فيقولون:
ياسيدنا فسيدينا علي فيشيرون إليّ إلى ماذا يكون حاله؟ فجرت دموع الحسين عليه السلام

وقال:

«مَا كَانَ اللَّهُ لِيَقْطَعَ نَسْلِي مِنَ الدُّنْيَا فَكَيْفَ يَصِلُونَ إِلَيْهِ؟ وَهُوَ أَبُو ثَمَانِيَةِ أُمَّةٍ»^١.

❦❦❦

على ضوء هذه الرواية العظيمة المعنى والمروية عن الإمام السجاد عليه السلام فإن الإمام الحسين عليه السلام أخبر تلك الليلة التاريخية بتفاصيل كل شيء وقال ما ينبغي قوله ولم يخف شيئاً على ولده وصحبه. ثم انطلق بروح آمنة ونفس مطمئنة لاستقبال الشهادة ولقاء الحبيب. كما سعى إليها بشوق ولهفة صحبه وولده حتى من كان صبيّاً حسب الظاهر.

الهي! ما أروع هذه الكلمات، الكلمات التي صورة تلك اللوحة الرائعة والفريدة في عظمتها وجمالها إحدى أمر الحوادث في تاريخ أولياء الله، وخطت بأحرف من الذهب درس عشق الحق وطلب الشهادة لتطريز جبين التاريخ. الدرس الذي من شأنه إنارة الدرب لجميع الأفراد والمجتمعات المستعبدة، الدرس الذي يرعب ويصيب بالهلع أعداء الحق والفضيلة أولياء الشيطان.

٦٥. التأهب للواقعة الكبرى

قال علي بن الحسين عليه السلام: «إِنِّي جَالِسٌ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي قَتَلَ أَبِي فِي صَبِيحَتِهَا وَعِنْدِي عَمَّتِي زَيْنَبُ تَمْرُضُنِي إِذَا اعْتَزَلَ أَبِي فِي خَبَاءٍ لَهُ وَعِنْدَهُ فُلَانٌ^٢ مَوْلَى أَبِي ذَرِّ الْغَفَارِي وَهُوَ يَعَالِجُ سَيْفَهُ وَيُصْلِحُهُ وَقَالَ:

يَا دَهْرُ أَفَّ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ	كَمْ لَكَ بِالْإِشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ
مِنْ صَاحِبٍ أَوْ طَالِبٍ قَتِيلٍ	وَالدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ
وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ	وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكُ السَّبِيلِ

١. مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني، ج ٤، ص ٢١٤-٢١٦، ح ٢٩٥ وراجع نفس المهموم، ص ١١٦.

٢. ذكر أسمه في إرشاد الشيخ المفيد «جوين» وأعيان الشيعة «جون».

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها وعلمت ما أراد فخنقنني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل وأما عمتي فلما سمعت ما سمعت وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها وأنّها حاسرة حتى انتهت إليه وقالت: «واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضي وثمان الباقي» فنظر إليها الحسين عليه السلام وقال لها:

«يَا أُخَيَّةُ لَا يَذْهَبَنَّ بِحِلْمِكَ الشَّيْطَانُ».

وترقرقت عيناه بالدموع وقال:

«لَوْ تَرَكْتُ الْقَطَا لَيْلًا لَنَامَ!».

فقالت، يا ويلتاه أفتغتصب نفسك اغتصاباً فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي. ثم لطمت وجهها وهوت إلى جيبها وشقته وخرت مغشياً عليها فقام إليها الحسين عليه السلام فصّب على وجهها الماء وقال لها:

«يَا أُخَيَّةُ اتَّقِي اللَّهَ وَتَعَزِّي بِعِزِّهِ، وَاعْلَمِي أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ يَمُوتُونَ، وَأَهْلَ السَّمَاءِ لَا يَبْقَوْنَ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ بِقُدْرَتِهِ، وَيَبْعَثُ الْخَلْقَ وَيَعُودُونَ، وَهُوَ فَردٌ وَحْدَهُ، وَأَبِي خَيْرٌ مِنِّي وَأُمِّي خَيْرٌ مِنِّي، وَأَخِي خَيْرٌ مِنِّي، وَلِي وَلَهُمْ وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ بِرَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ».

قال: فعزاها بهذا ونحوه وقال لها:

«يَا أُخَيَّةُ! إِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ فَأَبْرِي قَسَمِي، لَا تَشْقِي عَلَيَّ جَبِيًّا، وَلَا تَخْمِشِي عَلَيَّ وَجْهًا، وَلَا تَدْعِي عَلَيَّ بِالْوَيْلِ وَالتُّبُورِ إِذَا أَنَا هَلَكْتُ»^١.



١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣١٨-٣١٩؛ الإرشاد للشيخ المفيد، ص ٤٤٤-٤٤٥ (مع اختلاف يسير) وبحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣-١.

وعلى هذا الأساس أعد الإمام عليه السلام صحبه ثم أهل بيته ليلة عاشوراء لذلك الإمتحان الإلهي العظيم.

أجل، فالقيام بالأعمال العظيمة والمصيرية يتطلب روحية عالية وإيماناً قوياً وتأهباً تاماً، وقد رسخ الإمام عليه السلام ذلك بما يمتلك من سعة أفق وانسراح صدر في نفوس صحبه وأهل بيته خلال مدة قصيرة بكلماته الربانية النافذة، وكانت نتيجة ذلك أن صنعوا ملحمة صبيحة تلك الليلة لتستكمل في الأيام القادمة بواسطة قافلة الأسرى فبلغ الأمر درجة بالعقيلة زينب عليها السلام التي لم تكن لديها طاقة سماع قتل أخيها ليلة عاشوراء، أن تضع يوم الحادي عشر يدها تحت جسد أخيها وترفعه قائلة: «اللهم تقبل من أهل بيت نبيك هذا القربان!».

٦٦. أروع ميادين التضحية

روي عن زينب عليها السلام قالت: لما كانت ليلة عاشوراء خرجت من خيمتي لأتفقد أخي الحسين وأنصاره وقد أفرد له خيمه فوجدته جالساً وحده وهو يناجي ربّه ويتلو القرآن فقلت في نفسي أفي مثل هذه الليلة أترك أخي وحده والله لأمضي إلى إخواني وبني عمومتي وأعاتبهم فأتيت إلى خيمه العباس فسمعت منها همهمة ودمدمة فوقفت على ظهرها فنظرت فيها فوجدت بني عمومتي مجتمعين كالحلقة وبينهم العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وهو جاثٍ على ركبتيه كالأسد على فريسته فخطب فيهم خطبة ما سمعتها إلا من الحسين مشتملة بالحمد والثناء لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال في آخر خطبته: إخواني وبني إخواني وبني عمومتي إذا كان الصباح فما تقولون: فقالوا: الأمر إليك يرجع ونحن لا نتعدي لك قولك.

فقال العباس عليه السلام: إن هولاء أعني الأصحاب قوم غرباء والحمل ثقیل لا يقوم إلا بأهله فإذا كان الصباح فأول من يبرز إلى القتال أنتم ونحن نتقدمكم للموت لئلا يقول الناس قدموا أصحابهم فقام بنو هاشم وسلّوا سيوفهم في وجه أخي العباس

وقالوا: نحن على ما أنت عليه.

قالت زينب: فلما رأيت كثرة اجتماعهم وشدة عزمهم وإظهار شيمتهم سكن قلبي وفرحت ولكن خنقتني العبرة فأردت أن أرجع إلى أخي الحسين وأخبره بذلك فسمعت من خيمة حبيب بن مظاهر همهمة ودمدمة فمضيت إليها ووقفت بظهرها ونظرت فيها فوجدت الأصحاب علي نحو بني هاشم مجتمعين كالحلقة وبينهم حبيب بن مظاهر وهو يقول: يا أصحابي لم جئتم إلى هذا المكان أوضحوا كلامكم رحمكم الله. قالوا: أتينا لننصر غريب فاطمة. فقال لهم: لم طلقتم حلائلكم. فقالوا لذلك. قال حبيب: فإذا كان الصباح فما أنتم فاعلون. قالوا: الرأي رأيك ولا نتعدى قولك. قال: فإذا صار الصباح فأول من يبرز إلى القتال أنتم ونحن نتقدمكم للقتال ولا نرى هاشمياً مضرراً بدمه وفينا عرق ينبض. فهزّوا سيوفهم على وجهه. وقالوا: نحن على ما أنت عليه.

قالت زينب عليها السلام: ففرحت من ثباتهم ولكن خنقتني العبرة فانصرفت عنهم وأنا باكية وإذا بأخي الحسين قد عارضني فسكت وتبسمت في وجهه. فقال: «يا أختاه منذ رَحَلْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ مَا رَأَيْتُكَ مُتَبَسِّمَةً، أَخْبِرْنِي مَا سَبَبُ تَبَسُّمِكَ».

فقلت: رأيت من فعل بني هاشم والأصحاب كذا وكذا فقال: «يا أختاه أعلمي، أَنَّ هَؤُلَاءِ أَصْحَابِي مِنْ عَالَمِ الذَّرِّ، وَبِهِمْ وَعَدَنِي جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تُحِجِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَى ثَبَاتِ أَقْدَامِهِمْ».

قالت: نعم. قال عليها السلام: أذهبي خلف الخيمة فذهبت. فنادى الحسين عليه السلام: «أَيْنَ إِخْوَانِي وَبَنُو أَعْمَامِي». فقام بنو هاشم وتسابق منهم العباس وقال لبيك لبيك. فقد فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«أُرِيدُ أَنْ أُجِدَّ لَكُمْ عَهْدًا». فأتى أولاد الحسين وأولاد الحسن وأولاد علي وجعفر وعقيل فأمرهم بالجلوس فجلسوا ثم نادى: «أَيْنَ حَبِيبُ بَنِي مَظَاهِرٍ أَيْنَ

زُهَيْرُ أَيْنَ هَالُ، أَيْنَ الْأَصْحَابُ؟».

فأتاه الأصحاب يتقدمهم حبيب بن مظاهر وهو يقول: بلى يا أبا عبد الله. فخطبهم عليه السلام وقال:

«يا أصحابي إعلموا أنَّ هؤلاءِ القومَ ليسَ لهمُ قَصدُ سوى قَتلي وقَتْلِ مَنْ هُوَ مَعِي وَأَنَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْقَتْلِ، فَأَنْتُمْ فِي حِلٍّ مِنْ بَيْعَتِي، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ الْأَنْصِرَافَ فَلْيَنْصِرِفْ فِي سَوَادِ هَذَا اللَّيْلِ».

فقام بنو هاشم وتكلموا بما تكلموا وقام الأصحاب وتكلموا بمثل كلامهم فلما رأى الحسين عليه السلام حسن إقدامهم وثبات أقدامهم قال: «إِنْ كُنْتُمْ كَذَلِكَ فَارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ وَأَنْظُرُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ فِي الْجَنَّةِ». فكشف لهم الغطاء ورأوا منازلهم فقاموا بأجمعهم وسلّوا سيوفهم وقالوا: يا أبا عبد الله ائذن لنا أن نغير على هؤلاء القوم وتقاتلهم حتى يفعل الله بنا وبهم ما يشاء.

فقال عليه السلام: «إِجْلِسُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَجَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا أَلَا وَمَنْ كَانَ فِي رَحْلِهِ امْرَأَةً فَلْيَنْصِرِفْ بِهَا إِلَى بَنِي أَسَدٍ». فقام علي بن مظاهر وقال: لماذا يا سيدي. فقال عليه السلام: «إِنَّ نِسَائِي تُسَبِّى بَعْدَ قَتْلِي وَأَخَافُ عَلَى نِسَائِكُمْ مِنَ السَّبْيِ». فمضى إلى خيمته. فقامت زوجته إجلالاً له فاستقبلته وتبسمت في وجهه فقال لها دعيني والتبسم فقالت: يا ابن مظاهر إني سمعت غريب فاطمة خطب فيكم وسمعت في آخرها هممة ودمدمة فما علمت ما يقول. قال يا هذه قال لنا: «وَمَنْ كَانَ فِي رَحْلِهِ امْرَأَةً فَلْيَنْصِرِفْ بِهَا إِلَى بَنِي أَسَدٍ لِأَنِّي غَدًا أُقْتَلُ وَنِسَائِي تُسَبِّى».

فقالت: وما أنت صانع. قال: قومي حتى ألحقك ببني عمك بني أسد. فقامت ونطحت رأسها في عمود الخيمة وقالت: والله ما أنصفتني يا ابن مظاهر أيسرك أن تسبى بنات رسول الله وأنا آمنة من السبي، أيسرك أن تسلب زينب إزارها من رأسها وأنا أستتر بإزاري أيسرك أن يبيض وجهك عند رسول الله ويسود وجهي عند فاطمة الزهراء عليها السلام؟ فرجع باكياً إلى الحسين عليه السلام فسأله عليه السلام: ما يبكيك. قال:

سيدي أبت الأسدية إلّا مواساتكم. فبكى الإمام عليه السلام وقال:
«جُزِئْتُمْ مِنَّا خَيْرًا»^١.



نتساءل هنا: هل يختزن تاريخ العالم مثل هذه التضحية والفداء؟
أم هل هناك فئة عاشت مثل هذا الإخلاص والتضحية والبسالة المفعمة بالإيمان
تجاه زعيمها؟!.

ولم يقتصر الأمر على أهل بيته وقربته بل كان جميع صحبه وجنده قد تخرجوا من
ذات المدرسة وتعلمذوا على ذات الأستاذ. كما تحلت النسوة بذات روح التضحية
التي كانت لدى الرجال، وكأنّ الجميع رضع من ثدي واحد. يا له من رائع وجميل كلام
زوجة حبيب بن مظاهر حين قالت له: أيرضيك أن يبيض وجهك يوم القيامة عند
رسول الله ﷺ ويسود وجهي عند الزهراء عليه السلام. نعم هذه لعمرى أروع ميادين التضحية!

٦٧. إهداء السماء دماء الشهداء!

خفق الإمام الحسين عليه السلام خفقة فلمّا أفاق قال:
«رَأَيْتُ كَأَنَّ كِلَابًا قَدْ شَدَّتْ عَلَيَّ لِيَتَنَهَشَنِي، وَفِيهَا كَلْبٌ أَبْقَعَ رَأْيْتُهُ أَشَدَّهَا عَلَيَّ،
وَأُظُنُّ أَنَّ الَّذِي يَتَوَلَّى قَتْلِي رَجُلٌ أَبْرَصٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؛ ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ
جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ يَقُولُ لِي: «يَا بُنَيَّ أَنْتَ شَهِيدُ
آلِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ اسْتَبَشِرَ بِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى فَلْيَكُنْ إِفْطَارُكَ
عِنْدِي اللَّيْلَةَ، عَجَلْ وَلَا تُؤَخِّرْ، فَهَذَا مَلَكٌ قَدْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْخُذَ دَمَكَ فِي قَارُورَةٍ
خَضْرَاءَ». فَهَذَا مَا رَأَيْتُ وَقَدْ أَزِفَ الْأَمْرُ وَاقْتَرَبَ الرَّحِيلُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا، لَا شَكَّ فِي
ذَلِكَ»^٢.

١. معالي السبطين، ج ١، ص ٣٤٠-٣٤٢.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣؛ فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١٨١ (مع اختلاف يسير).

كانت هذه أئمن هدية بعثت من الأرض إلى السماء، هدية دماء الشهداء ودم سيد الشهداء عليه السلام. وما أروع أن تكون الشهادة على يد أقدر من تشبه بإنسان أناس همجيون بسرائر قبيحة كالكلاب المسعورة التي لا ترحم من تراه ولو كان من أشرف ونجباء بني آدم.

٦٨. آخر زاد

قال الإمام عليه السلام لأصحابه تلك الليلة:
«قَوْمُوا فَاشْرَبُوا مِنَ الْمَاءِ يَكُنْ آخِرَ زَادِكُمْ، وَتَوَضَّأُوا وَاغْتَسَلُوا وَاغْسِلُوا ثِيَابَكُمْ لِتَكُونَ أَكْفَانَكُمْ».

ثم صلى الإمام الحسين عليه السلام بأصحاب صلاة الصبح وأمرهم بحفر حفيرة حول عسكره شبه الخندق خلف الخيم فأضرم فيها النار ليقاتل القوم من وجه واحد^١.



حقاً يا له من كلام عميق ومؤثر وسهل يتبادله الحسين عليه السلام وأصحابه بخصوص الشهادة، فجمال كعبة لقاء المحبوب استقطبهم بحيث بدى لهم الشوك كالحرير! ويا له من درس عظيم لمن سار على هذا الدرب بحيث يثير شجونه سماع هذه الاقصوصات فينطلق لسانه ليتني كنت جزءاً من تلك القافلة.

٦٩. مناجاة صبيحة عاشوراء

روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: لما هجم العدو يوم العاشر: رفع الإمام الحسين عليه السلام يده بالدعاء وقال:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ تَقْتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَأَنْتَ رَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ، كَمْ مِنْهُمْ يَضْعِفُ فِيهِ الْفُؤَادُ وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيُخْذَلُ فِيهِ

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣١٦-٣١٧؛ آمالي الشيخ الصدوق، المجلس ٣٠.

الصَّدِيقُ وَيُشْمِتُ فِيهِ الْعَدُوَّ، أَنْزَلَتْهُ بِكَ وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ، رَغْبَةً مِّنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَّجْتَهُ عَنِّي وَكَشَفْتَهُ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ»^١.



الجدير بالذكر أنَّ الإمام عليه السلام لا يسأل الله مسألة خاصة في هذه المناجاة في ذلك اليوم العصيب والخطير، لعلمه بأنَّ مطلوبه الشهادة وليلقن الأجيال درس الصمود والصبر إلى يوم القيامة. وهو لا يظهر سوى ثقته بلطف الله اللامتناهي.

٧٠. خطبة صبيحة عاشوراء

تقدم الحسين عليه السلام حتى وقف بإزاء القوم فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنهم السيل ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة فقال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا فَجَعَلَهَا دَارَ فَنَاءٍ وَزَوَالَ، مُتَصَرِّفَةً بِأَهْلِهَا حَالاً بَعْدَ حَالٍ، فَالْمَغْرُورُ مَنَ غَرَّتْهُ وَالشَّقِيُّ مَنَ فَتَنَتْهُ، فَلَا تَغُرَّتْكُمْ هَذِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجَاءَ مَنَ رَكَنَ إِلَيْهَا، وَتُخَيِّبُ طَمَعَ مَنَ طَمَعَ فِيهَا، وَأَرَاكُمْ قَدْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسْخَطْتُمْ اللَّهَ فِيهِ عَلَيْكُمْ، وَأَعْرَضَ بَوَجهِ الْكَرِيمِ عَنْكُمْ، وَأَحْلَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَهُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنَا، وَيَسَّسَ الْعَبْدُ أَنْتُمْ، أَفَرَرْتُمْ بِالطَّاعَةِ، وَآمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَعِثْرَتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ، فَأَنْسَاكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَتَبَّأَ لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

فقال عمر: ويلكم كلّموه فإنّه ابن أبيه والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر فكلموه. فتقدم شمر لعنه الله فقال: يا حسين ما هذا الذي تقول

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤؛ وإرشاد المفيد، ص ٤٤٧-٤٤٨؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٢١ (مع اختلاف يسير).

أفهمنا حتى نفهم. فقال: أقول:

«اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَلَا تَقْتُلُونِي، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي وَلَا انْتِهَاكُ حُرْمَتِي، فَإِنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وَجَدَّتِي خَدِيجَةُ زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ، وَلَعَلَّهُ قَدْ بَلَغَكُمْ قَوْلُ نَبِيِّكُمْ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^١.

٧١. الحرص على أداء حق الناس حتى في عاشوراء

روى موسى بن عمير عن أبيه أن الإمام الحسين عليه السلام قال لي يوم عاشوراء:
«نَادِ أَنْ لَا يُقْتَلَ مَعِيَ رَجُلٌ عَلَيْهِ دَيْنٌ وَنَادِ بِهَا فِي الْمَوَالِي فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ أَخَذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».
وجاء في خبر آخر أن عمير الأنصاري قال: قال لي الحسين عليه السلام:
«نَادِ فِي النَّاسِ أَنْ لَا يُقَاتِلَنَّ مَعِيَ رَجُلٌ عَلَيْهِ دَيْنٌ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ يَمُوتُ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ لَا يَدْعُ لَهُ وَفَاءً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ».
فقام رجل وقال: إِنَّ امْرَأَتِي تَكْفَلْتُ عَنِّي. فقال عليه السلام:
«وَمَا كَفَالَةُ امْرَأَةٍ، وَهَلْ تَقْضِي امْرَأَةً؟»^٢.



حقاً أنه لمن العجيب أن ييهتم إنسان في أحلك الظروف حتى بديون أصحابه للناس ولا يرتضي لهم القتال؛ حذراً من ضياع حقوق الناس. ولك أن تقارن ذلك مع بعض الأفراد التي ملئت حياتهم بالحرام وهضم حقوق الناس ولا يعيرونها أدنى اهتمام، بل لعل هناك من لا يعرف شيئاً اسمه «حق الناس».



١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٥٢-٢٥٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥-٦.

٢. إحقاق الحق، ج ١٩، ص ٤٢٩.

٧٢. التزود في صبيحة عاشوراء

حمد الإمام عليه السلام الله وأثنى عليه صبيحة العاشر وقال:

«عِبَادَ اللَّهِ! اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَوْ بَقِيَتْ لِأَحَدٍ أَوْ بَقِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ، كَانَ الْأَنْبِيَاءُ أَحَقُّ بِالْبَقَاءِ، وَأَوْلَى بِالرِّضَى، وَأَرْضَى بِالْقَضَاءِ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الدُّنْيَا لِلْبَلَاءِ، وَخَلَقَ أَهْلَهَا لِلْفَنَاءِ، فَجَدِيدُهَا بَالٍ، وَنَعِيمُهَا مُضْمَحِلٌّ، وَسُرُورُهَا مُكْفَهَرٌ، وَالْمَنْزِلُ بُلْغَةٌ وَالدَّارُ قُلْعَةٌ، فَتَزَوَّدُوا، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^١.



لما كان مصدر جميع الذنوب والمعاصي حبّ الدنيا وحبّ الجاه والمقام والمال والثروة والشهوة، فقد سعى الإمام عليه السلام بتحذيراته المتكررة لإيقاظ مخاطبيه وانتشالهم من الغرور بالدنيا وزخارفها، علّهم يعودون إلى الصواب ويرجعون إلى أنفسهم قبل فوات الفرصة. طبعاً كان أصحابه الأوفياء بمنأى عن هذه الحالة، لكن المؤسف أنّ الأعداء كانوا سكارى بشهوات الدنيا بحيث لم تهزم تلك المواعظ البليغة.

٧٣. خطبة الإمام عليه السلام الحماسية حين تأهب العدو لقتاله

ودعا الحسين عليه السلام براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته يا أهل العراق وجلّهم يسمعون فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ! إِسْمَعُوا قَوْلِي، وَلَا تُعْجِلُونِي حَتَّى أَعْظِمَكُمْ بِمَا لَحَقَّ لَكُمْ عَلَيَّ، وَحَتَّى أَعْتَذَرَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ عُذْرِي وَصَدَّقْتُمْ قَوْلِي، وَأَعْطَيْتُمُونِي النِّصْفَ، كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا

١. تاريخ ابن عساکر، ج ١٤، ص ٢١٨.

مَتَّى الْعُذْرَ، وَلَمْ تَعْطُوا النَّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ».

ثم تلى هذه الآيات لإتمام الحجة على القوم:

«فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون»^١.

«إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ»^٢.

فلما سمعت النسوة تعالت أصواتهن بالبكاء فبعث الإمام الحسين عليه السلام إليهن أخاه العباس وولده علي الأكبر وقال:

«أَسْكِبْتَاهُنَّ فَلَعَمْرِي لَيَكْثُرَنَّ بَكَاءُهُنَّ».

ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله وصلى على النبي وعلى ملائكته وعلى أنبيائه. فقال الراوي: فوالله لم أسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ وأفصح منه، قال عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَانْسِبُونِي فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا؟! ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُواها، فَانْظُرُوا هَلْ يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي وَإِنْتِهَاكُ حُرْمَتِي؟! أَلَسْتُ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وآله، وَابْنُ وَصِيِّهِ وَابْنُ عَمِّهِ، وَأَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْمُصَدِّقَ لِرَسُولِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، أَوْ لَيْسَ حَمْرَةُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَمَّ أَبِي؟ أَوْ لَيْسَ جَفَعَرُ الشَّهِيدِ الطَّيَّارِ ذُو الْجَنَاحَيْنِ عَمِّي؟!

أَوْ لَمْ يَبْلُغْكُمْ قَوْلُ مُسْتَفِيضٍ فِيكُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ لِي وَلِأَخِي: «هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟!».

فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ، وَهُوَ الْحَقُّ، فَوَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبًا مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يُمِيتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَيَضُرُّ بِهِ مَنْ اخْتَلَفَهُ.

١. سورة يونس، الآية ٧١.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٩٦.

وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ، سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِي، أَوْ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِي، أَوْ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِي، أَوْ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ، أَوْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِي وَلِإِخِي، أَفَمَا فِي هَذَا حَاجَزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي؟!».

فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول. فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك.

ثم قال لهم الحسين عليه السلام:

«فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، أَفْتَشْكُونَ أَثَرًا مَا أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّ غَيْرِي مِنْكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِكُمْ، أَنَا ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ خَاصَّةً. أَخْبِرُونِي، أَتَطْلُبُونِي بِقَتِيلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ؟ أَوْ مَالٍ اسْتَهْلَكْتُهُ؟ أَوْ بِقِصَاصٍ مِنْ جِرَاحَةٍ».

فأخذوا لا يكلمونه فنادى:

«يَا شَيْثَ بْنَ رَبْعِي، يَا حَجَّارَ بْنَ أَبِي جَرٍّ، وَيَا قَيْسَ بْنَ الْأَشْعَثِ، وَيَا يَزِيدَ بْنَ الْحَارِثِ، أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ: «أَنْ قَدْ أَيْنَعَتِ الثَّمَارُ وَاخْضَرَ الْجَنَابُ، وَطَمَّتِ الْجِمَامُ وَإِنَّمَا تَقْدُمُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدٌ، فَأَقْبِلْ؟!»».

قالوا: لا.

فقال عليه السلام: «سُبْحَانَ اللَّهِ! بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ فَعَلْتُمْ».

ثم قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ! إِذْ كَرِهْتُمُونِي فَدَعُونِي أَنْصَرِفُ عَنْكُمْ إِلَى مَا مَنِي مِنَ الْأَرْضِ!».

فقال له قيس بن الأشعث: أولاً تنزل على حكم بني عمك لن يروك إلا ما تحب ولن يصل إليك منكروه. فقال لهم الحسين عليه السلام:

«أَنْتَ أَخُو أَخِيكَ مُحَمَّدٌ بْنُ الْأَشْعَثِ أَتُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَكَ بَنُو هَاشِمٍ بِأَكْثَرِ مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ بِنِ عَقِيلٍ؟! لَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيهِمْ يَدَيَّ إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ، وَلَا أُقِرُّ إِقْرَارَ الْعَبِيدِ!». ثم نادى يا عباد الله: «إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ»^١ «وَأَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ»^٢. ثم إنّه أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمرعان بعقلها وأقبلوا (اعلان منه بأنّه لا يبدأ بالحرب) ولكن القوم زحفوا نحوه^٣.



كانت هذه أبلغ وأفصح حجة أتمّها الإمام عليه السلام يوم عاشوراء حيث لم يبق من خفي ليقلد التاريخ أمانة حفظها ويطلع عليها الجميع. فقد كشف الإمام عليه السلام بهذه الخطبة الغراء النقاب عن خبث ومكر وخداع بني أمية ولفت انتباه المسلمين إلى جدية خطورة حكومة هؤلاء الظلمة الجفاة الملاحدة. وأثبت الإمام عليه السلام بهذه الخطبة أنّهم يقتلون عمداً من ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره، دون أن يبدر منه ما يوجب ذلك، وهكذا كشفوا عن همجيتهم واستهتارهم. ولم يستسلم الإمام عليه السلام للظلمة رغم الأمان الذي عرض عليه، ولم تنحن هامته للطواغيت. فقد آثر الشهادة على كل ما سواها ودفع ثمن هذه الحرية بعزة ليكون أباً لأحرار العالم وأسوة للشعوب كافة.

٧٤. خطبته عليه السلام الملحمية إزاء عسكر الأعداء

عباً عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الحسين بن علي عليه السلام ورتبهم مراتبهم وأقام الرايات في مواضعها وعباً الإمام الحسين عليه السلام أصحاب الميمنة والميسرة وقال

١. سورة الدخان، الآية ٢٠.

٢. سورة غافر، الآية ٢٧.

٣. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٢٢-٣٢٣؛ إرشاد المفيد، ص ٤٤٨-٤٥٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٦-٧ (مع اختلاف يسير).

لأصحاب القلب اثبتوا.

وأحاطوا بالحسين من كل جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة فخرج ﷺ حتى أتى الناس فاستنصتهم فأبوا أن ينصتوا حتى قال لهم: «وَيْلَكُمْ مَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْصِتُوا إِلَيَّ فَتَسْمَعُوا قَوْلِي، وَإِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، فَمَنْ أَطَاعَنِي كَانَ مِنَ الْمُرْشِدِينَ، وَمَنْ عَصَانِي كَانَ مِنَ الْمُهْلَكِينَ، وَكُلُّكُمْ عَاصٍ لِأَمْرِي غَيْرُ مُسْتَمِعٍ لِقَوْلِي، قَدْ انْخَزَلْتُ عَطِيَّتُكُمْ مِنَ الْحَرَامِ وَمُلِئْتُ بِطُؤُنُكُمْ مِنَ الْحَرَامِ، فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِكُمْ، وَيَلَكُمْ أَلَا تَنْصِتُونَ، أَلَا تَسْمَعُونَ؟».

فتلاوم أصحاب عمر بن سعد بينهم وقالوا: أنصتوا له. فقام الحسين ﷺ ثم قال: «تَبَّأَ لَكُمْ أَيَّتُهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّأَ، أَفَحِينَ اسْتَضْرَخْتُمُونَا وَالْهَيْنَ مُتَحَيِّرِينَ فَأَصْرَخْنَاكُمْ مُؤَدِّينَ مُسْتَعِدِّينَ، سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا فِي رِقَابِنَا، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارَ الْفِتَنِ الَّتِي جَنَاهَا عَدُوُّكُمْ وَعَدُوْنَا فَأَصْبَحْتُمْ إِلْبَا عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ، وَيَدَا عَلَيْهِمْ لِأَعْدَائِكُمْ، بِغَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، وَلَا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ، إِلَّا الْحَرَامَ مِنَ الدُّنْيَا أَنَالُوكُمْ، وَخَسِيسَ عَيْشٍ طَمَعْتُمْ فِيهِ، مِنْ غَيْرِ حَدَثٍ كَانَ مِنَّا وَلَا رَأْيٍ تَقِيلُ لَنَا. فَهَلَّا لَكُمْ الْوَيْلَاتُ إِذْ كَرِهْتُمُونَا وَتَرَكْتُمُونَا، تَجَهَّزْتُمُوهَا وَالسَّيْفُ لَمْ يُشْهَرَ وَالْجَأَشُ طَامِنٌ، وَالرَّأْيُ لَمْ يُسْتَحْصَفْ، وَلَكِنْ أَسْرَعْتُمْ عَلَيْنَا كَطَيْرَةِ الدِّبَا، وَتَدَاعَيْتُمْ كَتَدَاعِي الْفَرَّاشِ، فَقُبْحًا لَكُمْ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ مِنْ طَوَاعِيَةِ الْأُمَّةِ، وَشُدَّاذِ الْأَحْزَابِ، وَنَبَذَةِ الْكِتَابِ، وَنَفْثَةِ الشَّيْطَانِ، وَعَصَبَةِ الْأَثَامِ، وَمُحَرِّفِي الْكِتَابِ، وَمُطْفِئِي السُّنَنِ، وَقَتْلَةِ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمُبِيرِي عِثْرَةِ الْأَوْصِيَاءِ، وَمُلْحِقِي الْعَهَارِ بِالنَّسَبِ، وَمُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، وَصُرَاخِ أُنَمَّةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ.

وَأَنْتُمْ ابْنُ حَرْبٍ وَأَشْيَاعُهُ تَعْتَمِدُونَ، وَإِنَّا نَتَخَذِلُونَ، أَجَلُ! وَاللَّهِ الْخَذْلُ فِيكُمْ مَعْرُوفٌ، وَشَجَتْ عَلَيْهِ عُرُوقُكُمْ، وَتَوَارَتْهُ أَصُولُكُمْ وَفُرُوعُكُمْ، وَنَبَتَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ وَغَشِيَتْ صُدُورُكُمْ، فَكُنْتُمْ أَحَبَّتْ شَيْءٌ سَخَاً لِلنَّاصِبِ وَأَكْلَةً لِلْغَاصِبِ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى النَّاكِثِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

كَفِيلاً فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ هُمْ.

أَلَا إِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، بَيْنَ الْقَتْلَةِ وَالذِّلَّةِ وَهَيْهَاتَ مَا آخِذُ الدَّيَّيَّةَ أَبِي اللَّهِ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ، وَجُدُودٌ طَابَتْ، وَحُجُورٌ طَهَّرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَيْيَّةٌ، لَا تُؤَثِّرُ طَاعَةَ اللِّثَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ، أَلَا قَدْ أَعْذَرْتُ وَأَنْذَرْتُ، أَلَا إِنِّي زَاحِفٌ بِهِذِهِ الْأُسْرَةِ عَلَى فَلَّةِ الْعِتَادِ، وَخَذَلَّةِ الْأَصْحَابِ».

ثم أنشأ يقول:

فَإِنْ نَهَزِمَ فَهَرَّامُونَ قَدْماً وَإِنْ نُهَزِمَ فَغَيْرُ مُهَزَّمِينَا
وَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةٌ آخِرِينَا
أَمَّا إِنَّهُ لَا تَلْبَثُونَ بَعْدَهَا إِلَّا كَرَيْثٍ مَا يُرَكَّبُ الْفَرَسُ، حَتَّى تَدُورَ بِكُمْ دَوْرَ الرَّحَى، عَهْدُ عَهْدُهُ إِلَيَّ أَبِي عَنْ جَدِّي، فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا جَمِيعاً فَلَا تُنْظَرُونَ «إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^١ اللَّهُمَّ أَحْبَسْ عَنْهُمْ قَطَرَ السَّمَاءِ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ، وَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ غَلَامَ ثَقِيفٍ يُسْقِيهِمْ كَأْساً مُصَبَّرَةً، وَلَا يَدْعُ فِيهِمْ أَحَدًا، قَتْلَةً بِقَتْلَةٍ وَضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، يَنْتَقِمُ لِي وَلِأَوْلِيَائِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي وَأَشْيَاعِي مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ غَرُّونا وَكَذَّبُونَا وَخَذَلُونَا، وَأَنْتَ رَبُّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ».

ثم قال:

«أَيْنَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ؟ أَدْعُوا لِي عُمَرًا!».

فدعي له وكان كارها لا يحب أن يأتيه فقال:

«يَا عُمَرُ أَنْتَ تَقْتُلُنِي؟ تَزْعُمُ أَنْ يُؤَلِّيكَ الدَّعِيُّ ابْنُ الدَّعِيِّ بِلَادَ الرَّيِّ وَجُرْجَانَ، وَاللَّهُ لَا تَتَهَنَّ بِذَلِكَ أَبَدًا، عَهْدًا مَعْهُودًا، فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ، فَإِنَّكَ لَا تَفْرَحُ بِغَدِي بِدُنْيَا وَلَا آخِرَةٍ، وَلَكَأَنِّي بِرَأْسِكَ عَلَى قَصَبَةٍ قَدْ نُصِبَ بِالْكُوفَةِ، يَتَرَامَاهُ الصَّيَّيَانُ

١ . سورة هود، الآية ٥٦.

وَيَتَّخِذُونَهُ غَرَضًا بَيْنَهُمْ»^١.



يعلم من يلم بنهج البلاغة أنَّ سيرة الإمام عليه السلام ومشروعه على غرار أبيه علي عليه السلام كشف الحقائق وإيقاظ الرأي العام حيث كان يسلك مختلف الطرق لتحقيق هذا الهدف الرباني لتتم الحجة على من هناك أدنى أمل في هدايته. عن طريق الترغيب والبشارة أحياناً، وأخرى عن طريق العواطف الإنسانية، وتارة بواسطة العقائد الدينية وتارة أخرى بواسطة الإنذار والوعيد. ولكن من المؤسف لم تكن لدى تلك الطغمة الظلمة أدنى رغبة في هدى وقد انغمست في مستنقع الدنيا بحيث كانت تحسب السراب ماءً. وتشير القرائن والشواهد كافة إلى علم الإمام عليه السلام وأصحابه بقتلهم دون أن يشعروا بأدنى وجل.

فقد آثر هؤلاء الموت بشرف تحت ضربات السيوف والسهام على الحياة بذلة وهوان في القصور الفارهة، فلا يشاهد أدنى ترديد في تلك الكلمات؛ ذلك لأنهم كانوا يعلمون أنَّ هذا الموت أساس الحياة الأبدية ومنبع حياة المجتمع الإسلامي وإيقاظه وإنقاذ الإسلام من مخالب أحزاب النفاق والجاهلية، فهنئاً لهم ثم هنئاً لهم.

٧٥. إعرافات أهل الكوفة مقابل منطق الإمام عليه السلام

استند الإمام عليه السلام على سيفه وقال: أتعرفونني؟ قالوا: بلى أنت سبط رسول الله. فقال عليه السلام: «أُنشِدُكُمْ الله! هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

قالوا: بلى. قال:

«أُنشِدُكُمْ الله! هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام؟».

قالوا: بلى. قال:

«أُنشِدُكُمْ الله! هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أُمِّي فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عليه السلام بِنْتُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى ﷺ؟».

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ٢، ص ٦-٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨-١٠.

قالوا: بلى. قال:

«أُنشِدُكُمْ الله! هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدَّتِي خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أَوَّلُ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
إِسْلَامًا؟».

قالوا: بلى. قال:

«أُنشِدُكُمْ الله! هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حَمْرَةَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَمُّ أَبِي؟».

قالوا: بلى. قال:

«أُنشِدُكُمْ الله! هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَعْفَرَ الطَّيَّارِ فِي الْجَنَّةِ عَمِّي؟».

قالوا: بلى. ثم قال ﷺ:

«فَبِمَ تَسْتَحِلُّونَ دَمِي؟».

قالوا: قد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً!



فالإمام ﷺ كان يعلم من خلال الشواهد الكثيرة التي مرت في الأبحاث السابقة،
أنّه ليس أمامه سوى الشهادة في سبيل الله. لكن كان المهم أن توقظ تلك الشهادة
قاطبة المسلمين وتهز أفكار الرأي العام، ولا يتسنى هذا الأمر إلا من خلال إتمام
الحجّة وتبيين الظروف من جميع الجوانب، حتى لا يدعى أحد من جيش يزيد غداً أنّه
لم يكن عارفاً بالإمام ﷺ ويظن أنّه كان فرداً خارجياً فأريق دمه.
فقد سلبهم الإمام ﷺ بخطبه المختلفة والمتكررة كل هذه الذرائع وثبت وثيقة
فضيحتهم وعارهم في صفحات تاريخ الإسلام والبشرية.

٧٦. حديث الحسين ﷺ لصحبه الميامين

طبق رواية عن الإمام الباقر ﷺ أنّ الإمام ﷺ التفت إلى أصحابه قبل شهادته
وقال:

١. آمالي الصدوق، ص ١٣٥؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣١٨ (مع اختلاف يسير).

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِي: إِنَّكَ سَتُسَاقُ إِلَى الْعِرَاقِ وَهِيَ أَرْضٌ قَدِ التَّقَى بِهَا النَّبِيُّونَ وَأَوْصِيَاءُ النَّبِيِّينَ وَهِيَ أَرْضٌ تُدْعَى (عَمُوراء) وَإِنَّكَ تُسْتَشْهَدُ بِهَا وَيُسْتَشْهَدُ مَعَكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِكَ لَا يَجِدُونَ أَلَمَ مَسِّ الْحَدِيدِ وَتَلَى: «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ»^١»^٢.



يتضح عظم مقام أصحاب سيد الشهداء عليه السلام من خلال هذه العبارات، فقد بلغوا مرتبة من الفناء في حب الله بحيث لم يعودوا يشعرون بطعن أسنة الرماح والسهام لأبدانهم ولا يبدو ذلك مستغرباً، فقد قطعت نسوة مصرأيديهن دون أن يشعروا لمجرد عشق عابر، فلا ينبغي لهؤلاء العشاق الذائبون في الله والشهادة أن يشعروا بضربات السهام والسيوف.

نعم، فهؤلاء إبراهيميون دخلوا نار نمرودي عصرهم فكانت تلك النار برداً وسلاماً عليهم وقد أنستهم لذة لقاء المحبوب كل شيء دونه.

٧٧. عجلوا أيها الأبطال

فأقبل عمر بن سعد يوم عاشوراء حتى وقف أمام الحسين عليه السلام ثم وضع سهماً في كبد قوسه ثم رمى وقال: اشهدوا أنني أول من رمى الناس، ثم رمى الناس بعده أصحاب الإمام عليه السلام. فقال عليه السلام لأصحابه: «قَوْمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ، فَإِنَّ هَذِهِ السِّهَامَ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ».

فاقتتلوا ساعة من النهار حتى قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة، قال فعندها ضرب الحسين عليه السلام يده على لحيته وجعل يقول:

١. سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨٠.

«إِشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى النَّصَارَى إِذْ جَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى الْمَجُوسِ إِذْ عَبْدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دُونَهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَا أُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يُرِيدُونَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى وَأَنَا مُخَضَّبٌ بِدَمِي»^١.

❦❦❦

كانت لحظات حساسة وكأن السماء وقفت تنظر والأرض تنتظر لتتطلع إلى ذلك الميدان الصاخب والخالد وقاتل أولئك الليوث لا يفكرون سوى في الله ففتحوا صدورهم للقتل في سبيله فلا تملك سوى الإشادة بمواقفهم التضحية! تحية أعجاب وإكبار لكم أيها الأشاوس.

٧٨. شهداء الحملة الأولى

ذكر المؤرخون أسماء بعض شهداء المواجهة الأولى في واقعة كربلاء وذكروا أسماء أربعين نفراً منهم، وقد أورد ابن شهر آشوب في المناقب أسماء ٢٨ من هؤلاء الشهداء، والباقي وردت أسماؤهم في مصادر تاريخية أخرى، وهم كالتالي^٢ (حسب ترتيب الحروف):

١. أدهم بن أمية، وهو من شيعة البصرة المخلصين، وقد توجه مع يزيد بن ثبيط من البصرة إلى مكة والتحق بالإمام الحسين عليه السلام هناك.
٢. أمية بن سعد الطائي، وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن أهالي الكوفة، وقد التحق بجيش الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.
٣. بشر بن عمرو، وهو من التابعين الذين التحقوا بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

١. اللهوف، ص ١٥٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٢.

٢. وردت أسماء شهداء كربلاء في الكتب التالية: إرشاد المفيد؛ تاريخ الطبري؛ المناقب، ابن شهر آشوب؛ أعيان الشيعة؛ إحصار العين ونفس المهموم وكتب أخرى.

٤. جابر بن الحجاج، وهو من الرجال الشجعان ومن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وقد أُستشهد قبل الظهر من يوم عاشوراء.
٥. الحباب بن عامر، من شيعة الكوفة، وقد بايع مسلم بن عقيل والتحق بالإمام الحسين عليه السلام في الطريق.
٦. جبلة بن علي الشيباني، من شجعان الكوفة وقد التحق في البداية بمسلم بن عقيل ثم جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام والتحق به.
٧. جُنادة بن كعب الأنصاري، التحق بالإمام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة وسار مع الإمام هو وأسرته إلى كربلاء.
٨. جُنْدَب بن حجر الكندي،^١ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن رموز الشيعة، وقد التحق بالإمام الحسين عليه السلام قبل مواجهة جيش الإمام للحزب بن يزيد الرياحي.
٩. جُوَيْن بن مالك التميمي، وقد خرج في البداية لحرب الإمام الحسين عليه السلام مع رجال قبيلته، ولكنه التحق بالإمام مع جماعة في ليلة عاشوراء وترك جيش عمر ابن سعد.
١٠. الحارث بن امرؤ القيس الكندي، وقد كان في البداية مع جيش عمر بن سعد، ولكنه لما رأى إعراضهم عن سماع كلام الإمام الحسين عليه السلام، التحق بأصحاب الإمام عليه السلام.
١١. الحارث بن نيهان، وهو من أصحاب أمير المؤمنين والإمام الحسن المجتبي عليه السلام.
١٢. الحجاج بن بدر السعدي، وهو من شجعان أهل البصرة، وقد حمل معه جواب كتاب الإمام الحسين عليه السلام من البصرة إلى كربلاء وسلّمه للإمام عليه السلام وبقي معه إلى أن نال مقام الشهادة، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه أُستشهد في يوم عاشوراء بعد الظهر.^٢
١٣. حُلاس بن عمرو الراسبي، وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان قائداً

١. ورد اسمه في أعيان الشيعة وهو: جندب بن حجير (ج ١، ص ٦١١).

٢. إِبصار العين، ص ١٢٤.

من قواد جيشه في الكوفة، وفي البداية جاء مع جيش عمر بن سعد إلى كربلاء، ولكنه لما رأى أن عمر بن سعد لم يقبل بشروط الإمام الحسين عليه السلام، التحق بمعسكر الإمام عليه السلام ليلاً.

١٤. زاهر بن عمرو، وهو من محبي أهل البيت عليهم السلام وكان من أصحاب عمرو بن الحمق (الصحابي المعروف) وبعد استشهاد عمرو بن الحمق على يد أزام معاوية، عاش متستراً إلى سنة ٦٠ للهجرة حيث وصل إلى مكة والتحق بالإمام الحسين عليه السلام بعد مناسك الحج وسار معه إلى كربلاء.

١٥. زهير بن بشر الخثعمي، يقول عنه ابن شهر آشوب أنه كان من جملة الشهداء الأوائل في كربلاء، ولكن اسمه لم يذكر في المصادر الروائية الأخرى^١.

١٦. زهير بن سليم الأزدي، وقد التحق ليلة عاشوراء بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بعد أن رأى عزم عمر بن سعد على حرب الإمام عليه السلام.

١٧. سالم (غلام عامر بن مسلم)، وهو من أهالي البصرة، وقد التحق بأصحاب الإمام الحسين عليه السلام مع يزيد بن ثبيط في مكة المكرمة وجاء معه إلى كربلاء.

١٨. سالم بن عمرو، من أهالي الكوفة، وقد التحق بأصحاب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء قبل يوم عاشوراء.

١٩. سوار بن أبي حمير، وقد التحق بمعسكر الإمام الحسين قبل شروع الحرب وجرح في الحملة الأولى، فأسره رجال عمر بن سعد، ولكنه أطلق سراحه بعد أن شفع له أرحامه عند ابن سعد، وبعد ستة أشهر أشتهد^٢.

٢٠. شبيب بن عبدالله، ويعتد من الرجال الشجعان، وقد التحق بالإمام الحسين عليه السلام مع سيف ومالك ابني سريع.

٢١. عائذ بن مجمّع، وقد التحق مع أبيه مجمّع بن عبدالله بالإمام الحسين عليه السلام في

١. المناقب، لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٢٣.

٢. انظر: مقتل الحسين، المقرّم، ص ٢٥٤.

الطريق، وقد أراد الحر بن يزيد الرياحي من الالتحاق بالإمام عليه السلام، فقال الإمام الحسين عليه السلام: «هؤلاء أصحابي ولا ينبغي عليك منعهم من الالتحاق بمعسكري»، ويقول صاحب الحقائق: أن عائداً كان من جملة الشهداء في المواجهة الأولى.

٢٢. عامر بن مسلم العبدي، من شيعة البصرة، وقد توجه هو وغلّامه سالم ويزيد بن ثبيط من البصرة إلى مكة المكرمة والتحق بالإمام عليه السلام هناك.

٢٣. عبدالرحمن بن عبدالله اليزني^١، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن جملة الأصحاب المخلصين لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو الذي ورد الحديث عنه عندما طلب الإمام علي عليه السلام في رحبة الكوفة من الناس ممن حضر واقعة الغدير أن يقوم ويشهد بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم، فقام عبدالرحمن اليزني وشهد بأنه سمع حديث الغدير من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد التحق بالإمام الحسين عليه السلام من مكة وجاء معه إلى كربلاء.

٢٤. عبدالرحمن بن مسعود، وقد كان في بداية الأمر في جيش عمر بن سعد، ولكنه قبل أن يبدأ القتال التحق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام وأستشهد في ركا به.

٢٥. عبدالله بن بشير الخثعمي، وهو من مشاهير الشجعان وقد كان في البداية مع جيش عمر بن سعد، ولكنه التحق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام قبل بداية الحرب.

٢٦. عبدالله بن يزيد العبدي، من شيعة البصرة وقد خرج مع أبيه من البصرة إلى مكة والتحق بالإمام الحسين عليه السلام هناك.

٢٧. عبيدالله بن يزيد العبدي، وقد جاء مع أبيه يزيد بن ثبيط وجماعة آخرين من البصرة إلى مكة المكرمة والتحق بالإمام الحسين عليه السلام هناك.

٢٨. عمرو بن ضبيعة (مشيعة)، وكان رجلاً شجاعاً ومن المعروفين في ميادين الجهاد والقتال، وقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله، وجاء مع جيش عمر بن سعد إلى كربلاء، ولكنه انتبه من غفلته هناك والتحق بأصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

١. ورد اسمه في أعيان الشيعة، عبدالرحمن بن عبد ربه، (ج ١، ص ٦١١).

٢٩. عمار بن حسان الطائي، وأبوه حسان من أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد اشترك في حرب الجمل وصفين، وأستشهد بين يدي الإمام في واقعة صفين، وجاء عمار إلى مكة المكرمة والتحق بالإمام الحسين عليه السلام.
٣٠. عمار بن سلامة، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن جملة أتباع وأنصار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد اشترك في حروبه، وقد جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء والتحق بمعسكره حتى نال الشهادة.
٣١. قاسم بن حبيب الأزدي، من شيعة الكوفة، وقد كان في البداية مع جيش عمر بن سعد، ولكنه التحق بجيش الإمام عليه السلام قبل شروع القتال.
٣٢. قاسم بن زهير، من قادة جيش أمير المؤمنين عليه السلام في واقعة صفين، وقبلها اشترك مع أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل، وكذا في النهروان أيضاً وبعده صار من خلص أصحاب الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وفي واقعة كربلاء أوصل نفسه ليلاً إلى كربلاء قادماً من الكوفة.
٣٣. كردوس بن زهير، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وقد التحق بالإمام الحسين عليه السلام ليلاً مع اثنين من إخوانه.
٣٤. كنانة بن عتيق، وكان من جملة الزهاد في زمانه وقارئاً للقرآن، وقد تشرف بالالتحاق بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.
٣٥. مسعود بن الحجاج، وهو من الشيعة الشجعان المعروفين، وقد التحق بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء مع ابنه قبل يوم عاشوراء وقد نالا الشهادة في الحملة الأولى.
٣٦. مسلم بن كثير الأزدي، من أهالي الكوفة ومن أنصار أمير المؤمنين عليه السلام، وقد شلت إحدى رجله في إحدى الحروب والتحق بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.
٣٧. مقسط بن زهير، وكان هو واثنان من إخوته من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، واشترك في حروب الجمل وصفين والنهروان مع أمير المؤمنين عليه السلام، والتحق ليلاً بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام.

٣٨. نصر بن أبي نيزر، وكان أبوه من أولاد ملوك العجم أو من أولاد النجاشي، وكان هو من أصحاب أمير المؤمنين علي والإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وقد تحرك مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة المكرمة وبعدها توجه إلى كربلاء، وكان في بداية القتال فارساً ولكن بعد أن عطب جواده نزل وأخذ يقاتل راجلاً إلى أن أستشهد.

٣٩. نعمان بن عمرو الراسبي، وكان هو وأخوه من أهل الكوفة ومن أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وجاء إلى كربلاء في البداية مع جيش عمر بن سعد، ولكنه لما رأى ابن سعد لم يوافق على شروط الإمام الحسين عليه السلام التحق بأصحاب الحسين ليلاً.

٤٠. نعيم بن عجلان الأنصاري، وكان هو واثنان من إخوته نصر والنعمان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وقد اشتركوا جميعاً في حرب صفين مع الإمام علي عليه السلام، وبقي نعيم في الكوفة بعد وفاة إخوته إلى أن سمع بتوجه الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق، فجاء إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام ونال وسام الشهادة بين يدي الإمام عليه السلام في الحملة الأولى^١.



هؤلاء هم الأنصار المخلصون للإمام الحسين عليه السلام والذين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن الإمام والذب عن أهل بيت النبوة عليهم السلام من موقع الوعي الكامل والمعرفة التامة بالأخطار والتحديات الصعبة التي تواجههم في هذا المسار، فبدلوا كل غالٍ ونفيس في هذا السبيل، وبالرغم من أنهم يمثلون جماعة صغيرة لا تقبل القياس بلحاظ العدد والعدة مع جيش الأعداء الكبير، إلا أنهم استقبلوا الشهادة والموت في سبيل الله برحابة صدر وواجهوا الأعداء بشجاعة فائقة واستقاموا في طريق ذات الشوكة إلى النفس الأخير من أجل الدفاع عن إمامهم وأهل بيت نبيهم عليهم السلام.

١. إِبصار العين، ص ٩٤.

هؤلاء هم رموز الإنسانية في التاريخ البشري والساكنين في طريق الحق والرافعين لواء العزة والكرامة، الذين نالوا مقام القرب الإلهي.

٧٩. ارجعي إلى الخيام (فليس على النساء جهاد)

كان «عبدالله بن عمير الكلبي» من شبّان الكوفة الشجعان، وفي أحد الأيام شاهد في النخيلة جيشاً عظيماً متوجّهاً إلى كربلاء، فقال في نفسه: أشهد الله أنني مشتاق لجهاد المشركين وأرجو أن لا يكون جهاد هؤلاء الذين خرجوا لقتال ابن بنت النبي ﷺ أقل ثواباً من قتال المشركين. فطرح فكرته على زوجته «أم وهب»، فوافقته على هذا الرأي، وخرج هو وزوجته ليلاً من الكوفة متوجّهاً إلى كربلاء.

وفي يوم عاشوراء خرج يسار (غلام زياد بن أبيه) وسالم (غلام عبيدالله بن زياد) إلى الميدان وطلبا البراز، فبرز لهما في البداية حبيب بن مظاهر وبرير بن خضير، ولكن الإمام الحسين ﷺ منعهما من القتال، عند ذاك قام عبدالله بن عمير واستأذن الإمام ﷺ في البراز فأذن له الإمام وقال:

«إني أراك قادراً على المواجهة، فإن برزا فبرز لهما».

فخرج عبدالله بن عمير إلى الميدان واشتبك معهما في القتال حتى قتلهما وعاد إلى معسكر الإمام ﷺ وقد قطعت أصابع كفه اليسرى، وأخذ يرتجز ويقول:

حَسْبِي بَيْتِي فِي عَلِيمِ حَسْبِي	إِنْ تُنْكِرُونِي فَأَنَا بِنْ كَلْبٍ
وَكُنْتُ بِالْخَوَارِ عِنْدَ الْحَرْبِ	إِنِّي أَمْرٌ دُوْ مِرَّةٍ وَعَصْبٍ
بِالطَّعْنِ فِيهِمْ مَقْدَمًا وَالضَّرْبِ	إِنِّي زَعِيمٌ لَكَ أُمٌّ وَهَبٍ

وقد كانت أم وهب (زوجة عبدالله بن عمير) تشهد ما يجري، فأخذت عمود الخيمة وتوجهت نحو زوجها وقالت: بأبي أنت وأمي قاتل دون الطيبين، وجاهد دون ذرية رسول الله ﷺ.

وجاء الإمام الحسين ﷺ إليها وقال لها: «جُزِبْتُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي خَيْرًا، إِرْجِعِي إِلَيَّ

النِّسَاءِ رَحِمَكَ اللَّهُ فَقَدْ وُضِعَ عَنْكَ الْجِهَادُ»^١.

وهجم الأعداء من كل جانب ووقعت معركة شديدة كان عبدالله بن عمير يقاتل كالأسد الضاري إلى أن نال شرف الشهادة، فجاءت زوجته إلى جانب جسده المقطع إرباً إرباً وهي تقول: «هَنِيئاً لَكَ الْجَنَّةُ أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي رَزَقَكَ الْجَنَّةَ أَنْ يَصْحَبَنِي مَعَكَ».

فجاءت إليه تمسح الدم عن وجهه، فأبصرها شمر بن ذي الجوشن فأمر غلاماً له فضربها بالعمود على رأسها وقتلها، واستجاب الله تعالى دعاءها. فهي أول امرأة قتلت في حرب الحسين عليه السلام في كربلاء^٢.

❦❦❦

إنّ تضحية هذه المرأة المؤمنة لم تقتصر على هجومها على العدو بعمود الخيمة ولم تقتصر أيضاً على استشهادها في هذه الواقعة، بل الأهم من ذلك أنّها عندما شاهدت جسد زوجها مقطعاً بالسيوف على رمضاء كربلاء قالت: «هَنِيئاً لَكَ الْجَنَّةُ أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي رَزَقَكَ الْجَنَّةَ أَنْ يَصْحَبَنِي مَعَكَ»، وهذا الكلام يحكي عن أعلى درجات الإيمان والشجاعة الفائقة بحيث يجعل من هذه المرأة أسوة وقدوة لجميع الأجيال البشرية.

٨٠. لقد نصرتماني بأنفسكما!

كان سيف بن حارث ومالك بن عبدالله الجابريان أخوان من الأم، وقد التحقا يوم عاشوراء وهما يبكيان لما شاهدا غربة الإمام الحسين عليه السلام ووحده بين الأعداء. فقال لهم الإمام الحسين عليه السلام: «يَا ابْنَي أَخِي مِمَّا بُكَاءُكُمَا؟ وَاللَّهِ لَأَنْتُمَا سَتَكُونَانِ

١. انظر: أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٩٨؛ مقتل الحسين، الخوارزمي، ج ٢، ص ٢٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٧.

٢. انظر: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٢٧؛ الكامل، لأبن الأثير، ج ٤، ص ٦٩؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٧؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٣-٦٠٤ وإبصار العين، ص ١٠٦.

قَرِيرِي عَيْنٍ بَعْدَ سَاعَةٍ».

فقالا: جعلنا الله فداك، لا نبكي لأنفسنا ولكن نبكي عليك نراك قد أحيط بك ولا
نقدر أن نمنع عنك.

قال الإمام عليه السلام: «فَجَزَاكُمَا اللَّهُ يَا ابْنَي أَخِي بَوَجْدِكُمَا مِنْ ذَلِكَ وَمَوَاسَاتِكُمَا إِيَّايَ
بِأَنْفُسِكُمَا أَحْسَنَ جَزَاءٍ الْمُتَّقِينَ».

واستأذن هذان الأخوان الإمام الحسين عليه السلام في جهاد القوم، فأذن لهما الإمام عليه السلام
فجاءا إلى ميدان القتال، وأخذا يقاتلان الأعداء سوية حتى نالا معاً شرف الشهادة^١.

٨١. أَنِي أَقْدِمُ عَلَى رَبِّ غَفُورٍ كَرِيمٍ

ينقل البلاذري وابن الأثير أنه لما طلع الصبح من يوم عاشوراء اقترب جيش
عمر بن سعد من خيام أبي عبدالله الحسين عليه السلام. وبرز منهم عبدالله بن حوزة التميمي
ونادى بصوت عالٍ مخاطباً أصحاب الحسين عليه السلام: «هل الحسين بينكم؟» فلم يسمع
جواباً، وعندما كرر نداءه، قام أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأجابه مشيراً إلى
الحسين: هذا هو الحسين فماذا تريد؟
فقال عبدالله بن حوزة موجهً كلامه للإمام الحسين عليه السلام وقال: أبشر يا حسين
بالنار.

فأجابه الإمام الحسين عليه السلام: «كَذَبْتَ بَلْ أَقْدِمُ عَلَى رَبِّ غَفُورٍ كَرِيمٍ مُطَاعٍ شَفِيعٍ،
فَمَنْ أَنْتَ؟».

فقال عبدالله: أنا ابن حوزة.

فرفع الإمام عليه السلام يديه إلى السماء وقال: «اللَّهُمَّ حُزُّهُ إِلَى النَّارِ».

فاضطرب الرجل وضرب جواده بالسوط يريد الهجوم على الحسين عليه السلام

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٣٧؛ مقتل الحسين، الخوارزمي، ج ٢، ص ٢٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣١
وأعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٧.

وأصحاب، وفجأة تعثر الجواد وسقط عبدالله على الأرض وأسرع الجواد في مسيره وبقيت رجل عبدالله معلقة في الركاب وجسده ملقى على الأرض وأخذ الجواد يجره بسرعة نحو خندق النار حتى ألقاه^١.

٨٢. أبوالشعثاء الكندي

واسمه يزيد بن زياد، كان في بداية أمره مع جيش عمر بن سعد، ولكن بمجرد أن بدأت الحرب التحق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام. واللافت أن هذا الرجل التحق بجيش الإمام قبل الحرّ بن يزيد الرياحي، وكان في بداية القتال فارساً ولكن الأعداء عقروا جواده فرجع إلى الخيام وجلس على ركبتيه أمام الخيام وأخذ يرمي جيش عمر بن سعد بالسهم، وكان ماهراً في رمي السهام، ورمى مائة سهم باتجاه الأعداء.

فدعا الإمام الحسين عليه السلام له وقال: «اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمِيَّتَهُ وَاجْعَلْ ثَوَابَهُ الْجَنَّةَ».

وبعد نفاد السهام قام أبوالشعثاء وقال: ما أخطأت سهامي سوى خمسة أسهم.

ثم إنه هجم بالسيف على صفوف الأعداء وأخذ يرتجز ويقول:

أَنَا يَزِيدُ وَأَبِي مُهَاجِرُ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ نَبِيلٍ خَادِرُ

يَا رَبِّ إِنِّي لِلْحُسَيْنِ نَاصِرُ وَلَا بَيْنَ سَعْدٍ تَارِكٍ وَهَاجِرُ^٢

فقاتل قتال الأبطال حتى أستشهد في سبيل الله.

٨٣. الحرّ بن يزيد الرياحي

كان «الحرّ» من رجال الكوفة الأشراف ورئيساً لقبيلة بني رياح، فجعله ابن زياد

١. أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٩٩؛ الكامل، ابن الأثير، ج ٤، ص ٦٦؛ تاريخ ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٣٥.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٤٠؛ أمالي الصدوق، المجلس ٣٠؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٧٣ وإبصار العين، ص ١٠٢.

قائداً على ألف فارس وأمره بالتوجه لمنع الإمام الحسين (عليه السلام) من دخول الكوفة، ولكنّ الحرّ عندما رأى في يوم عاشوراء أنّ عمر بن سعد عازم على قتال الحسين (عليه السلام)، أخذه ما يشبه الرعدة والاضطراب وأخذ يدنو من معسكر الحسين خطوة فخطوة.

ولما رأى المهاجر بن أوس ما بدا على الحرّ من اضطراب شديد، قال له: والله إنني لم أرك من قبل في مثل هذه الحالة ولو سئلت عن أشجع الناس في الكوفة ما عدوتك، فقال: «إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار ولا أختار على الجنة شيئاً». ثم إنّ الحرّ ضرب فرسه ولحق بالحسين (عليه السلام).

وينقل «ابن الأثير» في تاريخه أنّ الحرّ عندما وصل إلى الإمام الحسين (عليه السلام) قال: يا ابن رسول الله، جعلني الله فداك، إني صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق، وجعجت بك إلى هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو، ما ظننت القوم يردون عليك ما عرضت لهم، ولا يبلغون بك هذه المنزلة، وإني لو علمت في نفسي أنّهم يقتلونك ما ركبت هذا منك، وأني جئتكم تائباً إلى ربي ممّا كان منّي ومواسيك بنفسي حتى أموت بين يديك... . وأجابه الإمام الحسين (عليه السلام) بكل لطف ومحبة: «نعم، يتوب الله عليك ويغفر لك»^١.

ونقرأ في المصادر التاريخية أنّ الحر بن يزيد الرياحي عندما وصل إلى مقربة من الإمام الحسين (عليه السلام) أخذ يناجي ربه ويقول:

«اللهم إنيك أنيب فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك»^٢.

وينقل «الخوارزمي» في كتابه «مقتل الحسين» أنّ الحرّ بعد أن أعلن توبته أمام الحسين (عليه السلام) قال: يا ابن رسول الله! كنت أول خارج عليك، فأذن لي أن أكون أول

١. الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٦٤.

٢. أمالي الصدوق، ص ٢٢٣، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣١٩.

قتيل بين يديك، فلعلي أكون ممن يصفح جدك محمداً غداً في القيامة.
فقال الإمام عليه السلام: «إِنْ شِئْتَ فافْعَلْ فَأَنْتَ مِمَّنْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَهُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».
نعم، فكان الحرّ أول من تقدم لقتال القوم، واستشهد^١.
ولكن طبقاً لما أورد الطبري وابن كثير، أنّ الحرّ بعد مقتل حبيب بن مظاهر هجم
على الأعداء مع زهير بن القين قبل صلاة الظهر وكان أحدهما يعين الآخر ويدفع
عنه محاصرة الأعداء إلى أن عقروا فرس الحر ونزل وأخذ يقاتلهم راجلاً^٢.

وطبقاً لرواية أخرى، فجعل يقاتل ببسالة وهو يقول:
إِنِّي أَنَا الْحُرُّ وَمُؤَيِّ الضَّيْفِ أَضْرِبُ فِي أَعْرَاضِكُمْ بِالسَّيْفِ
عَنْ خَيْرٍ مَنْ حَلَّ بِلَادَ الْخَيْفِ أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرَى مِنْ حَيْفٍ
وهكذا لم يزل الحر يقاتل الأعداء بكل شجاعة وبسالة إلى أن هجم عليه
الرجالة في جيش عمر بن سعد وأحاطوا به وقتلوه.

فجاء إليه أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وحملوه إلى الخيام ووضعوه بين يدي
الحسين وبه رمق، وجلس الإمام الحسين عليه السلام عنده وأخذ يمسح التراب والدم عن
وجهه، ويقول: «أَنْتَ الْحُرُّ كَمَا سَمَّيْتَكَ أُمُّكَ وَأَنْتَ الْحُرُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^٣.
وطلب أقرباء الحر، الذين كانوا مع عمر بن سعد، جسده من عمر بن سعد
ليدفنوه، فقبل عمر بن سعد ذلك، فأخذوه معهم ودفنوه في مكان القبيلة ولذلك نجد

١. مقتل الحسين، للخوارزمي، ج ٢، ص ١٠.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٣٦؛ أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٦١٤.

٣. أمالي الصدوق، المجلس ٣٠؛ مقتل الحسين، للخوارزمي، ج ٢، ص ١١؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤ وحياة
الإمام الحسين، ج ٣، ص ٢٢١.

وطبقاً لرثاء الحسين عليه السلام للحر قال:

لِنَعْمِ الْحُرِّ حُرٌّ بَنِي رِبَاحٍ وَحُرٌّ عِنْدَ مُخْتَلَفِ الرِّمَاحِ
وَنَعْمَ الْحُرُّ إِذْ نَادَى حُسَيْنًا فَجَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ

(انظر: روضة الواعظين، ص ١٨٦ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤). وقال البعض: هذه الأشعار من أحد أصحاب
الإمام الحسين عليه السلام، ونسبها البعض إلى علي بن الحسين عليه السلام. (بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤).

أنَّ مرقد الحر يقع خارج مدينة كربلاء، وقد بني عليه ضريح مستقل ولم يقطع رأسه^١.

❦❦❦

قدّم الحرّ بن يزيد الرياحي درساً عظيماً لجميع الضالّين الذين انحرفوا في مسيرتهم عن صراط الحق، وأنّ الإنسان إذا كان ذو إرادة وعزم راسخ، فحتى لو وصل به الأمر إلى مقربة من الهلكة والسقوط في وادي الضلالة لكنّه يستطيع بإرادته وعزمه أن يغيّر الأمور ويعود إلى الحق وقد يصل إلى أعلى مراتب الجنّة، لقد كان الحرّ رجلاً استثنائياً وقد رزقه الله امتيازات خاصة، ونرى أنّ جميع أصحاب الحسين (عليه السلام) وضعوا في مقبرة واحدة إلى جانب قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، ولكن الحر بن يزيد له ضريح مستقل يبعد عدّة كيلومترات عن كربلاء ويتوجه الزوار فرادى وجماعات لزيارة قبره الشريف ويدعون الله عنده ويصلّون عليه.

٨٤. برير بن خضير

كان «برير بن خضير»، رجلاً عابداً زاهداً وشيخاً جليلاً من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام). وكان من كبار قراء الكوفة ويجلس في مسجد الكوفة ويعلم الناس القرآن!

وعندما سمع أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) امتنع عن البيعة ليزيد بن معاوية وهاجر إلى مكة، خرج برير من الكوفة قاصداً مكة والتحق بالإمام الحسين في مكة المكرمة^٢. وبرير هو الشخص الذي استولى عليه شوق الشهادة والقتل في سبيل الله إلى درجة أنّه كان يمزح مع أصحابه في صباح عاشوراء، فقال عبدالرحمن بن عبد ربه: يا برير هل هذه ساعة مزاح؟ فقال برير: إنّ قومي يعلمون أنّي لم أكن من أهل

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤ وإبصار العين، ص ١٢٠.

٢. بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٣٤٠.

المزاح لا أيام شبابي ولا في شيخوختي، ولكن اليوم يوم النشاط والمزاح، لأنني والله أعلم أنه لم يبق أمامنا سوى ساعة نواجه فيها جيوش هؤلاء القوم ثم نعانق الحور العين في الجنة^١.

ولما اشتد القتال يوم عاشوراء نادى رجل من جيش عمر بن سعد: يا برير! كيف ترى صنع الله فيك؟

فقال برير: «وَاللَّهِ لَقَدْ صَنَعَ بِي خَيْرًا وَصَنَعَ لَكَ شَرًّا، فَأَنَا أَتَوَجَّهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَنْتَ إِلَى النَّارِ».

فغضب ذلك الرجل وقال: كذبت يا برير، وقبل ذلك لم تكن كذاباً! فقال برير: هلم فلندع الله أن يلعن الكاذب منا، وإن يقتل المحق منا المبطل. فخرجا ودعيا الله تعالى في ذلك، وتبارزا فضرب يزيد بريراً ضربة خفيفة لم تضره، وضرب برير يزيداً ضربة قذبت المغفر ووصلت إلى دماغه فسقط قتيلًا^٢.

ثم إن بريراً استمر في قتال القوم وأخذ يرتجز ويقول:

أَنَا بُرَيْرٌ وَأَبِي خُضَيْرٌ لَيْسَ يَرُوعُ الْأُسْدَ عِنْدَ الزَّارِ
يَعْرِفُ فِينَا الْخَيْرَ أَهْلُ الْخَيْرِ أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرَى مِنْ ضَرٍّ
وَذَاكَ فِعْلُ الْحُرِّ مِنْ بُرَيْرٍ

فلم يزل برير يحمل بسيفه على الأعداء وهو يقول صارخاً بهم: «إِقْتَرِبُوا مِنِّي يَا قَتْلَةَ الْمُؤْمِنِينَ، إِقْتَرِبُوا مِنِّي يَا قَتْلَةَ ابْنِ بَنِي رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

ثم إن برير حمل عليهم وأخذ يقاتلهم فصرع واحداً منهم وجلس على صدره يريد قتله فجاء رجل من خلفه وطعنه برمحه ودار عليه الأعداء وأخذوا يضربونه من كل حذب وصوب حتى أستشهد^٣.

ويروي المؤرخون أن قاتل برير بات منفوراً من أهل الكوفة لقتله لبرير حتى أن

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٢٩؛ الكامل ابن الأثير، ج ٤، ص ٦٦ وإبصار العين، ص ٧٢.

زوجته أقسمت أنها لا تكلمه مدى الحياة بسبب قتله سيّد قراء الكوفة^١.

٨٥. مسلم بن عوسجة

كان رجلاً شجاعاً من أهالي الكوفة، ومن جملة الأشخاص الذين كتبوا كتاباً إلى الإمام الحسين عليه السلام يدعوه إلى الكوفة.

وبعد دخول ابن زياد الكوفة وشهادة مسلم بن عقيل خرج مسلم بن عوسجة مع أهله وعياله والتحقوا بالحسين، وقاتل دونه إلى آخر قطرة من دمه.

وكان عمرو بن الحجاج على ميسرة جيش عمر بن سعد، في حين أنّ زهير بن القين على ميمنة جيش الإمام عليه السلام، فحمل زهير على جيش عمر بن سعد ودارت معركة شديدة كان فيها مسلم بن عوسجة حاضراً يقاتل أشد القتال وهو يرتجز ويقول:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي ذُو لَبَدٍ مِنْ فَرَعٍ قَوْمٍ مِنْ ذُرَى بَنِي أُسَدٍ
فَمَنْ بَغَانِي حَائِثُ عَنِ الرَّشَدِ وَكَافِرٌ بِدِينِ جَبَّارٍ صَمَدٍ^٢
ولما انجلت غبرة القتال رأى الناس مسلم بن عوسجة وهو ملقى على الأرض مضرجاً بدمائه، فجاء إليه الإمام الحسين بن علي عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر وجلسا عند رأسه.

فقال له الإمام الحسين عليه السلام وكان فيه رفق:

«رَحِمَكَ اللَّهُ يَا مُسْلِمُ! مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا»^٣.

١. انظر: فتوح ابن اعثم، ج ٥، ص ١٠٢؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٢٩؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٦٦؛ أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٥٦٢ و ج ١، ص ٦٠٤ وإبصار العين، ص ٧٢.

٢. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٥.

٣. سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

فقال: حبيب بن مظاهر لمسلم: «عَزَّ عَلَيَّ مَصْرَعُكَ يَا مُسْلِمُ أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ».

فقال مسلم بصوت ضعيف: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.

فقال حبيب: لو لم أعلم أنني على الأثر لأحببت أن توصي إلي بما أهّمك.

فقال له مسلم وهو يشير إلى الإمام الحسين (عليه السلام): «أوصيك بهذا أن تموت دونه».

فأجابه فقال حبيب: أَفْعَلُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ.

وفي هذه الأثناء أغمض مسلم بن عوسجة عينيه وفارق الحياة ونال مرتبة الشهادة في أرض كربلاء^١.



في الحقيقة إنَّ الإنسان يشاهد في واقعة كربلاء من الحوادث التي لا يوجد لها مثيل طيلة التاريخ البشري، الشيخ والشاب يتصارعان للتضحية في سبيل الله ولا يريدان من ذلك سوى رضا الله تعالى ورضا إمامهم، ولم يفكروا حتى في آخر لحظات حياتهم إلا بالذب عن إمامهم وذرية رسول الله ﷺ هؤلاء هم الذين خلدوا تاريخ كربلاء وجعلوه متميزاً عن سائر التواريخ والحوادث الأخرى وأضحوا قدوة للأجيال اللاحقة في رسم معالم التضحية والفداء في سبيل العقيدة والدين والالتزام بالقيم الإنسانية.

٨٦. زهير بن القين

لقد كان «زهير بن القين» من الرموز العجيبة والنادرة في واقعة عاشوراء، فقد كان في بداية أمره عثمانى المسلك، إلى درجة أنه لم يكن مستعداً لكي يستضيف الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته في منزله، ولكنه تأمل لحظة في دعوة الإمام الحسين (عليه السلام) وشاء الصدق أنه يلتحق بالإمام الحسين (عليه السلام) ويستمد نور الحياة الأبدية من فيض ولاية الإمام فتبدل نحاس وجوده إلى ذهب خالص، فنال فجأة كلَّ

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٣١؛ الملهوف (اللهوف)، ص ١٦٢.

ما فقدته أهل الكوفة من بركة نصره أهل البيت عليهم السلام، فبلغ في أيام قلائل ذروة العظمة والافتخار وخرج من حضيض الذلة والمهانة إلى أوج العزة والإيمان وبات من معالم عاشوراء الخالدة.

روى جماعة من قبيلة بني فزارة وبجيلة: كنّا مع زهير راجعين من مكة، وكنا نساير ركب الحسين بن علي عليه السلام وأنصاره في الطريق، فكلما نزل الحسين منزلاً نزلنا في منزل آخر، ولكننا اضطررنا في الطريق للنزول في منزل «زرود» (أحد المنازل بين العراق ومكة)، فبينما نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الإمام الحسين عليه السلام حتى سلّم ثم دخل فقال: «يا زهير! إنّ أبا عبدالله الحسين عليه السلام بعثني إليك».

فألقي كل إنسان منّا ما في يده (كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ)، فقالت امرأته «دلهم»: سبحان الله! أبيعك إليك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ثم لا تأتيه؟ لو أتيتك فسمعت كلامه، ثم انصرفت؟

فقام «زهير» من مكانه بوجه ممتعض وتوجه نحو الحسين عليه السلام، فما لبثت أن جاء زهير مستبشراً وقد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه فقوّض وحمل إلى خيام الإمام الحسين عليه السلام.

ثم إنه التفت إلى زوجته قال لها: أنت طالق، إلحقي بأهلك، فإنني لا أحب أن يصيبك إلا خير. فإنني عزم على صحبة هذا الرجل وأفديه بنفسي، ثم إنه حمل زوجته مع بعض الطعام والمال وسلّمها إلى بعض عمومتها ليوصلوها إلى بيتها. فقامت زوجة زهير وودعته باكية وقالت: يا زهير خار الله لك فهنيئاً لك، ولكن لا تنساني من الشفاعة يوم القيامة واذكرني عند جدّ الحسين في ذلك اليوم^١.

والتفت زهير إلى أصحابه وقال: من أحبّ منكم أن يتبعني، وإلا فهو آخر العهد، إنني سأحدثكم حديثاً: إنا غزونا البحر «بلنجر»^٢ ففتح الله علينا وأصبنا غنائم فقال

١. الملهوف (اللاهوف)، ص ١٣٣؛ وانظر: بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٧١.

٢. مدينة على مقربة من بحر الخرز.

لنا «سلمان الباهلي»^١: «أفرحتكم بما فتح الله عليكم، وأصبتكم من الغنائم؟». فقلنا: نعم. فقال: «إذا أدركتم سيّد شباب آل محمد ﷺ فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم ممّا أصبتكم اليوم من الغنائم»^٢.

ويروي «إبراهيم بن سعيد»، هو أحد من رافق زهير في سفر الحج: «عندما جاء زهير الإمام الحسين عليه السلام قال له الإمام: «إنني سأقتل في كربلاء وسيحمل رأسي زحر بن قيس ليأخذ الجائزة من يزيد، ولكن يزيد سوف لا يعطيه شيئاً»^٣.

وهكذا أخذ زهير يتحرك في خطّ التعالي وبصعد في مدارج الرقي والكمال المعنوي بسرعة منذ ذلك اليوم إلى يوم عاشوراء، فالحوادث التي وقعت في هذه الأيام القلائل وما تحدث به زهير لأصحابه ورفقائه تحكي كلها عن تحول عظيم في روحه وشخصيته وكأنّ معجزة عظيمة وقعت في كيانه، وهكذا هي معجزة نهضة عاشوراء، النهضة التي غيّرت من شخصية الأفراد وصاغتهم صياغة إيمانية بحيث جعلتهم أسطورة في التضحية والفداء والمثل الإنسانية على مرّ التاريخ.

ولم يبق من رفاق زهير أحد معه حيث تفرقوا وذهب كل واحد منهم لحاله وإلتحق زهير بالإمام الحسين عليه السلام، وتحرك منذ ذلك الوقت في خط الرسالة والإمام والانفتاح على الله تعالى.

ولما كان يوم التاسع من محرم جاء شمر بن ذي الجوشن ومعه كتاب أمان لقمم بني هاشم العباس بن علي عليه السلام فردّه العباس بشدة، فنظر زهير بن القين نظرة زاخرة بالعطف والمودة إلى العباس وقال له:

«أحدثك بحديث وعيته، قال: بلى، فقال: لما أراد أبوك أن يتزوج طلب من أخيه عقيل وكان عارفاً بأنساب العرب أن يختار له امرأة ولدتها الفحولة من العرب

١. أحد أصحاب النبي الأكرم ﷺ.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٩٨؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٤٢.

٣. دلائل الإمامة، ص ١٨٢ وإثبات الهداة، ج ٢، ص ٥٨٨.

يتزوجها فتلد غلاماً شجاعاً ينصر الحسين بكر بلاء، وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصّر عن نصره أخيك وحماية أخواتك».

فقال العباس عليه السلام: «أَتَشَجِّعُنِي يَا زُهَيْرُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ» (أي إنني قبل ذلك مستعد للتضحية والفداء)^١.

وفي ليلة التاسع من المحرم عندما هجم الأعداء على المخيم، تصدّى لهم العباس عليه السلام ومعه عشرون من أصحاب الحسين عليه السلام ودفعوهم عن المعسكر وكان زهير بن القين من جملة الرجال الذين اشتركوا في هذه الواقعة.

والثفت زهير إلى عزرة بن قيس، وهو أحد الأشخاص الذين كتبوا كتاباً إلى الإمام الحسين عليه السلام يدعوه للمجيء ولكنّه التحق بجيش عمر بن سعد، وكان من المشتركين في ذلك الهجوم، فقال له زهير: «يا عزرة، احذر من أن تكون من جملة الضالّين الذين يعينون الظالمين على قتل الطاهرين»

فأجابه عزرة: يا زهير! كنت عندنا عثمانياً فما بالك؟

فقال زهير: «والله ما كتبت إلى الحسين ولا أرسلت إليه رسولاً ولكن الطريق جمعني وإياه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرفت ما تقدم عليه من عندكم: نكتكم وميلكم إلى الدنيا، فرأيت أن أنصره وأكون في حزبه حفظاً لما ضيّعتم من حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^٢.

ولا شك أنّ المقطع التاريخي في نهضة عاشوراء المتمثل بإعلان أصحاب الحسين عليه السلام الوفاء والاستقامة في ليلة عاشوراء يعدّ من أروع المواقف الإنسانية الزاخرة بالقيم والمثل الإنسانية في التاريخ البشري.

وفي هذه اللحظات التاريخية الحساسة وعندما طلب الإمام الحسين عليه السلام النصر من أصحابه وأنصاره، قام زهير من بين الأصحاب وخاطب الحسين قائلاً: «وَاللّٰهُ

١. مقتل الحسين، المقرّم، ص ٢٠٩.

٢. انظر: أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٩٢؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣١٦ والكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٥٧.

لَوَدِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ ثُمَّ نُشِرْتُ ثُمَّ قُتِلْتُ حَتَّى يَفْعَلَ بِي هَكَذَا أَلْفَ مَرَّةٍ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلَ عَنْ نَفْسِكَ، وَعَنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ»^١.

عاش زهير في هذه الأيام القلائل انقلاباً روحياً عميقاً إلى درجة أنه أضحى معتمد أصحاب الحسين وأنصاره، بحيث انتخبه الإمام عليه السلام في يوم عاشوراء ليكون قائداً على ميمنة جيشه.

وقد خطب زهير يوم عاشوراء خطبة غراء وهو ممتطياً جواده ولا بساً لامة الحرب، وقال مخاطباً الأعداء:

«يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار، إنَّ حقاً على المسلم نصيحة المسلم، ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا نحن أمة وأنتم أمة، إنَّ الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وآله لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنَّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنَّكم لا تدركون منهما إلَّا سوءاً، يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النحل، ويقتلان أمثالكم وقراءكم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهاني بن عروة وأشباهه.

قال الراوي: فسبَّوه وأثنوا على ابن زياد، فقالوا: والله لا نبرح نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله بن زياد سليماً.

فقال زهير لهم: يا عباد الله! إنَّ ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن كنتم لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم، خلَّوْا بين الرجل وبين ابنه عمه يزيد ابن معاوية، فلعمري إنَّ يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، فرماه شمر بسهم وقال: أسكت أسكت الله نأمتك، أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال زهير: يان البؤال على عقبه، ما إِيَّاكَ أَخاطب، إنَّما أنت بهيمة! والله ما أظنُّكَ تُحَكِّم من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

١. بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٩٣؛ اعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠١.

فقال شمر: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.
قال زهير: «أَفَبِالْمَوْتِ تُخَوِّفُنِي؟ فَوَاللَّهِ لَلْمَوْتِ مَعَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْخُلْدِ مَعَكُمْ». ثم رفع صوته وقال: عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي، فوالله لا تنال شفاعته محمد ﷺ قوماً أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم»^١.

ثم إنّ رجلاً من أصحاب الحسين ﷺ قال لزهير: «يأمر الحسين أن ترجع، فارجع، يقول لك إنّك نصحتهم كما نصح مؤمن آل فرعون قومه ولم يؤثر فيهم النصح»^٢. وقاتل زهير قتال الأبطال ودافع عن إمامه ونصر ذريته رسول الله ﷺ، وعندما أقام الإمام الحسين ﷺ صلاة الظهر يوم عاشوراء وضع يده على كتف الإمام الحسين ﷺ وقال: ائذن لي يا أبا عبد الله، فأذن له سيد الشهداء ﷺ.

فخرج كالليث إلى الميدان وهو يرتجز ويقول^٣:
فَدَتْكَ نَفْسِي هَادِيًا مَهْدِيًا الْيَوْمَ أَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّ
وَحَسَنًا وَالْمُرْتَضَى عَلِيًّا وَذَا الْجَنَاحَيْنِ الشَّهِيدَ الْحَيَّاءِ
فقال الإمام ﷺ: «وَأَنَا أَلْقَاهُمْ عَلَى أَثَرِكَ».

ثم إنّ زهير توجه إلى الميدان وقاتل قتال الأبطال وكان يرتجز ويقول:
أَنَا زُهَيْرٌ وَأَنَا ابْنُ الْقَيْنِ، أَذْبُكُم بِالسَّيْفِ عَنْ حُسَيْنٍ
واستمر في جهاد الأعداء إلى أن أُتخن بالجراح وسقط على الأرض وأستشهد في سبيل الله.



١. الكامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ٦٣.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٢٤؛ الكامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ٦٣؛ نفس المهموم، ص ١٢٤.

٣. انظر: بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣١٩.

٤. أعيان الشيعة، ج ٧، ص ٧٢.

لقد كان زهير بن القين من الوجوه البارزة والرموز الناصعة في تاريخ كربلاء وقد استطاع في ظل الإرادة والإيمان أن يصحح أخطائه الماضية ويصلح مسيرته في لحظات معدودة، وتحول بعزم راسخ من أجواء الظلمة والضلالة إلى أجواء النور والهداية واستقام في هذا المسير إلى آخر لحظات حياته وصار أسوة لمن قضى عمره في خط الانحراف والضلالة ثم انتبه من رقدته وعمل على إصلاح الخلل وجبران ما فات بعزم راسخ وشجاعة فائقة، وبذلك فتح أمامه أبواب العز والافتخار والخلود في ضمير الإنسانية.

٨٧. حبيب بن مظاهر

كان حبيب من جملة أصحاب النبي الأكرم ﷺ ثم صار من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وخاصته وقد اشترك في جميع حروبه ضد الناكثين والقاسطين والمارقين، وكان من جملة الأفراد القلائل الذين كانوا مستودع سر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد خصه الإمام بأسرار كثيرة.

وينقل العالم الجليل «الكشي» عن «فضيل بن الزبير» رواية عجيبة تحكي عن معرفة وإيمان حبيب بن مظاهر، وخلاصتها: قال: مرّ ميثم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد فتحدثا حتى اختلفت أعناق فرسيهما.

قال حبيب: لكأنني بشيخ أصلع ضخم البطن، يبيع البطيخ عند دار الرزق، وقد صلب في حب أهل بيت نبيّه ﷺ ويبقر بطنه على الخشبة.

فقال ميثم: وإنّي لأعرف رجلاً أحمر له ضفirtان يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه ويقتل ويجال برأسه بالكوفة، ثم افترقا.

فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين.

قال الراوي: فلم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري، فطلبهما فسأل

أهل المجلس عنهما فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا.
فقال رشيد: رحم الله ميثماً، نسي: ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم، ثم أدبر.

فقال القوم: هذا والله أكذبهم.

يقول فضيل: والله ما ذهبت الأيتام والليالي حتى رأيناه مصلوباً (ميثم) على باب دار «عمرو بن حريث» وجيء برأس حبيب بن مظاهر وقد قتل مع الحسين عليه السلام ورأينا كل ما قالوا^١.

انتقل حبيب بن مظاهر في زمن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة وأقام فيها، وعندما جاء مسلم بن عقيل إلى الكوفة التحق به حبيب وصديقه المخلص مسلم ابن عوسجة، ولكن بعد دخول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة واستشهاد مسلم بن عقيل، اختفى حبيب ومسلم بن عوسجة عن الأنظار لمدة، بواسطة رجال من أفراد قبيلته، وعندما سنحت لهما الفرصة توجهوا ليلاً إلى كربلاء لنصرة الحسين عليه السلام.

فكانا يجذآن السير في الليل ويختفيان في النهار إلى أن وصلا إلى كربلاء والتقيا بالإمام الحسين عليه السلام، ولما رأى حبيب غربة الإمام الحسين وقلة أنصاره تأثر بشدة وقال للحسين: «يا ابن رسول الله! إنَّها هنا حيّاً من بني أسد قريباً منّا، أفتأذن لي بالمسير إليهم الليلة أدعوهم إلى نصرتك، فعسى الله أن يدفع بهم عنك بعض ما نكره؟».

فقال له الحسين عليه السلام: قد أذنت لك.

فخرج حبيب بن مظاهر الأسدي من معسكر الحسين في جوف الليل متنكراً حتى صار إليهم فحيّاهم وحيّوه وعرفوه.

فقالوا له: ما حاجتك يا ابن العم؟

قال حبيب: «حاجتي إليكم إنني قد أتيتكم بخير ما أوتي به وافد إلى قوم قط،

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٩٢.

أتيتكم أدعوكم إلى نصره ابن بنت نبيكم، فإنه في عصاة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يسلموه وفيهم عين تطرف، وهذا عمر بن سعد قد أحاط به في اثنين وعشرين ألفاً، وأنتم قومي وعشيرتي، وقد أتيتكم بهذه النصيحة، فأطيعوني اليوم تنالوا شرف الدنيا وحسن ثواب الآخرة، فإنني أقسم بالله، لا يقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله ﷺ صابراً محتسباً إلا كان رفيق محمد ﷺ في أعلى عليين».

فقام إليه رجل من بني أسد يقال له عبدالله بشر فقال: أنا أول من يجيب إلى هذه الدعوة ثم جعل يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمَ الْقَوْمُ إِذَا تَوَاكَلُوا وَأَخْجَمَ الْفُرْسَانُ إِذْ تَنَاصَلُوا
إِنِّي شُجَاعٌ بَطْلٌ مُقَاتِلٌ كَأَنِّي لَيْثٌ عَرَبٍ بَاسِلٌ

ثم بادر رجال الحيّ إلى حبيب وأجابوه فالتأم منهم سبعون رجلاً وجاءوا مع حبيب يريدون الحسين ﷺ.

فخرج رجل من الحيّ وكان عيناً لابن سعد فأخبره بذلك، فدعا عمر برجل من أصحابه يقال له الأزرق بن حرب الصيداوي، فضمّ إلى أربعمئة فارس ووجه به إلى حيّ بني أسد مع الذي جاء بالخبر، فبينما أولئك القوم من بني أسد قد أقبلوا في جوف الليل مع حبيب يريدون عسكر الحسين، إذ استقبلتهم خيل ابن سعد على شاطئ الفرات وكان بينهم وبين معسكر الحسين ﷺ اليسير فتناول الفريقان واقتتلوا فصاح حبيب بن مظاهر بالأزرق بن الحرث:

«مَالِكَ وَلَنَا انْصَرِفْ عَنَّا يَا وَيْلَكَ دَعْنَا وَأَشَقِّ بَغِيرِنَا».

فأبى الأزرق، وعلمت بنو أسد أن لا طاقة لهم بخيل ابن سعد، فانهزموا راجعين إلى حيّهم ثم تحمّلوا في جوف الليل خوفاً من ابن سعد أن يكبسهم، ورجع حبيب إلى الحسين فأخبره فقال الحسين ﷺ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^١.

لقد كان حبيب رمزاً من الرموز البارزين في أنصار الإمام وكان مورد اعتماده واحترام أصحابه، ويمكن استكناه مكانته الرفيعة وشخصيته الممتازة منذ لحظة وروده إلى أرض كربلاء وحتى استشهاده.

في ليلة التاسع من المحرم وعندما امتلأت الصحراء بجيوش الأعداء واقتربوا من معسكر الإمام الحسين عليه السلام، أرسل الإمام إليهم أخاه قمر بني هاشم العباس ومعه عشرون فارساً لتكليمهم، وكان حبيب الوجه البارز بينهم.

وفي ليلة عاشوراء عندما طلب الإمام الحسين عليه السلام من أصحابه البيعة، فأول رجل ذكر الإمام اسمه من بين الأصحاب هو: حبيب بن مظاهر، وقد كانت خطبة حبيب الحماسية في تلك الليلة في نصرة الإمام الحسين والذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، لا تمحى من ذاكرة التاريخ^٢.

أجل لقد كان حبيب من كبار أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، كما كان قمر بني هاشم أبو الفضل العباس الرجل البارز من شباب بني هاشم. وأخيراً حلّ يوم العاشر من محرم، وأضاف حبيب وساماً آخر لسجله الحافل بالمفاخر حينما جعله الإمام الحسين عليه السلام قائداً على مسيرة جيشه. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون!

وفي ظهر يوم العاشر عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام إقامة صلاة الظهر طلب الهدنة من الأعداء، فقال «حُصَيْنُ بْنُ تَمِيمٍ»^٣ بصوت عالٍ: إنها لا تقبل! فأجابه حبيب بن مظاهر: «زَعَمْتَ أَنَّهَا لَا تُقْبَلُ مِنْ آلِ الرَّسُولِ وَتُقْبَلُ مِنْكَ يَا حِمَارُ؟».

١. الفتوح، لابن أعمش، ج ٥، ص ٩١-٩٢؛ أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٣٨٨؛ مقتل الحسين، الخوارزمي، ج ١، ص ٢٤٣-٢٤٤.

٢. انظر: قسم الحوادث الرقم ٦٦.

٣. ورد في بحار الأنوار باسم «حُصَيْنِ بْنِ تَمِيمٍ» (ج ٥، ص ٢١).

فحمل حصين بن تميم وحمل عليه حبيب ف ضرب حبيب وجه فرسه بالسيف
فشبت به الفرس ووقع الحصين فاحتوشه أصحابه واستنقذوه.
وبالرغم من أن حبيب بن مظاهر كان شيخاً كبيراً، إلا أنه كان يهجم على الأعداء
كالليث الغاضب ويرتجز ويقول:

أَنَا حَبِيبٌ وَأَبِي مُظَهَّرٌ فَارِسُ هَيْجَاءٍ وَحَرْبٍ تَسْعَرُ
أَنْتُمْ أَعْدَاءُ عُدَّةٍ وَأَكْثَرُ وَنَحْنُ أَوْفَى مِنْكُمْ وَأَصْبَرُ

وقاتل ببسالة حتى رزقه الله الشهادة، وينقل المؤرخون أن عبید الله بن زياد وضع
جائزة لمن يأتي له برأس حبيب، وقد حدث اختلاف شديد بين أفراد جيش عمر
بن سعد، كل منهم يريد الجائزة لنفسه.
ويروي محمد بن قيس أن شهادة حبيب ثقلت على الإمام الحسين عليه السلام وبأن عليه
التأثر وقال: «عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ نَفْسِي وَحُمَاةَ أَصْحَابِي»^١.

❦❦❦

إن هذا الشيخ الشجاع الذي نال مقام قيادة جيش الحق في يوم عاشوراء كان منذ
عصر رسول الله ﷺ من خلص الأصحاب الأوفياء للنبي الأكرم ﷺ وأهل بيته
الطاهرين عليه السلام ومن الوجوه البارزة والخالدة لشهداء كربلاء، ولا سيما إذا تمعنا في
كلماته في نصرته الإمام الحسين عليه السلام في ليلة العاشر من المحرم، والتي تحكي عن شدة
إيمانه واستعداده للتضحية في سبيل نصرته أهل البيت عليه السلام إلى النفس الأخير، وقد
رزقه الله مكانة مرموقة من بين أصحاب الحسين.

٨٨. عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري

وكان والده من صحابة رسول الله ﷺ ومن أنصار الإمام أمير المؤمنين علي بن

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٣٥؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٧٠؛ انظر: نفس المهموم، ص ١٣٩-١٤٠؛
أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٥٥٥.

أبي طالب عليه السلام، وقد اشترك في جميع حروبه في الجمل وصفين والنهروان، وأخيراً نال شرف نصرته الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وقد أوعز له الإمام بأن يتولى إرشاد عمر بن سعد.

وقد استأذن عمر بن قرظة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، وتوجه إلى ميدان القتال وهو يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمْتُ كَتِيبَةَ الْأَنْصَارِ أَنِّي سَأْخُمِي حَوْزَةَ الذُّمَارِ
ضَرْبَ غُلَامٍ غَيْرِ نَكْسٍ شَارِي دُونَ حُسَيْنٍ مُهْجَتِي وَدَارِي

وعندما وقف الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء غير آبه لسهام الأعداء وقف عمرو بن قرظة مع عدد من الأصحاب أمام الإمام يدفعون عنه السهام بصدورهم ونحورهم إلى أن أكمل الإمام صلاته وقد أصابت عدّة سهام وجه عمرو و صدره وسقط صريعاً على الأرض مع سعيد بن عبدالله، والتفت وهو في الرمق الأخير للإمام الحسين عليه السلام وقال: «أَوْفَيْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟».

فقال الإمام: «نَعَمْ، أَنْتَ أَمَامِي فِي الْجَنَّةِ فَأَقْرَأْ رَسُولَ اللَّهِ مِنِّي السَّلَامَ وَأَعْلِمْهُ أَنِّي فِي الْأَثَرِ».

ولما سمع عمرو هذه البشارة من الإمام الحسين عليه السلام امتلاء قلبه بالسرور وأغمض عينه وأستشهد في سبيل الله^١.

٨٩. أنس بن الحرث الكاهلي

وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الأجلاء وقد روى عنه أحاديث كثيرة^٢، ونال شرف المشاركة في غزوة بدر وحنين في ركاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وروى أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله منها أنه قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ - وَالْحُسَيْنُ فِي

١. انظر: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٣٠؛ الملهوف (اللهوف)، ص ١٦٢؛ إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٩٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٢.

٢. إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٥٥.

حِجْرِهِ -: إِنَّ ابْنِي هَذَا يُقْتَلُ بِأَرْضٍ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ، أَلَا فَمَنْ شَهِدَهُ فَلْيُنْصُرْهُ»^١.
ولهذا السبب عندما سمع أن الإمام الحسين (عليه السلام) متجه نحو كربلاء خرج من الكوفة والتحق ليلاً بمعسكر الإمام الحسين (عليه السلام).
وفي اليوم العاشر استأذن من الإمام الحسين (عليه السلام) للقتال وشدّ عمامته على خصرته وشدّ حاجبيه بعصابة على جبهته، فلما رآه الإمام بهذا الحال بكى وقال: «شَكَرَ اللَّهُ لَكَ يَا شَيْخُ»^٢.

وتوجّه أنس الكاهلي بهذا السن الكبير إلى القتال وأخذ يقاتل القوم بشجاعة فائقة وهو يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمْتُ كَاهِلَهَا وَدُودَانِ	وَالْخَنْدَفِيُّونَ، وَقَيْسُ عَيْلَانِ
بِأَنَّ قَوْمِي قُصِمُ الْأَقْرَانِ	لَدَى الْوَعْيِ وَسَادَةُ الْفُرْسَانِ
مُبَاشِرُ الْمَوْتِ بِطُعْنِ آنِ	لَسْنَا نَرَى الْعَجَزَ عَنِ الطَّعَانِ
آلُ عَلِيٍّ شَيْعَةُ الرَّحْمَانِ	آلُ زِيَادٍ شَيْعَةُ الشَّيْطَانِ ^٣

فقاتل قتال الأبطال حتى نال وسام الشهادة.

٩٠. أَسْلَمَ بَنَ عَمْرُو، الْغَلَامُ التُّرْكِيُّ^٤

وهو من الأتراك وكان خادماً وكاتباً للإمام الحسين (عليه السلام)^٥، وعارفاً بالعربية^٦، فاستأذن من الإمام للقتال متوجّهاً إلى الميدان وأخذ يرتجز ويقول:

-
١. الإصابة، ج ١، ص ٦٨؛ اسد الغابة، ج ١، ص ١٢٣.
 ٢. مقتل الحسين، المقرّم، ص ٢٥٢.
 ٣. انظر: إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٥٦؛ أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٥٠٠.
 ٤. وقد ذكر بعض أرباب المقاتل غلاماً تركياً آخر اسمه «واضح التركي» ونقله الآخرون بشكل مشترك أو مختلط.
 ٥. منتهى الآمال، ج ١، ص ٦٥٤ وتنقيح المقال، ج ١، ص ١٢٥.
 ٦. مقتل الحسين، الخوارزمي، ج ٢، ص ٢٤.

الْبَحْرُ مِنْ ضَرْبِي وَطَغْنِي يَضْطَلِّي وَالْجَوُّ مِنْ سَهْمِي وَنَبْلِي يَمْتَلِي
 إِذَا حُسَامِي فِي يَمِينِي يَنْجَلِي يَنْشَقُّ قَلْبُ الْخَاسِدِ الْمُبْجَلِي^١
 وبعد أن قاتل بشجاعة سقط على الأرض صريعاً، فجاءه الإمام الحسين عليه السلام
 وبكى ووضع خده على خده، ففتح عينيه وقال: «مَنْ مِثْلِي وَابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَاضِعُ
 خَدَّهُ عَلَى خَدِّي» قال هذه الجملة وصار إلى ربه شهيداً^٢.



وهنا نرى أن الإمام الحسين عليه السلام في لحظة استشهاد هذا الغلام يضع خده على خده
 وهذا يعني أن الإمام تعامل معه كما تعامل مع ابنه الشجاع علي الأكبر، ويوحى ذلك
 بأن هؤلاء جميعاً مجاهدون وشهداء في سبيل الله وينبغي احترامهم وتبجيلهم، وأنهم
 ساروا في مسير واحد وجاهدوا من أجل هدف واحد حتى نالوا وسام الشهادة في
 سبيل الله.

٩١. عمرو بن جُنادة

كان أبوه «جُنادة بن كعب» قد خرج من مكة مع أهله والتحق بالإمام
 الحسين عليه السلام ونال وسام الشهادة في يوم عاشوراء في الحملة الأولى.
 وكان عمرو بن جُنادة صبياً يافعاً ليس له من العمر سوى أحد عشر سنة، وطلب
 من الإمام الحسين عليه السلام أن يأذن له في التوجه إلى ميدان القتال.. فقال الإمام عليه السلام: «هذا
 شَابٌ قُتِلَ أَبُوهُ وَلَعَلَّ أُمَّهُ تَكْرَهُ خُرُوجَهُ». فقال الشاب: «إِنَّ أُمِّي هِيَ الَّتِي أَمَرَتْني»^٣.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٠.

٢. انظر: إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٥٤؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٢٤٩. وجاء في بعض كتب المقاتل: بعد أن جاء
 الإمام الحسين عليه السلام عند رأسه ووضع خده على خده، ففتح أسلم عينه، ولما رأى الإمام تبسم وصار إلى ربه.
 مقتل الحسين، الخوارزمي، ج ٢، ص ٢٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٠.

٣. الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٧٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٨؛ إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٥٤.

ثم إنَّ الإمام عليه السلام أذن له في القتال، وجاء إلى الميدان وهو يرتجز ويقول:

أَمِيرِي حُسَيْنٌ وَنِعْمَ الْأَمِيرُ سُرُورُ فُؤَادِ الْبَشِيرِ التَّنْذِيرِ
عَلِيٌّ وَفَاطِمَةٌ وَالِدَاهُ فَهَلْ تَعْلَمُونَ لَهُ مِنْ نَظِيرِ
لَهُ طُلْعَةٌ مِثْلُ شَمْسِ الضُّحَى لَهُ غُرَّةٌ مِثْلُ بَذْرِ مُنِيرِ^١

وقاتل حتى قُتل وحزَّ رأسه ورمي به إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام. فحملت أمُّه الشجاعة «بحريّة» بنت «مسعود الخزرجي» رأسه ومسحت الدم عنه وقبلته وهجمت على الأعداء معها رأس ابنها ورمت به على رأس رجل من جيش عمر ابن سعد، ثم رجعت وتناولت عموداً من الخيمة وهجمت على الأعداء وهي ترتجز وتقول:

أَنَا عَجُوزٌ فِي النَّسَا ضَعِيفَةٌ خَاوِيَةٌ بِالْيَةِ نَحِيفَةٌ
أَضْرِبُكُمْ بِضَرْبَةِ عَنِيفَةٍ دُونَ بَنِي فَاطِمَةَ الشَّرِيفَةِ

ثم رمت بالعمود وقتلت رجلين، فأمر الإمام الحسين عليه السلام بصرفها إلى خيمتها ودعا لها^٢.



ونستوحي من هذه الحماسة أنَّه لا فرق بين الرجل والمرأة في سبيل الدفاع عن الحق والجهاد من أجل نيل الشرف والعزّة ورضا الله تعالى، فالجميع كانوا يأتون إلى ميدان القتال ويؤدون وظيفتهم الإنسانية والدينية تجاه الدين والمثل الإنسانية، وبذلك جمعت قصّة كربلاء جميع دروس العزّة والافتخار والإنسانية في مطاويها.



١. وأنظر: مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٠٤ ومقتل الحسين، الخوارزمي، ج ٢، ص ٢٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٧. وجاء قسم من هذه الأشعار عن لسان الآخرين من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام (انظر: أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٣٠٣).

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٨ وإبصار العين، ص ٩٤.

٩٢. يزيد بن ثُبَيْط

وكان من أشرف الشيعة في البصرة ومورد احترام أهالي هذه المدينة، وعندما كان ابن زياد في البصرة وقد وضع العيون على الطرق والأزقة لضبط حركات الشيعة، عزم يزيد بن ثُبَيْط على التوجه إلى مكة المكرمة للالتحاق بركب الإمام الحسين عليه السلام.

وقد كان ليزيد بن ثُبَيْط عشرة أولاد، فأطلعهم على عزمه على الالتحاق بالحسين عليه السلام؟ وقال لهم: «من منكم مستعد للسفر معي إلى مكة وبذل مهجته للإمام الحسين عليه السلام؟» فأعلن اثنان من أولاده وهما عبدالله وعبيدالله استعدادهم للسفر معه والالتحاق بالإمام.

ثم إن ابن ثُبَيْط توجه إلى بيت «مارية» بنت «مُنْقِذِ العُبدِي» وهو أحد رموز الشيعة في البصرة وكان بيته محل اجتماع الشيعة، فأعلن هناك وأمام جماعة من الشيعة عزمه على تلبية نداء الإمام الحسين عليه السلام ودعاهم للتوجه إلى مكة، فانظم إليه عامر وغلامه «سيف بن مالك» و«أدهم بن أمية» وتوجهت المجموعة المكونة من سبعة رجال إلى مكة^١.

عند وصول ابن ثُبَيْط إلى مكة كان الإمام الحسين عليه السلام مقيماً في الأبطح، وهو أحد أحياء مكة، وبعد أن أخذ ابن ثُبَيْط قسطاً من الراحة توجه إلى منزل الإمام الحسين عليه السلام. وما أن طرق سمع الإمام ورود ابن ثُبَيْط إلى مكة حتى توجه إلى خيمة ابن ثُبَيْط، عندما وصل إلى خيمته قالوا له: إن ابن ثُبَيْط خرج للقائك في محل اقامتك. فانتظر الإمام عليه السلام ابن ثُبَيْط في ذلك المكان، وعندما علم ابن ثُبَيْط أن الإمام الحسين ذهب إلى خيمته أسرع بالعودة إلى مكانه، وعندما رأى الإمام الحسين عليه السلام قرأ بصوت عالٍ الآية الشريفة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾^٢.

١. إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ١١٠؛ أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ، ج ١٠، ص ٣٠٥.

٢. سورة يونس، الآية ٥٧.

ثم قال: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ». وأجابه الإمام عليه السلام على سلامه وجلس ابن ثبيط مع الإمام عليه السلام وذكر له هدفه من حضوره إلى مكة، فدعا له الإمام الحسين وألحقه بخيامه، وصار ابن ثبيط مع قافلة الإمام الحسين إلى كربلاء، وفي يوم عاشوراء كان ابنه عبدالله وعبيدالله من أول المستشهدين في الحملة الأولى ثم لحق بهم أبوه في المواجهات اللاحقة ونال وسام الشهادة^١.

٩٣. عابس بن أبي شبيب الشاكري

كان عابس من كبار الشيعة ورئيس قبيلة بني شاكر. وكان رجلاً شجاعاً وخطيباً مفوهاً، وعابداً يحيي الليل بالعبادة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام المخلصين. وعندما دخل مسلم بن عقيل عليه السلام الكوفة بذل عابس له نصرته بجميع وجوده حتى كتب مسلم بن عقيل كتابه إلى الإمام الحسين عليه السلام يدعو للقدوم إلى الكوفة، وأما عابس فقد توجه مع جماعة، منهم شاذب (وهو عتيق عابس الذي أُستشهد في كربلاء) إلى مكة وحضروا عند الإمام الحسين عليه السلام وبقوا معه في سفره إلى كربلاء. وفي عاشوراء قال عابس لشاذب: يا شاذب ما في نفسك أن تصنع؟ قال: وما أصنع! أقاتل حتى أقتل. فقال له عابس: «ذلك الظن بك، فتقدم بين يدي أبي عبدالله، احتسبك ويحتسبك كما احتسب غيرك، فإن هذا اليوم ينبغي لنا أن نطلب فيه الأجر بكل ما قدرنا عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم، وإنما هو الحساب»^٢. فتقدم «شاذب» إلى الإمام عليه السلام واستأذنه على جهاد الأعداء وتوجه إلى الميدان ونال وسام الشهادة^٣.

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٦٣؛ إِبصار العين، ص ١١١.

٢. إِبصار العين، ص ٧٥.

٣. مقتل الحسين، المقرّم، ص ٢٢-٢٣.

وأما عابس وبعد استشهاد شوذب جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام وسلم عليه وقال: «يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! أَمَا وَاللَّهِ مَا أَمْسَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ قَرِيبٌ وَلَا بَعِيدٌ أَعَزَّ عَلَيَّ وَلَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَدْفَعَ عَنْكَ الضَّيْمَ وَالْقَتْلَ بِشَيْءٍ أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَدَمِي، لَفَعَلْتُهُ».

ثم قال: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى هَذَاكَ وَهْدَى أَبَيْكَ».

ثم إنَّه توجه إلى ميدان القتال، يقول ربيع بن تميم: فلما رأيته مقبلاً عرفته، وقد كنت شاهدته في المغازي، فكان أشجع الناس، فقلت للقوم: «أَيُّهَا النَّاسُ! هَذَا أَسَدُ الْأُسُودِ، هَذَا ابْنُ أَبِي شَيْبٍ، لَا يَخْرُجَنَّ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْكُمْ». فأخذ ينادي: «أَلَا رَجُلٌ، أَلَا رَجُلٌ»؛ ولكن مع ذلك لم يتجرأ أحد على البراز له، فلما رأى عمر بن سعد ذلك فقال: «وَيْلَكُمْ! إِرْضُخُوهُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ».

فلما رأى عابس ذلك ألقى درعه ومغفرته، ثم شَدَّ على الناس، فوالله لقد رأيته يطرد أكثر من مائتين من الناس، ثم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل. يقول «ربيع بن تميم»: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة، هذا يقول: أنا قتلته! وهذا يقول: أنا قتلته! فقال عمر بن سعد: «لا تختصموا، هذا والله لم يقتله إنسان واحد»^١.

وبعد رأس «عبدالله بن عمير الكلبي» و«عمرو بن جنادة»، كان رأس عابس الرأس الثالث الذي أُلقي إلى معسكر الحسين عليه السلام بعد استشهاد عابس^٢.



لقد كان عابس من النوادر في التاريخ الذين أحاط بهم الأعداء من كل جانب وبقوا يقاتلون العدو ببسالة إلى النفس الأخير رغم استخدام العدو الوسائل الدنيئة في المواجهة غير المتكافئة، بحيث إنَّ عابس ألقى أدواته الدفاعية من الدرع والمغفر

١. انظر: بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٨-٢٩؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٢٥١-٢٥٢.

٢. إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٧٦.

وهجم على الأعداء بسيفه المصلت يستقبل السهام والحجارة بصدرة وبدنه حتى نال الشهادة في سبيل الله.

٩٤. حنظلة بن أسعد الشبامي

وكان من رموز الشيعة المرموقين ورجلاً شجاعاً من قراء وحفاظ القرآن، وبما أنه كان رجلاً متكلماً ومنطقياً فإن الإمام الحسين (عليه السلام) أرسله بالنيابة عنه إلى عمر بن سعد، وفي يوم عاشوراء وبعد أن استأذن الإمام الحسين (عليه السلام) في جهاد الأعداء توجه إلى الميدان وأخذ ينصح القوم ويعظهم ويقول:

«يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ»^١، يَا قَوْمُ لَا تَقْتُلُوا حُسَيْنًا فَيُسْحِتَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى»^٢.

فقال له الإمام الحسين (عليه السلام):

«رَحِمَكَ اللَّهُ إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ حِينَ رَدُّوا عَلَيْكَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنْ الْحَقِّ وَنَهَضُوا إِلَيْكَ لِيَسْتَبِيحُوكَ وَأَصْحَابَكَ، فَكَيْفَ بِهِمْ الْآنَ وَقَدْ قَتَلُوا إِخْوَانَكَ الصَّالِحِينَ».

فقال حنظلة للإمام (عليه السلام): «صدقت، جعلت فداك، أنت أعلم مني وأجدر على كلام الحق»^٣.

ثم إن حنظلة سأل من الإمام (عليه السلام): «أفلا نروح إلى ربنا فنلحق بإخواننا؟».

١. سورة غافر، الآية ٢٨-٣٢.

٢. اقتباس من الآية ٦١ من سورة طه.

٣. مقتل الحسين، للخوارزمي، ج ٢، ص ٢٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٣؛ مقتل الحسين، المقدم، ص ٢٥١؛ موسوعة الإمام الحسين، ص ٤٥.

فقال الإمام عليه السلام: «رُحْ إِلَى خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَإِلَى مُلْكٍ لَا يَبُلَى». فودعه حنظلة وقال: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ وَعَرَفَ بَيْتَكَ وَبَيَّنَّا فِي الْجَنَّةِ». ثم إنه هجم على الأعداء وأخذ يقاتلهم قتالاً شديداً فحملوا عليه من كل جانب إلى أن أُستشهد عليه^١.

٩٥. الحجاج بن مسروق

كان الحجاج بن مسروق من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان يسكن الكوفة، وعندما سمع أن الإمام الحسين عليه السلام توجه إلى كربلاء خرج من الكوفة لاستقبال الإمام الحسين عليه السلام والتحق به في الطريق^٢. وعندما تصدى جيش الحر بن يزيد الرياحي لجيش الإمام الحسين عليه السلام ليمنعه من التوجه إلى الكوفة، حان وقت الظهر فأمره الإمام بالأذان^٣. وفي «قصر بني مقاتل» وهو أحد المنازل في طريق كربلاء توجه الحجاج بأمر من الإمام الحسين عليه السلام نحو «عبيد الله بن الحر الجعفي» ليدعوه للالتحاق بركب الإمام الحسين، ولكن عبيد الله لم يقبل^٤. وفي يوم عاشوراء وقد استعر القتال وحمي الوطيس استأذن الإمام الحسين عليه السلام للجهاد والخروج إلى الميدان، وبعد أن قاتل الأعداء قتالاً شديداً رجع إلى مخيم الحسين ووجهه ملطخ بالدماء وأخذ يرتجز ويقول:

فَدَتَكَ نَفْسِي هَادِيًا مَهْدِيًا الْيَوْمَ أَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّ

١. انظر: الكامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ٧٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٣؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٥.

٢. إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٨٩.

٣. إِرْشَادُ مَفِيدٍ، ص ٤٢٧.

٤. انظر: مقتل الحسين، المقرّم، ص ١٨٨.

ثُمَّ أَبَاكَ ذَا النَّدَى عَلِيًّا ذَاكَ الَّذِي نَعْرِفُهُ الْوَصِيًّا^١
فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «نَعَمْ وَأَنَا أَلْقَاهُمَا عَلَى أَثَرِكَ»^٢.

فرجع الحجاج مرةً أخرى إلى ساحة القتال وقاتل قتال الأبطال حتى
أُستشهد (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

٩٦. سعيد بن عبدالله الحنفي

وكان رجلاً شجاعاً ومن أعظم الشيعة في الكوفة، وهو الذي حمل رسائل أهل
الكوفة إلى مكة وسلمها للإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فأرسل الإمام معه جواب هذه الكتب
والرسائل إلى أهالي الكوفة قبل إرساله مسلم بن عقيل.

بقي سعيد بن عبدالله الحنفي في الكوفة إلى أن وردها مسلم بن عقيل فبايعه
سعيد، ثم إنَّ مسلم بن عقيل كتب كتاباً إلى الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأرسله مع سعيد بن
عبدالله.

وفي المرة الثانية يحضر سعيد إلى مكة، ولما أذن له الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بالعودة
إلى وطنه الكوفة قال سعيد: كلا والله لا أفارقك أبداً حتى أراعي حق رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
فيك، ثم قال:

«وَاللَّهِ لَوْ أَعْلِمْتُ أَنِّي أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُحْرَقُ ثُمَّ أُذَرَّى وَيُفْعَلُ بِي ذَلِكَ سَبْعِينَ مَرَّةً،
مَا فَارَقْتُكَ حَتَّى أَلْقَى حَمَامِي دُونَكَ وَكَيْفَ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ مَوْتَةٌ أَوْ قَتْلَةٌ
وَاحِدَةٌ ثُمَّ هِيَ بَعْدُ الْكَرَامَةِ الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا أَبَدًا»^٣.

عندما انطلقت سهام الأعداء كالطر المنهمر على الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأصحابه في يوم

١. مناقب، ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٠٣؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٢٥٤؛ إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٩١؛ أَعْيَانُ
الشيعة، ج ٤، ص ٥٦٨.

٢. مقتل الحسين، المقرّم، ص ٢٥٤.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٧٠؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٨٨.

عاشوراء وهم في حال الصلاة؛ وقف «سعيد بن عبدالله» ونفر من الأصحاب أمام الإمام الحسين عليه السلام ليدفعوا عنه السهام ويجعلوا من صدورهم وأبدانهم درعاً يقي الحسين وأصحابه في الصلاة، وبعد أن أصيب سعيد بثلاثة عشر سهماً في بدنه سقط على الأرض وهو يقول:

«اللَّهُمَّ الْعَنَّهُمْ لَعْنُ عَادٍ وَثَمُودَ، اللَّهُمَّ أبلغَ نبيك عني السلام وأبلغه ما لقيتُ من ألم الجراح فإنني أردتُ ثوابك في نصرة ذرية نبيك».

ثم فتح عينيه ونظر إلى وجه الإمام المنير وقال:

«أَوْفَيْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ».

فقال الإمام الحسين عليه السلام: «نعم، أنت أمامي في الجنة».

عندما سمع «سعيد بن عبدالله» هذا الكلام غرق في دوامة السرور والفرح وسلم روحه إلى بارئها وفاضت نفسه الزكية^١.



إنَّ مسألة استشهاد أنصار الإمام الحسين عليه السلام لا تقتصر على التضحية بالنفس من أجل تحقيق طموحات النهضة والغايات النبيلة لحركة الإمام الحسين عليه السلام، فالأهم من ذلك المستوى المعرفي السامي الذي كان يتمتع به هؤلاء الأنصار بالنسبة لمقام الإمامة والولاية والاستعداد التام لامثال أمر الإمام وتنفيذ إرادته وتجسيد تطلعاته في واقع الحياة والأمة، وهذا يعكس الدرس الصحيح والفهم السليم لمضمون الولاية الإلهية والذي يستوحيه القاريء من ثنايا كلماتهم ومطاوي أحاديثهم.

٩٧. جَوْنٌ^٢ مولى أبي ذرٍّ

كان «جَوْنٌ» غلاماً أسوداً لأمير المؤمنين عليه السلام، ووهبه إلى أبي ذر الغفاري. وكان

١. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٦ وإبصار العين، ص ١٢٦.

٢. وقد ذكر البعض اسم جَوْنٍ بدلاً من جون، وقال البعض «جَوْنِي». (انظر: انساب الاشراف، ج ٣، ص ٤٠٣).

جون ممن رافق أبي ذر إلى الربذة وهي المنطقة التي نفاه عثمان إليها، وبعد استشهاد أبي ذر في عام ٣٢ للهجرة عاد جون إلى المدينة وبقي في خدمة أمير المؤمنين عليه السلام، ثم في خدمة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وبعده كان يخدم الإمام الحسين عليه السلام، وقد رافقه في حركته من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء^١.

وفي يوم عاشوراء قال له الإمام الحسين عليه السلام: «أَنْتَ فِي إِذْنٍ مِنِّي، فَإِنَّمَا تَبِعْتَنَا طَلَبًا لِلْعَافِيَةِ فَلَا تَبْتَغِ بِطَرِيقِنَا».

ولما سمع «جون» هذا الكلام من الإمام الحسين عليه السلام وقع على قدميه يتوسل إليه ويقول: «يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ! أَنَا فِي الرَّخَاءِ أَحْسُ قِصَاعَكُمْ وَفِي الشَّدَةِ أَخَذُكُمْ؟». ثم أضاف: «وَاللَّهِ إِنْ رِيحِي لَمُتْنُ وَإِنْ حَسْبِي لَلثِيمُ وَإِنْ لَوْنِي لَأَسْوَدُ فَتَنَفَسَ عَلَيَّ بِالْجَنَّةِ لَيَطِيبَ رِيحِي وَيَشْرُفَ حَسْبِي وَيَبْيِضَ لَوْنِي لَا وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُكُمْ حَتَّى يَخْتَلِطَ هَذَا الدَّمُ الْأَسْوَدُ مَعَ دِمَائِكُمْ»^٢.

وبعد هذا الكلام أذن له الإمام في الدفاع عن حريم الإسلام وعتره النبوة، فبرز فرحاً إلى ميدان القتال وهو يرتجز ويقول:

كَيْفَ تَرَى الْفَجَّارُ ضَرْبَ الْأَسْوَدِ بِالْمُشْرِفِيِّ الْقَاطِعِ الْمُهْدَدِ^٣
أَذْبُ عَنْهُمْ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ أَرْجُو بِهِ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْمَوَرِدِ^٤
ثم قاتل قتالاً شديداً حتى أُستشهد، فجاء إليه الإمام الحسين عليه السلام وجلس عند رأسه ودعا له بهذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ، وَطَيِّبْ رِيحَهُ، وَاحْشُرْهُ مَعَ الْأَبْرَارِ، وَعَرِّفْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ

١. انظر: إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ١٠٥.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٣؛ نفس المهموم، ص ١٥٠ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٥؛ مقتل الحسين، المقدم، ص ٢٥٢.

٣. أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٢٩٧.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٢-٢٣.

وَأَلِ مُحَمَّدٍ^١.

روي عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال: «إِنَّ النَّاسَ - يَعْنِي بَنِي أَسَدٍ - كَانُوا يَحْضُرُونَ الْمَعْرَكَةَ وَيَدْفِنُونَ الْقَتْلَى، فَوَجَدُوا جَوْنًا بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ»^٢.

❦

أجل، عندما تصل معرفة غلام إلى هذه الدرجة من السمو والعمق، فكيف تكون معرفة الأصحاب والأنصار الخاصين بالإمام الحسين عليه السلام؟

٩٨. نافع بن هلال الجملي

كان نافع من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقد اشترك في جميع حروبه، وكان رجلاً شجاعاً متميزاً وقارئاً للقرآن، وقد التحق بالإمام الحسين عليه السلام في الطريق قبل استشهاد مسلم بن عقيل في الكوفة.

وعندما استشهد «عمرو بن قَرْظَةَ» - أحد شهداء كربلاء - جاء «علي بن قَرْظَةَ» الذي كان مع جيش عمر بن سعد للمطالبة بثأره، وهجم على معسكر الإمام الحسين عليه السلام لينتقم من الإمام الحسين.

ولكن «نافع بن هلال» تصدى له وقاتله واستطاع أن يلحق به جرحاً بليغاً، فجاء نفر من جيش عمر بن سعد وهجموا على نافع، فأخذ نافع يقاتلهم قتالاً شديداً وهو يرتجز ويقول:

أَنَا الْغُلَامُ الْيَمَنِيُّ الْبَجَلِيُّ دِينِي عَلَى دِينِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ^٣

يقول أبو مخنف: إِنَّ نَافِعَ، قَدْ كَتَبَ اسْمَهُ عَلَى سَهَامِهِ الْمَسْمُومَةِ، وَكَانَ يَرْمِي بِهَا

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ٢، ص ٢٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٣؛ نفس المهموم، ص ١٥٠.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٣.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٧.

تجاه الأعداء، وعندما فنيت سهامه ضرب يده إلى قائم سيفه فاستلّه وحمل وهو يقول:
أَنَا الْهَزْبُ الْجَمَلِي **أَنَا عَلَى دِينِ عَلِيٍّ**
ولكن جيش عمر بن سعد تكاثروا عليه وأحاطوا به من كل جانب فكسرت يده
وأخذ أسيراً وجيء به إلى عمر بن سعد، فقتله شمر بن ذي الجوشن، وبذلك نال
وسهام الشهادة في ركب ابن بنت رسول الله ﷺ^١.

٩٩. أبو ثمامة الصائدي

كان أبو ثمامة من كبار رجال الشيعة ومن أصحاب أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام،
وقد اشترك في حروبه، وبعد الإمام علي عليه السلام صار من أصحاب الإمام الحسن
المجتبي عليه السلام، وكان أبو ثمامة بعد موت معاوية من جملة من كتب إلى الإمام
الحسين عليه السلام يدعوه للقدوم إلى الكوفة. وعندما دخل مسلم بن عقيل الكوفة وبسبب
كون أبو ثمامة يملك معرفة بالسلح جعله مسلم مسؤولاً عن جمع وشراء الأسلحة،
وعندما قبض ابن زياد على هاني بن عروة جاء أبو ثمامة على رأس جيشه وأحاط
بدار الإمارة وحاصرها.

وبعد سيطرة عبيد الله بن زياد على أوضاع الكوفة واستشهاد مسلم بن عقيل
اختفى أبو ثمامة لفترة من الزمان ثم التحق بالإمام الحسين عليه السلام مع «نافع بن هلال».
وفي ظهر يوم عاشوراء جاء أبو ثمامة إلى الإمام الحسين عليه السلام وقال له: يا
أبا عبد الله! نفسي لك الفداء، أرى هؤلاء قد اقتربوا، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك،
وأحب أن ألقى ربّي وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها.

فرفع الإمام الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء وقال له:
«ذَكَرْتُ الصَّلَاةَ، جَعَلَكَ اللَّهُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الذَّاكِرِينَ! نَعَمْ، هَذَا أَوَّلُ وَقْتِهَا».
ثم قال: **«سَلُّوهُمْ أَنْ يَكْفُؤُوا عَلَّنَا حَتَّى نُصَلِّيَ».**

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٣٦؛ الكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٢٩٢.

فقال لهم الحصين بن تميم: إنها لا تقبل، فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل زعمت! الصلاة من آل رسول الله ﷺ لا تقبل، وتقبل منك يا حمّار؟^١
وفي رواية أبي مخنف: فأذن الحسين ﷺ، فلما فرغ من الأذان نادى:
«يا وَيْلَكَ يا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ أَنْسَيْتَ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، أَلَا تَقِفُ عَنِ الْحَرْبِ حَتَّى نُصَلِّيَ وَنُصَلُّونَ وَنَعُودُ إِلَى الْحَرْبِ؟»
لم يجبه ابن سعد وقال الحسين ﷺ: «إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ»^٢.
قال الحسين ﷺ لزهير بن القين وسعيد بن عبدالله: «تقدما أمامي حتى أصلي الظهر» فتقدما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتى صلى بهم صلاة الخوف^٣.
وحضر وقت الصلاة فقال أبو ثمامة الصائدي للحسين ﷺ: يا أبا عبدالله نفسي لنفسك الفداء. هؤلاء اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك، وأحب أن ألقى الله ربّي وقد صليت هذه الصلاة، فرفع الحسين ﷺ رأسه إلى السماء وقال: «ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين... وقتل أبو ثمامة الصائدي ابن عمّ له كان عدوّه»^٤.



أحييت تلك الصلاة التاريخية الفريدة روح الصلاة وكشفت مفهومها لسالكي طريق الحق وبيّنت المعنى الحقيقي للعبودية والفناء في المعبود الحق، وأبطلت المعبود الوهمي والأوثان الشيطانية لأصحاب الدنيا وعباد الذهب والفضة، وببركة تلك الصلاة والأذان ترتفع اليوم مآذن المدن لتغص بالأذان والتكبير، وما أروع ما نشاهده هذه السنوات من هيئات العزاء التي تتوقف في الشوارع والأزقة حين يحلّ ظهر عاشوراء فتقف للصلاة.

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٣٤؛ وذكر في بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢١ (الحصين بن نمير مع اختلاف يسير).

٢. معالي السبطين، ج ١، ص ٣٦١.

٣. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٦.

٤. ابصار العين، ص ٦٩-٧٠ وراجع: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٣٦ وكامل ابن الأثير، ج ٤، ص ٧٠.

١٠٠. فتحت لكم أبواب الجنان

لما فرغ الإمام عليه السلام من صلاة الظهر يوم العاشر قال لأصحابه: «يا أصحابي إنَّ هذه الجنَّة قد فُتِحَتْ أبوابُها، وَاتَّصَلَتْ أنهارُها، وَأَيَّنَعَتْ ثَمَارُها، وَزَيَّنَتْ قُصُورُها، وَتَأَلَّفَتْ وَلَدانُها وَحُورُها، وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالشُّهَدَاءُ الَّذِينَ قَتَلُوا مَعَهُ، وَأَبِي وَأُمِّي يَتَوَقَّعُونَ قُدُومَكُمْ، وَيَتَبَاشَرُونَ بِكُمْ، وَهُمْ مُشْتاقُونَ إِلَيْكُمْ، فَحَامُوا عَنْ دِينِ اللَّهِ وَذَبُّوا عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

ثم إنَّه عليه السلام صاح بأهله ونسائه، فخرجن وصحن: يا معشر المسلمين ويا عصبه المؤمنين! الله الله، حاموا عند دين الله، وذَبُّوا عن حرم رسول الله، وعن إمامكم، وابن بنت نبيكم، فقد امتحنكم الله بنا، فأنتم جيراننا في جوار جدنا، والكرام علينا، وأهل مودتنا، فدافعوا بآرك الله فيكم عتاً فصاح الحسين عليه السلام: «يا أُمَّةَ الْقُرْآنِ! هَذِهِ الْجَنَّةُ فَاطْلُبُوهَا، وَهَذِهِ النَّارُ فَاهْرُبُوا مِنْهَا»^١. فقال أصحابه: لبيك يا ابن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورفعوا أصواتهم بالبكاء.

❦❦❦

حقاً إنَّ غليان العشق والعرفان في تلك اللحظات العصبية التي تآهب فيها الإمام عليه السلام وصحبه للشهادة مدعاة للدهشة بما يعجز القلم عن وصفها. فالإمام عليه السلام يخبر صراحة عن شهادتهم وعروجهم إلى الجنان فلا يملك الأصحاب سوى البكاء شوقاً ولهفة وسرواً. لقد تخلدت هذه اللحظات الرائعة في تاريخ كربلاء وأصبحت أبدية، كما تألقت جبين التاريخ أولئك الأبطال بكل تلك التضحية والفداء والعلم والإيمان والعشق ليصبح درساً أبدياً خالداً، فرسموا للأجيال طريقة العيش بشرف والموت بعزة وكرامة. ليتنا أتحننا بقدر من هذا الشراب الطهور وأن لا نكون في زمرة المحرومين. آمين يا رب العالمين.

١. معالي السبطين، ج ١، ص ٣٦٠.

١٠١. الأخوان من الخوارج

كان «سعد بن الحارث» و«أبو الحتوف بن الحارث» كليهما من الخوارج وقد خرجا مع عمر بن سعد إلى كربلاء لحرب الحسين، فلما كان اليوم العاشر وقتل أصحاب الحسين عليه السلام، جعل الحسين عليه السلام ينادي: «ألا ناصرٌ فَيَنْصُرُنَا» فسمعتة النساء والأطفال فتصارخن وسمع سعد وأخوه أبو الحتوف النداء من الحسين عليه السلام والصراخ من عياله قالوا: «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَلَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَاهُ وَهَذَا الْحُسَيْنُ بْنُ بِنْتِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ نَرْجُو شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَكَيْفَ نُقَاتِلُهُ وَهُوَ بِهَذَا الْحَالِ لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُعِينٍ». فما لابسيفهما مع الحسين عليه السلام على أعدائه وجعلا يقاتلان قريباً منه حتى قتلا وجرحا آخر ثم قتلا معاً في مكان واحد وختم لهما بالسعادة الأبدية بعدما كانا في المحكمة وإنما الأمور بخواتيمها^١.

١٠٢. سويد بن عمرو

كان رجلاً عظيم الشأن وكثير الصلاة^٢. ينقل المؤرخون أنه استأذن الإمام الحسين عليه السلام في البروز إلى الميدان، فأذن له الإمام، فتقدم وهو يرتجز ويقول:

أَقْدِمُ حُسَيْنُ الْيَوْمَ نَلْقَى أَحْمَدًا وَشَيْخَكَ الْحَبْرَ عَلِيًّا ذَا النَّدَى
وَحَسَنًا كَالْبَدْرِ وَافِي الْأَسْعَدَا وَعَمَّكَ الْقُرْمُ الْهُمَامَ الْأَرْشَدَا
حَمَزَةَ لَيْثِ اللَّهِ يُدْعَى أَسَدَا وَذَا الْجَنَاحَيْنِ تَبَوَّأَا مَقْعَدَا

فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ يَغْلُو صَعْدَا^٣

وقد كان يقاتل قتلاً شديداً ويهجم على القوم كالأسد الشجاع، وبعد أن قاتل

١. أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٣١٩؛ انظر: مقتل الحسين، المقدم، ص ٢٤٠؛ إحصاء العيين، ص ٩٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٤.

٣. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٤٦؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٦.

الأعداء سقط على الأرض مضرجاً بدمائه مغمياً عليه، فظنّ الأعداء أنّه قُتِل فتركوه ولكنّه انتبه من إغمائه بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وسمعهم يقولون قتل الحسين عليه السلام، وتحرك من مقامه وقام على قدميه، وبما أنّ الأعداء أخذوا سيفه فإنّه استل خنجرًا كان قد شدّه إلى ساقه وهجم به على الأعداء، فأحاط به جيش عمر بن سعد وطعنوه بالسيوف والرماح حتى استشهد وكان سويد آخر من استشهد في كربلاء بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام^١.



ومّا تقدم من سيرة أنصار الإمام الحسين عليه السلام الأوفياء نستوحي هذه الحقيقة الناصعة، وهي أنّ الكثير من هؤلاء الأصحاب المخلصين للإمام الحسين عليه السلام الذين قاتلوا دفاعاً عن إمامهم ودينهم إلى آخر قطرة من دمائهم كانوا سابقاً من خلّص أصحاب وأنصار الإمام علي عليه السلام وقد ساروا في خط الولاية والعشق للإمام علي عليه السلام حتى أنّ بعض أعداء أمير المؤمنين عندما واجه هذه الحادثة العظيمة في كربلاء ورأى في الواقع مواجهة الحق والباطل، عاش انقلاباً روحياً وغيّر مسيرته والتحق بمعسكر الإمام الحسين، هذا في حين أنّ كبار قادة جيش الأعداء كانوا في السابق يمثلون رموز الجاهلية العربية.

١٠٣. اللهم اشهد

قالوا: ثم تقدم علي بن الحسين عليه السلام وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة وقيل ابن خمس وعشرين سنة، وكان من أصبح الناس وجهاً وأول شهداء الطف من آل أبي طالب، وجاء إلى أبيه يستأذنه في القتال، فنظره إلى الحسين عليه السلام نظرة اليأس من الحياة، وأذن له في القتال وقد انهرمت عيناه بالدموع، وقال ابن شهر آشوب: ورفع

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٤٦؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٧٩؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٦؛ مقتل الحسين، المقّم، ص ٢٥٤.

الحسين سبأته نحو السماء وقال:

«اللَّهُمَّ أَشْهَدُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ غُلَامٌ أَشَبَّهُ النَّاسَ خَلْقًا وَخُلُقًا وَمَنْطِقًا بِرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ كُنَّا إِذَا اشْتَقْنَا إِلَى نَبِيِّكَ نَظَرْنَا إِلَى وَجْهِهِ، اللَّهُمَّ امْنَعْهُمْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، وَفَرِّقْهُمْ تَفْرِيقًا، وَمَزِّقْهُمْ تَمْزِيقًا، واجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قِدَدًا، وَلَا تُرْضِ الْوَلَاةَ عَنْهُمْ أَبَدًا، فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَا ثُمَّ عَدَوْا عَلَيْنَا يُعَاتِلُونَنَا».

ثم صاح الحسين ﷺ بعمر بن سعد:

«مَالِكُ؟ قَطَعَ اللَّهُ رَحِمَكَ! وَلَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَمْرِكَ، وَسَلَّطَ عَلَيْكَ مَنْ يَذْبُحُكَ بَعْدِي عَلَى فِرَاشِكَ، كَمَا قَطَعْتَ رَحِمِي وَلَمْ تَحْفَظْ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

ثم رفع الحسين ﷺ صوته وتلا: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»^١.

ثم حمل علي بن الحسين على القوم وهو يقول:

أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ نَحْنُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ
وَاللَّهُ لَا يَحْكُمُ فِينَا ابْنُ الدَّعِيِّ أَطْعَمَكُمْ بِالرُّمَحِ حَتَّى يَنْثَنِي
أَضْرِبُكُمْ بِالسَّيْفِ أَحْمِي عَنْ أَبِي ضَرَبَ غُلَامٌ هَاشِمِيٍّ عَلَوِيٍّ

فلم يزل يقاتل حتى ضج الناس من كثرة من قتل منهم، وروي أنه قتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة فقال:

«يَا أَبَاهُ! أَلْعَطَشُ قَدْ قَتَلَنِي، وَثَقُلَ الْحَدِيدُ أَجْهَدَنِي، فَهَلْ إِلَى شَرِّهِ مِنْ مَاءٍ سَبِيلٌ أَتَقَوَّى بِهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ».

فبكى الحسين ﷺ وقال: يا بني يعزّ عليّ محمد وعليّ عليّ وأبيك أن تدعوهم فلا يجيبونك وتستغيث بهم فلا يغيثونك يا بني هات لسانك، فأخذ بلسانه فمضّه ودفع إليه خاتمه وقال:

١. سورة آل عمران، الآية ٣٣-٣٤.

«خُذْ هَذَا الْخَاتَمَ فِي فَيْكَ وَارْجِعْ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنَّكَ لَا تُمْسِي حَتَّى يَسْقِيَكَ جَدُّكَ بِكَأْسِهِ الْأَوْفَى شَرِبَةً لَا تَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا»^١.

عاد علي الأكبر عليه السلام إلى الميدان، وهجم على ميمنة جيش الكوفة وميسرته كما كان يكرّ أبوه وجدّه علي المرتضى عليه السلام، وكلما كان يهجم على جماعة كبيرة من الأعداء كانوا يتفرقون بين يديه أو يسقطون صرعى على الأرض.

فهجم عليه «مُرّة بن مُنْقِذ» برمح من خلفه وطعنه طعنة شديدة فانحنى علي الأكبر على قربوس سرجه، فضربه مرّة بالسيف على رأسه، وأحاط به الأعداء من كل جانب فأخذوا يضربونه بالسيوف حتى قطعوا بدنه أربعاً أربعاً^٢.

وفي آخر لحظات حياة علي الأكبر عليه السلام صاح بصوت ضعيف: «يَا أَبْتَاهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ: هَذَا جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ قَدْ سَقَانِي بِكَأْسِهِ الْأَوْفَى وَيَقْرِيكَ السَّلَامَ وَ يَقُولُ: عَجِّلُ الْقُدُومَ إِلَيْنَا فَإِنَّ لَكَ كَأْسًا مَذْخُورَةً»^٣.

ثم صرخ صرخة واستشهد عليه السلام.

فلما سمع الإمام الحسين عليه السلام صوت علي الأكبر عليه السلام هجم على القوم كالصقر ووصل إلى جسد ولده فوجده سابحاً بالدماء.

وينقل السيد بن طاووس: «فَجَاءَ الْحُسَيْنُ عليه السلام حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى خَدِّهِ»^٤.

وهذه الحالة المأساوية المفجعة أثرت في قلب الإمام الحسين عليه السلام بشدّة بحيث إنّ الإمام رفع يديه للدعاء على هؤلاء القوم: «قَتَلَ اللَّهُ قَوْمًا قَتَلُوكَ»^٥. وفي تلك الحالة من التأثير الشديد بكى الإمام الحسين عليه السلام بكاءً شديداً بحيث

١. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٧؛ فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٢٠٧-٢٠٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٢-٤٣.

٢. إرشاد المفيد، ص ٤٥٩.

٣. انظر: مقاتل الطالبين، ص ٥٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٤.

٤. الملهوف (اللاهوف)، ص ١٦٧.

٥. إرشاد المفيد، ص ٤٥٩.

سمع الجيش صوت بكائه ولم يكن أحد قد سمع صوت بكاء الحسين^١.
ثم قال الإمام عليه السلام: «عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَا»^٢.
وورد في الزيارة بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان شدة هذه المصيبة أنه قال: «وَلَا تَسْكُنْ عَلَيْكَ مِنْ أَبِيكَ زَفَرَةٌ»^٣.
ويروي الطبري عن «حميد بن مسلم» قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فُسْطَاطِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَهِيَ تَنَادِي «وَاحِبِيَّاهُ، يَا بَنَ أُمِّ حَيَّاهُ» فَوَثَبَ الْحُسَيْنُ فَرَدَّهَا إِلَى الْخِيْمَةِ، فَسَأَلَتْ عَنْهَا فَقِيلَ لِي: هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ثُمَّ بَكَى الْحُسَيْنُ رَحْمَةً لِبَكَائِهَا وَقَالَ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»^٤.
وأقبل عليه فتيان بني هاشم فقال لهم الحسين عليه السلام: «يَا فُتَيَانُ بَنِي هَاشِمٍ إِحْمِلُوا أَخَاكُمْ إِلَى الْفُسْطَاطِ»^٥.



كلمات الإمام عليه السلام التي تفيد تسليمه ورضاه المطلق إزاء القيام برسائلته السماوية واستعداده للشهادة وكذلك كلمات ولده الشجاع التي تعكس عمق إيمانه وإخلاصه دروس عظيمة لدعاة الحق وسالكيه سيما الشباب المسلم والتي تمثل مواقع الأمل في حياتهم العصبية. فَإِنَّ طَلَبَ شَرْبَةِ مَاءٍ مِنْ أَبِيهِ لَا يَقْصِدُ بِهَا مَوَاصِلَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِبُضْعَةِ أَيَّامٍ، بَلْ لَاسْتِشْعَارَ قُوَّةِ أَعْظَمَ فِي مَقَارَعَةِ أَعْدَاءِ الْحَقِّ، وَحِينَ وَاجَهَ الشَّهَادَةَ بِكُلِّ عَظَمَتِهَا وَرَوَعَتِهَا بِشَرِّهِ أَبُوهُ بِكَأْسٍ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ الطَّهَرِ مِنْ يَدِ جَدِّهِ وَسَوْفَ لَنْ يَنْظِمَ بَعْدَهَا أَبَدًا، فَهَلْ هُنَاكَ مَفْخَرَةٌ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ؟!

١. نفس المهموم، ص ١٦٢.

٢. إرشاد المفيد، ص ٤٥٩.

٣. كامل الزيارات، باب ٧٩ (الزيارات). علم الإمام الصادق عليه السلام هذه الزيارة لأبي حمزة الثمالي. وبحار الأنوار، ج ٩٨، ص ١٨٥.

٤. تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٢٥٦.

٥. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٤٠.

١٠٤. والله عزيز على عمك

ثم خرج من بعده عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وفي أكثر الروايات أنه القاسم بن الحسن عليه السلام وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم فلما نظر الحسين إليه قد برز اعتنقه وجعل يبيكان حتى غشي عليهما.

ثم استأذن الحسين عليه السلام في المبارزة فأبى الحسين أن يأذن له فلم يزل الغلام يقبل يديه ورجليه حتى أذن له فخرج ودموعه تسيل على خديه وهو يقول:

إِنْ تُنْكِرُونِي فَأَنَا ابْنُ الْحَسَنِ سِبْطُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَالْمُؤْتَمَنُ
هَذَا حُسَيْنٌ كَالْأَسِيرِ الْمُرْتَهَنُ بَيْنَ أَنْاسٍ لَا سُقُوءَ صَوَّبَ الْمُزَنُ

كان وجهه كفلقة القمر فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل على صغره خمسة وثلاثين رجلاً قال حميد: كنت في عسكر ابن سعد فكنت أنظر إلى هذا الغلام عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما ما أنسى أنه كان الأيسر فقال: عمرو بن سعد الأزدي: والله لأشدن عليه فقلت: سبحان الله وما تريد بذلك والله لو ضربني ما بسطت إليه يدي يكفيه هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه. قال: والله لأفعلن فشد عليه فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف ووقع الغلام لوجهه ونادى يا عمّاه. قال: فجاء الحسين كالصقر المنقض فتخلل الصفوف وشدّ شدة الليث الحرب فضرب عمراً قاتله بالسيف فاتقاه بيده فأطنها من المرفق فصاح ثم تنحى عنه وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمرو من الحسين فاستقبلته بصدورها وجرحته بحوافرها ووطئته حتى مات. فانجلت الغبرة فإذا بالحسين قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه فقال الحسين:

«يَعِزُّ وَاللَّهِ عَلَى عَمِّكَ أَنْ تَدْعُوهُ فَلَا يُجِيبُكَ، أَوْ يُعِينُكَ فَلَا يُعِينُكَ فَلَا يُغْنِي عَنْكَ، بَعْدَ لِقَاؤِ قَتْلِكَ».

وفي رواية أخرى أن الإمام عليه السلام قال:

«بَعْدَ لِقَاؤِ قَتْلِكَ، وَمَنْ خَصَمَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيْكَ جَدُّكَ. عَزَّ وَاللَّهِ عَلَى عَمِّكَ أَنْ

تَدْعُوهُ فَلَا يُجِيبُكَ، أَوْ يُجِيبُكَ ثُمَّ لَا يَنْفَعُكَ، يَوْمٌ وَاللَّهِ كَثُرَ وَاتْرَهُ وَقَلَّ نَاصِرُهُ». قال الراوي: احتمله فكأنني أنظر إلى رجلي الغلام يخطان في الأرض وقد وضع صدره على صدره فقلت في نفسي ما يصنع فجاء حتى ألقاه بين القتلى من أهل بيته، ثم قال ﷺ.

«اللَّهُمَّ أَخْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا وَلَا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَلَا تَغْفِرْ لَهُمْ أَبَدًا؛ صَبْرًا يَا بَنِي عُمُومَتِي، صَبْرًا يَا أَهْلَ بَيْتِي، لَا رَأَيْتُمْ هَوَانًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبَدًا»^١.

١٠٥. شهداء بني عقيل

وفي نهضة عاشوراء أبدى أبناء وأحفاد عقيل تضحية عظيمة وشهادة فائقة في نصرة الإمام الحسين ﷺ بحيث إن الإمام الحسين ﷺ كان يذكر لهم هذه المواقف الرائعة من موقع التمجيد ويقول: «صَبْرًا آلَ عَقِيلٍ إِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ، اللَّهُمَّ اقْتُلْ قَاتِلَ آلِ عَقِيلٍ»^٢.

وكان الإمام زين العابدين ﷺ يبدي عواطفه الخاصة لآل عقيل ويفضّلهم على آل جعفر الطيار، وعندما سئل عن سبب ذلك قال: «إِنِّي أَذْكُرُ يَوْمَهُمْ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَأَرْقُ لَهُمْ»^٣.

وقد استشهد في واقعة كربلاء من آل عقيل تسعة أشخاص وهم:

١. عبدالله بن مسلم بن عقيل

وهو ابن أخت الإمام الحسين ﷺ وأُمّه «رقية» بنت أمير المؤمنين ﷺ. وقد برز عبدالله إلى ميدان القتال ثلاثة مرّات وكان يرتجز ويقول:

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ٢، ص ٢٧-٢٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٤-٣٦.

٢. انظر: عقيل بن أبي طالب، ص ٧١؛ ينابيع المودة، ج ٣، ص ٧٣.

٣. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٣٦.

الْيَوْمَ أَلْقَى مُسْلِمًا وَهُوَ أَبِي وَفَتِيَّةً بَادُوا عَلَى دِينِ النَّبِيِّ
لَيْسُوا بِقَوْمٍ عُرِفُوا بِالْكَذِبِ لَكِنْ خِيَارٌ وَكَرَامُ النَّسَبِ
مِنْ هَاشِمِ السَّادَاتِ أَهْلِ الْحَسَبِ

واستمر يقاتل القوم بكل شدة وبسالة إلى أن وجه إليه «عمرو بن صبيح» سهماً وبينما كان عبدالله واضعاً كفه على جبهته أصابه السهم في كفه فالتصقت كفه بجبهته، وكلما أراد نزعها من جبهته لم يتمكن، فجاء عمرو بن صبيح وطعنه برمحه على قلبه وقتله^١.

وحسب ما أورده أبو مخنف والشيخ المفيد، فإن شهادة عبدالله كانت بعد شهادة علي الأكبر عليه السلام^٢.

٢. جعفر بن عقيل

وهو أخو مسلم بن عقيل وأمه «الحوصاء»، وبعد استشهاد عبدالله بن مسلم وجماعة من بني هاشم أبناء أبي طالب هجم جعفر مع جماعة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام على جيش الأعداء^٣.

وعندما رأى الإمام الحسين عليه السلام هذه الشهامة من جعفر بن عقيل وإخوته وأصحابه واستبسالهم في قتال الأعداء قال: «صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ يَا بَنِي عُمُومَتِي، صَبْرًا يَا أَهْلَ بَيْتِي وَاللَّهِ لَا رَأَيْتُمْ هَوَانًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبَدًا»^٤.

وفي هذه الأثناء كان جعفر بن عقيل يهجم على الأعداء ويقول:

أَنَا الْغُلَامُ الْأَبْطَحِيُّ الطَّالِبِيُّ مِنْ مَعْشَرٍ فِي هَاشِمٍ وَغَالِبٍ

١. الكامل ابن الأثير، ج ٣، ص ٤٠٧؛ إرشاد المفيد، ص ٤٦٠؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٧ وإبصار العين، ص ٥٠.

٢. أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٠٦؛ إرشاد المفيد، ص ٤٦٠.

٣. إبصار العين، ص ٥٠.

٤. مقتل الحسين، الخوارزمي، ج ٢، ص ٢٨؛ الملهوف (اللهوف)، ص ١٠١؛ إبصار العين، ص ٥٠.

وَنَحْنُ حَقًّا سَادَةُ الذَّوَابِ هَذَا حُسَيْنٌ أَطِيبُ الْأَطَائِبِ
ثم أخذ يقاتل حتى قتل على يد رجل يدعى «بشر بن خوط الهمداني»^١.

٣. عبدالرحمن بن عكيل

وهو أخو مسلم بن عكيل الذي تزوج «خديجة»^٢ بنت أمير المؤمنين عليه السلام وفي كربلاء كان عبدالرحمن يهجم على القوم وهو يرتجز ويقول:

أَبِي عَقِيلٌ فَأَعْرِفُوا مَكَانِي مِنْ هَاشِمٍ وَهَاشِمٌ إِخْوَانِي
كُھُولُ صِدْقٍ سَادَةُ الْأَقْرَانِ هَذَا حُسَيْنٌ شَامِخُ الْبُنْيَانِ
وَسَيِّدُ الشَّيْبِ مَعَ الشُّبَّانِ^٣

وهكذا قاتل قتال الأبطال حتى نال وسام الشهادة.
وأما سائر شهداء آل عكيل الذين قتلوا في يوم عاشوراء ومنهم:

٤. محمد بن مسلم بن عكيل.

٥. محمد بن عكيل.

٦. عبدالله بن عكيل.

٧. علي بن عكيل.

٨. محمد بن أبي سعيد بن عكيل.

٩. مسلم بن عكيل الذي أُستشهد في الكوفة.

١٠٦. شهداء آل جعفر الطيار

١. عون بن عبدالله بن جعفر

وهو ابن زينب الكبرى عليها السلام عقيلة بني هاشم، كان عبدالله بن جعفر، زوج

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٢؛ أعيان الشيعة، ج ٤، ص ١٢٩.

٢. يقع قبر «خديجة» بنت أمير المؤمنين عليها السلام في الكوفة مقابل باب الفيل إلى جانب مسجد الكوفة.

٣. المناقب، لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١١٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٢؛ أعيان الشيعة، ج ٤، ص ١٢٩.

الحوراء زينب عليها السلام قد بقي في المدينة وأرسل ولديه عون ومحمد إلى الإمام الحسين عليه السلام والتحقا بركب الإمام في وادي العقيق عليه السلام.

وفي يوم عاشوراء برز عون إلى ميدان القتال وهو يرتجز ويقول:
 إِنَّ تُنَكِّرُونِي فَأَنَا ابْنُ جَعْفَرٍ شَهِيدٌ صِدْقٍ فِي الْجَنَانِ أَزْهَرُ
 يَطِيرُ فِيهَا بِجَنَاحٍ أَخْضَرٍ كَفَى بِهَذَا شَرَفًا فِي الْمَحْشَرِ
 وقد استبسل في قتال الأعداء حتى قتل بيد «عبدالله بن قُطَيْبَةَ»^١.

٢. محمد بن عبدالله بن جعفر

وهو الابن الآخر لعبدالله بن جعفر وأُمّه زينب الكبرى عليها السلام^٢، وفي يوم عاشوراء برز إلى القتال وهو يقول:

نَشْكُو إِلَى اللَّهِ مِنَ الْعُدُوَانِ فِعَالٌ قَوْمٍ فِي الرَّدَى عُمَيَّانِ
 قَدْ بَدَّلُوا مَغَالِمَ الْقُرْآنِ وَمُحَكَّمِ التَّنْزِيلِ وَالتَّيْبَانِ
 وَأَظْهَرُوا الْكُفْرَ مَعَ الطُّغْيَانِ

وأخذ محمد يقاتل القوم ببسالة كما يقاتلهم سائر شبّان بني هاشم إلى أن قتل بيد «عامر بن نهشل»^٣.

ويروي الطبري: عندما وصل خبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأبناء عبدالله ابن جعفر إلى المدينة، جاء أهل المدينة إلى بيت عبدالله بن جعفر للتعزية بهذا المصاب، فقال «أبو اللّسلاس»^٤ غلام عبدالله بن جعفر: «هذا ما لقينا من الحسين ابن علي». فحذفه عبدالله بن جعفر بنعله وقال:

١. انظر: مقاتل الطالبين، ص ٦٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٤؛ إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٣٩.

٢. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٨. وقال البعض إن أمّه «الخواصاء» بنت «حفصة بن ثقيف» انظر: مقاتل الطالبين، ص ٦٠.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٥ ص ٣٤؛ انظر: نفس المهموم، ص ١٦٧.

٤. ورد اسمه بحار الأنوار (ج ٤٥، ص ١٢٢) أبو اللّسلاس.

«يا ابن اللخناء! أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لأحببت ألا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنه ممّا يسخّي بنفسي عنهما ويعزّي عن المصاب بهما، أنّهما أصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيين له صابرين معه».

ثم التفت على جلسائه فقال: «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ، عَزَّوَجَلَّ عَلَيَّ مَضْرَعُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، إِنَّ لَا يَكُنْ أَسْتُ حُسَيْنًا يَدِي؛ فَقَدْ آسَاهُ وَكَدَاي»^١.

وقد استشهد مع عون و محمد اثنان من آل جعفر الطيار وهما «عبيدالله بن عبدالله بن جعفر»^٢ و «قاسم بن محمد بن جعفر» ونالا وسام الشهادة في ركاب الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء.

١٠٧. أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

١. عبدالله بن علي

وأُمّه «أم البنين»، وكان أصغر من أخيه أبي الفضل العباس (عليه السلام) بثمان سنوات، وكان عمره عند استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ٦ سنوات، وكان له من العمر في يوم عاشوراء ٢٥ سنة.

وبعد استشهاد جماعة من بني هاشم توجه أبو الفضل (عليه السلام) إلى إخوته عبدالله، وعثمان و جعفر، وقال لهم: «تَقَدَّمُوا حَتَّى أَرَاكُمْ قَدْ نَصَحْتُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ»^٣.

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٥٧؛ إرشاد المفيد، ص ٤٦١؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٢٣.

٢. وهو أيضاً ابن «الخواصاء» بنت حفصة. (المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٠٦).

٣. وهنا يرتكب الطبري وابن الأثير اشتباهاً كبيراً ويذكران هذا الكلام بهذه العبارة: «تَقَدَّمُوا حَتَّى أَرْتَكُم». (تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٤٢؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٧٦) ولكن هذه العبارة مضافاً إلى أنّها لا تنسجم مع شخصية كبيرة مثل قمر بني هاشم بما يملكه من معرفة وإيثار وتضحية فهي لا معنى لها في هذا المورد، لأنّ أمهم أم البنين كانت على قيد الحياة، ومادامت الأم على قيد الحياة فلا يرث الأخ أخاه فالعبارة الصحيحة التي خاطب العباس بها إخوته هي: «تَقَدَّمُوا حَتَّى أَرَاكُمْ قَدْ نَصَحْتُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ». (أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٨). ويحتمل أن النسخة الأصلية ورد فيها: «حَتَّى أَتَارَكُم»، أي أنتقم لكم من الأعداء، ولكن الطبري وابن الأثير ذكروا هذه العبارة سهواً «حَتَّى أَرْتَكُم».

فتقدم عبدالله الذي كان أكبر من إخوته وهو يرتجز ويقول:
 أَنَا بَنُ ذِي النَّجْدَةِ وَالْأَفْضَالِ ذَاكَ عَلِيٌّ الْخَيْرُ فِي الْأَفْعَالِ
 سَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ذُو النَّكَالِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ظَاهِرُ الْأَهْوَالِ^١
 وتقدم إلى الميدان وأخذ يقاتل الأعداء بشجاعة إلى أن هجم عليه «هاني بن
 ثبيت» وضربه بالسيف على رأسه، وسقط عبدالله على الأرض وهو يسبح بدمه
 واستشهد ﷺ.^٢

٢. عثمان بن علي

وهو من أولاد «أم البنين» أيضاً، وأصغر من أخيه «عبدالله» بسنتين، وكان له من
 العمر عند شهادة أمير المؤمنين ٤ سنوات كان له من العمر يوم عاشوراء ٢٣ سنة.
 وأمّا العلة في تسمية الإمام علي عليه السلام له باسم عثمان، قيل: إنّ ذلك بسبب محبة
 الإمام لعثمان بن مضعون الصحابي الجليل لرسول الله ﷺ.
 وقد نقل عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «إِنَّمَا سَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَخِي عُثْمَانَ ابْنَ
 مَظْعُونٍ».^٣
 وعندما استشهد عبدالله بن علي التفت العباس إلى أخيه عثمان وقال: «تَقَدَّمْ يَا
 أَخِي».

وتقدّم عثمان نحو الميدان وهو يرتجز ويقول:

إِنِّي أَنَا عُثْمَانُ ذُو الْمَفَاخِرِ	شَيْخِي عَلِيٌّ ذُو الْفَعَالِ الظَّاهِرِ
وَابْنُ عَمٍّ لِلنَّبِيِّ الطَّاهِرِ	أَخِي حُسَيْنٌ خَيْرُهُ الْأَخِيرِ
وَسَيِّدُ الْكِبَارِ وَالْأَصَاغِرِ	بَعْدَ الرَّسُولِ وَالْوَصِيِّ النَّاصِرِ

١. الفتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ١١٣؛ مقاتل الطالبيين، ص ٥٤؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٨؛ إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٣٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٨.

٣. المصدر السابق.

وهكذا استمر عثمان يقاتل ويرتجز ويهجم على الأعداء بشجاعة حتى أصابه سهم «خولى بن يزيد» فسقط على الأرض صريعاً. ثم جاء رجل من الأعداء واحتز رأسه المبارك^١.

٣. جعفر بن علي

وهو أصغر أبناء أم البنين، وقد ولد بعد أخيه عثمان بسنتين، وكان له من العمر في يوم عاشوراء ٢١ سنة^٢.

وعندما أُستشهد إخوته، إلتفت العباس إلى أخيه الأصغر وقال له: «تَقَدَّمْ إِلَى الْحَرْبِ حَتَّى أَرَاكَ قَتِيلًا كَأَخَوَيْكَ، فَأَحْتَسِبُكَ كَمَا أَحْتَسِبُهُمَا»^٣.

فتقدم جعفر نحو الميدان وهو يرتجز ويقول:

إِنِّي أَنَا جَعْفَرُ ذُو الْمَعَالِي إِنَّ عَلِيَّ الْخَيْرِ ذُو النَّوَالِ
ذَلِكَ الْوَصِيُّ ذُو السَّنَا وَالْوَالِي حَسْبِي بِعَمِّي جَعْفَرُ وَالْخَالِ
أَحْمِي حُسَيْنًا ذِي التَّدْيِ الْمِفْضَالِ^٤

فأخذ يقاتل القوم حتى جرح بجراحات كثيرة فهجم عليه «خولى بن يزيد» قاتل أخيه وقتله^٥.

٤. أبوبكر بن علي

واسمه «عبيدالله» وأمّه «ليلى» بنت «مسعود بن خالد»، وكان أول إخوة الإمام الحسين (عليه السلام) ممن توجه إلى ميدان القتال للتضحية والدفاع عن أخيه الحسين، فتقدم

١. انظر: مقاتل الطالبين، ص ٥٥؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٧.

٢. انظر: تنقيح المقال، ج ١، ص ٢١٩؛ أعيان الشيعة، ج ٤، ص ١٢٩.

٣. إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٣٥.

٤. المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٠٧.

٥. إِبْصَارُ الْعَيْنِ، ص ٣٥.

إلى الميدان وهو يرتجز ويقول:

شَيْخِي عَلِيٌّ ذُو الْفَخَارِ الْأَطْوَلِ مِنْ هَاشِمِ الصَّدَقِ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
هَذَا حُسَيْنٌ بْنُ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ عَنْهُ نُحَامِي بِالْحُسَامِ الْمُصْقَلِ
تَفْدِيهِ نَفْسِي مِنْ أَخٍ مُبَجَّلِ

وأخذ يقاتل القوم حتى استشهد على يد «زحر بن بدر النخعي»^١.
وينقل المؤرخون أن عدد أبناء أمير المؤمنين عليه السلام الذين استشهدوا في كربلاء ستة
أشخاص: ١. أبو عبدالله الحسين عليه السلام. ٢. أبو الفضل العباس عليه السلام. ٣. عبدالله. ٤. عثمان.
٥. جعفر. ٦. أبوبكر.

١٠٨. أَخِي التَّمَسْ لَهُوْلَاءِ الْأَطْفَالِ مَاءً

إنّ العباس لما رأى وحدته عليه السلام أتى أخاه وقال يا أخي هل من رخصة فبكي
الحسين عليه السلام بكاء شديداً. ثم قال: يا أخي أنت صاحب لوائي وإذا مضيت تفرق
عسكري:

«يَا أَخِي كُنْتَ الْعَلَامَةَ مِنْ عَسْكَرِي وَمُجْمَعَ عَدَدِنَا، فَإِذَا أَنْتَ غَدَوْتَ يَوْوُلُ
جَمْعُنَا إِلَى الشِّتَاتِ، وَعِمَارَتُنَا تَنْبَعُثُ إِلَى الْخَرَابِ».

فقال العباس عليه السلام:

«فِدَاكَ رُوحُ أَخِيكَ يَا سَيِّدِي! قَدْ ضَاقَ صَدْرِي مِنْ حَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأُرِيدُ أَخْذَ الثَّارِ
مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ».

فقال الحسين عليه السلام:

«إِذَا غَدَوْتَ إِلَى الْجِهَادِ فَاطْلُبْ لَهُوْلَاءِ الْأَطْفَالِ قَلِيلاً مِنَ الْمَاءِ».

فذهب العباس ووعظهم وحذرهم فلم ينفعهم فرجع إلى أخيه فأخبره فسمع

١. بحار الانوار، ج ٤٥، ص ٣٦.

الأطفال ينادون العطش العطش فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة وقصد نحو الفرات فأحاط به أربعة آلاف ممن كانوا موكلين بالفرات ورموه بالنبال فكشفهم وقتل منهم على ما روي ثمانين رجلاً حتى دخل الماء.
فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ غُرِفَتْهُ مِنَ الْمَاءِ ذَكَرَ عَطَشَ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ فَرَمَى الْمَاءَ وَمَلَأَ الْقَرْبَةَ^١.

ثم إنّه حمل القربة على كتفه الأيمن وتوجه إلى الخيام:
يَا نَفْسُ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ هُونِي وَبَعْدَهُ لَا كُنْتَ أَنْ تَكُونِي
هَذَا حُسَيْنٌ وَارِدُ الْمُنُونِ وَتَشْرِبِينَ بَارِدَ الْمَعِينِ^٢
هَيْهَاتَ مَا هَذَا فِعَالُ دِينِي وَلَا فِعَالُ صَادِقِ الْيَقِينِ^٣
فأحاط به الأعداء من كل جانب فأخذ العباس يقاتلهم قتالاً شديداً وهو يرتجز ويقول:

لَا أَرْهَبُ الْمَوْتَ إِذَا الْمَوْتُ رَقَا حَتَّى أُوَارِيَ فِي الْمَصَالِيتِ لَقَا
نَفْسِي لِسِبْطِ الْمُصْطَفَى الطُّهْرِ وَفَا إِنِّي أَنَا الْعَبَّاسُ أَعْدُو بِالسَّقَا
وَلَا أَخَافُ الشَّرَّ يَوْمَ الْمُلتَقَى^٤

ولما رأى الأعداء أنّهم لا يستطيعون مواجهة العباس في شجاعته وبسالته، لذلك كمنوا له وراء نخلة، واستطاع «نوفل الأزرق» من ضرب قمر بني هاشم على يده اليمنى بالسيف فقطعها، فأخذ العباس القربة بيده اليسرى وحمل الراية والسيف بيده اليسرى أيضاً وهو يرتجز ويقول:

وَاللَّهِ إِنْ قَطَعْتُمْ يَمِينِي إِنِّي أَحَامِي أَبَدًا عَنْ دِينِي

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤١.

٢. مقتل الحسين، أبي مخنف، ص ١٧٩.

٣. ينابيع المودة، ج ٣، ص ٦٧.

٤. انظر: المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١١٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٠؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٨.

وَعَنْ إِمَامٍ صَادِقٍ الْيَقِينِ نَجَّلِ النَّبِيَّ الطَّاهِرِ الْأَمِينِ
ثم إنَّ «نوفل الأزرق» و«حكيم بن طفيل» هجما عليه وقطعا يده اليسرى،
فألصق العباس الراية ب صدره وقال:

يَا نَفْسُ لَا تَخْشَى مِنَ الْكُفَّارِ وَأَبْشِرِي بِرَحْمَةِ الْجَبَّارِ
مَعَ النَّبِيِّ السَّيِّدِ الْمُخْتَارِ قَدْ قَطَعُوا بِبَغْيِهِمْ يَسَارِي
فَأَصْلِهِمْ يَا رَبِّ حَرَّ النَّارِ^١

وروي أنَّه أمسك القربة بأسنانه ولكن لم تمض مدّة حتى أصاب سهمُ القربة وأراق ماءها وأصاب سهمُ صدره المبارك، وذكروا أنَّ سهماً أصاب عينه، وجاء رجل من قبيلة تميم وضربه بعمود من حديد على رأسه فسقط العباس على الأرض «وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَذِرْكُنِي يَا أَخِي»^٢.

وعندما وصل الإمام الحسين (عليه السلام) إلى جسد أخيه العباس رآه قد فارق الحياة، فبكى عليه.

وكذلك روي أنَّ العباس عندما استشهد قال الإمام الحسين (عليه السلام):
«الآنَ انْكَسَرَ ظَهْرِي وَقَلَّتْ حِيلَتِي».

ثم بكى وقرأ هذه الأشعار:

تَعَدَّيْتُمْ يَا شَرَّ قَوْمٍ بِبَغْيِكُمْ وَخَالَفْتُمْ دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَمَا كَانَ خَيْرَ الرُّسُلِ أَوْصَاكُمْ بِنَا أَمَا نَحْنُ مِنْ نَجْلِ النَّبِيِّ الْمُسَدِّدِ
أَمَا كَانَتْ الزَّهْرَاءُ أُمِّي دُونَكُمْ أَمَا كَانَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدِ
لُعِنْتُمْ وَأُخْزِيتُمْ بِمَا قَدْ جَنَيْتُمْ فَسَوْفَ تُلَاقُوا حَرَّ نَارٍ تَوَقَّدُ^٣



١. المناقب، لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١١٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٠.

٢. إِبصار العين، ص ٣٠.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤١-٤٢.

هنالك درس في كل خطوة، درس في الفضيلة والتضحية، درس في الشجاعة والبسالة والفداء. ترى من كان حاضراً في ذلك الميدان الفريد ليخبر عن وصول العباس لشرعة الماء وامتناعه عن الشرب وقتله عطشاً؟! الإمام الحسين (عليه السلام) أم أهل بيته كانوا يشاهدون من بعيد؟! أم الأئمة من بعده أخبروا بإلھاماتهم؟ أم أخبر بها الملائكة الذين كانوا يتأملون ذلك المشهد العظيم؟ أم بصيغة أخرى؟! مهما كان فقد خط على صفحات التاريخ وظلّ خالداً لسالكى سبيل الحق.

١٠٩. هل من جرعة ماء للرضيع!

ثم التفت الحسين عن يمينه فلم ير أحداً من الرجال والتفت عن يساره فلم ير أحداً فخرج علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) وكان مريضاً لا يقدر أن يقل سيفه وأم كلثوم تنادي خلفه يا بني ارجع فقال يا عمتاه ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله فقال الحسين (عليه السلام) يا أم كلثوم خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد (صلى الله عليه وآله). ولما فجع الحسين بأهل بيته وولده ولم يبق غيره وغير النساء والذراري نادى:

«هَلْ مِنْ ذَابٍ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ؟ هَلْ مِنْ مُوَحِّدٍ يَخَافُ اللَّهَ فِينَا؟ هَلْ مِنْ مُعِيْثٍ يَرْجُو اللَّهَ فِي إِغَاثَتِنَا؟ هَلْ مِنْ مُعِينٍ يَرْجُو مَا عِنْدَ اللَّهِ فِي إِعَاثَتِنَا؟».

وارتفعت أصوات النساء بالعويل فتقدم (عليه السلام) إلى باب الخيمة فقال:

«نَاوِلُونِي عَلِيّاً ابْنِي الطِّفْلِ حَتَّى أُودِعَهُ».

فناولوه الصبي. قال المفيد: دعا ابنه عبد الله فجعل يقبله وهو يقول:

«وَيْلٌ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِذَا كَانَ خَصْمَهُمْ جَدُّكَ».

والصبي في حجره إذ رماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه في حجر

الحسين فتلقى الحسين دمه حتى امتلأت كفه ثم رمى به إلى السماء.

«اللَّهُمَّ إِنْ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَنَا».

ثم نزل الحسين عليه السلام عن فرسه وحفر للصبي بجفن سيفه وزمله بدمه وصلّى عليه^١.

وأضاف العلامة المجلسي أنّ الإمام عليه السلام قال:

«هُوَ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ اللَّهِ».

قال الباقر عليه السلام: «فَلَمْ يَسْقُطْ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ قَطْرَةٌ إِلَى الْأَرْضِ».

وفي رواية أخرى أنّ الإمام عليه السلام قال:

«لَا يَكُونُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ فَصِيلٍ، أَلَلَّهِمْ إِنْ كُنْتَ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَنَا»^٢.

وروى صاحب معالي السبطين عن أبي مخنف أنّ الإمام الحسين عليه السلام قال بعد قتل علي الأكبر لأخته أم كلثوم:

«يَا أُخْتَاهُ أَوْصِيكَ بِوَلَدِي الصَّغِيرِ خَيْرًا، فَإِنَّهُ طِفْلٌ صَغِيرٌ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ سِتَّةٌ أَشْهُرٍ».

فقالت أم كلثوم له: يا أخي إنّ هذا الطفل له ثلاثة أيّام ما شرب الماء فاطلب له شربة من الماء، فأخذ الطفل وتوجه نحو القوم فقال عليه السلام:

«يَا قَوْمَ قَدْ قَتَلْتُمْ أَخِي وَأَوْلَادِي وَأَنْصَارِي وَمَا بَقِيَ غَيْرُ هَذَا الطِّفْلِ، وَهُوَ يَتَلَطَّى عَطَشًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَتَاهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْقُوهُ شَرْبَةً مِنَ الْمَاءِ»^٣.

وحسب ما جاء في (نفس المهموم) قال عليه السلام:

«يَا قَوْمَ، إِنْ لَمْ تَرْحَمُونِي فَارْحَمُوا هَذَا الطِّفْلَ»^٤.

فبينما كان الإمام عليه السلام يكلمهم، فأتاه سهم مشؤم من ظالم غشوم حرمله بن كاهل الأسدي فوق في نحره فذبحه من الوريد إلى الوريد، فأخذ الإمام قبضة من دمه

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ٢، ص ٣٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٦.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٦-٤٧.

٣. معالي السبطين، ج ١، ص ١٨٤.

٤. نفس المهموم، ص ٣٤٩.

وقذف بها إلى السماء. وجاء في الخبر أنَّ الإمام عليه السلام وضع كفيه تحت نحر الصبي حتى امتلأت دماً وقال:

«يَا نَفْسِ اصْبِرِي فِيمَا أَصَابَكَ، إِلَهِي تَرَى مَا حَلَّ بِنَا فِي الْعَاجِلِ ذَلِكَ ذَخِيرَةٌ لَنَا فِي الْآجِلِ»^١.

كما ورد في رواية أخرى أنَّه عليه السلام قال:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ دَعَوْنَا لِنَنْصُرُونَا فَخَذَلُونَا وَأَعَانُوا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ اخْبِسْ عَنْهُمْ قَطْرَ السَّمَاءِ، وَاحْرِمْهُمْ بَرَكَاتِكَ، اللَّهُمَّ لَا تَرْضَ عَنْهُمْ أَبَدًا، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ كُنْتَ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ فِي الدُّنْيَا، فَاجْعَلْهُ لَنَا ذُخْرًا فِي الْآخِرَةِ وَانْتَقِمْ لَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^٢.



رسائل عاشوراء جديرة بجميعها بالسمع وأجدرها وأعظمها رسالة شهادة الرضيع! وأولى هذه الرسائل أن لا أحد مستثنى من مواجهة أعداء الحق. فالجنود الرضع وردوا الميدان إلى جانب الفتية والكهول والتحقوا في اللحظة المناسبة بالشهداء.

طبعاً لكل جندي سلاح، فلهذا سهم ورمح وسيف، وآخر عنق ظريف وبضع قطرات من الدم الطاهر التي تعد أعظم سند للمظلومية. الدم الذي رش للسماء وعلى الأرض فاكتمسب كل منها به عظمة وروعة.

والأخرى أنَّ العدو الجائر والظالم قد بالغ في الجريمة بحيث لم يرحم حتى الرضيع ابن الزهراء فقتله على صدر أبيه! وأمّا الرسالة الأخيرة فهي سهولة احتمال الخطوب والمصائب في سبيل الله، ذلك أنَّ العالم حاضر لديه وكل ما يجري فيه بعينه.

١. معالي السبطين، ج ١، ص ٤١٩.

٢. ينابيع المودة، ج ٣، ص ٧٧.

١١٠. يا أصحابي! مالي أناديكم فلا تجيبونني!

نظر الإمام الحسين (عليه السلام) إلى القوم وكان يلتفت يميناً وشمالاً وأصحابه كالأضاحي على الأرض فنادى (عليه السلام):

«يا مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ، ويا هَانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ، ويا حَبِيبَ بْنَ مَظَاهِرَ، ويا زُهَيْرَ بْنَ الْقَيْنِ، ويا يَزِيدَ بْنَ مَظَاهِرَ، ويا يَحْيَى بْنَ كَثِيرٍ، ويا هِلَالَ بْنَ نَافِعٍ، ويا إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْحُصَيْنِ، ويا عُمَيْرَ بْنَ الْمُطَاعِ، ويا أَسَدَ الْكَلْبِيِّ، ويا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَقِيلٍ، ويا مُسْلِمَ بْنَ عَوْسَجَةَ، ويا دَاوُدَ بْنَ الطَّرِمَاحِ، ويا حُرَّ الرَّيَاحِيِّ، ويا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، ويا أَبْطَالَ الصَّفَا، ويا فُرْسَانَ الْهَيْجَاءِ، مالي أناديكم فلا تجيبونني، وأدعوكم فلا تسمعونني؟! أنتم نيامٌ أرجوكم تنتبهون؟ أم حالت مودتكم عن إمامكم فلا تنصرونه؟ فهذه نساء الرَسُولِ (صلى الله عليه وآله) لفقدكم قد علاهنَّ التُّحُولُ، فقوموا من نومتكم، أيها الكرام، وادفعوا عن حرم الرَسُولِ الطُّغَاءَ اللَّئَامَ، ولكن صرَعكم والله رَيْبُ الْمُؤْنِ وَغَدَرُ بِكُمْ الدَّهْرُ الْخَوُونُ، وإلا لما كنتم عن دُعوتي تقصرون، ولا عن نُصْرَتي تحتجبون، فها نحنُ عليكم مُفْتَجِعُونَ، وبكم لاحِقُونَ، فإنا لله وإنا إليه راجعون»^١.



ورد الحديث مع أجساد الشهداء الغارقة بالدماء وبتلك الملامح الخالدة في ميدان كربلاء، وكان هذا وسام شرف قلده الإمام صدور صحبه الشهداء ليتلألأ عليهم إلى يوم القيامة. كيف لا وهم الأبطال الذين إن أذن لهم عادوا لهذا العالم ثانية بأنفسهم وعانقوا الشهادة.

نعم، كانوا على درجة من الشجاعة وكأنهم لبسوا القلوب على الدروع وتأهبوا للتضحية بالغالي والنفيس.

١. معالي السبطين، ج ٢، ص ١٧-١٨.

وصف الشاعر أصحاب الحسين عليه السلام:

قَوْمٌ إِذَا نُودُوا لِدَفْعِ مُلَمَّةٍ وَالْخَيْلُ بَيْنَ مُدْعِسٍ وَمُكَرِّدِسٍ
لَبِسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدُّرُوعِ وَأَقْبَلُوا يَتَهَاوَتُونَ عَلَى ذَهَابِ الْأَنْفُسِ^١
نعم، إنهم جديرون بلبس ثياب الجنة والتحليق إلى الأبدية! هنيئاً لهم ذلك!

١١١. يا ولدي قتل عمك أيضاً

جاء في الخبر: إنه لما ضاف الأمر بالحسين عليه السلام وقد بقي وحيداً فريداً إلتفت إلى خيم بني أبيه فرآها خالية منهم، ثم إلتفت إلى خيم بني عقيل فوجدتها خالية منهم، ثم إلتفت إلى خيم أصحابه فلم ير أحداً منهم فجعل يكثر من قوله: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» ثم ذهب إلى خيم النساء فجاء إلى خيمة ولده زين العابدين عليه السلام فرأه ملغى على نطح من الأديم فدخل عليه وعنده زينب غرضه فلما نظر علي بن الحسين عليه السلام أراد النهوض فلم يتمكن من شدة المرض فقال لعنته: سند بني إلى صدرك فهذا ابن رسول قد أقبل فجلست زينب خلفه واسندته إلى صدرها فجعل الحسين عليه السلام يسأل ولده عن مرضه وهو يحمد الله تعالى ثم قال:

«يا أبتاه ما صَنَعْتَ الْيَوْمَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْمَنَافِقِينَ؟».

فقال عليه السلام: «يا وَلَدِي قَدْ اسْتَحَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ، وَقَدْ شَبَّ الْقِتَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ حَتَّى فَاضَتْ الْأَرْضُ بِالدَّمِ مِنَّا وَمِنْهُمْ».

فقال الإمام السجاد عليه السلام: «يا أبتاه أَيْنَ عَمِّي الْعَبَّاسُ».

فجرت دموع زينب عليها السلام فقال الحسين عليه السلام: «يا بُنَيَّ إِنَّ عَمَّكَ قَدْ قُتِلَ، وَقَطَّعُوا يَدَيْهِ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ».

فبكى عليه السلام حتى أغمى عليه فلما أفاق جعل يسأل والإمام يجيبه. ثم قال:

«وَأَيْنَ أَخِي عَلِيٌّ وَحَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرٍ، وَمُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ؟».

١. اللهوف، ص ١٦٦.

فقال الحسين عليه السلام: «يا بُنَيَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْخِيَامِ رَجُلٌ إِلَّا أَنَا وَأَنْتَ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَسْأَلُ عَنْهُمْ فَكُلُّهُمْ صَرَعَى عَلَى وَجْهِ الثَّرَى».

فبكى السجاد عليه السلام وقال لزینب عليها السلام:

«يَا عَمَّتَاهُ عَلَيَّ بِالسَّيْفِ وَالْعَصَا».

فقال الحسين عليه السلام:

«وَمَا تَصْنَعُ بِهِمَا».

قال السجاد عليه السلام:

«أَمَّا الْعَصَا فَاتَوَكَّأَ عَلَيْهَا، وَأَمَّا السَّيْفُ فَأَذْبُ بِهِ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ».

فضمه الحسين عليه السلام إلى صدره وقال:

«يَا وَلَدِي أَنْتَ أَطْيَبُ ذُرِّيَّتِي، وَأَفْضَلُ عِثْرَتِي، وَأَنْتَ خَلِيفَتِي عَلَى هَؤُلَاءِ الْعِيَالِ وَالْأَطْفَالِ، فَإِنَّهُمْ غُرَبَاءُ مَخْذُولُونَ، قَدْ شَمِلَتْهُمْ الذَّلَّةُ وَالْيُمُومُ وَشَمَاتَةُ الْأَعْدَاءِ وَنَوَائِبُ الزَّمَانِ سَكَّتَهُمْ إِذَا صَرَحُوا، وَآنَسَهُمْ إِذَا اسْتَوْحَشُوا، وَسَلَّ خَوَاطِرَهُمْ بِلَيْنِ الْكَلَامِ، فَإِنَّهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ رِجَالِهِمْ مَنْ يَسْتَأْنِسُونَ بِهِ غَيْرُكَ، وَلَا أَحَدٌ عَنْدهُمْ يَشْكُونَ إِلَيْهِ حُزْنَهُمْ سِوَاكَ، دَعَهُمْ يَشْمُوكَ وَتَشْمُهُمْ، وَيَبْكُوا عَلَيْكَ وَتَبْكِي عَلَيْهِمْ».

ثم أخذ عليه السلام بيد ولده وقال:

«يَا زَيْنَبُ وَيَا أُمَّ كُلْثُومَ وَيَا سَكِينَةَ وَيَا رُقَيْيَةَ وَيَا فَاطِمَةَ، اسْمَعْنَ كَلَامِي وَاعْلَمْنَ أَنَّ ابْنِي هَذَا خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ، وَهُوَ إِمَامٌ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ».

ثم قال الإمام عليه السلام:

«يَا وَلَدِي بَلِّغْ شِيعَتِي عَنِّي السَّلَامَ فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ أَبِي مَاتَ غَرِيباً فَأَنْدُبُوهُ وَمَضَى شَهِيداً فَأَبْكُوهُ»^١.



١. انظر: معالي السبطين، ج ٢، ص ٢٠-٢١.

تفيد آخر عبارات هذا الإمام العظيم في الفداء والتضحية أنه كان يتمتع بنفس مطمئنة وهادئة بحيث لم يخطف منه الموت الذي كمن له بضعة أقدام شيئاً، كما لم يعتر روحه وفكره تغيير - سوى في الجوانب العاطفية - بشهادة أعزته وصحبه فحسب، بل كان يزداد ثباتاً ورباطة جأش وكانت تتقد نيران شوقه ولهفته للقاء المحبوب.

وكان الإمام عليه السلام يعدّ في تلك الظروف الحساسة ولده الوحيد الإمام السجاد عليه السلام للنهوض برسائلته الخطيرة في جني الثمار التي زرعتها في كربلاء وسقاها بدماء صحبه الميامين. فقدم له وصاياه الأخيرة وأوصى أهل بيته بلزوم طاعته كما لم ينس الإمام عليه السلام شيعته وأتباعه في ذلك الجو العصيب، ليلبثهم مظلوميته بواسطة ولده الوحيد ليعلموا أي الوسائل يعتمدون في مواصلة الدرب.

١١٢. استذكار الأم في آخر لحظات الوداع

وروي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «ضمّني والدي إلى صدره يوم قُتل - يعني يوم عاشوراء - والدماء تغلي - يعني تسيل من بدنه الشريف - وهو يقول: يا بني احفظ عني دعاء علمتنيه فاطمة صلوات الله عليها، وعلمها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمه جبرئيل عليه السلام في الحاجة والهم والغم والنازلة إذا نزلت والأمر العظيم الفادح وقُل: «(اللَّهُمَّ) بِحَقِّ يَاسِينَ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَبِحَقِّ طِهِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، يَا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى حَوَائِجِ السَّائِلِينَ، يَا مَنْ يَعْلَمُ مَا فِي الضَّمِيرِ، يَا مُنْفَسّاً عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، يَا مُفَرِّجاً عَنِ الْمَغْمُومِينَ، يَا رَاحِمَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، يَا رَازِقَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، يَا مَنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَافْعَلْ بِي كَذَا وَكَذَا» ثم سل حاجتك!.

١. نفس المهموم، ص ١٨٥.

والملفت للنظر أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) في ساعات حياته الشريفة تحدّث عن حلّ المشكلات من خلال التوجه إلى الله تعالى.

١١٣. ثياب أهل الذمة

وعندما عزم الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الميدان قال:
«أُحْيَا! ائْتُونِي بِثَوْبٍ لَا يُرْغَبُ فِيهِ، أَلْبَسُهُ غَيْرَ ثِيَابِي، لَا أَجْرَدُ، فَإِنِّي مَقْتُولٌ
مَسْلُوبٌ، فَأُتِي تَبْيَانٌ».
فقال (عليه السلام): «لَا ذَاكَ لِبَاسٌ مَن ضُرِبَتْ عَلَيْهِ الذُّلَّةُ».

ثم استدعى الحسين (عليه السلام) بسراويل من حبرة ففرّرها ولبسها وإنّما فرّرها لئلا يسلبها، فلما قتل سلبها أبجر بن كعب وتركه (عليه السلام) مجرداً فكانت يد أبجر بعد ذلك يبيسان في الصيف كأنهما عودان ويطرطبان في الشتاء فينضحان دماً وقيحاً إلى أن أهلكه الله تعالى.

وعندما أراد توديع عياله وبناته قال لابنته سكينه:
سَيَطُولُ بَعْدِي يَا سَكِينَةُ فَأَعْلَمِي مِنْكَ الْبُكَاءُ إِذَا الْحِمَامُ دَهَانِي
لَا تُحْرِقِي قَلْبِي بِدَمْعِكَ حَسْرَةً مَادَامَ مِنِّي الرُّوحُ فِي جُثْمَانِي
وَإِذَا قُتِلْتُ فَأَنْتِ أَوْلَى بِالَّذِي تَأْتِيَنِي يَا خَيْرَةَ النِّسْوَانِ^١
وفي رواية أخرى فأخذ ثوباً خلقاً فخرقه وجعله تحت ثيابه فلما قتل جردوه منه^٢.



رسم الإمام (عليه السلام) بدقة الصورة الحقيقية لصحبه وأعدائه في صفحات قصة كربلاء
ليثبتها في عمق التاريخ! فقد صرح (عليه السلام) ليلة عاشوراء بشأن أصحابه الأوفياء أنّهم

١. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١١٩.

٢. انظر: تاريخ ابن عساكر، ج ١٤، ص ٢٢١؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٤ (مع اختلاف يسير).

أشرف أناس في التاريخ، كما دلّ على أنّ أعداءه أخط وأقذر البشرية، بل كانوا وحوشاً وشياطين بلباس إنسان! ترى ما قيمة ذلك الثوب البالي الذي رقع من عدّة مواضع ليسلبوه إيّاه بعد قتله ويدعوا جسده الطاهر عرياناً تحت أشعة الشمس المحرقة، علام يدل هذا الفعل؟

١١٤. الحوار مع النسوة

ورد في بعض الكتب التاريخية أنّ الحسين لما نظر إلى اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته وأصحابه صرعى التفت إلى الخيمة ونادى:

«يا سَكِينَةُ! يا فاطِمَةُ! يا زَيْنَبُ! يا أُمَّ كُلثُومَ! عَلَيْكُنَّ مِنِّي السَّلَامُ».

فنادته سَكِينَةُ يا أبة استسلمت للموت فقال:

«كَيْفَ لَا يَسْتَسْلِمُ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُعِينَ».

فقالت يا أبة ردنا إلى حرم جدنا فقال:

«هَيْهَاتَ، لَوْ تَرَكِ الْقَطَا لَنَامَ».

فتصارخت النساء فأسكتهنّ الحسين وحمل على القوم^١.

١١٥. كلمات الإمام عليه السلام وأشعاره في العدو

خاطب الإمام الحسين عليه السلام القوم قائلاً:

«يَا وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونِي عَلَى سُنَّةٍ بَدَّلْتُهَا؟ أَمْ عَلَى شَرِيعَةٍ غَيَّرْتُهَا، أَمْ عَلَى جُرْمٍ فَعَلْتُهُ، أَمْ عَلَى حَقٍّ تَرَكْتُهُ؟».

قالوا: «إِنَّا نَقْتُلُكَ بُغْضاً لِأَبِيكَ»^٢.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٧.

٢. ينابيع المودة للقندوزي، ج ٣، ص ٧٩-٨٠.

فحمل عليهم وهو يقول:

كَفَرَ الْقَوْمُ وَقَدْماً رَغَبُوا
قَتَلَ الْقَوْمُ عَلِيّاً وَابْنَهُ
حَنَقاً مِنْهُمْ وَقَالُوا أَجْمِعُوا
يَا لِقَوْمٍ مِنْ أَنْاسٍ رُذَلٍ
ثُمَّ سَارُوا وَتَوَاصَوْا كُلُّهُمْ
لَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِي سَفْكِ دَمِي
وَابْنِ سَعْدٍ قَدْ رَمَانِي عَنْوَةً
لَا لَشَيْءٍ كَانَ مِنِّي قَبْلَ ذَا
بِعَلِيٍّ الْخَيْرِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ
خَيْرُهُ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ أَبِي
فِضَّةٍ قَدْ خَلَصْتُ مِنْ ذَهَبٍ
مَنْ لَهُ جَدُّكَ جَدِّي فِي الْوَرَى؟
فَاطِمُ الزَّهْرَاءِ أُمِّي وَأَبِي
عَبَدَ اللَّهُ غُلَاماً يَافِعاً
يَعْبُدُونَ اللَّاتِ وَالْعُزَّى مَعاً
قَابِي شَمْسٍ وَأُمِّي قَمَرٌ
وَلَهُ فِي يَوْمٍ أُحَدٍ وَقُفْعَةٌ
ثُمَّ فِي الْأَحْزَابِ وَالْفَتْحِ مَعاً
فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاذَا صَنَعْتُ
عِثْرَةُ الْبِرِّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
فَاطِمُ الزَّهْرَاءِ أُمِّي، وَأَبِي
طَحَنَ الْأَبْطَالَ لَمَّا بَرَزُوا

عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ رَبِّ الثَّقَلَيْنِ
حَسَنَ الْخَيْرِ كَرِيمِ الطَّرَفَيْنِ
أُحْشِرُوا النَّاسَ إِلَى حَزْبِ الْحُسَيْنِ
جَمَعُوا الْجَمْعَ لِأَهْلِ الْحَرَمَيْنِ
بِاجْتِيَاحِي لِرِضَاءِ الْمُلْحَدَيْنِ
لِعُبَيْدِ اللَّهِ نَسْلِ الْكَافِرَيْنِ
بِجُنُودِ كَوْكُوفِ الْهَاطِلَيْنِ
غَيْرِ فَخْرِي بِضِيَاءِ الْفَرَقْدَيْنِ
وَالنَّبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْوَالِدَيْنِ
ثُمَّ أُمِّي فَأَنَا ابْنُ الْخَيْرَتَيْنِ
فَأَنَا الْفِضَّةُ وَابْنُ الذَّهَبَيْنِ
أَوْ كَشَيْخِي فَأَنَا ابْنُ الْعَلَمَيْنِ
قَاصِمُ الْكُفْرِ بِبَدْرِ وَحُنَيْنِ
وَقُرَيْشُ يَعْبُدُونَ الْوَتْنَيْنِ
وَعَلِيٌّ كَانَ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ
وَأَنَا الْكَوْكَبُ وَابْنُ الْقَمَرَيْنِ
شَفَتِ الْغِلَّ بِفَضْلِ الْعَسْكَرَيْنِ
كَانَ فِيهَا حَتْفُ أَهْلِ الْفَيْلَقَيْنِ
أُمَّةُ الشُّوْءِ مَعاً بِالْعِثْرَتَيْنِ؟
وَعَلِيٌّ الْوَرْدِ يَوْمَ الْجَحْفَلَيْنِ
وَارِثُ الرُّسُلِ وَمَوْلَى الثَّقَلَيْنِ
يَوْمَ بَدْرٍ وَبِأُحَدٍ وَحُنَيْنِ

وَأَخُوا خَيَّبَ إِذْ بَارَزَهُمْ
وَالَّذِي أَوْدَى جُيُوشًا أَقْبَلُوا
مَنْ لَهُ عَمُّ كَعَمِّي جَعْفَرُ
جَدِّي الْمُرْسَلُ مِصْبَاحُ الْهُدَى
بَطْلُ قَرْمٍ هَزَبُ ضَيْعَمُ
عُرْوَةُ الدِّينِ عَلِيٌّ ذَاكُمُ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ سَبْعًا كَامِلًا
تَرَكَ الْأَوْثَانَ لَمْ يَسْجُدْ لَهَا
وَأَبِي كَانَ هَزَبًا ضَيْعَمًا
كَتَمَشِي الْأُسْدِ بَغِيًّا فَسُقُوا
ذَهَبٌ مِمَّنْ ذَهَبَ فِي ذَهَبٍ
فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَيْنَا وَاجِبُ
خَصَّةُ اللَّهِ بِفَضْلٍ وَتُقَى
تَرَكَ الْأَصْنَامُ مِذْ خَصَّةُ
وَأَبَادَ الشِّرْكَ فِي حَمَلَتِهِ
وَأَنَا ابْنُ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ الَّتِي
نَحْنُ أَصْحَابُ الْعَبَا خُمُسُنَا
ثُمَّ جَبْرِيلُ لَنَا سَادِسُنَا
وَكَذَا الْمَجْدُ بِنَا مُفْتَخِرُ
فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا صَالِحًا
عُرْوَةُ الدِّينِ عَلِيٌّ الْمُرْتَضَى
يَفْرُقُ الصَّقَانَ مِنْ هَيْبَتِهِ
وَالَّذِي صَدَّقَ بِالْخَاتَمِ مِنْهُ

بِحُسَامٍ صَارِمٍ ذِي شَفَرَتَيْنِ
يَطْلُبُونَ الْوِثَرَ فِي يَوْمِ حُنَيْنِ
وَهَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْنَحَتَيْنِ
وَأَبِي الْمُؤَفِّي لَهُ بِالْيَبْعَتَيْنِ
مَاجِدُ سَمْحٍ قَوِي السَّاعِدَيْنِ
صَاحِبُ الْحَوْضِ مُصَلِّي الْقِبْلَتَيْنِ
مَا عَلَى الْأَرْضِ مُصَلٍّ غَيْرُ ذَيْنِ
مَعَ قُرَيْشٍ مُذْ نَشَأَ طَرْفَةَ عَيْنِ
يَأْخُذُ الرُّمَحَ فَيَطْعَنُ طُعْنَتَيْنِ
كَأَسْ حَنْفٍ مِنْ نَجِيعِ الْحَنْظَلَيْنِ
وَلَجِينُ فِي لَجِينٍ فِي لَجِينِ
مَا جَرَى بِالْفُلْكِ إِحْدَى النَّيِّرَيْنِ
فَأَنَا الزَّاهِرُ وَابْنُ الْأَزْهَرَيْنِ
وَرَقَا بِالْحَمْدِ فَوْقَ النَّيِّرَيْنِ
بِرِجَالٍ أَتَرَفُوا فِي الْعَسْكَرَيْنِ
أَدْعَنُ الْخَلْقُ لَهَا فِي الْخَافِقَيْنِ
قَدْ مَلَكْنَا شَرْقَهَا وَالْمَغْرِبَيْنِ
وَلَنَا الْبَيْتُ كَذَا وَالْمَشْعَرَيْنِ
شَامِخًا يَعْلُو بِهِ فِي الْحَسَيْنِ
خَالِقُ الْخَلْقِ وَمَوْلَى الْمَشْعَرَيْنِ
صَاحِبُ الْحَوْضِ مُعِزُّ الْحَرَمَيْنِ
وَكَذَا أَفْعَالُهُ فِي الْخَافِقَيْنِ
حِينَ سَاوَى ظَهْرَهُ فِي الرِّكَعَتَيْنِ

شِيعَةَ الْمُخْتَارِ! طَيِّبُوا أَنْفُسًا فَعَدًّا تُشَقُّونَ مِنْ حَوْضِ اللُّجَيْنِ
فَعَلَيْهِ اللَّهُ صَلَّى رَبُّنَا وَحَبَاهُ تُخَفَّةً بِالْحَسَنَيْنِ^١

١١٦. شوق اللقاء

قال علي بن الحسين (عليه السلام): لما أشتد الأمر بالحسين (عليه السلام) نقل إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجبت قلوبهم وكان الحسين (عليه السلام) وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم ويقول بعضهم لبعض أنظروا لا يبالي بالموت. فقال (عليه السلام): «صَبْرًا بَنِي الْكِرَامِ، فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا قَنْطَرَةٌ تَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ وَالضَّرَاءِ إِلَى الْجَنَانِ الْوَاسِعَةِ وَالنَّعَمِ الدَّائِمَةِ، فَأَيُّكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ إِلَى قَصْرِ، وَمَا هُوَ لِأَعْدَائِكُمْ إِلَّا كَمَنْ يَنْتَقِلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى سِجْنٍ وَعَذَابٍ. إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ، وَالْمَوْتُ جِسْرٌ هُوَ لَاءٍ إِلَى جَنَاتِهِمْ، وَجِسْرٌ هُوَ لَاءٍ إِلَى جَحِيمِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ»^٢.

❦❦❦

إِنَّ التَّبَسُّمَ لِلْمَوْتِ وَإِشْرَاقَةَ الْوَجْهِ عَلَى أَعْتَابِ الْقَتْلِ وَطَمَائِينَةَ الْقُلُوبِ آخِرَ لَحَظَاتِ الْحَيَاةِ إِنَّمَا تَتَسَرَّعُ لِمَنْ مَلَ شَوْقُ لِقَاءِ الْحَبِيبِ كُلِّ كَيَانِهِ وَرَأَى الدُّنْيَا سِجْنًا وَقَفْصًا يَحْطُمُ قُضْبَانَهُ الْمَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْرِجُ بِهِ فِي عَنَانِ السَّمَاءِ وَالْقَرَبِ الْإِلَهِيِّ.
نعم، فالسجين لا تسعه الأرض على أعتاب حريته فيودع السجن بسكينة مفعمة باللهفة فيقفز من جوف القفص ليحط على غصون أشجار الجنان ويعزف أعذب الألحان. نعم كان هكذا حال أولياء الله وخاصته!.

١. وردت هذه الأشعار بصورة مختلفة في الكتب، فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٢١٠-٢١٢؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٨٦-٨٨؛ احتجاج الطبرسي، ج ٢، ص ١٠١-١٠٣؛ معالي السبطيين، ج ٢، ص ١١-١٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٧-٤٨؛ ينابيع المودة، ج ٣، ص ٨٠-٨١.
٢. معاني الأخبار للصدوق ص ٢٨٨-٢٨٩، ج ٣ (باب معنى الموت).

١١٧. الناكثون الغادرون

ثم ركب الإمام (عليه السلام) فرسه وخاطب جيش الأعداء قائلاً:
 «يا أهل الكوفة! قُبْحاً لَكُمْ وَتَرْحاً، وَبُؤْساً لَكُمْ وَتَعْساً، اسْتَصْرَحْتُمُونَا وَالْهَيْنَ
 فَأَتَيْنَاكُمْ مُوجِبِينَ، فَشَحَذْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفاً كَانَ فِي أَيْمَانِنَا، وَجِئْتُمْ عَلَيْنَا نَحْنُ أَضْرَمْنَا
 عَلَى عَدُوِّكُمْ وَعُدُونَا، فَأَصْبَحْتُمْ وَقَدْ آثَرْتُمْ الْعَدَاوَةَ عَلَى الصُّلْحِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ كَانَ
 مِنَّا إِلَيْكُمْ، وَقَدْ أَسْرَعْتُمْ إِلَيْنَا بِالْعِنَادِ، وَتَرَكْتُمْ بَيْعَتَنَا رَغْبَةً فِي الْفَسَادِ، ثُمَّ نَقَضْتُمُوهَا
 سَفَهًا وَضَلَّةً لَطَوَاعِيَتِ الْأُمَّةِ، وَبَقِيَّةِ الْأَحْزَابِ، وَنَبَذَ الْكِتَابِ، ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ
 تَتَّخِذُونَ عَنَّا وَتَقْتُلُونَنَا، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»^١.



كلنا نعلم أن أهل الكوفة بايعوا سفير الإمام (عليه السلام) وتعهدوا في رسائلهم بالتضحية
 والفداء، إلا أن هذه الفئة الضعيفة والعاجزة والجاهلة المسلوقة الإرادة ما لم تواجه
 أول مشكلة، أي تهديدات ابن زياد حتى ولّت ظهرها لكل شيء؛ فلم تنقض عهودها
 وتتخلى عن نصرته الإمام (عليه السلام) فحسب، بل شهرت عليه سيوفها التي أعدتها لنصرته
 فلطختها بدمه! وهذه هي عاقبة الجبناء والمسلوبين الإرادة. وهذه نهاية الغدرة ناكثي
 العهود.

١١٨. إعرفوني من أنا

سلّ الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء سيفه وأخذ يعرفهم بنفسه ليتّم الحجة عليهم فلا
 يزعموا أنهم لم يعرفوه، وتمثل بهذه الأشعار فقال:

أَنَا ابْنُ عَلِيٍّ الطُّهْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ كَفَانِي بِهَذَا مَفْخَرًا حِينَ أَفْخَرُ
 وَجَدِّي رَسُولُ اللَّهِ أَكْرَمُ مَنْ مَضَى وَنَحْنُ سِرَاجُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ نَزْهَرُ

١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٢١٢-٢١٣.

وَفَاطِمُ أُمِّي مِنْ سُلَالَةِ أَحْمَدٍ وَعَمِّي يُدْعَى ذَا الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ
وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ أَنْزَلَ صَادِقًا وَفِينَا الْهُدَى وَالْوَحْيُ بِالْخَيْرِ يُذَكَّرُ
وَنَحْنُ أَمَانُ اللَّهِ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ نُسِرُّ بِهَذَا فِي الْأَنَامِ وَنَجْهَرُ
وَنَحْنُ وَلَاءَةُ الْحَوْضِ نَسْقِي وَلَا تَنَا بِكَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ مَا لَيْسَ يُنْكَرُ
وَشِيعَتُنَا فِي النَّاسِ أَكْرَمُ شِيعَةٍ وَمُبْغِضُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْسَرُ
بِنَا بَيِّنَ اللَّهِ الْهُدَى مِنْ ضَلَالَةٍ وَيَعْمَرُ بِنَا آلَاءُهُ وَيَطْهَرُ
إِذَا مَا أَتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَامِمًا إِلَى الْحَوْضِ يَسْقِيهِ بِكَفِّهِ حَيْدَرُ
إِمَامٌ مُطَاعٌ أَوْجَبَ اللَّهُ حَقَّهُ عَلَى النَّاسِ جَمْعًا وَالَّذِي كَانَ يُنْظَرُ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ زَارَنَا بَعْدَ مَوْتِنَا بِجَنَّةٍ عَدْنٍ صَفُوهَا لَا يُكَدَّرُ^١



كان الإمام عليه السلام يوم عاشوراء يخوض بدقة في رسالته ومشروعه، وحيث كان يعلم أنَّ تلك الواقعة الكبرى والفريدة ستتخلد في التاريخ، فقد أغلق جميع الطرق أمام الحجج والأعذار التي من شأنها حرف صورتها الناصعة. ومن ذلك عرف نفسه -ثانية- من خلال بعض الأبيات الشعرية البليغة في اللحظات الأخيرة من عمره بعد أن سلَّ سيفه كاستعداد للقتال ونيل الشهادة. فتحدث عن نفسه وأبيه وجده رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه الزهراء عليها السلام وعمه جعفر الطيار عليه السلام، ثم أشار إلى هذه الحقيقة وهي أنَّ القرآن والإسلام الذي تفتخرون به ظاهرياً إنّما نزل في بيتنا، ونحن ملاذكُم أيضاً يوم القيامة. والعجيب أنَّ هذه الكلمات التي توقظ كل نائم وتفيق كل سكران لم تؤثر في تلك الفئة العمية البصائر!



١. فتوح ابن الأعمش، ج ٥، ص ٢١٣-٢١٤؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٨٨ وراجع بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٨-٤٩.

١١٩. أبيات أخرى

هذه الأبيات الفريدة تعكس مدرسة الإمام الحسين عليه السلام وعمق فكرة يوم عاشوراء:

فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً فَإِنْ ثَوَابِ اللَّهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَبْدَانُ لِمَوْتِ أَنْشَاءَتْ فَقَتْلُ امْرِئٍ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ قِسْماً مُقَدَّراً فَقَلَّةُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي الْكَسْبِ أَجْمَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَمْوَالُ لِلتَّرِكِ جَمْعُهَا فَمَا بِالْ مَتْرُوكِ بِهِ الْمَرْءِ يَبْخَلُ^١

كما ذكر القندوزي العالم المعروف لدى العامة أنَّ الإمام عليه السلام قال هذه الأبيات أيضاً:

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ يَا آلَ أَحْمَدِ فَإِنِّي أَرَانِي عَنْكُمْ الْيَوْمَ أَرْحَلُ
أَرَى كُلَّ مَلْعُونٍ ظَلُومٍ مُنَافِقٍ يَرُومُ فَنَانَا جَهْرَةً ثُمَّ يَعْمَلُ
لَقَدْ كَفَرُوا يَا وَيْلَهُمْ بِمُحَمَّدٍ وَرَبُّهُمْ مَا شَاءَ فِي الْخَلْقِ يَفْعَلُ
لَقَدْ غَرَّهُمْ حِلْمُ الْإِلَهِ لِأَنَّهُ خَلِيمٌ كَرِيمٌ لَمْ يَكُنْ قَطُّ يَعْجَلُ^٢



فهذه الأبيات موعظة ونصيحة ورسالة للشعوب كافة في كل عصر ومصر، فمن جهة، تناديهم: لا تستسلموا للذل فالحياة لا تقتصر على هذه الدنيا والدار الأصلية هي دار الآخرة دار البقاء جوار الله. ولا يجدر بهذا البدن أن يموت على فراش المرض! وما أروع أن يضرج بالدم في سبيل الله ويلتحق بالشهداء. ومن جهة أخرى تشير إلى أنَّ الإمام عليه السلام يسير بفخر إلى الشهادة ولا يخشى شيئاً ويتسم للموت، الموت في سبيل الله، الموت الذي يلهم المستضعفين الشجاعة طيلة التاريخ. ويبعث برسالة من ميدان

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٩؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ٢، ص ٣٣ (مع اختلاف يسير).

٢. ينابيع المودة، ج ٣، ص ٨١.

كربلاء للجبابة كافة بعدم الاغترار بهذه القدرة العابرة لبضعة أيام، فليست هنالك سوى الفضيحة والخسران والشقاء.

١٢٠. الموت أولى من حياة العار

ثم إنّه دعا الناس إلى البراز فلم يزل يقتل كل من دنا منه من عيون الرجال حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ثم حمل عليه السلام على الميمنة وقال:

«الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْعَارِ».

ثم على الميسرة وهو يقول:

أَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ أَلَيْتُ أَنْ لَا أَنْشِي
أَخْمِي عِيَالَتِ أَبِي أَمْضِي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ^١
ورد رواية أخرى أَنَّ الْإِمَامَ عليه السلام قَالَ: «مَوْتُ فِي عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ»^٢.



من أهم مضامين عاشوراء، الشعار الذي يمكنه إضاءة التاريخ البشري برمته وينهي الاستعمار والإستغلال واستعباد الشعوب. فالشعوب عادة ما تذلل خشية الذلّة وتستسلم للظلم حين تخافه، والظلمة والجبابة إنّما يستغلون نقطة الضعف هذه. صحيح أَنَّ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عليه السلام هبّ لمواجهة أعوان يزيد بهذه الأشعار واستشهد في معركة غير متكافئة، لكن شهادته أضحت منطلقاً للثورات المتتالية ضد جلاوزة بني أمية وبني مروان وبني آكلة الأكباد الذين راموا القضاء على آثار رسول الله صلى الله عليه وآله واستبدالها بالسنن الجاهلية! فقد أراد الله سقي نبتة الإسلام بهذه الدماء الطاهرة وفضح أعداء الإسلام والمنافقين.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٩؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١١٩-١٢٠.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٩٢؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٧٥-٧٥.

كما شاء الله إقامة مدرسة يتعلم فيها الأحرار طيلة التاريخ دروس العزة والكرامة ويعلموا أنَّ الموت بعزٍّ خير من الحياة بذل.

١٢١. إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً

ولم يزل يقاتل حتى قتل حتى قتل منهم مقتلة عظيمة. فقال عمرو بن سعد لقومه: الويل لكم أتدرون من تقاتلون هذا ابن الأنزع البطين هذا ابن قتال العرب فاحملوا عليه من كل جانب». وكانت الرماة أربعة آلاف فرموه بالسهم فحالوا بينه وبين رحله.

فصاح الإمام عليه السلام بهم:

«وَيَحْكُمُ يَا شَيْعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ! إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ، وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ، فَكُونُوا أحراراً فِي دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَرَباً كَمَا تَزْعُمُونَ». فناداه شمر فقال: ما تقول يا ابن فاطمة. قال: أقول: «أَنَا الَّذِي أَقَاتِلُكُمْ، وَتُقَاتِلُونِي، وَالنِّسَاءُ لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ، فَاثْنَعُوا عُتَاتَكُمْ وَطُعَاتَكُمْ وَجَهَّالَكُمْ عَنِ التَّعَرُّضِ لِحَرَمِي مَا دُمْتُ حَيًّا».

فقال شمر: لك هذا. ثم صاح شمر إليكم عن حرم الرجل فاقصدوه في نفسه فلعمري لهو كفؤ كريم. قال: فقصدته القوم وهو في ذلك يطلب شربة من ماء فكلما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه بأجمعهم حتى أحلوه عنه^١.

❦❦❦

لقد أخرج الإمام عليه السلام العدو بهذا الشعار الذي قال فيه: «إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ، فَكُونُوا أحراراً فِي دُنْيَاكُمْ هَذِهِ». فالعسكر يواجه صنوه في ساحة القتال، والصبيّة والنسوة ليسوا طرفاً في القتال، والهجوم عليهم منتهى الخسة ودليل على الإنحطاط.

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ٢، ص ٣٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٠-٥١.

لكن هنالك رسالة لهذا الشعار أوسع وأشمل حيث يخاطب العالم بأسره ويقول لهم عليكم بالالتزام بمبادئ الإنسانية والأخلاق البشرية وإن لم تنتموا لدين معين، وهذا في الواقع ذات شعار رعاية «حقوق الإنسان» الذي يكثر الحديث عنه اليوم ويقل العمل به.

١٢٢. الدعاء على القوم

وجعل الحسين عليه السلام يطلب الماء وشمر يقول له: والله لا ترده أو ترد النار. فقال له الآخر: ألا ترى إلى الفرات يا حسين كأنه بطون الحيتان والله لا تذوقه أو تموت عطشاً!

فقال الحسين عليه السلام: «اللَّهُمَّ أَمِّتْهُ عَطْشاً».

قال الراوي: والله لقد كان هذا الرجل يقول اسقوني ماء فيؤتى بماء فيشرب حتى يخرج من فيه ثم يقول: اسقوني قتلني العطش فلم يزل كذلك حتى مات. ثم رماه رجل من القوم يكنى أبا الحتوف الجعفي بسهم فوق السهم في جبهته فنزعه من جبهته فسالت الدماء على وجهه ولحيته فقال عليه السلام:

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَرَى مَا أَنَا فِيهِ مِنْ عِبَادِكَ هَؤُلَاءِ الْعُصَاةِ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تَذَرْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَلَا تَغْفِرْ لَهُمْ أَبَدًا».

ثم حمل عليهم كالليث المغضب فجعل لا يلحق منهم أحداً إلا بعجه بسيفه فقتله والسهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بنحره وصدره عليه السلام وهو يقول:

«يَا أُمَّةَ السُّوءِ! بِسْمَا خَلَقْتُمْ مُحَمَّدًا فِي عِثْرَتِهِ، أَمَا إِنَّكُمْ لَنْ تَقْتُلُوا بَعْدِي عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ فَتُهَابُوا قَتْلَهُ، بَلْ يَهَوِّنُ عَلَيْكُمْ عِنْدَ قَتْلِكُمْ إِيَّايَ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُكْرِِمَنِي رَبِّي بِالشَّهَادَةِ بِهَوَانِكُمْ، ثُمَّ يَنْتَقِمَ لِي مِنْكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُونَ».

قال الراوي: فصاح به الحصين بن مالك السكوني فقال: يا ابن فاطمة وبما ذا ينتقم لك منا. قال عليه السلام:

«يُلْقِي بِأَسْكُمْ بَيْنَكُمْ وَيَسْفِكُ دِمَاءَكُمْ، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ».

ثم لم يزل يقاتل حتى أصابته جراحات عظيمة^١.

وعندما حملا على الإمام (عليه السلام) من كلّ حذب وصوب وجعله معرضاً لسهامهم ورماحهم وأصابة هذه السهام إلى رقبته المباركة قال:

«بِسْمِ اللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَهَذَا قَتِيلٌ فِي رِضَى اللَّهِ»^٢.

❦❦❦

كل لحظة من حياة الإمام (عليه السلام) اختزنت درساً لسالكي طريق الحق والسائرين على درب العزّة والكرامة بحيث نلاحظ عدم استشعاره الخوف من كثرة العدو ومصيره الوشيك في تلك اللحظات العصيبة والتي تمثل أواخر عمره الشريف. فلا ينفك عن ذكر الله بعدة ألسن حتى بلسان الدعاء على الآخرين! ينصح ويوعظ ويحذر من العاقبة المريرة ويدعو إلى الله. وأخيراً يتسم للموت ويرحب بالشهادة إنطلاقاً من ذكر الله!.

١٢٣. أريد أن ألقى جدّي مخضب بدمي

قال الراوي: فوقف (عليه السلام) يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال فبينما هو واقف إذ أتاه حجر فوقع في جبهته فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه فأتاه سهم محدد مسموم له ثلاث شعب فوقع السهم في صدره وفي بعض الروايات على قلبه فقال الحسين (عليه السلام):

«بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ».

ورفع رأسه إلى السماء وقال:

«إِلَهِي إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ رَجُلًا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّ غَيْرِهِ».

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ٢، ص ٣٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥١-٥٢.

٢. مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٢٠.

ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه فانبعث الدم كالميزاب فوضع يده على الجرح فلما امتلأت رمى به إلى السماء فما رجع من ذلك الدم قطرة وما عرفت الحمرة في السماء حتى رمى الحسين عليه السلام بدمه إلى السماء، ثم وضع يده ثانياً فلما امتلأت لطح بها رأسه ولحيته وقال:

«هَكَذَا وَاللَّهِ أَكُونُ حَتَّى أَلْقَى جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا مَخْضُوبٌ بِدَمِي، وَأَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَتَلَنِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ»^١.



نعم رمى الإمام الحسين عليه السلام بدمه إلى السماء ليدخر له في السماء ليوم المعاد، ثم لطح وجهه بكف آخر من دمه ليدخره على جسده الطاهر في الأرض، لأنَّ شهيداً مثل الإمام الحسين عليه السلام يرد المحشر بتلك الهيئة فيضيء ذلك الوسط بنوره القدسي. فهذا الدم الطاهر والزكي يجري في عروق التاريخ البشري وفي شرايين المؤمنين الأحرار فيرسم به خطوط العدالة والحرية على جبين أتباع هذه المسيرة. كما يغلي هذا الدم في عروش الظلمة ليزيل الظلم عن العالم.

١٢٤. عندما بكى العدو

أُتِخَنَ الإمام الحسين عليه السلام بالجراح فوق من فرسه على الأرض على خَدِّ الأيمن ثم نهض. فخرجت زينب بنت علي عليه السلام وقرطهاها يجولان بين أذنيها وهي تقول:

«لَيْتَ السَّمَاءُ انْطَبَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ». يا عمر بن سعد «أَيَقْتُلُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ». فبكى عمر وسالت دموعه على خديه ولحيته وضرف وجهه عنها^٢.

فقال زينب عليه السلام:

«وَيْلَكُمْ، أَمَا فِيكُمْ مُسْلِمٌ».

١. مقتل الحسين للخوارزمي، ج ٢، ص ٣٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٣.

٢. الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٧٨.

فلم يجبها أحد^١.

فجعل الإمام ينظر إلى حرمه وإلى جيش ابن زياد وهو يقول:
«أَعْلَى قَتْلِي تَجْتَمِعُونَ، أَمَا وَاللَّهِ لَا تَقْتُلُونَ بَعْدِي عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، اللَّهُ أَسْخَطُ
عَلَيْكُمْ لِقَتْلِهِ مِنِّي؛ وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُكْرِمَنِي اللَّهُ بِهِوَائِكُمْ، ثُمَّ يَنْتَقِمَ لِي مِنْكُمْ
مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُونَ. أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُمُونِي لَأَلْقَى اللَّهُ بِأَسْكُمْ بَيْنَكُمْ وَسَفَكَ دِمَاءَكُمْ
ثُمَّ لَا يَرْضَى حَتَّى يُضَاعِفَ لَكُمْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ»^٢.

❦❦❦

نعم، فالمشهد كان حزيناً مفعجاً بحيث أبكى العدو، العدو الذي فقد إرادته بفعل
هوى نفسه واستسلم طوعية للذل والهوان، بالتالي العدو الذي كان عالماً بعظم شأن
الإمام عليه السلام ومدركاً لعمق مظلوميته!
حقاً لا يذكر التاريخ عدواً أبكى على ضحيته ويتكلم في الميدان عن ظلمه
ومظلومية خصمه. نعم، ميدان كربلاء إختزن العجائب وهذه إحداها.

١٢٥. عبدالله بن الحسن، وبقية الأخ

كان عبدالله بن الحسن عليه السلام أصغر أبناء الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وكان يبلغ من
العمر في يوم عاشوراء ١١ عشر سنة، وقد بقي مع النساء في الخيام ولما شاهد عمه
الإمام الحسين في مكان القتل وقد أحاط به الأعداء عليه السلام من كل جانب، خرج
مسرعاً من الخيمة متوجهاً إلى عمه الحسين، ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام يغفل
لحظة واحد عن المخيم وما يجري فيه من أمور وحوادث، فلما رأى ابن أخيه
الحسن قادماً نحوه، قال لأخته: «إِحْسِيهِ يَا أُخْتِي». ولكن الحوراء زينب عليها السلام كلما
سعت أن تفصل عبدالله من عمه لم تتمكن من ذلك، فقد التصق عبدالله بشدة بعمه

١. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦٠٩.

٢. المصدر السابق والكامل لابن الأثير، ج ٧، ص ٧٨.

الحسين عليه السلام، وكان يقول: «وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُ عَمِّي»^١.

وفجأة هجم «أبجر بن كعب» على الإمام الحسين عليه السلام بالسيف، فرآه عبد الله ورفع يده ليقبض على عمه الحسين من ضربة السيف وصاح: «يَا ابْنَ الْخَيْثَةِ! أَتَقْتُلُ عَمِّي!» فانهاه السيف على يده وقطعها من المرفق وبقيت معلقة بالجلدة، فصاح الغلام: «يا عمّاه!».

فاحتضنه الإمام الحسين عليه السلام وقال: «يا ابن أخي، إصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فَإِنَّ اللَّهَ يُلْحِقُكَ بِآبَائِكَ الصَّالِحِينَ»^٢. وفي هذه اللحظات رماه حرملة بسهم وقتله وهو في حضن عمه، ورفع الإمام يده إلى السماء وقال:

«اللَّهُمَّ أَمْسِكْ عَنْهُمْ قَطْرَ السَّمَاءِ وَامْنَعْهُمْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، اللَّهُمَّ فَإِنْ مَتَّعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ فَفَرِّقْهُمْ فِرْقًا وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قِدْدَاءَ، وَلَا تُرْضِ عَنْهُمْ الْوَلَاةَ أَبَدًا فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَا فَعَدُوا عَلَيْنَا فَفَقَتَلُونَا»^٣.

١٢٦. المناجاة الأخيرة

ناجى الإمام عليه السلام ربه في آخر لحظات عمره الشريف:

«اللَّهُمَّ! مُتَعَالِي الْمَكَانِ، عَظِيمَ الْجَبَرُوتِ، شَدِيدَ الْمَحَالِ، غَنِيٌّ عَنِ الْخَلَائِقِ، عَرِيضُ الْكِبَرِيَاءِ، قَادِرٌ عَلَى مَا تَشَاءُ، قَرِيبُ الرَّحْمَةِ، صَادِقُ سَائِغِ النِّعْمَةِ، حَسَنُ الْبَلَاءِ، قَرِيبٌ إِذَا دُعِيَ، مُحِيطٌ بِمَا خُلِقَتْ، قَابِلُ التَّوْبَةِ لِمَنْ تَابَ إِلَيْكَ، قَادِرٌ عَلَى مَا أَرَدْتَ، وَمُذَرِّكٌ مَا طَلَبْتَ، وَشَكُورٌ إِذَا شُكِرْتَ، وَذَكُورٌ إِذَا ذُكِرْتَ، أَدْعُوكَ مُحْتَاجًا، وَأَرْغَبُ إِلَيْكَ فَقِيرًا، وَأَفْزَعُ إِلَيْكَ خَائِفًا، وَأَبْكِي إِلَيْكَ مَكْرُوبًا، وَأَسْتَعِينُ بِكَ ضَعِيفًا،

١. إرشاد المفيد، ص ٦٥؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٣.

٢. إرشاد المفيد، ص ٦٥؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٤-٥٥.

٣. الكامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ٧٧.

وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ كَافِيًا، أَحْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا، فَإِنَّهُمْ غَرُّونا وَخَدَعُونَا وَخَذَلُونَا
وَعَدَرُوا بِنَا وَقَتَلُونَا، وَنَحْنُ عِترَةُ نَبِيِّكَ، وَوَلَدُ حَبِيبِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، الَّذِي
اصْطَفَيْتَهُ بِالرَّسَالَةِ وَاسْتَمَنْتَهُ عَلَى وَحْيِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا فَرَجًا وَمَخْرَجًا
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

وقال عليه السلام: «صَبْرًا عَلَى قَضَائِكَ يَا رَبِّ لَا إِلَهَ سِوَاكَ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، مَالِي
رَبُّ سِوَاكَ، وَلَا مَعْبُودٌ غَيْرُكَ، صَبْرًا عَلَى حُكْمِكَ يَا غِيَاثَ مَنْ لَا غِيَاثَ لَهُ، يَا دَائِمًا
لَا نَفَادَ لَهُ، يَا مُحْيِيَ الْمَوْتَى، يَا قَائِمًا عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، أَحْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»^١.



حقاً يا لها من مناجاة رفيعة وعميقة المضامين هذه المناجاة التي جرت على لسان
الإمام عليه السلام آخر لحظات عمره الشريف بذلك البدن المضمخ بالدماء والجروح وسط
هالة من الأسى والحزن على فقد الأعزة والأصحاب ومستقبل مفعم بالقلق على
النساء والبنات.

إنها مناجاة تعج بالمعارف الربانية وأقصى درجات الرضى والتسليم، فلا من
شكوى ولا جزع ولا وهن وعجز ولا يأس وشعور بالأحباط قط.
إنها تفيض بمعاني الصبر والصمود والرضى والتسليم للقادر المتعال. سلام الله
عليك يا أبا الأحرار والآف التحية والثناء يا أبا الضيم.

١٢٧. لحظات الشهادة

يقول «هلال بن نافع»: لما وقع الحسين عليه السلام من على ظهر جواده إلى الأرض
خرجت بين الصفيين فوقفت عليه وهو وجود بنفسه: «فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَطُّ قَتِيلًا

١ . مقتل الحسين للمقرم، ص ٢٨٢-٢٨٣.

مُخَضَّباً بِدَمِهِ أَحْسَنُ مِنْهُ وَلَا أَنْوَرَ وَجْهًا، وَقَدْ شَغَلَنِي نُورُ وَجْهِهِ وَجَمَالُ هَيَاتِهِ عَنْ
الْفِكْرَةِ فِي قَتْلِهِ»^١.

وفي ذلك الوقت طلب الإمام الحسين عليه السلام شربة من الماء، وسمعت رجلاً من
الأعداء يقول له: (وَاللَّهِ لَا تَذُوقُ الْمَاءَ حَتَّى تَرِدَ الْحَامِيَةَ فَتَشْرَبَ مِنْ حَمِيمِهَا).
فأجابه الإمام عليه السلام: «إِنَّمَا أَرِدُ عَلَى جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ وَأَسْكُنُ مَعَهُ فِي دَارِهِ فِي
مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ وَأَشْكُو إِلَيْهِ مَا أَرْتَكِبْتُمْ مِنِّي وَفَعَلْتُمْ بِي». فلما
سمع جيش عمر بن سعد هذا الكلام غضبوا على الحسين وكأن الله تعالى لم
يجعل في قلوبهم شيئاً من الرحمة^٢.

وعندما حلت المصيبة العظمى، استولى على الإمام الحسين عليه السلام الضعف وبان
عليه الارهاق، وجاء إليه الأعداء وأخذوا يضربونه بكل ما لديهم من سلاح، ولكن
كل رجل منهم يتقدم لقتل الحسين تصيبه رجفة ويبتعد ويتراجع.
وجاء «مالك بن نمير» إلى الحسين عليه السلام وضربه بالسيف على رأسه المبارك فسال
الدم من رأسه، فقال الإمام عليه السلام: «لَا أَكَلَتْ يَمِينُكَ وَلَا شَرِبَتْ بِهَا وَحْشَرَكَ اللَّهُ مَعَ
الظَّالِمِينَ». وجاء في التواريخ أن مالك بن نمير عاش حياته في أشد حالات الفقر
والذلّ وشلّت يده^٣.

وجاء «زُرعة بن شريك» وضرب الإمام الحسين عليه السلام على يده اليسرى.
وجاء «سنان بن أنس» وضرب الحسين عليه السلام بالسيف والرمح عدّة ضربات وكان
يفتخر بذلك!

ومرّت اللحظات الأخيرة ببطء وكان العالم ينتظر حادثة عظيمة، وكان عمر بن
سعد يريد إنهاء المسألة بسرعة، فأمر خولي بن يزيد الذي كان يقف إلى جانبه أن

١. الإرشاد، ج ١، ص ٦١٠ نقلاً عن أعيان الشيعة، اللهوف، ص ١٢٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٧؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٢٨٢ انظر: نفس المهموم، ص ١٩٦.

٣. أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٠٨.

يتقدم ويريح الحسين عليه السلام وينهي الأمر. وتقدم خولي ليحتز رأس الحسين عليه السلام ولكن أصابته رعدة في بدنه فتراجع عن هذا الأمر.

فتقدم «سنان بن أنس» على رواية وضرب الإمام الحسين بالسيف على رقبته وقال: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْتَزُّ رَأْسَكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَخَيْرُ النَّاسِ أَبًا وَأُمًّا»، وأنَّ أباك وأُمَّك أحبُّ الخلق إلى الله، ثم احتز رأس الحسين عليه السلام، وهكذا وصل الجهل والحمق والطغيان بهؤلاء أنهم كانوا يعترفون بهذا الذنب العظيم ويفتخرون به. وفي رواية أخرى، فغضب شمر لعنه الله وجلس على صدر الحسين وقبض على لحيته وهمم بقتله، فضحك الحسين عليه السلام، فقال له: «أَتَقْتُلُنِي وَلَا تَعْلَمُ مَنْ أَنَا؟». فقال شمر: أعرفك حق المعرفة، أُمَّك فاطمة الزهراء، وأبوك علي المرتضى، وجدك محمد المصطفى، وخصمك العلي الأعلى، أقتلك ولا أبالي، فضربه بسيفه اثنتا عشرة ضربة ثم حَزَّ رأسه صلوات الله وسلامه عليه، فلعن الله قاتله والسائرين إليه بجموعهم^٢.



ويتبين ممَّا تقدّم هذه الحقيقة، وهي أَنَّهُ كلما كان قتلة الشهداء في سبيل الله أكثر جُرمًا وطغيانًا وتوغلاً في الظلم والعدوان، فإنَّ مقام الشهداء يتجلى أكثر ويشتد إشراق نورهم على البشرية، والحقيقة المحيرة أَنَّ حكومة بني أُمَيَّة المجرمة أرسلت مثل هؤلاء المجرمين لمواجهة ابن رسول الله الإمام الحسين وأصحابه المخلصين المضحين ومع ذلك تدعي أَنَّها حكومة إسلامية ويدعي يزيد بآئنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن هنا يمكن القول: قبحاً وترحاً لهذا الدهر الذي تنقلب فيه المعايير. إنَّ المجتمع الإسلامي يصل به الأمر إلى درجة من اهتزاز القيم وذبول الإيمان أنَّ أفراداً بدلاً من التصدي للظالمين ومواجهة قوى الظلم والانحراف، يعيشون الخنوع

١. الكامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ٧٨؛ أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤٠٩.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٦.

والذلة في اطاعة مثل هذه الحكومة الجائرة.

عندما ينظر الإنسان إلى هاتين الجبهتين والجيشين وقد اصطفا في مقابل البعض، فإنّه يرى من جهة عبّاد الليل وأُسود النهار الذين يعيشون الالتزام الحقيقي والواعي بالقيم الرسالية والمثل الأخلاقية والإنسانية ويبذلون أنفسهم في سبيل الدين والإيمان ويرى في الجهة المقابلة جماعة من الكفار والطواغيت الذين لا يعيرون أية أهمية للقيم والمبادئ الإنسانية، أجل إنّ هذه النظرة العابرة توحى لنا بأهمية هذه النهضة وتكشف عن أبعادها وأهدافها وتبيّن كيف أنّ الإنسان العزيز أضحي أسيراً بيد هذه الفئة الطاغية، فلو أنّ هذه النهضة المباركة لم تقع في تاريخ الإسلام فإنّ الإسلام يواجه خطر الفناء والاضمحلال.

صلوات الله على هذه الأجساد الطاهرة وتحياته وبركاته على الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الميامين الذين ضحوا كل غالٍ ونفيس لإزاحة النقاب عن وجه الإسلام وسقوا الأمة الإسلامية بدمائهم، ومنذ ذلك الوقت شرعت النهضة والحركات ضد حكومة بني أميّة الذين يمثلون عصارة عصر الجاهلية حتى استطاعت قلع هذه الشجرة الخبيثة من أرض الإسلام.

الحوادث التاريخية بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام

١٢٨. تغيّر عالم الطبيعة

طبقاً لما ورد في كتب التاريخ أنّ عالم التكوين بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام أصابته العديد من المتغيرات التي تخبر عن وقوع حادثة عظيمة، وقد ورد في الروايات من طرق الشيعة وأهل السنّة فيما يتصل بهذه المتغيرات في عالم الطبيعة، ومنها:

ينقل السيد ابن طاووس: «وارتفعت في السماء في ذلك الوقت غبرة شديدة سوداء مظلمة فيها ريح حمراء لا يُرى فيها عين ولا أثر، حتى ظن القوم أنّ العذاب

قد جاءهم، فلبثوا كذلك ساعة، ثم انجلت عنهم»^١.
وينقل العالم السني المعروف «الذهبي»: «لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ، مَكَّنَّا أَيَّاماً سَبْعَةً إِذَا صَلَّيْنَا الْعَصْرَ، فَنَظَرْنَا إِلَى الشَّمْسِ عَلَى أَطْرَافِ الْحَيَّطَانِ كَأَنَّهَا الْمَلَّاحِفُ الْمَعْصِفَةُ...»
وقال أيضاً: «احمَرَّتْ آفَاقُ السَّمَاءِ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ نَرَاهَا»^٢.
وروى «ابن عساكر» في تاريخه: «لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ اسْوَدَّتْ السَّمَاءُ وَظَهَرَتِ الْكَوَاكِبُ نَهَاراً، حَتَّى رَأَيْتِ الْجُوزَاءَ عِنْدَ الْعَصْرِ وَسَقَطَ التَّرَابُ الْأَحْمَرُ»^٣.



إنَّ ظهور مثل هذه الحوادث الخارقة للطبيعة لا تعتبر من الحوادث المهمة المثيرة للعجب، لأنَّه ممن الممكن أنَّ الله تعالى ولغرض بيان هذه الفاجعة الواقعة في كربلاء أصدر مثل هذه الأوامر لعالم الطبيعة، كما أنَّ تاريخ الأنبياء الإلهيين يشهد بمثل هذه النماذج من الخوارق.

١٢٩. عزاء الملائكة

وطبقاً لرواية ثقة الإسلام الكليني، فإنَّ ملائكة السماء بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام جلسوا في مجلس العزاء والبكاء، قال: «لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَا كَانَ، ضَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ وَقَالُوا: يَا رَبَّنَا هَذَا الْحُسَيْنُ صَفِيٌّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ وَابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكَ. قَالَ: فَأَقَامَ اللَّهُ ظِلَّ الْقَائِمِ عليه السلام وَقَالَ: بِهَذَا أُنْتَقِمُ لِهَذَا»^٤.



١. الملهوف (اللهوف)، ص ١٧٧. أبو فراس الحمداني:

يَوْمَ عَلَيْهِ تَغَيَّرَتْ شَمْسُ الضُّحَى
وَبَكَتْ دَمًا مِثْلًا رَأَتْهُ سَمَاوُهُ

(أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٣٤٣)

٢. سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٢٤.

٣. مختصر تاريخ دمشق، ج ٧، ص ١٤٩؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٠١.

٤. الملهوف (اللهوف)، ص ١٧٦-١٧٧.

١٣٠. عودة ذي الجناح إلى الخيام

يقول «ابن أعثم الكوفي»: «وَأَقْبَلَ بَعْدَ ذَلِكَ فَرَسُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ غَارَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ أَنْ لَا يُؤْخَذَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَقْبَلَ يَرْكُضُ إِلَى خَيْمَةِ النِّسَاءِ وَهُوَ يَضْهَلُ»^١.

ويروى عن الإمام الباقر عليه السلام أَنَّ جِوَادَ الْحُسَيْنِ كَانَ يَحْمَحُمُ وَيَقُولُ: «الظَّلِيمَةُ الظَّلِيمَةُ مِنْ أُمَّةٍ قَتَلَتْ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهَا»^٢.

فلما رأت النسوة من آل بيت النبي من أخوات وبنات الإمام الحسين عليه السلام الجواد بهذه الصورة وقد عاد لوحده من الميدان، خرجن من الخدور وهنَّ يصرخن ويبكين: «فَوَضَعَتْ أُمُّ كُلثُومٍ يَدَهَا عَلَى أُمِّ رَأْسِهَا وَنَادَتْ: وَأُمَحَمَّدَاهُ! وَاجَدَاهُ! وَابْنِيَاهُ! وَأَبَا الْقَاسِمَاهُ! وَاعْلِيَاهُ! وَاجْعَفَرَاهُ! وَاحْمَرَّنَاهُ! وَاحْسَنَاهُ! هَذَا حُسَيْنٌ بِالْعَرَاءِ، صَرِيعٌ بِكَرْبَلَاءَ، مَحْزُورُ الرَّأْسِ مِنَ الْقَفَاءِ، مَسْلُوبُ الْعِمَامَةِ وَالرِّدَاءِ، ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهَا»^٣.

١٣١. نهب سلاح الإمام عليه السلام وملابسه

ثم إنَّ جيش عمر بن سعد وبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام هجم على جسده الطاهر لنهب سلاحه وثيابه، وقد بلغ انحطاط ودناءة هؤلاء القوم إلى درجة أنَّهم أقدموا على هذا العمل الشنيع قبل استشهاد الإمام عليه السلام وقد ذكر المؤرخون عن تاريخ كربلاء من العجائب والغرائب في كتب المقاتل وكل واحد منهم يذكر من الحوادث ما هو أعجب من غيره، وهنا نستعرض بعض ما ورد في هذه المصادر التاريخية: فقد أخذ «مالك بن بشير الكندي» خوذة الإمام الثمينة، وعندما جاء بها إلى بيته

١. الفتوح ابن أعثم، ج ٥، ص ٢٢٠.

٢. مقتل الحسين، المقرّم، ص ٢٨٣.

٣. انظر: مقتل الحسين الخوارزمي، ج ٢، ص ٣٧؛ نفس المهموم، ص ٢٠٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٦٠.

قالت له زوجته: «أسلبت مال ابن رسول الله ﷺ وأتيت به إلى داري؟ إبتعد عني ملاً الله قبرك ناراً»، وقد عاش هذا الرجل بقية حياته بأشد حالات الفقر والعوز ويبيت يدها وكانت تخرج منها الجراحات والدم في فصل الشتاء.

وسلب «بحر بن كعب» سروايله، ويروي السيد ابن طاووس: إن رجليه شلّتا وأصبح مقعداً في داره^١.

وسلب «إسحاق بن حويّة» قميصه الذي كانت فيه مائة وسبعين أثراً من آثار السيوف والرماح والسهام ولبسه وابتلي بالبرص.

وأخذ «أخنس بن مَرْتَد» عمامة الإمام ﷺ وضعها على رأسه وابتلي بالجنون! أمّا درع الإمام الحسين ﷺ الذي كان يلبسه على صدره فقط، فقد أخذه «عمر ابن سعد»، وأخذ «مالك بن نمير» درعاً آخر للإمام ولبسه، وقد روي أنه جنّ بعد ذلك.

وأخذ «قيس بن أشعث»^٢ قطيفة الإمام الخاصة التي كان يجلس عليها، ولذلك اشتهر بـ «قيس القطيفة»، ويروي الخوارزمي، أن هذا الرجل ابتلي بمرض الجذام وقد تركه أهل بيته وحيداً.

وأخذ «الأسود بن خالد» نعليه.

وأما «بجدل بن سليم الكلبي» فقد قطع اصبع الإمام ﷺ وسلب خاتمه، ويروي السيد ابن طاووس أن هذا الخاتم ليس من ذخائر النبوة الذي أعطاه الإمام إلى ولده علي بن الحسين ﷺ.

أمّا سيف الإمام ﷺ فقد أخذه «جُميع بن خلق» أو «الأسود بن حنظلة»، وهذا السيف غير سيف ذي الفقار الذي يعتبر من ذخائر الإمامة^٣.

١. الملهوف (اللهوف)، ص ١٧٨.

٢. مقتل الحسين، أبي مخنف، ص ٢٠٠.

٣. أنظر: الكامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ٧٨؛ إرشاد المفيد، ص ٦٨؛ الملهوف (اللهوف)، ص ١٧٧-١٧٩؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٢ و ٥٧-٥٨؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٢٨٤-٢٨٥.

وفي الواقع أنّ هؤلاء كانوا يفتخرون بأنّهم سلبوا بعض مختصات الإمام الحسين (عليه السلام)، ولكن هذا الافتخار لم يمكث طويلاً حتى تبدل إلى ندم وخزي لجميع هؤلاء الجناة والمجرمين، إنّ ظاهرة نهب السلاح والثياب وقعت لجميع الشهداء في كربلاء، بحيث إنّ جيش أهل الكوفة جعلوا أجساد هؤلاء الشهداء عراة في صحراء كربلاء^١.

١٣٢. نهب الخيام

ثم إنّ جيش أهل الكوفة بقيادة «شمر» حاصر خيام الحسين، فأمرهم شمر بالدخول إلى الخيام ونهب جميع ما فيها، فلما سمع أرذال أهل الكوفة هذا الأمر تسابقوا للهجوم على مخيم الحسين (عليه السلام) وأخرجوا بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذرية فاطمة الزهراء (عليها السلام) من الخيام وهم في حالة يرثى لها من البكاء والعويل.

وكان الأعداء يأخذون كل ما يجدونه في مخيم الحسين (عليه السلام) حتى أنّ أحدهم جاء إلى أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (عليها السلام) ومدّ يده وسحب قرطها وخرم أذنّها^٢. ونظر رجل من جيش عمر بن سعد إلى جارية صغيرة للإمام الحسين (عليه السلام) وفي رجليها خلخالان من ذهب فجعل ينزع الخلخالين من رجليها وهو يبكي، فقالت له: ما يبكيك يا عدوّ الله؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقالت: فاطمة بنت الحسين (عليها السلام): لا تسلبني. قال: أخاف أن يجيء غيري فيأخذه!^٣

ونقرأ في رواية: أنّ جيش عمر بن سعد عندما هجم على مخيم الحسين (عليه السلام) صاحت الحوراء زينب (عليها السلام): يا عمر بن سعد، إذا كنت تريد المال والزينة للنساء فنحن نعطيك إياها فامنع رجالك لا يمدوا أيديهم إلى حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت

١. انظر: بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٧٩.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٦٠؛ مقتل الحسين، المقمم، ص ٣٠٠.

٣. أمالي الصدوق، المجلس ٣١، ح ٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨٢.

الحوراء زينب عليها السلام قد ارتدت ثوباً خلقاً وأمرت النسوة أن يجمعن كل ما لديهن من زينة ومال في مكان واحد، فأخرجن بنات الرسالة ما يرتدين من زينة حتى أن فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام كانت جديدة العهد بالزواج، وكان لديها أقراط من أبيها الحسين عليه السلام، فخافت عمتها زينب أن تمتد إليها يد الرجال الأجانب ويأخذونها منها فلم تسمح لها بالاحتفاظ بها، واجتمع النسوة والأطفال في زاوية من الخيمة، فقالت الحوراء زينب للأعداء: كل من يريد أن يأخذ من أموال بنات علي وفاطمة عليهما السلام فليأخذ منها، فجاء بعض الأعداء ونهبوا جميع محتويات المخيم^١.

وفي هذه الأثناء، كانت امرأة من قبيلة بكر بن وائل مع زوجها في جيش عمر بن سعد، فلم تتحمل هذه المرأة ما رآته من انتهاك لحرمة الرسالة وأهل بيت النبوة وتحركت للدفاع عن بنات الرسالة وأخذت سيفاً ونادت رجال قبيلتها فقالت: «يَا آلَ بَكْرٍ أَتُسَلِّبُ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ! لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، يَا لثَارَاتِ رَسُولِ اللَّهِ». فجاء زوجها وأعادها إلى مكانها^٢.

وكانت هذه أول صرخة للطلب بثار تلك الدماء الزكية التي سفكت في كربلاء، وقد روي عن فاطمة بنت الحسين عليها السلام: كنت واقفة بباب الخيمة وأنا أنظر إلى أبي وأصحابه مجزّرين كالأضاحي على الرمال والخيول على أجسادهم تجول وأنا أفكر فيما يقع علينا من بعد أبي من بني أمية، أيقتلونا أو يأسروننا؟ فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه وهنّ يلذن بعضهنّ ببعض وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة وهنّ يصحن: «وَأَجِدَّاهُ وَأَبْنَاهُ، وَاعْلِيَّاهُ، وَاقِلَّةُ نَاصِرَاهُ وَاحْسَنَاهُ، أَمَّا مِنْ مُجَبِّرٍ يُجَبِّرُنَا، أَمَّا مِنْ ذَائِدٍ يَذُودُ عَنَّا».

قالت فاطمة الصغرى عليها السلام: فطار فؤادي وارتعدت فجعلت أجيل بطرفي يمينا وشمالاً أبحث عن عمتي أم كلثوم خشية منه أن يأتييني.

١. انظر: أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٢٠٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٨؛ نفس المهموم، ص ٢٠١-٢٠٢.

فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بالرجل قد قصدني ففررت منهزمة وأنا أظنّ أنني أسلم منه وإذا به قد تبعني فذهلت خشية منه وإذا بكعب الرمح بين كتفي، فسقطت على وجهي فانخرم أذني وأخذ قرطي ومقنعتي وترك الدماء تسيل على خدي ورأسي تصهره الشمس وولّى راجعاً إلى المخيم وأنا مغشيّ عليّ، وإذا أنا بعمتي عندي تبكي وهي تقول:

«قُومِي نَمْضِي مَا أَعْلَمُ مَا جَرَى عَلَى الْبَنَاتِ وَأَخِيكَ الْعَلِيلِ، قُفْمْتُ وَقَلْتُ: يَا عَمَّتَاهُ! هَلْ مِنْ خِرْقَةٍ أُسْتَرُّ بِهَا رَأْسِي».

فقالَت عَمَّتِي زَيْنَبُ عليها السلام: «يَا بِنْتَاهُ! وَعَمَّتُكِ مِثْلُكِ» فرأيت رأسها مكشوفة ومتنها قد إسودّ من الضرب^١.

١٣٣. الهجوم على خيمة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

ثم إنَّ الشمر هجم على خيمة الإمام الحسين عليه السلام ومعه جماعة من الجيش وكان الإمام زين العابدين عليه السلام مستلقياً على فراشه من شدة المرض، فقال بعضهم لشمر: ألا نقتل هذا المريض؟

يقول حميد بن مسلم الذي يروي وقائع عاشوراء، فقلت: سبحان الله! ما معني قتل المرضى من الصبيان، وبكفيه ما به. وما زلت به أدافع عنه حتى انصرفوا^٢.

وفي رواية أخرى أنَّ الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام، لما رأت شمراً ورفاقه يريدون قتل علي بن الحسين عليه السلام قالت: «لا تقتلوه إلا وأنا معه» فاضطروا أن يتركوه وغضوا النظر عن قتله^٣.

وفي هذه الأثناء جاء عمر بن سعد إلى الخيام، فصاحت عليه النسوة وشكوا ممّا

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٦٠-٦١؛ مقتل الحسين، المقدم، ص ٣٠٠.

٢. إرشاد المفيد، ص ٤٦٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٦١.

٣. مقتل الحسين، المقدم، ص ٣٠١.

واجهته من أذى من جيشه، فقال عمر بن سعد: ألا لا يدخلن أحد بيوت النسوة، ولا يتعرض أحد لهذا الغلام المريض (الإمام زين العابدين عليه السلام). وطلبت النسوة من عمر بن سعد إعادة ثيابهن ليتسترن به، فقال عمر بن سعد مخاطباً جيشه: ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه. يقول حميد بن مسلم: فوالله ما ردّ واحد منهم شيئاً غير أنهم كفّوا^١.

١٣٤. حرق الخيام

ومن الحوادث المفجعة التي وقعت في غروب عاشوراء، حرق الخيام، وهذه الحادثة المؤلمة وقعت عندما كانت أجساد الشهداء للإمام الحسين وأصحابه متناثرة في الصحراء، وقبل ذلك أغار الجيش على الخيام وسلب ما فيها من ثياب وزينة للنساء من آل بيت الرسول ﷺ، وقد شهدت الشمس في ذلك اليوم حوادث عجيبة فأسرعت إلى المغيب وأسدل الليل بظلاله على تلك المنطقة، وبقي آل بيت الرسول ﷺ بهذه الحالة المؤلمة، وهجم الأعداء على المخيم لغرض حرق الخيام في حين وقف أحد أفراد جيش ابن سعد يقول: «أَحْرِقُوا بُيُوتَ الظَّالِمِينَ!!». وأسرعت النار في الخيام وسرعان ما تحولت الخيام إلى حطام ورماد وخرجت بنات رسول الله ﷺ من الخيام هرباً من النيران ولاذ بعض صغار الأيتام بعمّتهم الحوراء زينب عليها السلام والبعض الآخر فرّوا إلى الصحراء واختفوا عن الأنظار، بعضهم أخذ يستغيث بالأعداء القساة ويتوسل إليهم لعلهم ترق قلوبهم وتتحرك عواطفهم. إنّ استعراض هذه الذكرى المؤلمة كانت تثير الحزن والغم لآل البيت عليهم السلام وكان الإمام زين العابدين عليه السلام عندما يتذكر حوادث عاشوراء يبكي ويقول: «وَاللّهِ مَا نَظَرْتُ إِلَى عَمَّاتِي وَأَخَوَاتِي إِلَّا وَخَنَقْتَنِي الْعَبْرَةُ وَتَذَكَّرْتُ فِرَارَهُنَّ مِنْ حَيْمَةِ إِلَى

١. إرشاد المفيد، ص ٤٦٩؛ مقتل الحسين أبي مخنف، ص ٢٠١؛ الكامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ٧٩، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٦١.

خَيْمَةٍ، وَالْمُنَادِي يُنَادِي: أَحْرِقُوا بُيُوتَ الظَّالِمِينَ»^١.

وكذلك سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا عندما يتذكرون حادثة احراق خيام الإمام الحسين عليه السلام فإنهم يشعرون بالحزن والألم.

ونقرأ في رواية أنّ المنصور الدوانيقي عندما أمر باحراق بيت الإمام الصادق عليه السلام جاء بعض الشيعة إلى الإمام فرآه باكياً حزيناً فسأله عن ذلك فقال: «لَمَّا أَخَذَتِ النَّارُ مَا فِي الدَّهْلِيزِ نَظَرْتُ إِلَى نِسَائِي وَبَنَاتِي يَتَرَاكُضْنَ فِي صَحْنِ الدَّارِ مِنْ حُجْرَةٍ إِلَى حُجْرَةٍ وَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، هَذَا وَأَنَا مَعَهُنَّ فِي الدَّارِ فَتَذَكَّرْتُ فِرَارَ عِيَالِ جَدِّي الْحُسَيْنِ عليه السلام يَوْمَ عَاشُورَا مِنْ خَيْمَةٍ إِلَى خَيْمَةٍ وَمِنْ خِباءٍ إِلَى خِباءٍ»^٢.

❦❦❦

إنّ حرق خيام النساء والأطفال الصغار يحكي عن أنّ غرض العدو القضاء على ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وطمس معالم الرسالة، وهذه الحوادث تشير إلى قساوة قلوب هؤلاء الأعداء وشدة مظلومية أهل البيت عليهم السلام، والحمد لله على أنّ هذه الأعمال الوحشية والسلوكيات المجرمة قد كشفت القناع عن نيّاتهم المشؤومة وفضحتهم أمام الملأ والتاريخ.

١٣٥. هجوم الخيل على جسد الإمام الحسين عليه السلام

وقد ورد أنّ عبيدالله بن زياد أمر عمر بن سعد أن يوطئ جسد الحسين بالخيّل بعد استشهاده عليه السلام، ومن أجل التقرب أكثر لابن زياد والحصول على حكومة الري لم يمتنع عمر بن سعد عن ارتكاب أية جريمة، فنادى في أصحابه: «مَنْ يَنْتَدِبُ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام فَيُوطِئِ الْخَيْلَ صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ»^٣ فتقدم شمر بن ذي الجوشن الذي كان

١. انظر: حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج ٣، ص ٢٩٨-٢٩٩.

٢. مأساة الحسين، ص ١١٧.

٣. مقتل الحسين، المقزم، ص ٣٠٢.

قاسي القلب إلى انجاز هذا الأمر وأمر عشرة أشخاص آخرين بأن يتبعونه لرض صدر الحسين وجسده بالخيول، وهم:

١. إسحاق بن حُويّة. ٢. هاني بن ثُبَيْت الحضرمي. ٣. واعظ بن ناعم. ٤. أُسيد ابن مالك. ٥. حكيم بن طفيل الطائي. ٦. أخنس بن مَرْتَد. ٧. عمرو بن صُبَيْح. ٨. رجاء بن مُنْقِذ العبدى. ٩. صالح بن وهب. ١٠. سالم بن خيثمة.
- وبقيت الخيل تجول على جسد الحسين عليه السلام وبدنه وكسرت عظامه وضلوعه، ولم يمتنع هؤلاء القساة من هذا العمل الشنيع بل إنهم كانوا يفتخرون بذلك وطلبوا جائزة على هذا العمل، بحيث إن أُسيد بن مالك، وهو أحدهم وقف أمام ابن زياد وقال:

نَحْنُ رَضَضْنَا الصَّدْرَ بَعْدَ الظَّهْرِ
بِكُلِّ يَغُوبٍ شَدِيدِ الْأَسْرِ

ولكن على خلاف توقعاتهم فإنّ ابن زياد لم يعطهم جائزة على هذا العمل. وعندما استولى المختار على الكوفة بعد ذلك اعتقل هؤلاء الأشخاص وضرب أرجلهم بالمسامير على الأرض وأمر الخيالة أن يسحقوهم بأرجل الخيل حتى هلكوا^١.



هذه هي الحالة الوحشية والقساوة التي كانت في عصر الجاهلية لدى حكام بني أمية الذين كانوا بقايا حكام الجاهلية، وقد عادت هذه الحالة والظاهرة الشنيعة إلى أجواء المجتمع الإسلامي وقلما حدثت مثلها في التاريخ، فليت هؤلاء الجناة المجرمين كانوا موجودين اليوم ليروا المرقد النوراني لذلك الإمام الهمام ويروا زوّاره وما يعكس المرقد الشريف من عزّة وشرف بحيث إنّ ملايين المسلمين في العالم يطعمون في زيارته والتبرك به.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٩؛ أعيان الشيعة، ج ١، ص ٦١٢.

١٣٦. ارسال رأس الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة

وأرسل عمر بن سعد في عصر يوم عاشوراء رأس الإمام الحسين (عليه السلام) إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة بواسطة «خولي بن يزيد الأصبحي» و«حميد بن مسلم الأزدي» استعجالاً منه في إيصال خبر النصر الظاهري إلى أميره. وأسرع خولي الذي يحمل هذا الخبر العظيم إلى الكوفة ووقف أمام دار الإمارة، فلما رأى الباب مغلقاً اضطر إلى الذهاب إلى بيته ووضع رأس الإمام في طشت عند زوجته «نوار بنت مالك بن عقرب الحضرمي». فسألته «نوار»: ما الخبر؟ فقال: «جئتُك بِغنى الدَّهرِ» هذا رأس الحسين (عليه السلام) في دارك!

فقالت: يا للعجب الناس يأتون لبيوتهم بالذهب والفضة وتأتيني برأس ابن بنت رسول الله ﷺ: «لَا، وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ رَأْسِي وَرَأْسُكَ بَيْتٌ أَبَدًا». قالت هذا وخرجت من الحجرة وشاهدت نوراً ساطعاً من تحت الأجانة إلى السماء وطيور بيضاء ترفرف حولها. وعند الصباح أخذ خولي الرأس المقدس لسيد الشهداء (عليه السلام) إلى قصر الإمارة وقدمه إلى عبيد الله بن زياد^١.

١٣٧. تقسيم رؤوس الشهداء

وكان «عمر بن سعد» قد اشتغل بعد الواقعة إلى ظهر يوم الحادي عشر بدفن أجساد قتلاه من أهل الكوفة، وعندما انتهى من هذا العمل، ترك بدن ابن رسول الله ﷺ وأصحابه في الصحراء تحرقهم حرارة الشمس، وأمر بحمل رؤوس سائر شهداء كربلاء والتوجه بها إلى عبيد الله بن زياد واستلام الجائزة منه، وكان عدد هذه

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٤٨؛ الكامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ٨٠؛ أنساب الأشراف، ج ٣، ص ١١٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٢٥.

الرؤوس الطاهرة مع رأس سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ٧٢ رأساً وقد تم تقسيمها على القبائل كالتالي:

١. قبيلة كندة بقيادة قيس بن كندة، ولهم ثلاثة عشر رأساً.

٢. قبيلة هوازن بقيادة شمر بن ذى الجوشن، اثنا عشر رأساً!

٣. قبيلة تميم، ثمانية عشر رأساً!

٤. قبيلة بني أسد، تسعة رؤوس!

٥. قبيلة مذحج، سبعة رؤوس!

٦. وسائر القبائل، ثلاثة عشر رأساً!١

١٣٨. أسر أهل البيت عليهم السلام

وبعد أن انتهى عمر بن سعد من دفن أجساد قتلى جيشه، أمر عند الظهر من يوم الحادي عشر الجيش بالحركة إلى الكوفة، فحملوا نساء وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحرم الحسيني على الإبل بدون أقتاب وأخذوهم إلى الكوفة يقادون كأسرى الكفار. يقول «ابن عبد ربه» في «العقد الفريد»: وأسرا اثنا عشر غلاماً من بني هاشم، وفيهم محمد بن الحسين، وعلي بن الحسين.٢

ومن جملة النساء اللواتي أخذن أسرى في كربلاء:

زينب الكبرى عليها السلام، أم كلثوم، بنتي فاطمة وأمير المؤمنين عليهما السلام، فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام، سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام، ورقية بنت الإمام الحسين عليه السلام التي

١. أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤١٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٦٢؛ انظر: الملهوف (اللاهوف)، ص ١٩٠. وجاء في الملهوف، أن قبيلة بني أسد حملوا ثلاثة عشر رأساً.

٢. العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٨٥؛ وانظر: مقاتل الطالبين، ص ٧٩.

٣. مقاتل الطالبين، ص ٧٩.

٤. عقد الفريد، ج ٤، ص ٣٨٥.

٥. مقاتل الطالبين، ص ٧٩.

تبلغ من العمر أربع سنوات^١، والرباب بنت امرئ القيس زوجة الإمام الحسين عليه السلام^٢،
ورملة، أم القاسم وزوجة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام^٣.
هؤلاء هم الأسرى من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأطهار الذين لم يحفظ عمر بن سعد
وجيشه حرمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في حقهم، وأخذهم مع جيش يقادون كأسرى
الحرب وهم موثقين بالحبال يقودهم الأجانب إلى الكوفة.

❦❦❦

إنَّ الأسرى في تاريخ الإسلام لم يقع بين المسلمين، والأسرى الذين كانوا
يتواجدون في المجتمع الإسلامي وهم من نتاج الحروب بين المسلمين وغير المسلمين،
وهذا العمل الذي قام به بنو أمية يعتبر أكبر اهانة توجه للمقام الشامخ لذرية رسول
الله صلى الله عليه وآله، ولهذا عندما كانوا يَمْرُون بالأسرى من ذرية الرسول في المدن المختلفة،
فإنَّ أهالي تلك المدن كانوا يتصورون أنَّ هؤلاء الأسرى من الكفار، ولكن عندما كانوا
يعلمون بالحقيقة يرتفع صراخهم واعتراضهم ويتساءلون: هل يعقل أن تؤخذ نساء
وبنات الرسالة أسرى يطاف بهنَّ من بلد إلى بلد وبهذه الحالة التي يرثى لها؟

١٣٩. عبور قافلة الأسرى على مقتل الشهداء

إنَّ من أشد لحظات تاريخ كربلاء صعوبة ومأساوية بحيث ثقلت على جميع
السموات والأرض تتمثل في حالات وداع الأسرى لأجساد الشهداء المقطعة
الملقاة على رمضاء كربلاء، فقد مرَّ الأعداء بالأسرى من ذرية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله
على أجساد الشهداء المقطعة والغارقة في الدماء، وهنا تتخلص مظلومية أبطال هذه
الواقعة وتتجلى عزَّتهم.

١. نفس المهموم، ص ٢٥٩.

٢. كامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ٨٨.

٣. إِبصار العين، ص ١٣٠. ذكر الآخرون أسماء أخريات من النساء التي وقعت بالأسر في كربلاء، (انظر: قصة
كربلاء، ص ٤٠٥-٤٠٦).

وقد ورد في الروايات أنَّ الأسرى هم الذين طلبوا من الأعداء أن يمرّوا بهم على أجساد أعزائهم الشهداء ليودعوهم الوداع الأخير.

وغني عن البيان أنَّ ترك أرض كربلاء في تلك الحالة المؤلمة والموحشة كانت صعبة جداً على هذه المقلوب المتحرقة للنساء والأطفال، وخاصة أنَّ الأعداء دفنوا أجساد موتاهم وتركوا أجساد الشهداء من ذرية الرسول الأكرم ﷺ وأصحاب الحسين ﷺ، ولا سيما الجسد الطاهر لسيد شباب أهل الجنة بدون غسل ولا كفن في صحراء كربلاء، الأعداء الحاقدون لم يقدموا على دفنهم ولا سمحوا لأحد أن يدفنهم.

إنَّ مشاهدة هذه الأجساد المقطعة والتي وطئتها أقدام الخيول بحيث لا يمكن تشخيصها، من شأنها أن تثير في قلب كل ناظر عاصفة من التحرق وتهد كل إنسان رابط الجأش، ولكن السكينة التي تمتعت بها الحوراء زينب بن علي ﷺ أعادت إلى الأذهان صبر واستقامة الإمام علي ﷺ وصلابته في مواجهة التحديات الصعبة التي يفرضها الواقع المتأزم، وقد برز صبر الحوراء زينب ﷺ وعظمتها في كلماتها المعبرة حيث كسرت ذلك الفضاء الثقيل الذي كان يخيم على قلوب آل الرسول ﷺ. وعندما وقعت أنظار نساء آل البيت ﷺ على الأجسام المقطعة ارتفع صراخهن واشتدَّ عويلهنَّ وأخذن يلطمن على الخدود^١.

ولما كانت الحوراء زينب ﷺ تدرك أنَّ العدو يراقب حركات الأسرى وهو مستعد لإظهار السماتة لدى رؤية أدنى ضعف واهتزاز وندم في سلوكيات أهل بيت النبوة، فإنَّها عندما نظرت إلى جسد أخيها الحسين ﷺ المضرج بالدماء، رفعت يديها إلى السماء وقالت: «اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ هَذَا الْقُرْبَانَ»^٢.

وهذه العبارة وقعت كالصاعقة على رؤوس الأعداء وفضحتهم وأبانت عن

١. نفس المهموم، ص ٢٠١؛ مقتل الحسين، المقدم، ص ٣٠٦.

٢. مقتل الحسين، المقدم، ص ٣٠٧.

وجههم القبيح.

يقول الراوي: لا أنسى أبداً كلمات بنت فاطمة الزهراء عليها السلام، فأبكت والله كل عدو وصديق^١.

قالت الحوراء زينب عليها السلام بقلب مجروح وصوت حزين:
وَأُمَحِّمَدَاهُ! صَلِّ عَلَىكَ مَلِيكَ السَّمَاءِ، هَذَا حُسَيْنٌ مُرَمَّلٌ بِالدِّمَاءِ، مُقَطَّعُ
الْأَعْضَاءِ، يَا مُحَمَّدَاهُ! بَنَاتُكَ سَبَايَا وَذُرِّيَّتُكَ مُقَتَّلَةٌ، تَسْفِي عَلَيْهَا رِيحُ الصَّبَا، هَذَا
حُسَيْنٌ بِالْعَرَاءِ، مَحْزُوزُ الرَّأْسِ مِنَ الْقَفَا، مَسْلُوبُ الْعِمَامَةِ وَالرِّدَاءِ^٢.
فأبكت بذلك كل عدو وصديق^٣.

لقد كان الجميع يعيش حالة الاضطراب والتوتر، وعلى حدّ تعبير دعبل الخزاعي
شاعر أهل البيت عليه السلام:

كَيْفَ الْقَرَارُ؟ وَفِي السَّبَايَا زَيْنَبُ تَدْعُو بِقَرْطِ حَرَارَةٍ يَا أَحْمَدُ
هَذَا حُسَيْنٌ بِالسِّيُوفِ مُبَضَّعٌ مُتَخَضَّبٌ بِدِمَائِهِ مُسْتَشْهِدٌ^٤

واستمرت الحوراء زينب عليها السلام في نطقها في تلك الحالة العجيبة وقالت:
«بِأَبِي مَنْ [أَضْحَى] عَسْكَرُهُ فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ نَهْبًا، بِأَبِي مَنْ فُسْطَاطُهُ مُقَطَّعُ
الْعُرَى، بِأَبِي مَنْ لَا هُوَ غَائِبٌ فَيُرْتَجَى وَلَا جَرِيحٌ فَيُداوَى، بِأَبِي مَنْ نَفْسِي لَهُ الْفِدَاءُ،
بِأَبِي الْمَهْمُومَ حَتَّى قَضَى، بِأَبِي الْعَطْشَانَ حَتَّى مَضَى، بِأَبِي مَنْ شَيْبَتُهُ تَقْطُرُ

١. الكامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ٨١؛ الملهوف (اللهوف)، ص ١٨٠-١٨١.

٢. انظر: أنساب الأشراف، ج ٣، ص ٤١١؛ الملهوف (اللهوف)، ص ١٨٠-١٨١؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٨؛ مقتل الحسين المقتوم، ص ٣٠٧.

٣. الكامل، لابن الأثير، ج ٤، ص ٨١؛ مقتل الحسين، المقتوم، ص ٣٠٧.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٤٣.

٥. نظراً للقول المشهور من أنّ حادثة عاشوراء وقعت يوم الجمعة، فإن قول الحوراء زينب عليها السلام بأنّه يوم اثنين لعله إشارة إلى حادثة السقيفة التي وقعت يوم الاثنين، والمراد أنّ حادثة كربلاء هي نتيجة لما وقع قبل خمسين سنة من التأمّر على الإسلام والمسلمين في السقيفة.

بِالدِّمَاءِ»^١.

وكادت القلوب أن تنخلع من الصدور والدموع المنهمرة لم تدع لأحد مجالاً للاستقرار، وخاصة عندما سمعوا زينب تخاطب جدّها رسول الله ﷺ وتقول:
«يَا حُرْنَاهُ! يَا كَرْبَاهُ! الْيَوْمَ مَاتَ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ، يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدَاهُ! هُوَ لَأٍ ذُرِّيَّةُ الْمُصْطَفَى، يُسَاقُونَ سَوْقَ السَّبَايَا»^٢.

وهنا تقدمت سكينه إلى جسد أبيها الحسين ﷺ وألقت بنفسها عليه واحتضنته تودعه وكلما حاولوا رفعها وفصلها عن الجسد الطاهر لم يتمكنوا، فجاءت جماعة من الأعراب كما تقول الرواية وجروها عن الجسد الشريف: (ثُمَّ إِنَّ سَكِينَةَ اعْتَنَقَتْ جَسَدَ الْحُسَيْنِ ﷺ فَاجْتَمَعَ عِدَّةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ حَتَّى جَرُّوْهَا عَنْهُ)^٣.
ويروى عن سكينه أنها قالت: بينما كنت في تلك الحال (وكانه أغمي عليها) سمعت صوت أبي يقول:

شِبْعَتِي مَا إِنَّ شَرِبْتُمْ عَذْبَ مَاءٍ فَأَذْكُرُونِي
أَوْ سَمِعْتُمْ بِغَرِيبٍ أَوْ شَهِيدٍ فَانْدُبُونِي^٤

❦❦❦

وفجأة التفتت الحوراء زينب ﷺ الصابرة إلى علي بن الحسين ﷺ وقد تغير لونه وهو يجود بنفسه تكاد روحه تخرج من بدنه، فتقدمت إليه وقالت: «مَالِي أَرَاكَ تَجُودُ بِنَفْسِكَ يَا بَقِيَّةَ جَدِّي وَأَبِي وَإِخْوَتِي».
فأجابها الإمام زين العابدين ﷺ: «وَكَيْفَ لَا أَجْزَعُ وَأَهْلَعُ وَقَدْ أَرَى سَيِّدِي وَإِخْوَتِي وَعُمُومَتِي وَوَلَدُ عَمِّي وَأَهْلِي مُضَرَّجِينَ بِدِمَائِهِمْ، مُرْمَلِينَ بِالْعَرَاءِ مُسَلَّلِينَ

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٨؛ الملهوف (اللهوف)، ص ١٨١؛ أعيان الشيعة، ج ٧، ص ١٣٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٩.

٣. الملهوف (اللهوف)، ص ١٨١؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٩.

٤. انظر: مصباح الكفعمي، ص ٧٤١؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٠٧-٣٠٨.

لَا يُكْفَنُونَ وَلَا يُوَارُونَ، وَلَا يَعْرُجُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ وَلَا يَقْرُبُهُمْ بَشَرٌ كَأَنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الدِّيْلَمِ وَالْخَزَرِ».

فأجابت الحوراء زينب عليها السلام بجواب عجيب: «لَا يُجْزِعَنَّكَ مَا تَرَى فَوَاللَّهِ إِنَّ ذَلِكَ لَعَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَى جَدِّكَ وَأَبِيكَ وَعَمِّكَ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ أَنَاسٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا تَعْرِفُهُمْ فَرَاغَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ، وَهُمْ مَعْرُوفُونَ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ، إِنَّهُمْ يَجْمَعُونَ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الْمُتَفَرِّقَةَ فَيُوَارُونَهَا، وَهَذِهِ الْجُسُومَ الْمُضَرَّجَةَ وَيَنْصِبُونَ بِهَذَا الطِّفِّ عِلْمًا لِقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ لَا يُدْرَسُ أَثَرُهُ وَلَا يُغْفَى رَسْمُهُ عَلَى مُرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَلَيَجْتَهِدَنَّ أُمَّةُ الْكُفْرِ وَأَشْيَاعُهُمُ الضَّلَالَةِ فِي مَحْوِهِ وَتَطْمِيسِهِ فَلَا يَزِدَادُ أَثَرُهُ إِلَّا ظَهُورًا وَأَمْرُهُ إِلَّا عُلُوءًا»^١.



وهكذا نرى أَنَّ زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام بهذه الصلابة والشجاعة والنبوءة العجيبة أخذت تسلي ابن أخيها وتزيل غبار الهم والحزن عن قلبه بإخبارها عن مستقبل كربلاء وعاشوراء وهو ما نراه اليوم متجسداً أمام أنظار العالمين بعد أربعة عشر قرناً من الزمان، أجل، إِنَّ قلب الحوراء زينب عليها السلام المفعم بالعواطف، والزاهر بالإيمان كان يعلم منذ بداية هذه النهضة بمستقبلها المشرق بالرغم من أَنَّ الأعداء من بني أُمَيَّةٍ والمنافقين كانوا يحسبون أَنَّ هذه الواقعة هي نهاية حركة الرسالة والدعوة الإلهية.

١٤٠. دفن الأجساد الطاهرة

يذكر المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي في «نفس المهموم»: «لم يرد في كتب المعتمدة كيفية دفن الحسين عليه السلام وأصحابه بالتفصيل»^٢.

١. كامل الزيارات، ص ٢٧٤-٢٧٥؛ بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٥٧ و ج ٤٥، ص ١٧٩؛ نفس المهموم، ص ٢١٠؛

مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٠٨.

٢. نفس المهموم، ص ٢١٣.

ولكن حسب الروايات المشهورة أنّ الأجساد الطاهرة بقيت ثلاثة أيام ملقاة على الأرض تحت أشعة الشمس المحرقة، إلى أنّ جاءت طائفة من بني أسد يقطنون في الغاضرية على مقربة من كربلاء إلى هذه المنطقة بعد نزوح جيش عمر ابن سعد عن كربلاء وشاهدوا تلك الأجساد الطاهرة ملقاة في الصحراء مرملة بالدماء. فارتفع العويل والصراخ من نسائهم ورجالهم، وعندما عزموا على دفن الأجساد الطاهرة لم يعرفوا أيّ واحد منها لأنّها كانت بلا رؤوس وبلا ثياب، ولذلك تحيّروا في أمرهم، وفجأة شاهدوا الإمام زين العابدين (عليه السلام) وهو مقبل عليهم من الصحراء فعرفّهم بهؤلاء الشهداء وقام قبل كلّ شيء بدفن الجسد الطاهر لأبيه الإمام الحسين (عليه السلام). وفي جانب من أرض كربلاء عندما أزال الإمام زين العابدين التراب قليلاً عن وجه الأرض فإذا بقبر محفور ولحد مشقوق وقد أعدّ سلفاً، فوضع الإمام زين العابدين (عليه السلام) يده تحت الجسد الطاهر لأبيه سيّد الشهداء (عليه السلام) وحمله لوحده ووضعه داخل القبر وقال: «إِنَّ مَعِيَ مِنْ يُعِينُنِي»، وعندما أنزل الجسد الطاهر في القبر وضع وجهه المبارك على منحر أبيه الحسين وأخذت الدموع تنهمر من عينيه كالمنطر وقال:

«طُوبَى لَأَرْضٍ تَضَمَّنَتْ جَسَدَكَ الطَّاهِرَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا بَعْدَكَ مُظْلِمَةٌ وَالْآخِرَةُ بِنُورِكَ مُشْرِقَةٌ، أَمَّا اللَّيْلُ فَمُسَهَّدٌ وَالْحُزْنُ فَسَرْمَدٌ، أَوْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِأَهْلِ بَيْتِكَ دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ وَعَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

ثم إنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) خرج من القبر وأهال التراب عليه وكتب على القبر: «هَذَا قَبْرُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي قَتَلُوهُ عَطَشًا غَرِيبًا».

ثم دفن البدن الطاهر لأخيه علي الأكبر (عليه السلام) عند رجلي والده (عليه السلام)، ودفن الأجساد الطاهرة لشهداء كربلاء جميعاً في مقبرة أسفل قدمي الإمام الحسين (عليه السلام) أيضاً^١.

ثم إلتفت الإمام السجاد إلى بني أسد وقال: انظروا هل بقي أحد، فقالوا: نعم، يا

١ . انظر: إرشاد المفيد، ص ٤٧٠-٤٧١؛ مقتل الحسين، المقدم، ص ٣٢٠.

أخا العرب بقي بطل مطروح على المسنّة وحوله جثتان وكلّما حملنا جانباً منه سقط الآخر لكثرة ضرب السيوف والسهام، فقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): امضوا بنا إليه.

فلما رآه انكبّ عليه يقبّله وهو يقول: «عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَا يَا قَمَرَ بَنِي هَاشِمٍ وَعَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ مِنْ شَهِيدٍ مُحْتَسِبٍ وَرَحْمَةً اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»^١.

وجاء في خبر آخر: فلما فرغ الإمام السجاد (عليه السلام) مع بني أسد في مواراة الأبدان الطاهرة لشهداء كربلاء مشى إلى جثة العباس بن علي (عليه السلام) فانحنى عليها وجعل ينتحب ويقول:

«يا عمّاه ليتك تنظر حال الحرم والبنات وهنّ يُنادين واعطشاهُ واغربتاه».

ثم إن بني أسد دفنوا رئيس قبيلتهم «حبيب بن مظاهر» في الموقع الذي فيه القبر الآن^٢.

وهنا يثار هذا السؤال: كيف جاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى كربلاء وهو أسير في الكوفة؟

لقد وردت روايات كثيرة تقرر هذه الحقيقة على أساس المباني العقائدية للشيعة وهي أنّ المتولّي لتغسيل وتكفين كلّ إمام هو الإمام الذي يأتي بعده، ومن ذلك ما ورد في رواية الإمام الرضا (عليه السلام) في الإشارة إلى هذا المعنى في جوابه لعليّ بن حمزة الذي قال: إنّنا رؤينا عن آبائك (عليه السلام) أنّ الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله. فقال أبو الحسن الرضا (عليه السلام): «فأخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً أو كان غير إمام؟».

قال ابن حمزة: كان إماماً.

فقال الإمام الرضا (عليه السلام): «فمن وليّ أمره؟».

١. مقتل الحسين، المقدم، ص ٣٢٠؛ إرشاد المفيد، ص ٤٧١.

٢. قصة كربلاء، ص ٤١٨.

قال: عليّ بن الحسين.

قال الإمام الرضا (عليه السلام): «وَأَيْنَ كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ؟»

قال ابن حمزة: كان محبوساً في يد عبيد الله بن زياد. ثم قال: خرج وهم لا يعلمون حتّى ولي أمر أبيه ثم انصرف.

فقال أبو الحسن الرضا (عليه السلام): «إِنَّ هَذَا أَمَكَنَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) أَنْ يَأْتِيَ كَرْبَلَاءَ فَيَلِيَّ أَمْرَ أَبِيهِ، فَهُوَ يُمَكِّنُ صَاحِبَ الْأَمْرِ أَنْ يَأْتِيَ بَغْدَادَ فَيَلِيَّ أَمْرَ أَبِيهِ (موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)) ثُمَّ يَنْصَرِفُ وَلَيْسَ فِي حَبْسٍ وَلَا فِي أَسَارٍ»^١.

❦❦❦

وتمضي الشهور والسنين على هذه الحادثة المفجعة والدامية، الحادثة التي تبلورت فيها من جهة جميع القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية، ومن جهة أخرى تجسّدت فيها جميع معالم الوحشية والبربريّة في الطرف المقابل، ولكن على العكس ممّا تصوّره الجيش المنتصر في كربلاء، فكّلما مرّ الزمان على هذه الواقعة الأليمة تبيّنت آثار هزيمة الطرف المنتصر عسكرياً وتجلّت ملامح الانتصار الحقيقي للحسين وأصحابه المخلصين.

وهذه الحادثة، وخلافاً للحوادث الطبيعية الواقعة في التاريخ البشريّ التي يصير فيها الجديد قديماً ويطوى سجلّ الحوادث القديمة في زاوية النسيان، فإنّ هذه الحادثة تزداد إشراقاً في كلّ يوم وتتجدّد على مرور السنين والدهور، إلى أن أضحت نموذجاً يقتدى به وأسطورة خالدة تعكس معالم العزّة والشرف لحياة الأمّة وتفرض على الوعي العام حقيقة أنّ الموت مع العزّة أشرف وأفضل من الحياة مع الذلّة، وهكذا كسبت هذه القضية صبغة الخلود طيلة المسار التاريخي للبشرية.

وكيف لا تكون كذلك؟ مع أنّ حياة وشهادة هؤلاء العظماء اقترنت مع المفاهيم الإنسانية الخالدة، أي مفاهيم العزّة، والكرامة، والعدالة، والتصدي للظالمين،

١. بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٢٧٠.

والاستقامة في طريق التضحية من أجل الأهداف المقدسة والسير في خط الرسالة والإيمان والانفتاح على الله.

إنَّ آلاف الكتب والمقالات والقصائد الشعرية التي ألفت وأنشئت على امتداد تاريخ الإسلام تعكس هذه الحقيقة الحاسمة، وهي أنَّ واقعة كربلاء تجسّد في طيّاتها معالم الإيثار والإنسانية لجميع الأجيال البشرية.

وفي عالمنا المعاصر الذي تهيمن عليه قوى الظلم والاستكبار والانحراف التي تسير في خط يزيد وحكومته وترتكب من الجرائم بحق البشرية أكبر بكثير ممّا ترتكبه قوى الظلام في الماضي، فإنَّ طريق النجاة من سيطرة هذه القوى الجائرة والاستكبارية هو طريق الإمام الحسين وأنصاره، فصلوات الله وبركاته في كلّ صباح ومساء على رُؤاد تلك النهضة الإلهية.



٢

من كربلاء إلى المدينة

١. دخول السبايا إلى الكوفة

يروى السيد ابن طاووس: سرح عمر بن سعد في يوم العاشر رأس الحسين عليه السلام مع «خولي بن يزيد الأصبحي» و «حميد بن مسلم الأزدي» إلى الكوفة لعبيد الله ابن زياد، وبعد ذلك أرسل بقية الرؤوس مع «شمر بن ذي الجوشن» و «قيس بن الأشعث» و «عمر بن الحجاج» إلى الكوفة.

وبقي عمر بن سعد إلى ظهر يوم الحادي عشر في كربلاء ثم ترك كربلاء إلى الكوفة مع أسرى الحرم الحسيني.

وكانوا قد أرسلوا النسوة على الإبل بدون أقتاب وبلا ثياب مناسبة فكانوا يقادون بين الأعداء كما تقاد أسرى بلاد الكفر، وفي حالة يرثى لها.

وعندما اقتربت قافلة الأسرى من الكوفة تجمع أهالي الكوفة للتفرّج عليهم، وأشرفت امرأة من الكوفيات من سطح دارها فقالت: «مِنْ أَيِّ الْأُسَارَى أَنْتُنَّ؟» فقلن: «نَحْنُ أُسَارَى آلِ مُحَمَّدٍ».

فلما سمعت هذا الكلام نزلت من سطحها فجمعت لهنّ أثواباً وأزراً ومقانع وأعطتهنّ فتغطّين بها.

ولمّا نظر أهل الكوفة إلى المظلومين من سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله جعلوا ينوحون ويبكون.

فلمّا رأى الإمام زين العابدين عليه السلام بكاءهم ونحيبهم، قال: «اتَّوَحُّونَ وَتَبْكُونِ مِنْ أَجْلِنَا، فَمَنْ الَّذِي قَتَلَنَا؟»^١.

١. الملهوف (اللاهوف)، ص ١٨٩-١٩٢ (مع تلخيص).

٢. الصدقة حرام علينا!

ويقول رجل يدعى «مسلم الجصاص»: دعاني ابن زياد لإصلاح دارالإمارة بالكوفة، فبينما أنا أجصص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا، فقلت: ما لي أرى الكوفة تضج؟ قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد. فقلت: من هذا الخارجي؟ فقال: الحسين بن علي عليه السلام. قال مسلم الجصاص: فتركت الخادم حتى خرج ولطمت وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهب، وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناسة.

فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس، إذ قد أقبلت نحو أربعين شقة تحمل على أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة، وإذا بعلي ابن الحسين عليه السلام على بعير بغير وطاء، وأوداجه تشخب دماً وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يَا أُمَّةَ الشُّوءِ لَا سُقْيَا لِرَبِّعِكُمْ	يَا أُمَّةً لَمْ تُرَاعَ جَدَّنَا فِيْنَا
لَوْ أَنَّنَا وَرَسُولُ اللَّهِ يَجْمَعُنَا	يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَا؟
تُسَيِّرُونَا عَلَى الْأَقْتَابِ غَارِيَّةً	كَأَنَّنَا لَمْ نُشَيِّدْ فِيكُمْ دِينَا
بَنِي أُمِّيَّةَ مَا هَذَا الْوُقُوفُ عَلَى	تِلْكَ الْمَضَائِبِ لَا تُلْبُونَ ذَاعِينَا
تُصَفَّقُونَ عَلَيْنَا كَفَّكُمْ فَرَحاً	وَأَنْتُمْ فِي فِجَاجِ الْأَرْضِ تَسْبُونَا
أَلَيْسَ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ وَيَلَكُمْ	أَهْدَى الْبَرِّيَّةِ مِنْ سُبُلِ الْمُضِلِّينَا
يَا وَقْعَةَ الطَّفِّ قَدْ أَوْرَثْتَنِي حَزْناً	وَاللَّهُ يَهْتِكُ أَسْتَارَ الْمُسِيئِينَ

قال مسلم الجصاص: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال والذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أم كلثوم عليها السلام: «يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَيْنَا حَرَامٌ»^١.

١. نعلم أن الصدقات على قسمين: صدقات مستحبة وصدقات واجبة، وهي التي يعبر عنها بالزكاة، والثاني من

كل ذلك والناس سيكون على ما أصابهم، ثم إنَّ أمَّ كلثوم عليها السلام أطلعت رأسها من المحمل، وقالت لهم:
 «صَهْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، تَقْتُلُنَا رِجَالُكُمْ، وَتَبْكِينَا نِسَاؤُكُمْ؟ فَالْحَاكِمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
 اللَّهُ يَوْمَ فَضْلِ الْقَضَاءِ».

فبينما هي تخاطبهنَّ وإذا بضجّة قد ارتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمها رأس
 الحسين عليه السلام، وهو رأس أزهريّ قمريّ أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله ولحيته كسواد السبع.
 فالتفتت أم كلثوم «زينب» عليها السلام فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدّم المحمل
 حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها وأومأت إليه بخرقه وأشارت بحرقه إلى
 رأس أخيها وأخذت تقول :

يَا هِلَالاً لَمَّا اسْتَمَّ كَمَالاً	غَالَهُ خَسْفُهُ فَأَبْدَا غُرُوبَا
مَا تَوَهَّمْتُ يَا شَقِيقَ فُؤَادِي	كَانَ هَذَا مُقَدَّرًا مَكْتُوبَا
يَا أَخِي! فَاطِمَ الصَّغِيرَةَ كُلَّمَهَا	فَقَدْ كَادَ قَلْبُهَا أَنْ يَذُوبَا ^١



عندما نلقي نظرة عابرة على هذه الوقائع المفجعة والمحنة فسوف تتجلى لنا هذه
 الحقيقة، وهي أنَّه على رغم ما بذله الأعداء من إشاعات واعلام مسموم لقلب الحقائق
 في نهضة كربلاء وإشاعة أنَّ هؤلاء زمرة من الخوارج المحاريين للإسلام، إلَّا أنَّه
 سرعان ما تجلّت الحقيقة وزالت أشكال الوهم والزيّف وأدرك أهل الكوفة عظمة
 الجريمة التي وقعت على مقربة من مدينتهم فاستولى عليهم الحزن والاضطراب بحيث
 إنَّ الكوفة تبدّلت إلى مأتم وتحركت المشاعر الحميمة لمواساة هؤلاء الأبطال
 وانغرست بذرة الثورة منذ ذلك الوقت ضد الحكومة الطاغية.

→ هذين القسمين من الصدقات حرام على أبناء فاطمة، وكان أهل الكوفة أعطوا لأبناء آل الرسول من هذه
 الصدقات التي كانوا قد خصّصوها للفقراء والمساكين، وهذا هو ما حمل أم كلثوم عليها السلام على الاعتراض.
 ١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١١٤-١١٥ (مع اختلاف يسير)

٣. الخطبة التاريخية لزينب الكبرى عليها السلام في الكوفة

يقول حُذَيْم بن شريك الأسدي^١: نظرت إلى زينب بن علي عليها السلام يومئذ ولم أر خَفِرَةً والله أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس ثم قالت:

الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار أمّا بعد:

يا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يا أَهْلَ الْخَتَلِ وَالْعَدْرِ وَالْخَذَلِ وَالْمَكْرِ، أَلَا فَلَا رَقَاتِ الْعَبْرَةَ وَلَا هَدَاتِ الزُّفْرَةَ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ، هَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصِّلَفُ وَالْعُجْبُ وَالشَّنَفُ وَالْكَذِبُ وَمَلَقُ الْإِمَاءِ وَغَمْرُ الْأَعْدَاءِ، أَوْ كَمَرَعَى عَلَى دِمْنَةٍ، أَوْ كَفَضَةٍ عَلَى مَلْحُودَةٍ، أَلَا بِشَسْ مَا قَدَّمْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ.

أَتَبْكُونَ أَخِي؟! أَجَلُ وَاللَّهِ فَأَبْكُوا فَإِنَّكُمْ أَخْرِيَاءُ بِالْبُكَاءِ، فَأَبْكُوا كَثِيرًا وَأَضْحَكُوا قَلِيلًا، فَقَدْ بُلِيْتُمْ بِعَارِهَا وَمُنِيْتُمْ بِشِنَارِهَا، وَلَنْ تَرْحَضُوهَا أَبَدًا، وَأَنْتَى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتِمِ النَّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَلَاذِ حَرِيمِكُمْ، وَمَعَاذِ حَزْبِكُمْ، وَمَقَرِّ سَلَمِكُمْ، وَآسِي كَلَمِكُمْ، وَمَفَرِّعِ نَارِلَتِكُمْ وَالْمَرْجِعِ إِلَيْهِ عِنْدَ مُقَاتَلَتِكُمْ، وَمَدْرَةِ حُجَجِكُمْ، وَمَنَارِ مَحَجَّتِكُمْ، أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَسَاءَ مَا تَزْرُونَ لِيَوْمِ بَعْنِكُمْ.

فَتَعَسَا تَعَسَا، وَنُكْسَا نُكْسَا، لَقَدْ خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي، وَخَسِرَتِ الصَّفَقَةُ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ. أَتَذْرُونَ وَيْلَكُمْ أَيَّ كَيْدٍ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرِثْتُمْ؟ وَأَيَّ عَهْدٍ نَكُثْتُمْ؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ؟ وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ هَتَكْتُمْ؟ وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؟ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا.

١. ذكر اسمه في الملهوف (اللهوف) «بشير بن خزيم الأسدي».

لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا شَوْهَاءَ صَلْعَاءَ سَوْدَاءَ فَقَمَاءَ خَرْقَاءَ كَطِلَاعِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ،
أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ تُمْطَرَ السَّمَاءُ دَمًا، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ،
فَلَا يَسْتَحْفِظُكُمُ الْمَهْلُ، فَإِنَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَا يَخْفِزُهُ الْبِدَارُ، وَلَا يُخْشَىٰ عَلَيْهِ فَوْتُ الثَّارِ، كَلَّا
إِنَّ رَبَّكَ لَنَا وَلَهُمْ بِالْمِرْصَادِ».

ثم قرأت زينب الكبرى عليها السلام هذه الأشعار:

مَاذَا تَقُولُونَ إِذْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ مَاذَا صَنَعْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ
بِأَهْلِ بَيْتِي وَأَوْلَادِي وَتَكْرُمَتِي مِنْهُمْ أَسَارَىٰ وَمِنْهُمْ ضُرْجُوا بِدَمِ
مَا كَانَ ذَاكَ جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ أَنْ تُخْلِفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي
إِنِّي لَأُخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ يَحُلَّ بِكُمْ مِثْلُ الْعَذَابِ الَّذِي أَوْدَىٰ عَلَىٰ إِرَمَ

❦❦❦

وبعد هذه الخطبة أعرضت زينب الكبرى عليها السلام بوجهها عن القوم، يقول الراوي:
فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى ييكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم.
وأضاف: «حُذِّيم»: ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحبته
وهو يقول:

«بِأَبِي وَأُمِّي كُھُولُكُمْ خَيْرُ الْكُھُولِ، وَنِسَاؤُكُمْ خَيْرُ النِّسَاءِ، وَشَبَابُكُمْ خَيْرُ الشَّبَابِ،
وَنَسْلُكُمْ نَسْلٌ كَرِيمٌ، وَفَضْلُكُمْ فَضْلٌ عَظِيمٌ».

ثم أنشد هذا البيت:

كُھُولُكُمْ خَيْرُ الْكُھُولِ وَنَسْلُكُمْ إِذَا عُدَّ نَسْلٌ لَا يَجُورُ وَلَا يَخْزَىٰ
والتفت الإمام زين العابدين عليه السلام إلى عمته زينب الكبرى عليها السلام: «يَا عَمَّةُ أَسْكُتِي
فَفِي الْبَاقِي مِنَ الْمَاضِي اعْتِبَارٌ، وَأَنْتِ بِحَمْدِ اللَّهِ غَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلَّمَةٍ، فَهَمَّةٌ غَيْرُ
مُقَهَّمَةٍ».

ثم أضاف: «إِنَّ الْبُكَاءَ وَالْحُزْنَ لَا يَرُدَّانِ مَنْ أَبَادَهُ الدَّهْرُ».

ولما سمعت زينب الكبرى عليها السلام كلام الإمام زين العابدين عليه السلام هدأت وسكتت^١.

❦

وأحد المسائل المحيرة في قصّة كربلاء هو هذه الخطبة الغراء والمثيرة لزينب الكبرى عليها السلام؛ هذه المرأة التي فقدت بالأمس ستّة من إخوتها واثنين من أبنائها وعشرات من أقربائها وأرحامها وأصحاب أبيها وأخيها وهي الآن تساق أسيرة إلى الشام، والمفروض أنّها بهذا الحال من الضعف والمصيبة لا تقدر على الكلام العادي لشدة ما بها من ألم المصاب، ولكننا نرى أنّها تحدّثت للناس كالأسد المقدام وكالعاصفة المدويّة وأخذت تلوم القوم الذين خانوا أخاها الحسين عليه السلام واستطاعت تسخير قلوبهم وعواطفهم وغرست بذرة الثورة ضد حكومة بني أمية الجائرة، فالعجب كلّ العجب من هذه الشهامة الفائقة والروحية العالية ونعلم أنّها بنت علي عليه السلام أسد الله وبنت فاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين.

وإحدى الحماقات العجيبة لبني أمية أنّهم بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه عليهم السلام أخذوا أهل بيته وحرّمه أسرى مع رؤوس الشهداء وطافوا بهم في المدن وفي الشوارع والأزقة ليوصلوا بذلك رسالة عاشوراء العظيمة معهم إلى كافة المناطق حتى أوصلوها إلى قلب عاصمة العدو واستطاعت قافلة الأسرى استنهاض الهمم وإيقاظ الضمائر النائمة ونشر رسالة كربلاء في كلّ مكان، وبذلك أشرقت أكبر حماسة في التاريخ على ربوع المجتمعات البشرية.

❦

١. احتجاج الطبرسي، ج ٢، ص ١٠٩-١١٤. جاء مثلها في الملهوف (اللاهوف)، للسيد ابن طاووس مع اختلاف يسير، (الملهوف (اللاهوف)، ص ١٩٢-١٩٤) وانظر: بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٦٢-١٦٤.

٤. خطبة عجيبة أخرى لفاطمة الصغرى^١

وينقل أحد أبناء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه سمع من أبيه يروي عن آبائه الكرام أن فاطمة الصغرى بعد خروجها من كربلاء أوردت خطبة أمام الناس في الكوفة وقالت:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى، وَزِنَةَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى، أَحْمَدُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ أَوْلَادَهُ ذُبُحُوا بِشَطِّ الْفُرَاتِ مِنْ غَيْرِ دَخَلٍ وَلَا تَرَاتٍ.
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَيْكَ الْكَذِبَ، وَأَنْ أَقُولَ خِلَافَ مَا أَنْزَلْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَخَذِ الْعُهُودِ لَوْصِيَّتِهِ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، الْمَسْلُوبِ حَقَّهُ، الْمَقْتُولِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، - كَمَا قُتِلَ وَلَدُهُ بِالْأُمْسِ^٢ - فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، وَبِهَا مَعْشَرٌ مُسْلِمَةٌ بِالسِّنَتِمْ، تَعْسًا لِرُؤُوسِهِمْ! مَا دَفَعَتْ عَنْهُ ضَيْمًا فِي حَيَاتِهِ وَلَا عِنْدَ مَمَاتِهِ، حَتَّى قَبَضَتْهُ إِلَيْكَ مُحَمَّدُ النَّقِيبَةِ، طَيْبُ الضَّرِيبَةِ، مَعْرُوفُ الْمَنَاقِبِ، مَشْهُورُ الْمَذَاهِبِ، لَمْ تَأْخُذْهُ فِيكَ لَوْمَةٌ لَا ئِمٍّ، وَلَا عَذْلٌ عَاذِلٍ، هَدَيْتَهُ يَا رَبَّ لِلْإِسْلَامِ صَغِيرًا، وَحَمِدْتَ مَنَاقِبَهُ كَبِيرًا، وَلَمْ يَزَلْ نَاصِحًا لَكَ وَلِرَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى قَبَضَتْهُ إِلَيْكَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا غَيْرَ حَرِيصٍ عَلَيْهَا، رَاغِبًا فِي الْآخِرَةِ مُجَاهِدًا لَكَ فِي سَبِيلِكَ،

١. الظاهر أن فاطمة هذه، هي فاطمة بنت الحسين عليه السلام وزوجة الحسن المثنى (ابن الإمام الحسن عليه السلام) وقولها: «كَمَا قَتَلْتُمْ جَدَّنَا بِالْأُمْسِ» في خطبتها يراد منه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو شاهد على هذا الكلام؛ أمّا التعبير بـ«فاطمة الصغرى» فلعله يشير إلى أن للإمام الحسين عليه السلام بنت أخرى تدعى فاطمة وهي أكبر منها ولكن لا دليل من التاريخ على هذا الاحتمال، وعلى هذا الأساس لا يبعد أن هذا الاسم بسبب التماثل الموجود بين فاطمة بنت الحسين وفاطمة الزهراء عليها السلام. كما ذكر ذلك الشيخ المفيد في الإرشاد، ص ٣٦٦، حيث ذكر أن الإمام الحسين عليه السلام قال لابن أخيه الإمام الحسن عليه السلام الذي جاء يطلب يد إحدى بنات الإمام الحسين عليه السلام سكينه أو فاطمة، فقال الإمام: «لقد اخترت لك فاطمة، لأنها تشبه أُمِّي فاطمة»، وعلى هذا الأساس سُميت فاطمة الصغرى بالقياس إلى فاطمة الزهراء عليها السلام.

٢. لابد من الالتفات أن جملة «كَمَا قُتِلَ وَلَدُهُ بِالْأُمْسِ» جملة معترضة وتشير إلى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وجملة «فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ» وبعدها، إشارة إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

رَضِيَّتَهُ فَاخْتَرْتَهُ، وَهَدَيْتَهُ إِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ.
 أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! يَا أَهْلَ الْمَكْرِ وَالْغَدْرِ وَالْخِيَلَاءِ، إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ ابْنَتِنَا اللَّهُ
 بِكُمْ، وَابْنَتِنَاكُمْ بِنَا، فَجَعَلْ بَلَاءَنَا حَسَنًا، وَجَعَلْ عِلْمَهُ عِنْدَنَا وَفَهْمَهُ لَدَيْنَا، فَنَحْنُ عَيْبَةُ
 عِلْمِهِ، وَوِعَاءُ فَهْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَحُجَّتُهُ فِي الْأَرْضِ فِي بِلَادِهِ لِعِبَادِهِ، أَكْرَمَنَا اللَّهُ
 بِكَرَامَتِهِ، وَفَضَّلَنَا بِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا، فَكَذَّبْتُمُونَا وَكَفَرْتُمُونَا،
 وَرَأَيْتُمْ قِتَالَنَا حَلَالًا، وَأَمْوَالَنَا نَهَبًا، كَأَنَّا أَوْلَادُ التُّرْكِ أَوْ كَابُل، كَمَا قَتَلْتُمْ جَدَّنَا
 بِالْأَمْسِ، وَسُيُوفُكُمْ تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لِحَقْدٍ مُتَقَدِّمٍ، قَرَّتْ بِذَلِكَ عُيُونُكُمْ،
 وَفَرِحَتْ بِهِ قُلُوبُكُمْ، أَجْتَرَاءً مِنْكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَمَكْرًا مَكْرَتُمْ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، فَلَا
 تَدْعُونَكُمْ أَنْفُسُكُمْ إِلَى الْجَدَلِ بِمَا أَصَبْتُمْ مِنْ دِمَائِنَا، وَنَالَتْ أَيْدِيكُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا، فَإِنَّ
 مَا أَصَابَنَا مِنَ الْمَصَائِبِ الْجَلِيلَةِ، وَالرَّزَايَا الْعَظِيمَةِ ﴿فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ
 ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
 مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^١.

تَبَّأَ لَكُمْ! فَانْتَظِرُوا اللَّعْنَةَ وَالْعَذَابَ، فَكَأَنَّمَا قَدْ حَلَّتْ بِكُمْ، وَتَوَاتَرَتْ مِنَ السَّمَاءِ
 نَقِمَاتٌ فَيُسْحِتُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ، وَيُذِيقُ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، ثُمَّ تُخَلَّدُونَ فِي الْعَذَابِ
 الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا ظَلَمْتُمُونَا، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ، وَيُكَلِّمُ! أَتَدْرُونَ آيَةَ يَدٍ
 طَاعَتِنَا مِنْكُمْ، أَوْ آيَةَ نَفْسٍ نَزَعَتْ إِلَى قِتَالِنَا، أَمْ بِآيَةِ رَجُلٍ مَشَيْتُمْ إِلَيْنَا؟ تَبْعُونَ
 مُحَارِبَتَنَا! قَسَتْ قُلُوبُكُمْ، وَغَلِظَتْ أَكْبَادُكُمْ، وَطَبَعَ عَلَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَخَتِمَ عَلَى
 سَمْعِكُمْ وَبَصَرِكُمْ، وَسَوَّلَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ، وَأَمْلَى لَكُمْ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِكُمْ غِشَاوَةً
 فَانْتُمْ لَا تَهْتَدُونَ.

تَبَّأَ لَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! كَمْ تَرَاتِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَكُمْ، وَذُحُولِهِ لَدَيْكُمْ، ثُمَّ
 غَدَرْتُمْ بِأَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ جَدِّي، وَبَيْنِهِ عِتْرَةُ النَّبِيِّ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ،
 وَأَفْتَحَرَ بِذَلِكَ مُفْتَحِرٌ فَقَالَ:

١. سورة الحديد، الآية ٢٢.

نَحْنُ قَتَلْنَا عَلِيًّا وَبَنِي عَلِيٍّ بِسُيُوفٍ هِنْدِيَّةٍ وَرِمَاحٍ
 وَسَبَيْنَا نِسَاءَهُمْ سَبِيٍّ تُرْكٍ وَنَطَخْنَاهُمْ فَأَيُّ نِطَاحٍ
 فقالت: بِفِيكَ أَيُّهَا الْقَائِلُ الْكَثْكَثُ، وَلَكَ الْأَثْلُبُ، إِفْتَخَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمٍ زَكَاهُمْ اللَّهُ
 وَطَهَّرَهُمْ، وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ، فَكُظِمَ وَأَقْعَ كَمَا أَقْعَى أَبُوكَ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا
 قَدَّمَتْ يَدَاهُ، حَسَدْتُمُونَا وَيَلَّا لَكُمْ عَلَى مَا فَضَّلَنَا اللَّهُ.
 فَمَا ذَنْبُنَا أَنْ جَاشَ دَهْرًا بُحُورُنَا وَبَحْرُكَ سَاجٍ لَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا
 ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^١، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^٢.
 وبعد أن انتهت فاطمة الصغرى (عليها السلام) من خطبتها سكنت وهدأت صلوات الله عليها
 وعلى أبيها وجدّها^٣.



إنّ خطبة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) كخطبة عمّتها زينب الكبرى (عليها السلام) تذكر بخطبة
 الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الزاخرة بالحماسة والشهامة أمام الأعداء.
 إنّ كلمات هذه الخطبة ذات المضامين العالية والمثيرة للمشاعر والتعابير المفعمة
 بالحيوية والحقّانية لا يتوقع أن تصدر من بنت أسيرة ومفجوعة.
 إنّ هذه الخطب الغراء تتضمن سلسلة من الحقائق التاريخية تكشف الغطاء عن
 أكاذيب ومزاعم أعداء أهل البيت (عليهم السلام) وتعزّيهم عن ادعاءاتهم الواهية وتفضح
 خيانتهم وسوء طويّتهم.
 إنّ هذه الخطب تكشف الستار عن خواء الإعلام المضاد لبني أمية وتجهض
 تأمرهم لسنوات مديدة على الدين وبذلك انقذت الإسلام من خطر شديد كان
 الأعداء وأعوانهم يتربصون به.

١. سورة المائدة، الآية ٥٤؛ والحديد، الآية ٢١؛ الجمعة، الآية ٤.

٢. سورة النور: الآية ٤٠.

٣. الاحتجاج، الطبرسي، ص ١٠٤-١٠٨، كذلك انظر: الملهوف (اللهوف)، ص ١٩٤-١٩٧؛ بحار الأنوار، ج ٥، ص ١١٠-١١١.

وفي الجملة، فهذه الخطب زرعت نبتة الوعي وسقت شجرة الشهادة لشهداء كربلاء، ولولا هذه الخطب الرائعة لم ينتج عمل الشهداء هذا الأثر العظيم والخالد.

٥. خطبة أخرى!

ومن جملة الأشخاص الذين خطبوا في الناس في أهل الكوفة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.
ويذكر المؤرخون أن أم كلثوم رفعت صوتها بالبكاء وأوردت هذه الخطبة، وقالت:

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، سَوَاءَ لَكُمْ! مَا لَكُمْ خَذَلْتُمْ حُسَيْنًا وَقَتَلْتُمُوهُ، وَانْتَهَبْتُمْ أَمْوَالَهُ
وَوَرِثْتُمُوهُ، وَسَيَّيْتُمْ نِسَاءَهُ وَنَكَبْتُمُوهُ؟! فَتَبًّا لَكُمْ وَ سُخْقًا!
وَيَلَّكُمْ، أَتَدْرُونَ أَيَّ دَوَاهٍ دَهَنْتُمْ؟ وَ أَيَّ وَزْرِ عَلَى ظُهُورِكُمْ حَمَلْتُمْ؟ وَ أَيَّ دِمَاءٍ
سَفَكْتُمُوهَا؟ وَ أَيَّ كَرِيمَةٍ أَهْتَضَمْتُمُوهَا؟ وَ أَيَّ صَبِيَّةٍ سَلَبْتُمُوهَا؟ وَ أَيَّ أَمْوَالٍ
نَهَبْتُمُوهَا؟ قَتَلْتُمْ خَيْرَ رِجَالَاتٍ بَعْدَ النَّبِيِّ، وَنَزَعْتَ الرَّحْمَةَ مِنْ قُلُوبِكُمْ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ
اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ.
ثم أنشدت تقول:

قَتَلْتُمْ أَخِي صَبْرًا فَوَيْلٌ لَكُمْ سَتُجْزَوْنَ نَارًا حَرُّهَا يَتَوَقَّدُ
سَفَكْتُمْ دِمَاءَ حَرَّمَ اللَّهُ سَفَكَهَا وَحَرَّمَهَا الْقُرْآنُ ثُمَّ مُحَمَّدٌ
أَلَا فَاْبْشِرُوا بِالنَّارِ إِنَّكُمْ غَدًا لَفِي قَعْرِ نَارٍ حَرُّهَا يَتَصَعَّدُ
وَإِنِّي لَأُبْكِي فِي حَيَاتِي عَلَى أَخِي عَلَى خَيْرٍ مَن بَعْدَ النَّبِيِّ سَيُولَدُ
بِدَمْعٍ غَزِيرٍ مُسْتَهْلٍ مُكْفَكَفٍ عَلَى الْخَدِّ مِنِّي دَائِبٌ لَيْسَ يَجْمَدُ

وهذه الخطبة التي جاءت على لسان إحدى بنات الإمام علي عليه السلام حالها حال الخطبتين السابقتين من حيث كونها زاخرة بالبلاغة والروعة وتنطلق من روحية

١. الملهوف (الملهوف)، ص ١٩٨-١٩٩.

إيمانية شجاعة وتعتبر بمثابة رصاصة النهاية على جسد حكومة بني أمية وغرست في القلوب بذور الثورة على الظلم والظالمين في المستقبل .

❦❦❦

إنّ هذه الخطبة وبهذه البلاغة والمتانة خلّفت أثراً كبيراً في نفوس أهل الكوفة من الرجال والنساء بحيث إنّها خلقت هياجاً واضطراباً في صفوفهم وكأنّهم قد فقدوا أعزّ أعزّتهم، فارتفع العويل والصراخ من أهل الكوفة واضطربت أمواج الحقد والغضب على بني أمية في قلوب الناس، وبدأت صفحة جديدة من تاريخ الإسلام.

٦. خطبة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الكوفة

يقول «حذيم بن شريك الأسدي»: وإلتفت الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى الناس وأمرهم بالسكوت، وسكت الناس وقام الإمام (عليه السلام) وبعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) وقال:

أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَذْبُوح بِشَطِّ الْفُرَاتِ مِنْ غَيْرِ دَخْلٍ وَلَا تَرَاتٍ، أَنَا ابْنُ مَنْ أَنْتَهِكَ حَرِيمُهُ وَ سُلْبُ نَعِيمُهُ وَأَنْتَهِبُ مَالَهُ وَ سُبِّي عِيَالَهُ، أَنَا ابْنُ مَنْ قُتِلَ صَبْرًا، فَكَفَى بِذَلِكَ فَخْرًا. أَيُّهَا النَّاسُ! نَاشِدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ كَتَبْتُمْ إِلَى أَبِي وَ خَدَعْتُمُوهُ، وَأَعْطَيْتُمُوهُ مِنْ أَنْفُسِكُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَالْبَيْعَةَ ثُمَّ فَاتَلْتُمُوهُ وَخَدَلْتُمُوهُ؟ فَتَبَّأَ لَكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ سَوَاءٌ لِرَأْيِكُمْ، بَأَيَّةِ عَيْنٍ تَنْظُرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) إِذْ يَقُولُ لَكُمْ: فَتَلْتُمْ عِثْرَتِي وَأَنْتَهَكْتُمْ حُرْمَتِي فَلَسْتُمْ مِنْ أُمَّتِي.

يقول «حذيم»: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء والعويل لما سمعوا هذا الكلام من الإمام زين العابدين وأخذ بعضهم يقول لبعض: لقد هلكتم وضللتكم وأنتم لا تشعرون!

واستمر الإمام زين العابدين (عليه السلام) وقال: رَحِمَ اللَّهُ أُمَّرَأً قَبِلَ نَصِيحَتِي وَحَفِظَ

وَصَيَّتِي فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ فَإِنَّ لَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً.
فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ: نَحْنُ كُلُّنَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ سَامِعُونَ مَطِيعُونَ حَافِظُونَ لَذِمَامِكَ
غَيْرُ زَاهِدِينَ وَلَا رَاغِبِينَ عَنْكَ، فَأَمْرٌ بِأَمْرِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ، فَإِنَّا حَرْبٌ لِحَرْبِكَ وَسَلَمٌ
لِسَلَمِكَ، لِنَأْخُذَنَّ بِزَيْدٍ وَنَبْرَأَ مِمَّنْ ظَلَمَكَ وَظَلَمْنَا.

فَقَالَ الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ (عليه السلام):

هَيْهَاتَ! أَيُّهَا الْغَدَرَةُ الْمَكْرَةُ! حِيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِ أَنْفُسِكُمْ، أَتُرِيدُونَ أَنْ
تَأْتُوا إِلَيَّ كَمَا أَتَيْتُمْ إِلَى آبَائِي مِنْ قَبْلُ، كَلَّا وَرَبِّ الرَّاqِصَاتِ إِلَى مِنًى، فَإِنَّ الْجُرْحَ
لَمَّا يَنْدَمِلُ، قُتِلَ أَبِي بِالْأَمْسِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مَعَهُ، فَلَمْ يُنْسِنِي تُكُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُكَلَّ
أَبِي وَبَنِي أَبِي وَجَدِّي، شَقَّ لِهَازِمِي وَمَرَارَتُهُ بَيْنَ خَنَاجِرِي وَحَلْقِي، وَغَصَصُهُ
تَجَرِّي فِي فِرَاشِ صَدْرِي، وَمَسْأَلَتِي أَنْ لَا تَكُونُوا لَنَا وَلَا عَلَيْنَا.

ثم أنهى الإمام زين العابدين (عليه السلام) كلامه بهذه الأبيات:

لَا غَرَوْا إِنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ وَشَيْخُهُ قَدْ كَانَ خَيْرًا مِنْ حُسَيْنٍ وَأَكْرَمًا
فَلَا تَفْرَحُوا يَا أَهْلَ كُوفَانَ بِالَّذِي أَصِيبَ حُسَيْنٌ كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمًا
قَتِيلُ بَشَطِ النَّهْرِ نَفْسِي فِدَاؤُهُ جَزَاءُ الَّذِي أَرْدَاهُ نَارُ جَهَنَّمَ

❦❦❦

ونستوحي من هذه الخطبة وتداعياتها أنَّ أهل الكوفة بعد ما سمعوا من الإمام زين
العابدين (عليه السلام) هذا الكلام تحركت إنسانيتهم وأفاقوا من غفلتهم واهتزت مشاعرهم إلى
درجة أنَّهم أصبحوا مستعدين لمواجهة أعداء أهل البيت (عليهم السلام) والثأر لشهداء كربلاء
والانتقام من قاتليهم، ولكن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) الذي كان يعلم عدم التزام
هؤلاء القوم بمواثيقهم وأنهم يعيشون حالات الضعف في مقابل السلطة الغاشمة ولا
يستطيعون مواصلة الحركة في خط الثورة والمسؤولية، لم يقبل كلامهم وقال لهم

١. احتجاج الطبرسي، ج ٢، ص ١١٧-١١٩؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١١٢-١١٣.

إنني أكتفي منكم بأن لا تتحركوا ضدنا فلا أمل فيكم ولا خير يتوقع منكم أيها الناكثين للعهد والميثاق.

٧. ما رأيت إلا جميلاً!

جلس عبيدالله بن زياد في قصر الإمارة وهو ممتلىء غروراً بالنصر الذي حققه ضد أهل البيت (عليه السلام) وأذن للجميع إذناً عاماً بالدخول إلى قصره، فاجتمع الناس، ثم أمر بإدخال رأس الإمام الحسين (عليه السلام) وأدخلوا بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مجلس ابن زياد.

فدخلت زينب الكبرى (عليها السلام) متنكرة قد لبست الرث من الثياب وجلست في زاوية من القصر.

فسأل ابن زياد: من هذه المرأة؟

فقال: «هذه زينب بنت علي».

فأقبل عليها فقال: الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أحدوشتكم.

فقالت زينب (عليها السلام): «الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وطهرنا تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر وهو غيرنا».

فقال ابن زياد: «كيف رأيته صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟».

فأجابته زينب الكبرى (عليها السلام) بصلابة وقدرة: «ما رأيته إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فانظروا لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة».

فعضب عبيدالله بن زياد وكأنه هم بها - أي أراد أن يقتلها - فقال له عمرو بن حريث: إنها امرأة ولا تؤاخذ بشيء من منطقها.

فقال ابن زياد وقد أحس بالعجز عن مواجهتها: «لقد شفاني الله من طغائك والعصاة المردة من أهل بيتك».

فَقَالَتْ زَيْنَبُ الْكُبْرَى عليها السلام: «لَعَمْرِي لَقَدْ قَتَلْتَ كَهْلِي، وَقَطَعْتَ فَرْعِي، وَاجْتَنَنْتَ أَصْلِي، فَإِنْ كَانَ هَذَا شِفَاؤَكَ فَقَدْ اشْتَفَيْتَ». فقال ابن زياد (لَمَّا لَمْ يَجِدْ جَوَاباً): «هَذِهِ سَجَاعَةٌ، وَلَعَمْرِي كَانَ أَبُوكَ شَاعِراً سَجَّاعاً».

فَقَالَتْ زَيْنَبُ الْكُبْرَى عليها السلام: «إِنَّ لِي عَنِ السَّجَاعَةِ لَشُغْلاً، وَإِنِّي لِأَعْجَبُ مِمَّنْ يَشْتَفِي بِقَتْلِ أُمَّتِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ مُنْتَقِمُونَ مِنْهُ فِي آخِرَتِهِ»^١. وطبقاً لما نقله الشيخ المفيد، فإنَّ الحوراء زَيْنَبَ عليها السلام قالت: «مَا لِلْمَرْأَةِ وَالسَّجَاعَةِ؟ إِنَّ لِي عَنِ السَّجَاعَةِ لَشُغْلاً، وَلَكِنْ صَدْرِي نَفَثَ بِمَا قُلْتُ»^٢.



الحقيقة أنَّ الإنسان لا يدري ماذا يقول أمام كلِّ هذه الشجاعة والقدرة الروحية العالية، سوى الإذعان أمام عظمة هذه المرأة الجليلة بنت عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، ويعترف بقصور الألفاظ والعبارات عن بيان هذه العظمة والشهامة وخاصة في تلك الظروف الحساسة، وفي مقابل رجل سفاك ومجرم عتيد كابن زياد، سوى أن يقول عنها: إِنَّكَ واقِعاً ابنة أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب عليه السلام وأخت الإمام الحسن والحسين عليهما السلام.

٨. الشهادة، افتخارنا

ثُمَّ إِنَّ عبيد الله بن زياد التفّت إلى عليِّ بن الحسين عليه السلام وقال: «مَنْ أَنْتَ؟». قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ». قال ابن زياد: أَلَيْسَ قَتَلَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ؟ (في كربلاء). فقال الإمام عليه السلام: كَانَ لِي أَخٌ يُسَمَّى عَلِيّاً قَتَلَهُ النَّاسُ. (الظالمين).

١. الملهوف (اللهوف)، ص ٢٠٠-٢٠٢؛ إرشاد المفيد، ص ٤٧٢-٤٧٣ (مع اختلاف يسير).

٢. انظر: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٤٩-٣٥٠؛ إرشاد المفيد، ص ٤٧٣.

قال ابن زياد: بل الله قتله!

فقرأ الإمام زين العابدين عليه السلام الآية ٤٢ من سورة الزمر: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» (يعني أن الله وإن كان يتوفى الأنفس عند موتها، ولكن أخي قتله بعض الظالمين).

فغضب ابن زياد لهذا الجواب القاطع، فقال: ولك جُرأة على جوابي؟ إذهبوا به فاضربوا عنقه!!

فعندما رأت زينب الكبرى عليها السلام ذلك، احتضنت الإمام زين العابدين عليه السلام وتوجهت بالخطاب لابن زياد وقالت: «يا ابن زياد، حَسْبُكَ مِنْ دِمَائِنَا»، ثم أضافت: «والله لا أُفَارِقُهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَأَقْتُلْنِي مَعَهُ».

فظهر ابن زياد إلى زينب والإمام السجاد عليهما السلام، وقال: «عَجَبًا لِلرَّحِمِ». ثم أضاف: «والله! لأظنّها ودّت أنّي قَتَلْتُهَا مَعَهُ، دَعُوهُ فَإِنِّي أَرَاهُ لَمَّا بِهِ»^١. وينقل السيد ابن طاووس في كتابه بعد أن يذكر هذه الحالة (بقليل من الاختلاف) أن الإمام زين العابدين عليه السلام التفت إلى عمته الحوراء زينب عليها السلام، فقال: «أُسْكُنِي عَمَّةً حَتَّى أَكَلِّمَهُ» ثم أقبل على ابن زياد، فقال: «أَبِالْقَتْلِ تُهَدِّدُنِي يَا ابْنَ زِيَادٍ، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَتْلَ لَنَا عَادَةٌ وَكَرَامَتَنَا الشَّهَادَةُ».

وبعد هذا الحوار المثير أدرك ابن زياد أنه لا يستطيع المواجهة مع آل بيت النبوة، وأيقن بالهزيمة، فأمر بعلي بن الحسين عليهما السلام وأهله فحملوا إلى دار جنب المسجد الأعظم وأسكنوا فيها^٢.



هل يمكن لأي قلم أو بيان أن يرسم عظمة هذا الكلام في ذلك المجلس الذي اجتمع

١. إرشاد المفيد، ص ٤٧٣-٤٧٤؛ الملهوف (اللهوف)، ص ٢٠٢ (مع اختلاف يسير) وكذلك انظر: تاريخ

الطبري، ج ٤، ص ٣٥٠.

٢. الملهوف (اللهوف)، ص ٢٠٢.

فيه عدد كبير من الناس وأمام رموز السلطة الظالمة، ومعلوم أن هذا الكلام انتقل على الألسن وشاع في جميع أرجاء الكوفة وانتقل إلى خارجها وخلف آثاراً كبيرة على عقول الناس وعواطفهم وغير من رؤيتهم تجاه أبناء الإمام علي عليه السلام وكشف عن خبث وزيف الأعداء مرة أخرى، وقد زرعت هذه الكلمات بذور الثورة ضد آل أمية وحكومتهم الجائرة.

٩. الشفاه التي كان رسول الله ﷺ يقبلها!

يروى المرحوم العلامة المجلسي عن سعيد بن معاذ وعمرو بن سهل: كنا حاضرين في مجلس عبيد الله بن زياد وهو يضرب ثانياً الإمام الحسين عليه السلام بقضيب، وكان زيد بن أرقم (من أصحاب رسول الله) حاضراً، فلما رأى هذا المنظر قال: يا ابن زياد إرفع قضيبك، إني رأيت رسول الله ﷺ واضعاً شفيته على موضع قضيبك، ثم انتحب باكياً.

ولم يجبه ابن زياد وخجل من نفسه، وقال: أبكى الله عينيك يا عدو الله، لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك!

فقال زيد: لأحدثنك حديثاً هو أغلظ عليك من هذا، رأيت رسول الله ﷺ أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى فوضع يده على يافوخ كل واحد منهما وقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ إِيَّاهُمَا وَصَالِحَ الْمُؤْمِنِينَ» فكيف كانت وديعة رسول الله ﷺ عندك؟^١

وطبقاً لرواية الطبري، قام زيد بن أرقم وخرج من مجلس ابن زياد^٢. وعندما خرج قال الناس: إن زيد بن أرقم قال كلاماً آخر لو سمعه ابن زياد لقتله.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١١٨.

٢. المصدر السابق، ص ١١٧: خرج وهو رافعاً صوته بالبكاء والنحيب.

يقول الراوي لهذا الخبر: فسألت عن ذلك، فقالوا: إنّ زيدا كان يقول عندما عندما مرّ بنا^١: «يا معشر العرب! أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة و أمرتم ابن مَرْجَانَةَ، فهو يقتل خياركم و يستعبد شراركم، فرضيتُم بالذلّ، فبعداً لمن رضي بالذلّ»^٢.

وطبقاً لما نقله السيد ابن طاووس فإنّ ابن زياد أمر بعد ذلك برأس الإمام الحسين (عليه السلام) أن يدار في أسواق الكوفة وأزقتها إظهاراً للقدرّة^٣.



إنّ أفضل دليل على أنّ بني أمّية قد واجهوا الهزيمة النكراء في كربلاء وأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه الشجعان الأوفياء انتصروا انتصاراً حاسماً، هو هذه الحوادث التي وقعت بعد عاشوراء وجعلت من الأعداء يعيشون التوتر والفضيحة وأخذوا يهدّدون كلّ شخص يقول الحقيقة بقطع لسانه وقتله، وفي كلّ يوم نرى سنداً جديداً ضدّ هذه الفئة الظالمة والدموية بواسطة أحد محبّي أهل البيت (عليهم السلام) فهل يستطيع ابن زياد إنكار أنّ زيد بن أرقم صحابيّ والحال أنّه من مشاهير الصحابة؟ هل يستطيع أن يتكلّم بكلام ضد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ إذا نطق بشيء من ذلك فإنّه يساهم في تعبئة الناس ضدّه وانقلابهم عليه، ولذلك نراه يضطرّ لاستخدام لغة التهديد والقتل والصبر والشتيم.

١٠. الشيخ الذي وصل إلى مرامه

ومن أجل أن يبرّر «عبيد الله بن زياد» عمله الشنيع ويغطّي على تشوهات الحكومة الجائرة ويمنع انتفاضة الناس ضدّه، جمع الناس في المسجد ثم ارتقى المنبر.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١١٧: «مَلِكٌ عَبْدٌ حُرّاً».

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٤٩؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١١٦ (مع اختلاف يسير).

٣. الملهوف (اللاهوف)، ص ٢٠٣.

يروى السيد ابن طاووس أنّ ابن زياد بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال في بعض كلامه: «الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين - يقصد يزيد - وأشياعه، وقتل الكذاب ابن الكذاب - يريد الحسين بن عليّ - (نعوذ بالله)». فما زاد على هذا الكلام شيئاً حتى قام إليه عبدالله بن عفيف الأزدي^١ وكان حاضراً في المسجد وقال: «يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ! إِنَّ الْكَذَّابَ ابْنَ الْكَذَّابِ أَنْتَ وَأَبُوكَ، وَمَنْ اسْتَعْمَلَكَ وَأَبُوهُ. يَا عَدُوَّ اللَّهِ! أَتَقْتُلُونَ أَوْلَادَ النَّبِيِّينَ وَتَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى مَنَابِرِ الْمُسْلِمِينَ!».

فعضب ابن زياد (الذي لم يكن يتوقع من أيّ أحد مثل هذا الكلام) وقال: من هذا المتكلم؟

فقال عبدالله بن عفيف: «أَنَا الْمُتَكَلِّمُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقْتُلُ الذُّرِّيَّةَ الطَّاهِرَةَ الَّتِي قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهَا الرِّجْسَ وَتَزْعُمُ أَنَّكَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ! وَاعْوِثَاهُ أَيْنَ أَوْلَادُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لِيَنْتَقِمُوا مِنْ طَاغِيَتِكَ اللَّعِينِ بْنِ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!».

فازداد ابن زياد غضباً حتى انتفخت أوداجه وقال: عليّ به، فتبادرت إليه الجلاوزة، فأخذه أقرباؤه وأخرجوه من باب المسجد وانطلقوا به إلى منزله! فقال ابن زياد: إذهبوا إلى هذا الأعمى، أعمى الأزدي، أعمى الله قلبه كما أعمى عينه فأتوني به.

قال الراوي: فانطلقوا إليه فلمّا بلغ ذلك الأزدي اجتمعوا واجتمعت معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم، فبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمّهم إلى محمد بن الأشعث وأمرهم بقتال القوم.

١ . يقول السيد ابن طاووس: كان عبدالله بن عفيف من خيار الشيعة وزهادها، اشترك في حرب الجمل فذهبت عينه اليسرى، وفي حرب صفين ذهبت عينه الأخرى. وكان يلزم المسجد الأعظم في الكوفة يصلي فيه صلاة الليل. (الملهوف (اللهوف)، ص ٢٠٣).

فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل بينهم جماعة من العرب حتى وصل أصحاب ابن زياد إلى دار عبدالله بن عفيف، فكسروا الباب واقتحموا عليه، فصاحت ابنته أتك القوم من حيث تحذر.

فقال عبدالله بن عفيف: لا عليك ناولينني سيفي، فناولته إياه فجعل يذب عن نفسه ويقول:

أَنَا ابْنُ ذِي الْفَضْلِ عَفِيفِ الطَّاهِرِ عَفِيفُ شَيْخِي وَابْنُ أُمِّ غَامِرٍ
كَمْ دَارِعٍ مِنْ جَمْعِكُمْ وَخَاسِرٍ وَبَطْلٍ جَدَّتُهُ مُغَاوِرٍ
وقال الراوي: وجعلت ابنته تقول: يا أبت ليتني كنت رجلاً أخاصم بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة.

وجعل عبدالله بن عفيف عليه السلام يحمل على القوم والقوم يدورون عليه من كل جهة وهو يذب عن نفسه فلم يقدر عليه أحد وكلما جاؤوه من جهة قالت ابنته: يا أبت جاؤوك من جهة كذا، حتى تكاثروا عليه وأحاطوا به.

فقال ابنته: واؤلاه! يحاط بأبي وليس له ناصر يستعين به، فجعل يدير سيفه ويقول:

أُقْسِمُ لَوْ يُفْسَحُ لِي عَنْ بَصْرِي ضَاقَ عَلَيْكُمْ مَوْرِدِي وَمَصْدَرِي
فمازالوا به حتى أخذوه، ثم حمل فأدخل على ابن زياد، فلما رآه ابن زياد قال: الحمد لله الذي أخزأك.

فقال عبدالله بن عفيف: يا عدو الله وبماذا أخزاني الله؟

فقال ابن زياد: يا عدو الله ما تقول في عثمان بن عفان (الخليفة الثالث)؟

فقال عبدالله بن عفيف: يا عبد بني علاج، يا ابن مرجانة (وشتمه)، ما أنت وعثمان ابن عفان أساء أو أحسن، وأصلح أم أفسد، والله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحق، ولكن سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه.
فقال ابن زياد: لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت غصة بعد غصة.

فقال عبدالله بن عفيف (كأنه وصل إلى ما كان يتمناه): «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمَّا إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَسْأَلُ اللَّهَ رَبِّي أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلِدَكَ أُمُّكَ، وَ سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ عَلَى يَدَيَّ أَلْعَنَ خَلْقَهُ، وَأَبْغَضَهُمْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا كُفَّ بَصْرِي يَسْتُ مِنْ الشَّهَادَةِ، وَالْآنَ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِيهَا بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْهَا، وَعَرَّفَنِي الْإِجَابَةَ بِمَنِّهِ فِي قَدِيمِ دُعَائِي».

فقال ابن زياد: اضربوا عنقه.

فضربت عنقه وصلب في السبخة، وهي محلّة في الكوفة^١.



من المعلوم أنّ أمثال عبدالله بن عفيف قلائل في التاريخ، فهذا الشيخ الضير الذي فقد قدرته للتصدّي لأعداء الإسلام وأهل بيت النبوة ﷺ، أصرح بكلمة الحقّ ودافع بشجاعة فائقة بلسانه عن أهل بيت النبوة وضخّى بنفسه في هذا السبيل فوصل إلى مراده وحقّق أمله (في نيل الشهادة في سبيل الله).

هؤلاء نجوم زاهرة في سماء الإنسانية وفي ظلمات الحكومات الغاصبة في التاريخ البشري، الذين علّموا البشرية دروس الشهامة والإيمان والوعد الإلهي وعبدوا لهم طريق الحياة الكريمة، وخاصة للشبّان المؤمنين.

١١. أعجب من قصّة أصحاب الكهف والرقيم

ينقل الشيخ المفيد في «الإرشاد» أنّ عبيدالله بن زياد أمر بحمل رأس الإمام الحسين عليه السلام والطواف به في سكك الكوفة كلّها وقبائلها. (وذلك لتخويف الناس والهيمنة عليهم وإرعابهم).

فروي عن زيد بن أرقم أنّه قال: مرّ برأس الحسين عليه السلام عليّ وهو على رمح وأنا في غرفة، فلما حاذاني سمعته يقرأ «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا

١. الملهوف (اللهوف)، ص ٢٠٣-٢٠٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١١٩-١٢١.

مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا»^١ فوقف والله شعري وناديت: «رَأْسُكَ وَاللَّهِ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! أَعْجَبُ وَأَعْجَبُ»^٢.



إنَّ تلاوة رأس الإمام الحسين عليه السلام للقرآن يعدّ من المعجزات الباهرة للإمام الحسين، ولكن ربّما يثار هذا السؤال: هل أنّ جميع الناس رأوا هذه الواقعة وسمعوا رأس الإمام الحسين عليه السلام يتلو القرآن، أم أنّ بعض الأشخاص شهدوا هذه المعجزة؟ هذه المسألة محلّ جدل ونقاش، ولكن مع الالتفات إلى أنّ سماع صوت القرآن من الرأس المبارك يعدّ من المعجزات التي إذا شاهدها جميع الأفراد فإنّها تكون مثاراً للبحث وتنتقل بين المجالس، وربّما تؤدّي إلى ثورة الناس وانتفاضتهم على الحكومة الأمويّة، والمفروض أنّ مثل هذه الحادثة المهمّة تذكر في ثنايا التاريخ بشكل واسع، ولكن بما أنّ مثل هذه الحادثة لم ترد في المصادر التاريخية، فإنّه يمكن القول أنّ هذه الحادثة وسماع صوت القرآن من الرأس المبارك يختصّ بأفراد قلائل مثل زيد بن أرقم الصحابي الجليل لرسول الله صلى الله عليه وآله، والذي سبق أن تحدّثنا عن موقفه من ابن زياد. والنقطة الأخرى: تلاوة هذه الآية بالخصوص من قبل رأس الإمام الحسين عليه السلام. لأنّنا نعلم أنّ أصحاب الكهف والرقيم^٣ كانوا عدّة من الفتیان المؤمنین الذين كانوا يعيشون في عصر سيطرة قوى الكفر والظلم وبزعامة ملك يسمى «دقيانوس»، وقد لجأوا لحفظ عقيدتهم ومواجهة طاغوت عصرهم، إلى غار في الجبل وعاشوا الاستقامة والثبات في خط الإيمان والرسالة، وبعد دخولهم إلى الغار بقوا هناك بأمر من الله تعالى لمدة ثلاثمائة وتسع سنين في حال نوم شبيه بالموت، ثم بعثهم الله

١. سورة الكهف، الآية ٩.

٢. إرشاد المفيد، ص ٤٧٥؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٢١.

٣. هناك خلاف بين المفسرين في أنّ أصحاب الكهف والرقيم يمثلون فئة واحدة أو فئتين؟ المحققون منهم ذهبوا إلى أنّهم فئة واحدة، وهم مجموعة من الشبان المؤمنين الذين كانوا يعيشون في عصر الملك (دقيانوس) (انظر التفسير الأمثل ذيل الآية ٩ من سورة الكهف).

تعالى من نومهم الطويل^١.

وفي الواقع أنّ هذه المعجزة الكبيرة مثيرة للتعجب، ولكن قراءة القرآن من قبل رأس الإمام الحسين (عليه السلام) وتلاوة هذه الآية المذكورة يعدّ إعجازاً آخر أعجب بكثير من قصة أصحاب الكهف.

إنّ تلاوة الرأس الشريف لهذه الآيات المباركة ربّما يشير إلى نقطة أخرى، وهي أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) أيضاً كان يعيش في عصر يسوده الظلم والظلمات، وقد سلك في طريق الهجرة إلى الله والتصدي للظالمين، ولكن أين قيام الإمام الحسين (عليه السلام) وعظمة نهضته من هجرة أصحاب الكهف؟!

١٢. كتاب ابن زياد ليزيد بن معاوية

كتب عبيد الله بن زياد كتاباً ليزيد يخبره عن شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه، وعندما اطّلع يزيد على مضمون هذا الكتاب، أجابه بكتاب يأمره بإرسال رأس الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه مع الأسرى إلى الشام.

وهكذا أرسل عبيد الله بن زياد رؤوس الشهداء مع الأسرى من النساء والأطفال إلى الشام يقادون كأسرى بلاد الكفر، وهم مكشوفي الرؤوس يراهم أهالي تلك النواحي والمناطق^٢.

وطبقاً لما أورده الشيخ المفيد فإنّ قافلة الأسرى عندما خرجت من الكوفة: (وَأَمَرَ بَعْلِي بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فَعُلَّ بِغُلٍّ إِلَى عُنُقِهِ)^٣.



ويبدو ممّا جرى من مصائب على أهل البيت (عليهم السلام) في الكوفة والشام أنّها أعظم

١. انظر: تفسير الأمثل في تفسير الآيات ٩-٢٠ من سورة الكهف.

٢. الملهوف (اللاهوف)، ص ٢٠٨.

٣. إرشاد المفيد، ص ٤٧٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٠.

وأشدّ عليهم من مصيبة كربلاء المؤلمة، وكما تقدّم الكلام عن مسيرة قافلة الأسرى إلى الكوفة ودخولهم إلى هذه المدينة، فكذلك مسيرهم إلى الشام، فمما ذكر في الكتب المعتبرة أنّ نساء وحرائر أهل بيت النبوة ﷺ كنّ مكشّفات الرؤوس وكانت هذه النسوة تقاد بين الرجال بملابس رثّة، وكان أزلام ابن زياد يتعاملون مع أولاد رسول الله ﷺ كما يتعاملون مع أسرى بلاد الكفر.

ولو لم ترد هذه الحوادث في الكتب المعتبرة من الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس وأمثالهم، فإنّه يصعب تصديق هذه الأخبار، ولكن هذه الأمور وقعت لآل بيت النبوة، ولا يستبعد من أولئك المجرمين والناس الذين عاشوا حبّ الدنيا والإعراض عن الإيمان والرسالة أن يتعاملوا بمثل هذه الأساليب المخزية مع آل بيت النبوة والطهارة، ممّا من شأنه أن تنشقّ السماء وتندكدك الجبال وتنخسف الأرض بمن فيها، ويبكي على هذه المصائب الجنّ والإنس، إنّ هذه الحوادث من شأنها أن تجرح مشاعر كلّ إنسان يملك ضميراً يقظاً ومشاعر إنسانيّة، وتجعله يغرق في دوامة من الحزن والغمّ اللامتناهي.

فهل يمكن التصديق بأنّ المسلمين يشاهدون هذه المناظر المفجعة ومع ذلك يسكنون ويلتزمون السكون؟ كيف استطاع أهل الكوفة مع رؤيتهم هذه الحوادث أن يقرّ لهم قرار ويعيشوا حالات الهدوء واللامبالاة وينظر بعضهم إلى البعض الآخر بدون إظهار أيّ اعتراض واهتمام، وكيف يمكنهم أن يرقدوا في بيوتهم وفراشهم أو يضحكوا في حياتهم؟!

وكان الأجدر بهم أن يعيشوا الخجل والذلّة إلى آخر حياتهم، فالويل ثم الويل لهؤلاء النّاس العديمي الوفاء والإيمان والذين ران على قلوبهم حبّ الدنيا والطمع والخوف من السلطة الغاشمة.



١٣. منازل في الطريق

إنّ قوى الكفر والسلطة في الشام وأذناهم المجرمين، ومن أجل إبراز عضلاتهم وقوّتهم وبثّ الرعب بين أهالي القرى والمناطق الواقعة في الطريق أمروا بأن يسار بالأسرى والرؤوس من مدينة إلى أخرى، وقد غفلوا عن أنّهم بهذا العمل إنّما يدقّون مسماراً في تابوت حكومتهم الزائفة.

ويروي السيد ابن طاووس: بعد أن أمر يزيد بن معاوية عبيدالله بن زياد بنقل الرؤوس مع الأسرى إلى الشام، أو عزّل «محفّر بن ثعلبة العائذي» أن يقود قافلة الأسرى عبر المدن كما تقاد أسرى الكفّار، ويوصلهم إلى الشام^١.

وقد مرّت قافلة الأسرى على منازل في الطريق بين الكوفة والشام، ولم تذكر هذه المنازل في التواريخ حسب الترتيب، ولكن ذكرت في كتب المقاتل أسماء بعض هذه المنازل^٢، وهنا نشير باختصار إلى بعض الحوادث الملفتة للنظر والتي وقعت في الطريق:

مشهد النقطة

عندما وصلت القافلة إلى منطقة في الطريق قام حامل رأس الإمام الحسين (عليه السلام) بوضع الرأس على صخرة كبيرة، فقطرت من الرأس قطرة دم على تلك الصخرة، وقد ورد في الرواية أنّ تلك الصخرة كانت تفور بالدم في كلّ سنة في يوم عاشوراء ويجتمع الناس من الأطراف المجاورة في ذلك المكان ويقيمون مأتماً على سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) ويبكون وينوحون عليه، وقد استمرت هذه الحالة إلى زمان عبد الملك بن مروان، الذي أمر بنقل تلك الصخرة إلى مكان مجهول حيث لم يشاهد

١. الملهوف (اللاهوف)، ص ٢٠٨.

٢. ذكر كتاب «قصة كربلاء» تأليف العالم المحترم حجة الإسلام والمسلمين نظري منفرد ٢٠ منزلاً، ونقل لكلّ منزل موقفاً وحادثة. (انظر: قصة كربلاء، ص ٦٥-٤٨٠).

أحد من الناس بعد ذلك تلك الصخرة، ولكن الناس شيّدوا بناءً على ذلك المكان وسموه «مشهد النقطة»^١.

حلب

في مدينة حلب (في سورية) هناك مزار معروف يدعى «مشهد السقط»، وقيل: السبب في هذه التسمية: إنّ قافلة الأسرى لما وصلت إلى هذا المكان، كانت إحدى نساء الحسين عليه السلام حاملاً وقد أسقطت جنينها الذي يسمّى محسناً في ذلك المكان، وقد دفن هناك^٢.

بعلبك

ويروي المرحوم العلامة المجلسي: أنّه وجد في بعض الكتب أنّ قافلة الأسرى لما وصلت إلى مدينة بعلبك أخبروا والي هذه المدينة بمجيء الأسرى، فأمر بنشر الرايات (رايات النصر) في الشوارع وأمر الناس باستقبال الأسرى، فخرج الناس والأطفال أيضاً لمشاهدة الأسرى، فلما رأت أم كلثوم ذلك دعت عليهم وقالت: «أَبَادَ اللَّهُ كَثْرَتَكُمْ، وَ سَلَطَ عَلَيْكُمْ مَنْ يَقْتُلُكُمْ»^٣.

١٤. الضجّة في الشام

وبعد أن مرّوا بأسرى أهل البيت عليهم السلام في القرى والمدن ومعهم رؤوس الشهداء وصلوا إلى بلاد الشام، وعندما وصلوا على مقربة من دمشق (عاصمة الحكومة الأموية) خرج الناس للتفرج على بنات الرسالة، ولما نظرت أم كلثوم، قالت لشمر:

١. مقتل الحسين، المقّم، ص ٣٤٦؛ وذكر المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي في «نفس المهموم»، ص ٢٣٨ هذه الواقعة أيضاً.

٢. المصدر السابق.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٢٦.

لي إليك حاجة.

قال: ما حاجتك يا بنت علي؟

قالت: أن تسلك بنا طريقاً قليل النظارة وتأمر حاملي الرؤوس بأن يبعدوا الرؤوس عن أوساط النساء لينشغل الناس بالنظر إلى الرؤوس، فقد خزيننا من كثرة النظر إلينا.

فعمل شمر بعكس ذلك وأمر بالرؤوس فحملت بين النساء وسلك بهن طريقاً كثير النظارة بين دق الطبول والدفوف والناس يهنيء بعضهم بعضاً. وفي اليوم الأول من شهر صفر^١ وصلت قافلة الأسرى إلى دمشق من «باب الساعات»^٢، وهو محل اجتماع الناس، حيث أبقوا الأسرى في ذلك المكان اثنتا عشرة ساعة والناس يهنيء بعضهم بعضاً وكل يصفح الآخر وأكفهم مخضوبة بالحناء بين أصوات الطبول والدفوف^٣.

وكان يزيد قد جلس في مكان من قصره مشرف على «جيرون» (مكان قريب من المسجد الأموي)، ينظر إلى قافلة الأسرى ورؤوس الشهداء، وفي ذلك الوقت سمع نعيب الغراب فتشاءم من ذلك، فأنشد يقول:

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ وَأَشْرَقَتْ تِلْكَ الرُّؤُوسُ عَلَى رُبَى جِبْرُونَ
نَعَبَ الْغُرَابُ فَقُلْتُ: صَبْحٌ أَوْ لَا تَصَحُّ فَقَدْ اقْتَضَيْتُ مِنَ الرَّسُولِ دُونِي^٤

١. ذكر في «كامل البهائي» (تأليف عماد الدين الطبري الشيعي) و «الآثار الباقية»، لأبي ریحان البيروني و «المصباح» للكفعمي أن يوم ورود قافلة الأسرى إلى الشام، يوم الأول من شهر صفر. (مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٤٨).

٢. السبب في هذه التسمية (باب الساعات)، أنهم صنعوا تماثيل من نحاس لبعض الطيور والحيوانات ووضعوها هناك بشكل يتم من خلاله تشخيص الوقت والساعة، وفي «مقتل الحسين» للخوارزمي أن قافلة السبايا دخلت من باب «توما» التي بقيت آثارها لحد الآن. (مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٤٨).

٣. الملهوف (اللاهوف)، ص ٢١٠ (مع اختلاف يسير)؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٤٧-٣٤٨.

٤. مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٤٨.

وهذا من أوضح الدلائل والوثائق المهمة على عدم إيمان يزيد و بني أمية بالإسلام والمقدسات الإسلامية .

يقول السيد ابن طاووس: لما دخلت قافلة الأسرى إلى مدينة الشام، أقاموا على باب المسجد الجامع حيث تقام السبايا^١.

وفي هذه الأثناء جاء شيخ ودنا من نساء الحسين عليه السلام وعياله وهم في ذلك الوضع، فقال: «الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين يزيد منكم».

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «يا شيخ! هل قرأت القرآن».

قال الشيخ: نعم.

قال الإمام عليه السلام: «فَهَلْ عَرَفْتَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^٢».

قال الشيخ: نعم، قد قرأت ذلك.

فقال الامام عليه السلام: «فَتَحْنُ الْقُرْبَى يَا شَيْخُ».

ثم أضاف الإمام: «هل قرأت هذه الآية: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾^٣».

قال الشيخ: نعم، قد قرأت ذلك.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «فَتَحْنُ الْقُرْبَى يَا شَيْخُ».

ثم قال الإمام عليه السلام: «هل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^٤».

١. الملهوف (اللاهوف)، ص ٢١٠.

٢. سورة الشورى، الآية ٢٣.

٣. سورة الأنفال، الآية ٤١.

٤. سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

قال الشيخ: نعم، قد قرأت هذه الآية.

فقال الإمام عليه السلام: «فَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ خَصَّنَا بِآيَةِ الطَّهَارَةِ يَا شَيْخُ».

قال الراوي: فبقي الشيخ ساكناً نادماً على ما تكلم به وقال: بالله إنكم هم؟

فقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «تَاللَّهِ إِنَّا لَنَحْنُ هُمْ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَحَقٌّ جَدُّنَا رَسُولُ اللَّهِ إِنَّا لَنَحْنُ هُمْ».

فبكى الشيخ ورمى عمامته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَدُوِّ آلِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ».

ثم قال للإمام عليه السلام: «هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟».

فقال الإمام عليه السلام: «نعم، إِنْ ثَبَتَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مَعَنَا».

فقال الشيخ: أنا تائبٌ، فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل!



عندما اعتنق أهل الشام في بداية الأمر الإسلام، عاشوا تحت ظل حكومة بني أمية، فالوالي الأول على الشام هو يزيد بن أبي سفيان، ومن بعده أصبح أخوه معاوية بن أبي سفيان والياً على الشام، وقد استمرت ولاية وحكومة معاوية على الشام أربعين سنة، وبذلك أبعدوا أهل الشام عن الإسلام الحقيقي وأظهروا لهم الإسلام الذي يتفق مع طموحاتهم، فقد طرح معاوية نفسه بعنوان «خال المؤمنين» و«كاتب الوحي»، أما يزيد فهو الوارث لمثل هذه الحكومة ولذلك لا غرابة في أن يتحدث هذا الشيخ الشامي بمثل هذا الكلام، ولكن بعد أن تبين له الأمر من خلال كلمات الإمام زين العابدين عليه السلام اهتدى إلى الصراط المستقيم واستشهد في سبيل عقيدته.

وعلى أية حال فإن أوضاع الشام والجو المهيمن على أهالي تلك المنطقة كان صعباً جداً على أهل البيت إلى درجة أن الإمام زين العابدين وأهل البيت عليهم السلام كانوا

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٢٩. وردت هذه الواقعة في الملهوف (اللهوف)، ص ٢١١-٢١٢؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ١٢٠-١٢٢ مع اختلاف يسير.

يعيشون أشدَّ حالات المشقة والحرّج والضيق، وقد روي أنَّ الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أنشد يقول:

فَيَا لَيْتَ لَمْ أَنْظُرْ دِمَشْقًا وَلَمْ أَكُنْ
يَزَانِي يَزِيدُ فِي الْبِلَادِ أَسِيرُهُ^١

١٥. في قصر يزيد

وأدخل الأسرى إلى مجلس يزيد. يقول المرحوم السيد ابن طاووس: وقد أدخلوا أهل البيت وأسرى آل محمد عليه السلام على يزيد وهم مقيّدون بالحبال^٢، وطبقاً لما نقله «المقرّم»: «وقبل أن يدخلوهم إلى مجلس يزيد أتوهم بحبال فربطوهم بها فكان الحبل في عنق زين العابدين إلى زينب أم كلثوم، وباقي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وكلما قصّروا في المشي ضربوهم، حتى أوقفوهم بين يدي يزيد بن معاوية وهو على سرير».

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «مَا ظَنُّكَ بِرَسُولِ اللَّهِ لَوْ رَأَى عَلَيَّ هَذَا الْخَالَ؟». وورد عن عليّ بن الحسين عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مَقِيدِينَ بِالْأَغْلَالِ وَأَدْخَلْنَا عَلَيَّ يَزِيدَ وَنَحْنُ مَغْلَلُونَ، فَلَمَّا وَقَفْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، قُلْتُ: «يَا يَزِيدُ مَا ظَنُّكَ بِرَسُولِ اللَّهِ لَوْ رَأَى عَلَيَّ هَذِهِ الْخَالَةَ؟». وقالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: «أَتَلَيِّقُ بِكَ يَا يَزِيدُ أَنْ تُؤَسَّرَ بَنَاتُ رَسُولِ اللَّهِ؟!».

فبكى الناس لما سمعوا بذلك وبكت النسوة في مجلس يزيد (اللواتي كنّ ينظرن الحادثة من خلف الستار)، وعلا صوتهنّ بالبكاء. ثم إنَّ الإمام السجاد عليه السلام قال ليزيد مرّة أخرى: «يَا يَزِيدُ مَا ظَنُّكَ بِرَسُولِ اللَّهِ لَوْ رَأَى عَلَيَّ هَذِهِ الْخَالَةَ؟».

١. مدينة المعاجز، ج ٤، ص ١١٠.

٢. الملهوف (اللاهوف)، ص ٢١٣.

فلما رأى يزيد ذلك، قال: حلّوه (أي فكّوا الأغلال عن يديه ورجليه)^١.
وقد ورد في الروايات أيضاً أنّ يزيد أمر برأس الإمام الحسين (عليه السلام) ورؤوس
الشهداء ووضّعها أمامه، ثم أتى بالرأس حتى وضع بين يديه في طست من ذهب
فنظر إليه: ثم أقبل على أهل المجلس وقال: «إنّ هذا كان يفخر عليّ ويقول أنّ أبي
خير من أبي يزيد، وأمّي خير من أم يزيد، وجدّي خير من جدّ يزيد، وأنا خير من
يزيد، فهذا الذي قتله!!».

«أمّا قوله بأنّ أباه خير من أبي لقد حاجّ أبي أباه فقضى الله لأبي على أبيه، وأمّا
قوله بأنّ أمّي خير من أمّ يزيد، فلعمري لقد صدق إنّ فاطمة بنت رسول الله خير من
أمّي، وأمّا قوله بأنّ جدّه خير من جدّي فليس لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن
يقول بأنّه خير من محمّد، وأمّا بأنّه خير منّي فلعلّه لم يقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ
تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٢.
وطبعاً فيزيد لم يملك الإيمان بهذه الأمور، وقد تبين من كلامه السابق أنّ غايته
من هذا الكلمات الرياء والمغالطة وإيهام الناس.

وعلى أيّة حال فإن كان يريد تحقيق النصر الظاهري على الإمام الحسين (عليه السلام)
ويعدّ ذلك علامة على أحقيّته وصحة مساره، فإنّ استدلاله المذكور يوصلنا إلى هذه
النتيجة، وهي أنّ جميع الجناة والمجرمين على امتداد التاريخ البشري والذين
وصلوا إلى القدرة والسلطة كفرعون ونمرود والحجاج وهتلر وأمثالهم، كلّهم
محبوبون لله تعالى وأنّ الله تعالى هو الذي أيّدهم بنصره وسلّمهم مقاليد الحكم
لفضلهم وقربهم من الله!!

وبعد أن جرت محادثات أخرى بين زين العابدين (عليه السلام) ويزيد بن معاوية، قال
الإمام زين العابدين (عليه السلام) مخاطباً يزيد: «يا ابن معاوية وهندٍ وصخرٍ، لم تزل النبوة

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٢.

٢. المصدر السابق، ص ١٣١.

والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تُؤدَّ، ولقد كان جدِّي عليُّ بنُ أبي طالبٍ في يومِ بدرٍ، وأُحد، والأحزاب، في يده رايةُ رسولِ الله، وأبوكَ وجدُّك في أيديهما راياتُ الكفار».

ثم جعل عليُّ بن الحسين عليه السلام يقول:

مَاذَا تَقُولُونَ إِذْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ
بِعِزَّتِي وَبِأَهْلِي عِنْدَ مُفْتَقِدِي
مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ
مِنْهُمْ أَسَارِي وَمِنْهُمْ ضَرْجُوا بِدَمِ

ثم قال عليُّ بن الحسين عليه السلام: «ويلك يا يزيدُ إنَّكَ لو تدرِي ماذا صَنَعْتَ؟ وما الَّذِي ارتَكَبْتَ مِنْ أَبِي وَأَهْلِ بَيْتِي وَأَخِي وَعُمُومَتِي، إِذْ لَهَرَبْتَ إِلَى الْجِبَالِ، وَافْتَرَشْتَ الرَّمَالَ، وَدَعَوْتَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، أَيْكُونُ رَأْسُ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ مَنْصُوبًا عَلَى بَابِ مَدِينَتِكُمْ وَهُوَ وَدِيعَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِيكُمْ؟ فَأَبْشِرْ يَا يَزِيدُ بِالْخِزْيِ وَالنَّدَامَةِ إِذَا جُمِعَ النَّاسُ غَدًا لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ»^١.



إنَّ الإمامَ زينَ العابدين عليه السلام كان يعلم أنَّ كلامه هذا لا ينفذ في قلب يزيد الفاسق والإيمان بالله والمعاد ولا يؤثر أدنى أثر في تغيير روحيته لأنَّه رجل شارب للخمر ومجرم ولا يهتم بهذه الأمور، ولكن في ذلك المجلس كانت هنا فئات كثيرة من رجال أهل الشام هم المخاطبون الحقيقيون للإمام زين العابدين عليه السلام وكانت كلماته تؤثر في قلوبهم وأفكارهم، وبما أنَّ البلاط الأموي وسائر مجالس الملوك والخلفاء كانت مركز نشر الأخبار إلى المناطق الأخرى، فقد أبرز الإمام حقيقة بني أمية وأزاح النقاب عن نيّاتهم الخبيثة وكشف للناس عن كفرهم وبطلان مقولاتهم.

أجل، إنَّ الله تعالى أراد أن يفضح هؤلاء المجرمين من خلال مسيرتهم برؤوس شهداء كربلاء وأسرى آل بيت النبوة في جميع المناطق، وينكشف للملأ زيفهم ويفتضحون أمام الملأ العام.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٥-١٣٦.

١٦. صرخة زينب الكبرى عليها السلام

ولمّا رأت زينب أم المصائب عليها السلام رأس أخيها أهوت إلى جيبها فشقتّه ثم نادت بصوت حزين يمزق القلوب: «يا حُسَيْنَاهُ! يا حَبِيبَ رَسُولِ اللَّهِ! يَا ابْنَ مَكَّةَ وَ مِنِي، يَا ابْنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةَ النِّسَاءِ، يَا ابْنَ بِنْتِ الْمُصْطَفَى».

قال الراوي: فأبكت والله كلّ من كان في المجلس...!!

ويزيد ساكت، ثم دعا بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الإمام الحسين عليه السلام، فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي (الذي كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله) وكان حاضراً في المجلس) فقال: ويحك يا يزيد! أتتكتُّ بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة؟ أشهد لقد رأيْتُ النبي يَرشِفُ ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول: «أَنْتُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَتَلَ اللَّهُ فَاتِلَكُمَا وَلَعَنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا».

فعضب يزيد من قوله وأمر بإخراجه فأخرج سحباً.

فجعل يزيد ينكت ثنايا أبي عبد الله الحسين وبيتسم ويتمثل بأبيات ابن الزبيري (الذي أنشدها في غزوة أحد):^١

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا	جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلُ
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحاً	ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلْ
لَسْتُ مِنْ خِنْدَفٍ ^٢ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمْ	مِنْ بَنِي أَحْمَدَ، مَا كَانَ فَعَلْ

ولمّا أخذ يزيد مجلسه يلقي على الناس بأراجيفه ويفتخر على آل محمّد وأنشد أبيات الكفر والنفاق متباهياً بفتحته وانتصاره، قامت إليه زينب بنت عليّ ابن أبي طالب عليها السلام كالطود الشامخ في ذلك المجلس وافتتحت خطبتها

١. البيت الثاني لهذه الأبيات لـ «عبد الله بن الزبيري» من أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله الألداء، وقد أنشد هذه الأبيات بعد معركة غزوة أحد للتعريض بقتلى المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيها يتمنى أن قتلاه في يوم بدر كانوا موجودين في هذا اليوم ليروا قتلى قبيلة الخزرج (من قبائل المسلمين في المدينة). وكيف عاشوا الذلة والمهانة، وقد استفاد يزيد من هذا البيت من شعر ابن الزبيري وأنشد الباقي منه.

٢. يعتبر خندف من أجداد قريش الأعلون ومنهم يزيد. (انظر: تاريخ الطبري، ج ١، ص ٢٤-٢٥).

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، صَدَقَ اللَّهُ حَيْثُ يَقُولُ: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا الشُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ»^١.

أَظَنَنْتَ يَا زَيْدُ حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَآفَاقَ السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا نُسَاقُ كَمَا تَسَاقُ الْأُسَارَى أَنْ بِنَا عَلَى اللَّهِ هَوَانًا، وَبِكَ عَلَيْهِ كَرَامَةٌ وَأَنَّ ذَلِكَ لِعَظَمِ خَطْرِكَ عِنْدَهُ، فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، وَنَظَرْتَ فِي عِطْفِكَ جَذْلَانِ مَسْرُورًا حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْتِقَةً وَالْأُمُورَ مُتَسِقَةً وَحِينَ صَفَا لَكَ مُلْكُنَا وَسُلْطَانُنَا، فَمَهْلًا مَهْلًا، أَنْسَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ»^٢.

ثم قالت في استمرار خطبتها الغراء:

أَمِنْ الْعَدْلِ يَا ابْنَ الطُّلُقَاءِ!^٣ تَخْدِيرُكَ حَرَائِرِكَ وَإِمَاءَكَ، وَسَوْقَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمِ سَبَايَا، قَدْ هَتَكْتَ سُتُورَهُنَّ، وَأَبْدَيْتَ وُجُوهَهُنَّ، تَخْدُو بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، يَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَنَاهِلِ وَالْمَنَاقِلِ، وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَالْدَنِيُّ وَالشَّرِيفُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيٌّ، وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيٌّ، وَكَيْفَ يُرْتَجَى مُرَاقِبَةٌ مِنْ لَفْظِ فُوهٍ أَكْبَادِ الْأَرْكَبَاءِ، وَنَبَتِ لَحْمُهُ مِنْ دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ، وَكَيْفَ يُسْتَبْطَأُ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْنَا بِالشَّنَفِ وَالشَّنَانِ وَالْإِخْنِ وَالْأَضْغَانِ، ثُمَّ تَقُولُ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ وَلَا مُسْتَغْظَمٍ:

لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا زَيْدُ لَا تَشَلْ

مُتَّحِيًا عَلَى ثَنَايَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، تَنَكُّتُهَا بِمَخْصَرَتِكَ، وَكَيْفَ

١. سورة الروم، الآية ١٠.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٧٨.

٣. إشارة لواقعة فتح مكة عندما قال النبي الأكرم ﷺ، لزعماء قريش ومنهم أبو سفيان و معاوية: «إِذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ». (انظر: بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١٠٦ وتاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٣٧).

لَا تَقُولُ ذَلِكَ وَقَدْ نَكَاتَ الْقَرْحَةَ، وَاسْتَأْصَلَتِ الشَّافَةَ بِإِرَاقَتِكَ دِمَاءَ ذُرِّيَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَنُجُومِ الْأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَتَهْتَفُ بِأَشْيَاخِكَ، زَعَمْتَ أَنَّكَ تُنَادِيهِمْ، فَلْتَرِدَنَّ وَشِيكاً مُورِدَهُمْ وَلْتَوَدِّنَنَّ أَنَّكَ شَلَلْتَ وَبَكِمْتَ، وَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ مَا قُلْتَ وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ.

ثم قالت:

اللَّهُمَّ خُذْ بِحَقِّنَا، وَانْتَقِمْ مِنْ ظَالِمِنَا، وَأَخْلِلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دِمَاءَنَا، وَقَتَلَ حُمَاتِنَا، فَوَاللَّهِ مَا فَرَيْتُ إِلَّا جِلْدَكَ، وَلَا حَزَرْتُ إِلَّا لَحْمَكَ، وَلْتَرِدَنَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِمَا تَحَمَّلْتَ مِنْ سَفَكِ دِمَاءِ ذُرِّيَّتِهِ، وَأَنْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ فِي عَشْرَتِهِ وَلُحْمَتِهِ، حَيْثُ يَجْمَعُ اللَّهُ سَمْلَهُمْ، وَيَلْمُ شَعَثَهُمْ، وَيَأْخُذُ بِحَقِّهِمْ «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»^١. وَحَسْبُكَ بِاللَّهِ حَاكِماً، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَصِيماً، وَبِجَبْرِئِيلَ ظَهيراً، وَسَيَعْلَمُ مَنْ سَوَّلَ لَكَ وَ مَكَنَكَ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ، بِشَسِّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً، وَأَيُّكُمْ شَرُّ مَكَاناً، وَأَضْعَفُ جُنْداً.

وعند ذاك ختمت خطبتها بهذه الكلمات المهينة لمقام يزيد وقالت:

وَلَيْنَ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّوَاهِي مُخَاطِبَتَكَ، إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَأَسْتَغْظِمُ تَقْرِيعَكَ، وَأَسْتَكْثِرُ تَوْبِيخَكَ، لَكِنَّ الْعُيُونَ عَبْرِي، وَالصُّدُورَ حَرَى، أَلَا فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ حِزْبِ اللَّهِ النُّجَبَاءِ بِحِزْبِ الشَّيْطَانِ الطُّلُقَاءِ، فَهَذِهِ الْأَيْدِي تَنْطِفُ مِنْ دِمَائِنَا، وَالْأَفْوَاهُ تَتَحَلَّبُ مِنْ لُحُومِنَا، وَتِلْكَ الْجُثَثُ الطَّوَاهِرُ الرِّوَاقِي تَنْتَابُهَا الْعَوَاسِلُ، وَتُعَفِّرُهَا أُمّهَاتُ الْفِرَاعِلِ.

وَلَيْنَ اتَّخَذْنَا مَغْنَمًا لَتَجِدَ بِنَا وَشِيكاً مَغْرَمًا حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ، وَإِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكِي، وَعَلَيْهِ الْمُعْوَلُ، فَكِدْ كَيْدَكَ، وَأَسْعِ سَعْيَكَ، وَنَاصِبِ جُهْدَكَ، فَوَاللَّهِ لَا تَمَحُو ذِكْرَنَا، وَلَا تُمِيتُ وَحِينَا، وَلَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا، وَلَا

١. سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

تَرْحُصُ عَنْكَ غَارَهَا، وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا قَدَدٌ، وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدٌ، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ؟ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي خَتَمَ لَأَوْلِنَا بِالسَّعَادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَلَاخِرِنَا بِالشَّهَادَةِ وَالرَّحْمَةِ. وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُكْمِلَ لَهُمُ الثَّوَابَ، وَيُوجِبَ لَهُمُ الْمَزِيدَ، وَيُحْسِنَ عَلَيْنَا الْخِلَافَةَ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ^١.



تعدّ هذه الخطبة الغراء إحدى أفصح وأقوى الخطب في تاريخ الإسلام، وكأنّ زينب عليها السلام قد استمدت هذه الخطبة من روح أبيها عليّ بن أبي طالب عليه السلام وتحلّت بشجاعته الفائقة، فكانت كلمات أمير المؤمنين عليه السلام تجري على لسان ابنته زينب الكبرى عليها السلام التي تحدّثت للناس بمنطق أبيها.

إنّ شرح هذه الخطبة وما تتضمّنه من دقائق ومضامين عالية يحتاج لتأليف كتاب مستقلّ، ولكننا في هذا المختصر نشير إلى مقتطفات من هذه المضامين الرائعة، فهذه الخطبة تتألف من سبعة مقاطع مختلفة، وناظرة لسبعة أهداف مهمة:

١. في البداية كسرت هذه المرأة الشجاعة غرور يزيد بعدّة كلمات قلائل وتلاوتها لآية من القرآن الكريم بيّنت مكانته أمام الله تعالى، وقالت: إنّ جميع ما تملكه من قدرة وثروة وجنود لا تعتبر امتيازاً إلهياً لك، فأنت من مصاديق الذين أملى لهم الله تعالى ليزدادوا إثماً، ثم تزول عنهم كلّ هذه الأمور الظاهرية ويفقدون كلّ شيء ويصير مصيرهم إلى جهنّم.

٢. وفي المقطع الثاني تحدّثت زينب الكبرى عليها السلام عن معاملة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لأجداد يزيد في فتح مكة حيث شملهم بالعفو، وقارنت بينه وبين عمل يزيد القبيح الذي قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأبناء الرسالة واحتزّ رؤوسهم وساق نساءهم وأطفالهم

١. الاحتجاج، ج ٢، ص ١٢٢-١٣٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٢-١٣٥؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٥٧-٣٥٩ (مع اختلاف يسير).

أسرى يقادون من مدينة إلى مدينة وبذلك وصمت على جبين يزيد وصمة العار والخزي.

٣. وفي المقطع الثالث ذكرت العبارة التي نطق بها يزيد من منطلق الكفر والتي تؤكد على عدم إيمانه، وأنه سوف يواجه سريعاً مصير أشياخه وأجداده ويلقى في جهنم وبئس المصير.

٤. ثم أكدت الحوراء زينب عليها السلام على مقام الشهداء الشامخ ولا سيما شهداء آل بيت النبوة في كربلاء واعتبرت ذلك افتخاراً كبيراً لهذه الأسرة الهاشمية.

٥. ثم إن زينب الكبرى عليها السلام أشارت إلى حضور يزيد في محكمة العدل الإلهي يوم القيامة، وفي تلك المحكمة التي يكون فيها القاضي الله تعالى، وخصمه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والشهود هم ملائكة الله، ومعلوم مسبقاً؛ نتيجة مثل هذه المحكمة الإلهية العادلة.

٦. ثم انطلقت الحوراء زينب عليها السلام تخاطب يزيد من موقع الاحتقار والازدراء إلى حد أنها قالت له: «وَلَيْنُ جَزَتْ عَلَيَّ الدَّوَاهِي مُخَاطَبَتَكَ، إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَأَسْتَغْظِمُ تَقْرِيعَكَ..» ولا تتصور أنك عندما جئت بي إلى هنا أسيرة في قصرك، أنني سوف أحترمك وأهابك، فإنك في نظري لا تستحق أن أتحدث معك، وعندما أكلمك الآن فهذا من باب الاضطرار.

٧. وفي آخر مقطع من خطبتها شكرت زينب الكبرى عليها السلام الباري تعالى على نعمه العظيمة التي اختصها بآل بيت النبوة عليهم السلام، وتمثل في نزول الرحمة والسعادة للأوائل من هذا البيت النبوي وختمها بالشهادة والرحمة.

١٧. الخطبة التي هزت قصر يزيد

ورد في رواية أن يزيد أمر الخطيب بالصعود على المنبر وأن يذكر معاوية بالخير والثناء ويتهم على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، فامتثل الخطيب ما أمر به يزيد

وأكثر من سب أمير المؤمنين والإمام الحسين (عليه السلام)!!
 وفجأة صاح به الإمام زين العابدين (عليه السلام): «وَيْلَكَ أَيُّهَا الْخَاطِبُ! لَقَدْ اشْتَرَيْتَ
 مَرْضَاةَ الْمَخْلُوقِ بِسَخَطِ الْخَالِقِ، فَتَبَوَّأَ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ!».
 ثم قال الإمام (عليه السلام): «يَا يَزِيدُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَرْقِيَ هَذِهِ الْأَعْوَادَ^١ فَاتَّكَلَّمَ بِكَلَامٍ فِيهِ لِلَّهِ
 تَعَالَى رِضًى، وَلِلْهُوْلَاءِ أَجْرٌ وَثَوَابٌ».

فأبى يزيد عليه ذلك، لأنه يعلم أن نتيجة كلامه الفضيحة له ولبنى أمية، ولكن
 الناس أصرّوا بأن يأذن له ولكن يزيد امتنع من ذلك إلى أن قال له ابنه معاوية: «يا
 أبة أئذن له فليصعد المنبر وما قدر ما يحسنه هذا» (وسوف يفضح نفسه).
 فقال له يزيد: «إِنَّ هَؤُلَاءِ وَرَثُوا الْعِلْمَ وَالْفَصَاحَةَ وَزُقُوا الْعِلْمَ زُقًا».

قال الراوي: فلم يزالوا به حتى أذن له، فصعد الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) المنبر،
 فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة أبكى منها العيون وقال:

أَيُّهَا النَّاسُ! أُعْطِينَا سِتًّا وَفُضِّلْنَا بِسَبْعٍ: أُعْطِينَا الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالسَّمَاحَةَ وَالْفَصَاحَةَ
 وَالشَّجَاعَةَ وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفُضِّلْنَا بِأَنَّ مَنَا النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ مُحَمَّدًا،
 وَمَنَا الصَّدِّيقَ، وَمَنَا الطَّيَّارَ، وَمَنَا أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ، وَمَنَا سَبْطًا هَذِهِ الْأُمَّةِ^٢.

مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي أَنْبَأْتُهُ بِحَسْبِي وَنَسْبِي.

ثم انطلق الإمام زين العابدين (عليه السلام) بالتعريف بنفسه أكثر وقال:

أَيُّهَا النَّاسُ! أَنَا أَبْنُ مَكَّةَ وَمِنِي، أَنَا أَبْنُ زَمْزَمَ وَالصَّفَا، أَنَا أَبْنُ مَنْ حَمَلَ الرُّكْنَ
 بِأَطْرَافِ الرَّدَا^٣، أَنَا أَبْنُ خَيْرٍ مَنِ اتَّزَرَ وَأَرْتَدَى، أَنَا أَبْنُ خَيْرٍ مَنِ اتَّعَلَّ وَاحْتَفَى، أَنَا

١. اعتبر الإمام السجاد (عليه السلام) عن المنبر بالأعواد لأنه كلما كان الخطيب ينطق بالباطل فيكون المنبر أعواداً فقط
 لا غير ولا ينسب المنبر حينئذ إلى الله ورسوله ﷺ!!

٢. مع أن الإمام ذكر خصال تعد من فضائله، ولكن ورد في هذه الخطبة ٦ منها، وينقل الشيخ عباس القمي عن
 كامل البهائي أن الخصلة السابعة التي ذكرها الإمام: «وَمَنَا الْمُهْدِيُّ الَّذِي يَقْتُلُ الدَّجَالَ». (نفس المهموم، ص
 ٢٦١).

٣. وهو إشارة إلى ما وقع في عصر الجاهلية من قصة السيل الذي هدم الكعبة وكان النبي ﷺ في ذلك الوقت

ابْنُ خَيْرٍ مِّنْ طَافَ وَسَعَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مِّنْ حَجَّ وَلَبَّى، أَنَا ابْنُ مَن حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ فِي الْهَوَاءِ، أَنَا ابْنُ مَن أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، أَنَا ابْنُ مَن بَلَغَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، أَنَا ابْنُ مَن دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، أَنَا ابْنُ مَن صَلَّى بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، أَنَا ابْنُ مَن أَوْحَى إِلَيْهِ الْجَلِيلُ مَا أَوْحَى، أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، أَنَا ابْنُ عَلِيٍّ الْمُتَزَيُّ، أَنَا ابْنُ مَن ضَرَبَ خِرَاطِيمَ الْخَلْقِ حَتَّى قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

واستمر الإمام السجّاد في ذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والتعريف بشخصيته (لكي يبطل أثر الاعلام السيء ضد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي استمر سنوات مديدة في الشام) وقال:

أَنَا ابْنُ مَن ضَرَبَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ بِسَيْفَيْنِ، وَطَعَنَ بِرُمُحَيْنِ، وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ^١، وَبَايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ^٢، وَقَاتَلَ بِبَدْرٍ وَحُنَيْنٍ، وَلَمْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَنَا ابْنُ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ النَّبِيِّينَ، وَقَامِعِ الْمُلْحِدِينَ، وَيَعْسُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَنُورِ الْمُجَاهِدِينَ، وَزَيْنِ الْعَابِدِينَ، وَتَاجِ الْبَكَّائِينَ، وَأَصْبَرَ الصَّابِرِينَ، وَأَفْضَلَ الْقَائِمِينَ

→ له من العمر ٣٥ سنة، حيث اكتسح سيل عظيم مكة وخلف أضراراً بالكعبة وعزمت قريش على بناء الكعبة من جديد، وبعد أن تم تشييد الكعبة وصل الدور إلى نصب الحجر الأسود، فحدث خلاف شديد بين رؤساء القبائل في من يكون له شرف إعادة الحجر الأسود إلى مكانه، فاقترح بعضهم أن يفوضوا الأمر بينهم لأول من يدخل عليهم من الصفا وفجأة رأوا رسول الله ﷺ يدخل عليهم فقالوا جميعاً إنه محمد الأمين ونحن راضون بتحكيمه، فأمرهم النبي بأن يضعوا الحجر الأسود في رداء ويمسك جميع رؤساء قريش من طرف الرداء ويرفعونه إلى الأعلى ثم إن رسول الله ﷺ أخذ الحجر بيد المباركة ووضعه في مكانه. (انظر: فروغ أبديت (بالفارسية)، ج ١، ص ٢٠٦).

١. إحدى الهجرتين: هجرة الإمام علي عليه السلام من مكة إلى المدينة، والأخرى ربما تشير إلى الهجرة إلى الطائف مع النبي الأكرم ﷺ في السنة الحادية عشر للبعثة، أو هجرة الإمام علي عليه السلام من المدينة إلى الكوفة في أيام خلافته.

٢. إحدى هاتين البيعتين بيعة الرضوان والأخرى بيعة سنة فتح مكة، كما أشار إلى ذلك الإمام الحسن عليه السلام في بيان فضائل أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال: «إِنَّهُ بَايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ: بَيْعَةَ الْفَتْحِ، وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ» (الغدير، ج ١٠، ص ١٦٨؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٢٨٨).

مِنْ آلِ يَاسِينَ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَنَا ابْنُ الْمُؤَيَّدِ بِجَبْرِئِيلَ، الْمَنْصُورِ بِمِيكَائِيلَ.
 أَنَا ابْنُ الْمُحَامِي عَنْ حَرَمِ الْمُسْلِمِينَ، وَ قَاتِلِ الْمَارِقِينَ وَالتَّاكِيثِينَ وَالْقَاسِطِينَ،
 وَالْمُجَاهِدِ أَعْدَاءَهُ النَّاصِيِينَ، وَأَفْخَرِ مَنْ مَشَى مِنْ قُرَيْشٍ أَجْمَعِينَ، وَأَوَّلِ مَنْ أَجَابَ
 وَاسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَوَّلِ السَّابِقِينَ، وَقَاصِمِ الْمُعْتَدِينَ، وَمُبِيدِ
 الْمُشْرِكِينَ، وَسَهْمِ مَنْ مَرَامِيَ اللَّهِ عَلَى الْمُتَنَافِقِينَ، وَلِسَانِ حِكْمَةِ الْعَابِدِينَ، وَنَاصِرِ
 دِينِ اللَّهِ، وَوَلِيِّ أَمْرِ اللَّهِ، وَبُسْتَانِ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ، سَمَحٌ، سَخِيٌّ، بَهِيٌّ، بُهْلُولٌ،
 زَكِيٌّ، أَبْطَحِيٌّ، رَضِيٌّ، مَقْدَامٌ، هُمَامٌ، صَابِرٌ، صَوَامٌ، مُهَذَّبٌ، قَوَامٌ، قَاطِعُ الْأَصْلَابِ،
 وَمُفَرِّقُ الْأَحْزَابِ، أَرْبَطُهُمْ عِنَانًا، وَأَثْبَتُهُمْ جَنَانًا، وَأَمْضَاهُمْ عَزِيمَةً، وَأَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً،
 أَسَدٌ بَاسِلٌ، يَطْحَنُهُمْ فِي الْحُرُوبِ إِذَا أَرْدَلَتْ الْأَسِنَّةُ وَقَرَّبَتِ الْأَعْنَتُ، طَحْنُ الرَّحَى،
 وَيَذَرُوهُمْ فِيهَا ذَرَوَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ، لَيْثُ الْحِجَارِ، وَكَبْشُ الْعِرَاقِ، مَكِّيٌّ مَدَنِيٌّ، خِنْفِيٌّ
 عَقَبِيٌّ، بَذْرِيٌّ أُحْدِيٌّ، شَجَرِيٌّ مُهَاجِرِيٌّ.

مِنْ الْعَرَبِ سَيِّدُهَا، وَمِنْ الْوَعَى لَيْثُهَا، وَارِثُ الْمَشْعَرَيْنِ^١، وَأَبُو السَّبْطَيْنِ: الْحَسَنِ
 وَالْحُسَيْنِ، ذَاكَ جَدِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

ثم قال الإمام (عليه السلام):

«أَنَا ابْنُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، أَنَا ابْنُ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ...».

قال الراوي: فلم يزل الإمام زين العابدين (عليه السلام) يقول أنا أنا حتى ضج الناس
 بالبكاء والنحيب وخشي يزيد أن تقع فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام.
 فلما قال المؤذن: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ». قال الإمام (عليه السلام): «لَا شَيْءَ أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ».
 فلما قال المؤذن: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». قال الإمام (عليه السلام): «شَهِدَ بِهَا شَعْرِي
 وَبِشَرِي وَلَحْمِي وَدَمِي».

فلما قال المؤذن: «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، إلتفت الإمام السجاد (عليه السلام) من

١. يحتمل المراد من المشعرين أحدهما عرفات والآخر المشعر الحرام.

فوق المنبر إلى يزيد، فقال : «محمَّدُ هذا جدِّي أمْ جدُّكَ يا يزيدُ؟ فإنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ
جدُّكَ كَذِبْتَ وكَفَرْتَ وإنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ جدِّي فَلِمَ قَتَلْتَ عِترَتَهُ؟ فَلِمَ قَتَلْتَ أَبِي ظُلْمًا
وانْتَهَبْتَ مَالَهُ وَسَبَّيْتَ نِسَاءَهُ؟»

فاضطرب يزيد فصاح بالمؤذن أن يقيم الصلاة فوقع بين الناس دمدمة وزمزمة
عظيمة بعض صلى مع يزيد وبعض لم يصل حتى تفرَّقوا^١.
وطبقاً لرواية أخرى، عندما قال المؤذن: «أشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ» أخذ
الإمام زين العابدين عليه السلام عمامته من رأسه، وقال للمؤذن: أسألك بِحَقِّ مُحَمَّدٍ هذا أنْ
تَسْكُتَ ساعةً، ثمَّ أَقْبَلَ على يزيد وقال: «يا يزيدُ، هذا الرَّسولُ العَزِيزُ الكَرِيمُ جدِّي
أمْ جدُّكَ، فإنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ جدُّكَ يَعْلَمُ الْعَالَمُونَ أَنَّكَ كاذِبٌ وإنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ جدِّي فَلِمَ
قَتَلْتَ أَبِي ظُلْمًا وَأَنْتَهَبْتَ مَالَهُ وَسَبَّيْتَ عِيَالَهُ؟».

فقال الإمام زين العابدين عليه السلام هذا وأهوى إلى ثوبه فشقه ثم بكى وقال: «والله لو
كَانَ فِي الدُّنْيَا مَنْ جَدُّهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَلَيْسَ غَيْرِي، فَلِمَ قَتَلَ هَذَا الرَّجُلَ أَبِي ظُلْمًا
وسَبَّانَا كَمَا تُسَبِّي الرُّومَ».

ثمَّ قال عليه السلام: «يا يزيدُ فَعَلْتَ هَذَا ثُمَّ تَقُولُ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ وَتَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ، فَوَيْلُ
لَكَ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيْثُ كَانَ خَصْمُكَ جدِّي وأبي».

واضطرب المجلس وأحس يزيد بالخطر والفتنة فصاح يزيد بالمؤذن أن يقيم
الصلاة فوقع بين الناس دمدمة وزمزمة عظيمة بعض صلى مع يزيد وبعض لم يصل
حتى تفرَّقوا^٢.



١ . بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٧-١٣٩؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٥٢-٣٥٣. وطبقاً لما نقله المرحوم
الحاج الشيخ عباس القمي، أن الإمام زين العابدين عليه السلام بيّن جملة أخرى في تعريف نفسه، منها: «أنا
ابنُ الْحُسَيْنِ الْقَتِيلِ بِكَرْبَلَاءَ، ... أنا ابنُ الْمَرْمَلِ بِالدِّمَاءِ، أنا ابنُ مَنْ بَكَى عَلَيْهِ الْجَنُّ فِي الظُّلُمَاءِ، أنا ابنُ مَنْ نَاحَ
عَلَيْهِ الطُّيُورُ فِي الْهَوَاءِ» (نفس المهموم، ص ٢٦١).

٢. نفس المهموم، ص ٢٦٢.

وغني عن البيان أنّ هذه الخطبة العجيبة والعديمة النظير قد أثارت ضجة في الشام وهزت عروش الأمويين وأجهضت اعلامهم المسموم ضد أمير المؤمنين عليه السلام طيلة أربعين سنة وانتشرت كالصاعقة في جميع أرجاء البلاد الإسلامية، أجل، فمثل هذه الخطبة الغراء ولدت مثل هذا الأثر العظيم، حتى أنّ الإنسان في هذا العصر عندما يقرأ هذه الخطبة يشعر برعشة في بدنه ويصلي ويسلم على صاحبها آلاف الصلوات والتحيات.

والنقطة الملفتة للنظر أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام ألقى هذه الخطبة في ظروف غير مؤاتية حيث كان يزيد بن معاوية يعيش حالات السكر والغرور من انتصاره المزعوم وقد شكل مجلساً حافلاً يضم الأعيان وسفراء البلاد الأخرى احتفالاً بهذا النصر.

إنّ الجوّ الناشئ من فاجعة كربلاء واستبداد الحكومة الأموية من جهة، والارهاق والتعب من جراء الأسر والسفر الطويل من جهة أخرى وكذلك الآلام الروحية الناشئة من فاجعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه عليهم السلام كلها تعتبر عاملاً أساسياً لتحطيم روحية الإنسان الذي يواجه مثل هذه التحديات الصعبة ومن شأنها أن لا تبقي للإمام علي بن الحسين عليه السلام القدرة على الحديث العادي، ولا سيما أنّ الإمام كان مقيداً بالأغلال والحبائل إلى جانب عمته زينب الكبرى عليها السلام وباقي النسوة والأطفال من بني هاشم حيث أدخلوهم إلى ذلك المجلس بهذه الصورة.

ولكن الإمام زين لعابدين عليه السلام وارث علم النبي والفصاحة العلوية والشجاعة الحسينية، ألقى هذه الخطبة بكامل الطمأنينة وفي غاية الفصاحة والبلاغة، وقد عرف نفسه وأبيه وجدّه للناس لإزالة غبار الغفلة والجهل عنهم وإتمام الحجة عليهم.

أجل، فقد أتم الحجة على أهل الشام الذين قضوا عمرهم وهم يعيشون الإسلام الأموي ويرون في معاوية ويزيد الفاسق وشارب الخمر أنّه أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ولا يرون شخصاً يمثل الإسلام والدين سوى هؤلاء الفاسدين من بني أمية، ويرون الإمام الحسين وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام خارجين على الدين وعلى خليفة

المسلمين!!

ولمّا كان يزيد يعلم إجمالاً بما يملكه الإمام من علم وتقوى وطهارة نبوية، فقد امتنع في بداية الأمر أن يأذن للإمام زين العابدين عليه السلام أن يرقى المنبر ويخطب في الناس، لأنّ بني أمية بذروا أفكارهم في أرض الجهل والغفلة عن الإسلام الحقيقي لدى أهل الشام ويعلمون أن اطلاع الناس على الحقيقة من شأنه أن يهدر أتعابهم وتبليغاتهم لمُدّة سنوات مديدة، ولكن بسبب ضغط الناس وإصرارهم وافق يزيد على أن يخطب الإمام بالناس، ووقع يزيد فيما كان يخشى منه، حيث ارتفعت أصوات الاعتراض وسادت أجواء الحزن والبكاء على ذلك المجلس، وأخيراً ترك جماعة المجلس بدون أن يقتدوا بالخليفة في الصلاة.

١٨. سقطات يزيد

لما سمعت زوجة يزيد بن معاوية، وهي هند بنت عبد الله بن عامر أنّ رأس الحسين عليه السلام معلق على باب دارها شقت الستر ودخلت مجلس يزيد وهي حاسرة وقالت: رأس ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ مصلوب على فناء داري؟ فغطاها يزيد وقال: نعم، فاعولي يا هند وأبكي على ابن بنت رسول الله ﷺ وصريخة قريش، فقد عبّل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله^١.

ومن أجل التخفيف من وطأة الرأي العام، كان يزيد لا يتعدى ولا يتعشى حتى يحضر معه علي بن الحسين عليه السلام^٢، وأذن لزينب ونساء بني هاشم بإقامة العزاء على الحسين عليه السلام فأقامت زينب الكبرى عليها السلام مأتم لأخيها الحسين عليه السلام وأهل بيته لمُدّة سبعة أيّام، وحضر في ذلك المأتم نسوة الشام حتّى بلغ الأمر بأن أوشك الناس على الهجوم على قصر يزيد وقتله، فأمر يزيد بتعطيل مجلس العزاء^٣ وقد سعى بإلقاء

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤٣.

٢. المصدر السابق.

٣. نفس المهموم، ص ٢٦٢.

اللائمة على عبيدالله بن زياد واتّهمه بأنّه المحور الأصلي لهذه الفاجعة الكبرى. يقول السيوطي وهو العالم السنّي المعروف: «فَسُرَّ - يزيد - بِقَتْلِهِمْ أَوَّلًا، ثُمَّ نَدِمَ لَمَّا مَقَّتَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَبْغَضَهُ النَّاسُ وَحَقُّ لَهُمْ أَنْ يُبْغِضُوهُ»^١. وينقل الطبري: أنّ يزيد لعن ابن مرجانة، وقال: «فَبَغَّضَنِي بِقَتْلِهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَزَرَعَ لِي فِي قُلُوبِهِمُ الْعَدَاوَةَ، فَبَغَّضَنِي الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ بِمَا اسْتَغْظَمَ النَّاسُ مِنْ قَتْلِي حُسَيْنًا»^٢.

ومن المعلوم أنّ هذا التراجع المصلحي ليزيد وتغيير موقفه السياسي، كان نتيجة الخطبتين للحوراء زينب والإمام زين العابدين (عليه السلام) في الشام ويقظة أهالي الشام، وإلا فإنّ يزيد مع سابقته السيئة وكلماته وأشعاره الذي يظهر فيها الفرح والشماتة لم يكن نادماً على هذا العمل، ولذلك لم يعاقب عبيدالله بن زياد والمتورّطين في الفاجعة الأليمة بل أبقاهم في مناصبهم!^٣

١٩. حديث منهل مع الإمام زين العابدين (عليه السلام)

طيلة المدة التي كان فيها أهل البيت (عليهم السلام) في الشام كانوا يسكنون في خربة التي لا تقيهم من حرّ الشمس ولا من برد الليل^٤، خرج الإمام زين العابدين (عليه السلام) يوماً يمشي في أسواق دمشق فاستقبله «منهل بن عمرو» فقال له: «كَيْفَ أُمْسِيَّتَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ؟».

قال الإمام (عليه السلام): «أُمْسَيْنَا كَمَثَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي آلِ فِرْعَوْنَ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَ

١. تاريخ الخلفاء، ص ٢٣٢.

٢. تاريخ، الطبري، ج ٤، ص ٣٨٩.

٣. يقول ابن كثير العالم السنّي المتعصب والذي يستخدم غالباً عنصر التبرير لأفعال معاوية ويزيد، في هذا الصدد «وَقَدْ لَعَنَ يَزِيدُ ابْنَ زِيَادٍ عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ، وَشَتَمَهُ فِيمَا يَظْهَرُ وَيَبْدُو، وَلَكِنْ لَمْ يَغْرِ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا غَاقِبَهُ، وَلَا أَرْسَلَ يَعْيبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ» (البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٤).

٤. مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٦٠.

يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ».

ثم أضاف: «يا منهال! أمسيت العرب تفتخر على العجم بأنّ مُحَمَّدًا عَرَبِيٌّ، وأمسّت قُرَيْشٌ تفتخر على سائر العرب بأنّ مُحَمَّدًا مِنْهَا، وأمسينا معشر أهل بيته وَنَحْنُ مَغْضُوبُونَ مَقْتُولُونَ مُشَرَّدُونَ، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ممّا أَمْسَيْنَا فِيهِ، يا مِنْهال»^١.

يقول منهال: بينما كان الإمام عليه السلام يتحدث معي إذ رأيت امرأة خرجت من الخربة باتجاهه: وهي تقول: «إِلَى أَيْنَ يَا نِعَمَ الْخَلْفُ؟» فأسرع الإمام للذهاب معها، فسألت عنها؟ فقليل: عمته زينب عليها السلام»^٢.

٢٠. بقايا الشام

وينقل المرحوم المحدث القمي عن الكامل البهائي: إنّ نساء أهل بيت النبوة أخفين عن الأطفال شهادة آبائهم ويقلن لهم أنّ آباءهم قد سافروا إلى كذا وكذا، وكان الحال على ذلك المنوال حتى أمر يزيد بأن يدخلن داره (في مكان على مقربة من دار يزيد)، وكان للحسين عليه السلام بنت صغيرة لها أربع سنين قامت ليلة من منامها وقالت: «أَيْنَ أَبِي الْحُسَيْنِ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ السَّاعَةَ فِي الْمَنَامِ مُضْطَرَبًا اضْطِرَابًا شَدِيدًا».

فلما سمع النسوة ذلك بكين وبكى معهنّ سائر الأطفال وارتفع العويل، فانتبه يزيد من نومه وقال: ما الخبر؟ ففحصوا عن الواقعة وقصّوها عليه، فأمر بأن يذهبوا برأس أبيها عليه السلام إليها فأتوا بالرأس الشريف وجعلوه في حجرها، فقالت: ما هذا؟ قالوا: رأس أبيك.

١. الملهوف (اللاهوف)، ص ٢٢٢-٢٢٣؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٦٠.

٢. مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٦٠.

ففزعت الصبيّة وصاحت، فمرضت وتوفّيت في أيّامها بالشام.
وروي هذا الخبر في بعض التأليفات بوجه أبسط ومنه: فجاءوا بالرأس الشريف
إليها مغطّى بمنديل ديبقي، فوضع بين يديها وكُشف الغطاء عنه، فقالت: ما هذا
الرأس؟

قالوا: إنّهُ رأس أبيك، فرفعته من الطست حاضنة له وهي تقول:
يا أبتاه مَنْ ذا الَّذِي خَضَبَكَ بِدِمَائِكَ؟
يا أبتاه مَنْ ذا الَّذِي قَطَعَ وَرِيدَكَ؟
يا أبتاه مَنْ ذا الَّذِي أَيْتَمَّنِي عَلَى صِغَرِ سِنِّي؟
يا أبتاه مَنْ بَقِيَ بَعْدَكَ نَرْجُو؟
يا أبتاه مَنْ لِلْيَتِيمَةِ حَتَّى تَكْبُرُ، وذكر لها من هذه الكلمات.
إلى أن قال الراوي: ثم إنّها وضعت فمها على فمه الشريف وبكت بكاءً شديداً
حتى غشي عليها، فلما حرّكوها فإذا هي قد فارقت روحها الدنيا.
فلما رأى أهل البيت ما جرى عليها أعلوا بالبكاء وستجدوا العزاء^١.
ويبقى الكلام عن اسم هذه الصبيّة حيث لم يرد اسمها في المصادر المعتبرة وإن
كان المعروف والمشهور أنّ اسمها «رقية» ولها مرقد وضريح مجلل في دمشق
ويزوره في كل عام آلاف الأشخاص من أتباع أهل البيت^{عليه السلام}.
ويروي المرحوم السيد ابن طاووس في حوادث اليوم التاسع من عاشوراء عندما
كان الحسين^{عليه السلام} يودع نساءه وأطفاله كانت له بنت تدعى رقية، يقول: إنّ الإمام
الحسين^{عليه السلام} نادى: يا أم كلثوم ويا زينب ويا رقية ويا فاطمة ويا رباب ودعاهنّ
للصبر والاستقامة^٢، ولكن ابن طاووس لم يذكر هل أنّ رقية بنت الإمام
الحسين^{عليه السلام}، وكم عمرها؟

١. نفس المهموم، ص ٢٥٩-٢٦٠.

٢. الملهوف (اللاهوف)، ص ١٤١.

يقول المرحوم العلامة السيد محسن الأمين في «أعيان الشيعة»: إن رقية بنت الإمام الحسين لها قبر في دمشق ينسب إليها^١، وفي «رياحين الشريعة» أيضاً ورد اسم رقية^٢.



إن وفاة هذه البنت الصغيرة للإمام الحسين عليه السلام في خربة الشام وبذلك الوضع المأساوي، ثم بناء مرقد وضريح فخم على قبرها وزوال كل ما كان لدى بني أمية من مظاهر براقة وقدرة ظاهرية، يمثل درساً كبيراً لمن يملك البصيرة، فكيف زالت تلك القصور والسلطة العظيمة من الأمويين ولم يبق لها أثر ولكن تلك الخبرة وببركة هذه الطفلة الصغيرة من آل بيت النبوة، تحولت إلى بناء شامخ وعمارة مجللة، وهذا الموضوع أخذ حيزاً كبيراً من قصائد الشعر وأدب الأدباء حيث أنشدوا في ذلك قصائد عن هذه الصبية بنت الإمام الحسين عليه السلام:

٢١. الطلبات الثلاث للإمام زين العابدين عليه السلام

بعد هذه الحادثة تغيرت الأوضاع السياسية ضد يزيد، فأعلم يزيد أن بقاء أهل البيت عليهم السلام في الشام يشكل خطراً جاداً عليه، فعزم أن يردّهم إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهذا قال لعلي بن الحسين عليه السلام: أذكر حاجاتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن.

فقال الإمام زين العابدين عليه السلام: الأولى: أن تُريني وجه سيدي وأبي ومولاي الحسين فأترود وأنظر إليه وأودعه.
الثانية: أن تُردّ علينا ما أخذ منا.

الثالثة: إن كنت عزمْتَ على قتلِي أن تُوجّه من يردّهن إلى حرم جدّهن.

١. أعيان الشيعة، ج ٧، ص ٣٤.

٢. رياحين الشيعة، ج ٣، ص ٣٠٩.

فقال يزيد: أما وجه أبيك الحسين فلن تراه أبداً، وأما قتلك فقد عفوت عنك، وأما النساء فما يردهن إلى المدينة غيرك، أما ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته.

فقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): (...لأنّ فيه مغزلاً فاطمة بنت محمد، ومقنعها، وقلاّدتها، وقميصها).

فأمر يزيد بن معاوية برّد ذلك وزاد عليه مائتي دينار، فأخذها الإمام (عليه السلام) وفرّقها على الفقراء والمساكين^١.

وكذلك روي أنّه لما أراد سبايا آل محمد (عليهم السلام) العودة إلى المدينة من الشام أحضر يزيد لهم المحامل وزينها وأمر بالأقطاع الأبريسم وصبّ عليها الأموال، وقال: يا أمّ كلثوم خذوا هذه الأموال عوض ما أصابكم.

فقالت أمّ كلثوم (عليها السلام): «يا يزيد ما أقلّ حيائك وأصلب وجهك، تقتل أخِي وأهل بيتي وتُعطيني عوضهم مالا، والله لا كان ذلك أبداً»^٢.



وهذه الواقعة تبين أنّ الوعي العام في الشام قد انقلب على يزيد بحيث إنّ رأى نفسه الطرف المهزوم في هذه المواجهة التاريخية، ولذلك اضطر بهذه الأمور لإصلاح الخلل ورأب الصدع للتقليل من غضب الناس وامتصاص سخطهم، ولكن أهل البيت (عليهم السلام) من خلال إظهار غضبهم وعدم استسلامهم لمطالب يزيد، ساهموا في إبقاء هذه الحوادث المروّية في أذهان أهل الشام وبذلك منحوا المجتمع الإسلامي حيوية وحركة ضدّ الحكومة الجائرة لبني أمية والتي تجسّدت في المواجهات والثورات اللاحقة.

١. الملهوف (اللاهوف)، ص ٢٢٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٩٧ (مع اختلاف يسير).

٢٢. محل دفن الرأس المقدس

هناك خلاف في محل دفن رأس الإمام الحسين عليه السلام، يقول المرحوم المحدث القمي في «نفس المهموم»: اختلفت الكلمات في مدفن الرأس الشريف عليه أفضل السلام، فقال قوم: بعث به يزيد إلى عمرو بن سعيد بن العاص عامله على المدينة. فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إليّ، ثم أمر به فدفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليها السلام.^١

وقيل: أنه كان في خزنة يزيد إلى أن دخل منصور بن جمهور خزنته فوجده في جونة حمراء وهو مخضوب بالسواد، فدفنه بدمشق عند باب الفراديس. وقيل: وجده سليمان بن عبد الملك بن مروان في خزنة يزيد، فكساه خمسة من الديباج وصلى عليه في جماعة في أصحابه وقبره. والذي اشتهر بين علمائنا الإمامية أنه دفن مع جسده الشريف، لأن علي بن الحسين عليه السلام، أو أنه مدفون عند أمير المؤمنين عليه السلام (في النجف الأشرف) كما في أخبار كثيرة.^٢

ويقول السيد ابن طاووس: وروي أيضاً أن الرأس المقدس أعيد إلى كربلاء ودفن إلى جانب جسد الحسين عليه السلام.^٣

وعلى هذا الأساس فالمشهور والمعروف بين علماء الإمامية أن رأس الإمام الحسين عليه السلام أعيد إلى كربلاء ودفن إلى جانب الجسد الطاهر، وهذا الرأي أقرب للشواهد والظروف التاريخية في ذلك الزمان، لأنه بعد خطبة الإمام زين العابدين وزينب الكبرى عليها السلام في الشام وما حدث من تغيير الأوضاع والأفكار العامة للناس

١. يقول المرحوم المحدث القمي: إن القول الصحيح في محل دفن الزهراء عليها السلام هو أنها دفنت في بيتها لا في البقيع. (نفس المهموم، ص ٢٦٩).

٢. نفس المهموم، ص ٢٦٩، واستحسن المرحوم العلامة المجلسي هذا القول (بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤٥١٤٤).

٣. الملهوف (اللهوف)، ص ٢٢٥.

في تلك الديار، دفع يزيد بن معاوية الرأس الشريف إلى الإمام زين العابدين عليه السلام لكسب ودّه ولئلا يبقى رأس الإمام الحسين عليه السلام في الشام. مضافاً إلى ذلك فإنّ إبقاء الرأس المقدّس في الخزانة وعدّة سنوات يعتبر غير متعارف وغير طبيعي ويؤدي لنفور أكثر الناس من البيت الأموي، ولذلك فالقول المشهور لعلماء الإمامية أقرب للواقع.

يقول المرحوم «المقرّم» في كتابه مقتل الحسين عليه السلام: لما عرف زين العابدين عليه السلام موافقة يزيد طلب منه الرؤوس كلّها ليدفنها مع أبدانها فلم يتباعد يزيد عن رغبته فدفع إليه رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه وأهل بيته عليهم السلام وصحبه عليهم السلام فألحقها بالأبدان^١.

٢٣. الحركة من الشام

بعد خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام وزينب الكبرى عليها السلام في الشام وتغيير الأوضاع وإقامة المأتم على الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام، من قبل الحوراء زينب وأهل البيت عليهم السلام في الشام، رأى يزيد أنّه ليس من المصلحة إبقاء هؤلاء الأسرى في الشام، فأمرهم بالعودة إلى المدينة، وطبقاً لما أورده العلامة المجلسي، فإنّ يزيد طلب من النعمان بن بشير وكان صحابياً أن يجهّز هؤلاء النسوة بما يصلحهنّ، ويبعث معهم رجلاً من أهل الشام صالحاً ويبعث معهم خيلاً وأعواناً إلى المدينة.

وعندما استعدّت القافلة للسفر، طلب يزيد الإمام زين العابدين عليه السلام وقال له: لعن الله ابن مرجانة إذ قدم على قتل الحسين بن فاطمة، أما والله لو كنت أنا صاحبه لما سألتني خصلة إلا أعطيته إياها، ولدفعت عنه الحف بكلّ ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن إذا قضى الله أمراً لم يكن له مردّ، فكاتبني بكلّ حاجة تكون لك.

فتحرّكت قافلة السبايا من أهل بيت النبوة، فخرج بهم الرسول يسايرهم، فيكون

١. مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٦٢.

أمامهم حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفترق هو وأصحابه كهيئة الحرس، ثم ينزل بهم حيث أراد أحدهم الوضوء ويعرض عليهم حوائجهم ويلطف بهم حتى دخلوا المدينة^١.

❦❦❦

لا شك أنّ هذه المظاهر وردود الأفعال الإيجابية من قبل الحكومة الأموية لم تكن بسبب ندم يزيد على فعله وجنائته، لأنّ التاريخ يشير إلى أنّ الحكومة الأموية بعد واقعة كربلاء كانت تشدد الخناق على أهل البيت (عليه السلام) وشيعتهم، بل إنّ الجو الاجتماعي لأهل الشام وبسبب يقظتهم ووعيهم نتيجة خطبة الإمام زين العابدين (عليه السلام) وزينب الكبرى (عليها السلام) أدى إلى اتخاذ يزيد بن معاوية هذا القرار الملائم، ولو أنّه اتخذ موقفاً آخر غير ذلك فربّما أدى ذلك إلى زيادة التهاب نيران الثورة في صدور الناس وبالتالي انقلابهم وثورتهم على حكومة يزيد.

٢٤. زيارة جابر بن عبدالله الأنصاري لكربلاء

كان جابر بن عبدالله الأنصاري من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن أنصار أهل البيت (عليه السلام) المخلصين. وكان أبوه عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري من جملة الأشخاص الأوائل الذين لبّوا دعوة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) للهجرة إلى المدينة، وكان عبدالله بن عمرو قد اشترك في بيعة العقبة في مكة، واشترك في واقعة بدر وأحد مع

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤٦.

وطبقاً لنقل الشيخ المفيد أنّ قيادة القافلة كانت بعهدة النعمان بن بشير (إرشاد المفيد، ص ٤٨٠) ولكن يفهم من العلامة المجلسي والطبري (تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٥٣) أنّ يزيد أمر النعمان بن بشير أن يجهز القافلة للسفر وأن يجعل عليها رجلاً صالحاً وأميناً وحرساً للمسير معهم إلى المدينة، ومن هذه الجهة ورد في مقام الزّخار (ص ٥٧٩) أنّ رئاسة القافلة كانت بعهدة بشير بن حذلم، وعلى أية حال فربّما كانت القافلة برئاسة النعمان بن بشير، وبشير بن حذلم كان من حراس القافلة، وهو الذي أمره الإمام زين العابدين (عليه السلام) بالدخول إلى المدينة قبل الوصول إليها ويخبر الناس عن عودة سبايا الحسين إليها، أو أنّ النعمان بن بشير هو الذي وضع قيادة القافلة منذ حركتها من الشام بيد بشير بن حذلم ولم يرافق الأسرى.

رسول الله ﷺ واستشهد في معركة أحد^١.

وقد اشترك جابر في بيعة العقبة الثانية وكان صبياً مع والده، وأضحى فيما بعد من خلّص أصحاب رسول الله ﷺ وقد اشترك مع النبي في ثمانية عشر غزوة واشترك في معركة صفين مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وقد كفّ بصره في أواخر عمره، وتوفي في عام ٧٤ أو ٧٧ للهجرة وقد بلغ من العمر ٩٤ سنة^٢.

يقول عطية العوفي^٣: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائراً قبر الحسين عليه السلام فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم ائتر بإزار وارتنى آخر، ثم فتح صرة فيها سعد فنترها على بدنه ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسني - لأنه كان آنذاك ابن ٧٥ سنة مكفوف البصر - فألمسته فخرّ على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء فأفاق وصاح: «يا حسين، يا حسين، يا حسين»^٤. ثم قال: «حبيب لا يجيب حبيبه؟!»

ثم قال: «وأننى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباك وفارق بين بدنك ورأسك فأشهد أنك ابن خير النبين، وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيده النساء، ومالك لا تكون هكذا وقد غدتك كف سيد المرسلين، وربيت في حجر المؤمنين، ورزعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حياً، وطبت

١. انظر: الاصابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٦٢ (في ترجمة عبد الله بن عمرو بن حرام).

٢. انظر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢١٩؛ دائرة المعارف الشيعة العامة، ج ٧، ص ٧٠؛ معجم رجال الحديث، ج ٤، ص ١١؛ أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٤٧.

٣. يقول الشيخ الطوسي في رجاله: إن عطية الكوفي كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من قبيلة همدان وله كتاب في التفسير، يقول عطية: لقد عرضت القرآن مع تفسيري ثلاث مرات على ابن عباس، وقرأت القرآن عنده سبعين مرة (انظر: سفينة البحار، شرح حال عطية).

٤. السعد: نبت له أصل تحت الأرض أسود طيب الريح.

٥. في رواية أخرى أنه كبر ثلاثاً ثم زار (انظر: بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٣٢٩).

مَيِّتًا، غَيْرَ أَنَّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ طَيِّبَةٍ لِفِرَاقِكَ، وَلَا شَاكَّةٍ فِي الْخَيْرَةِ لَكَ، فَعَلَيْكَ
سَلَامُ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ أَخُوكَ يَحْيَى بْنُ
زَكَرِيَّا».

ثم طاف حول القبر وخاطب الشهداء وقال:

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَاءِ الْحُسَيْنِ، وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِهِ، أَشْهَدُ
أَنَّكُمْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتُمُ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتُمُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجَاهَدْتُمُ
الْمُلْحِدِينَ، وَعَبَدْتُمُ اللَّهَ حَتَّى أَتَاكُمْ الْيَقِينُ».

ثم أضاف: «وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لَقَدْ شَارَكْنَاكُمْ فِيَمَا دَخَلْتُمْ فِيهِ».

قال عطية: فقلت لجابر: «كيف! ولم نهبط وادياً ولم نعلُ جبلاً ولم نضرب بسيف
والقوم قد فُرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم، ورُمِلت الأزواج!».
فقال لي جابر: «يَا عَطِيَّةُ! سَمِعْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا
حُسْرَ مَعَهُمْ، وَمَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِمْ»، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا
إِنَّ نَيْتِي وَنَبِيَّةَ أَصْحَابِي عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ وَأَصْحَابُهُ»^١.

❦❦❦

إنَّ مجيء الصحابي الكبير جابر بن عبد الله الأنصاري إلى كربلاء في يوم أربعين
الإمام الحسين عليه السلام لزيارة قبره الطاهر وسائر شهداء كربلاء، يهدف في الحقيقة إلى
كسر حاجز الصمت والجمود وفتح الطريق أمام زوّار الإمام الحسين عليه السلام لتبقى راية
عاشوراء خفاقة من خلال حركة الزوار المتوالية إلى كربلاء وحفظ ذكرى الشهداء
وتأجيج المشاعر ضدّ الحكومة الجائرة للأمويين.

أضف إلى ذلك أنَّ زيارة هذه الصحابي الكبير تعطي درساً لمن ينهى عن زيارة
قبور أولياء الله بسبب اعوجاج فهمهم وضيق أفقهم وعدم دركهم لحقيقة تعاليم
الإسلام.

١. بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ١٣٠، ح ٦٢.

٢٥. مجيء أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء

وثمة خلاف في مسألة ورود قافلة الأسرى من الشام إلى كربلاء في يوم الأربعاء، يقول المرحوم السيد ابن طاووس في كتابه: ثم أمر - يزيد - برد الأسارى وسبايا الحسين إلى أوطانهم بمدينة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وأمّا رأس الحسين عليه السلام، فروي أنه أُعيد دفن في كربلاء مع جسده الشريف صلوات الله سلامه عليه. كان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه.

قال الراوي، ولما رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا إلى العراق قالوا للدليل: مرّ بنا على طريق كربلاء.

فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبدالله الأنصاري (رحمه الله) وجماعة من بني هاشم رجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام فوافوا في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد، واجتمعت إليهم نساء ذلك السواد، وأقاموا على ذلك أياماً^١.

ومن جهة أخرى نعلم أن جابر بن عبدالله الأنصاري جاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعاء^٢ والتقى بالإمام زين العابدين وأهل بيته عليهم السلام وبالتالي فإن أهل البيت قد حضروا في كربلاء يوم الأربعاء.

ولكن مسألة ورود أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء يوم الأربعاء تعرضت للإشكال من جهتين: الأولى: هناك أقوال مخالفة لهذا القول في المصادر التاريخية، والأخرى: إنّ بعد المسافة يمنع من تحقق هذا الأمر، وهنا نسعى لبحث هذه المسألة ودراستها، وفي البداية نستعرض الأقوال الموجودة في هذه المسألة:

١. الملهوف (اللهوف)، ص ٢٢٥.

٢. صرح الشيخ طوسي في «مصابح المتجهدين»، ص ٥٤٨؛ والشيخ المفيد في «مسار الشيعة»، ص ٤٦، بهذا المطلب (كذلك انظر: منتهى الآمال، في حياة الإمام الحسين عليه السلام).

١. اختلاف الأقوال في مسألة مجيء أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في يوم

الأربعين

القول الأول: إنَّ أهل البيت عليهم السلام جاءوا إلى كربلاء في سنة ٦١ في يوم ٢٠ من شهر صفر وهذا الرأي هو مختار السيد ابن طاووس في اللهوف وابن نما أيضاً^١.

وفي كتاب «نفس المهموم» ينقل الشيخ عباس القمي عن قول «تاريخ حبيب السير» أن يزيد سلّم رؤوس الشهداء إلى عليّ بن الحسين عليه السلام وجاء بها الإمام يوم ٢٠ من صفر إلى كربلاء وألحقها بالأبدان وعاد إلى المدينة^٢، وفي «مقتل الحسين للمقرّم» أورد هذا الكلام عن أبي ریحان البيروني في «الآثار الباقية»^٣.

وطبقاً لهذا الكلام يمكن القول أنَّ أهل البيت عليهم السلام جاؤوا مع الإمام زين العابدين عليه السلام في يوم الأربعين إلى كربلاء، وهذا يقوِّي رأي السيد ابن طاووس.

القول الثاني: هو ما ذهب إلى الشيخ المفيد الذي قال: «وفي اليوم العشرين من شهر صفر كان رجوع حرم الحسين عليه السلام من الشام إلى المدينة وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام فكان أول من زاره من الناس»^٤.

ويصرّح الشيخ الطوسي في «مصباح المتجّد» أيضاً: «وفي اليوم العشرين منه (شهر صفر) كان رجوع حرم أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب من الشام

١. مثير الأحزان، ص ١٠٧؛ ويعتقد الشيخ البهائي بمجيء أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء يوم الأربعين أيضاً والتقوا بجابر بن عبد الله الأنصاري. (توضيح المقاصد، ص ٦) رغم أنه يعتقد أنَّ اليوم الأربعين هو يوم التاسع عشر من صفر، ولكن مع الالتفات إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام استشهد عصر عاشوراء، فينبغي أن يحسب الأربعين من اليوم الحادي عشر، وبهذا يكون اليوم العشرون من صفر هو يوم الأربعين. (انظر: تحقيق في مسألة الأربعين، ص ٢٠١-٢٠٢).

٢. نفس المهموم، ص ٢٦٩.

٣. مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٦٣.

٤. مسار الشيعة، ص ٦٤.

إلى المدينة»^١.

القول الثالث: ما أورده السيد ابن طاووس في كتابه «الإقبال» حيث يستبعد مجيء سبايا الحسين إلى كربلاء يوم الأربعاء، ويرى أيضاً ورودهم في هذا اليوم إلى المدينة^٢، والعلامة المجلسي يستبعد كلا هذين القولين أيضاً^٣، وفي الواقع أنَّ السيد ابن طاووس كتب كتابه «الإقبال» بعد كتاب «اللهوف» وبذلك ردَّ على قوله الأول، رغم أنَّه يقول: من الممكن ذهابهم إلى كربلاء ولكن ليس في يوم ٢٠ من صفر^٤.

القول الرابع والخامس: إنَّ السبايا عندما تحرَّكوا من الكوفة إلى الشام، جاءوا إلى كربلاء، أو أنَّهم بعد مراجعتهم من الشام إلى المدينة^٥، جاءوا إلى كربلاء في وقت آخر، وقد نسب هذين القولين الشيخ عباس القمي في «منتهى الآمال» إلى بعض العلماء، ولكنَّه ضعَّف هذين القولين لأنَّهما لم يردا في المصادر التاريخية.

القول السادس: إنَّ سبايا آل محمَّد ﷺ جاءوا إلى كربلاء في يوم ٢٠ من صفر في سنة ٦٢ من الهجرة، أي بعد سنة من واقعة كربلاء، وهذا هو قول فرهاد الميرزا في كتابه «القمقام الزخار»^٦.

وطبقاً لما ذكر آنفاً، فإنَّ «السيد ابن طاووس» في «اللهوف» و«ابن نما» في

١. مصباح المتعجب، ص ٥٤٨.

٢. إقبال الأعمال، ج ٣، ص ١٠٠-١٠١. يقول: لأنَّ عبيدالله بن زياد لعنه الله كتب إلى يزيد يعزِّفه ما جرى ويستأذنه في حملهم ولم يحملهم حتى عاد الجواب إليه، وهو يحتاج إلى نحو عشرين يوماً أو أكثر منها، ولأنَّه كما حملهم من الشام روي أنَّهم أقاموا فيها شهراً في موضع لا يكتفهم من حرٍّ ولا برد، وصورة الحال يقتضي أنَّهم تأخروا أكثر من أربعين يوماً من يوم قُتل ﷺ إلى أن وصلوا العراق أو المدينة.

٣. زاد المعاد، ص ٤٠٢.

٤. الإقبال، ص ١٠١.

٥. اختار هذا القول الرابع في ناسخ التواريخ (ج ٣، ص ١٧٦). ورجح هذا القول المرحوم الشعراني أيضاً في نفس المهموم (ص ٢٧٠).

٦. القمقام الزخار، ص ٥٨٦.

«مثير الأحزان» و«الشيخ بهائي» في «توضيح المقاصد» يعتقدون أنّ أهل البيت عليهم السلام جاءوا إلى كربلاء يوم الأربعين الأوّل أي سنة ٦١ من الهجرة، لأنّهم قالوا: إنّ قافلة السبايا عند رجوعهم من الشام طلبوا من الحادي أن يمرّ بهم على كربلاء، ولكن كثيراً من المؤرّخين المحقّقين لم يقبلوا بهذا القول، وقد نقلوا أقوالاً مختلفة في هذه المسألة، واختلاف الأقوال هذا هو الذي أدّى إلى التشكيك في الواقعة.

٢. بُعد المسافة والتوقّف في المنازل

وما يثير الشكّ في حضور آل البيت يوم الأربعين في عام ٦١ في كربلاء، بعد المسافة بين الكوفة والشام ثمّ من الشام إلى كربلاء، وخاصة أنّ الأعداء قد أوقفوا قافلة الأسرى مدّة طويلة في الطريق وفي الشام.

يقول المرحوم الحاج الشيخ عباس القمّي في «منتهى الآمال»:

«إنّ ثقافة المحدثين والمؤرّخين متفقون على أنّ عمر بن سعد بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام أرسل رؤوس الشهداء إلى عبيد الله بن زياد، وتحرك في اليوم التالي مع الأسرى من أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة، وقام ابن زياد بدوره بسجن أهل البيت بعد الشماتة بهم وكتب ليزيد كتاباً يستفهمه عمّا يصنع بالرؤوس والأسرى، فكتب له يزيد أن يبعث بهم إلى الشام، وبعد ذلك أرسل ابن زياد الرؤوس والأسرى إلى الشام.

وكذلك جاء في الكتب المعتبرة أنّ الأعداء مرّوا بقافلة الأسرى من الطريق الأصلي وكانوا يمرون بهم من خلال المدن والقرى والتي بلغت أربعين منزلاً، فحتى لو قلنا إنّهم قادوهم من طريق الصحراء وابتعدوا عن الطريق الأصلي فالمسافة تستغرق ما يقارب ٢٠ يوماً، لأنّ الخطّ المستقيم بين الكوفة والشام يبلغ ١٧٥ فرسخاً، وقد مكثوا في الشام مدّة شهر كامل كما ذكر ذلك السيد ابن طاووس في «الإقبال».

وعلى هذا الأساس ومع ملاحظة ما ذكرنا آنفاً فإنّه من البعيد أن يأتي أهل البيت عليهم السلام في يوم ٢٠ من شهر صفر إلى كربلاء ويلتقوا بجابر بن عبد الله الأنصاري، والسيد ابن طاووس نفسه يستبعد هذا القول في «الإقبال»، أضف إلى ذلك أنّ كبار المحدثين والمؤرخين وأصحاب السير لم يشيروا إلى هذه المسألة في كتبهم، مع أنّها جديرة بالذكر، بل إنّ الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والكفعمي قالوا: إنّ يوم العشرين من صفر هو يوم ورودهم إلى المدينة.

وكذلك ذكر في «مصباح الزائر» عن السيد ابن طاووس و «بشارة المصطفى» عن عماد الدين أبوالقاسم الآملي، وكلاهما من الكتب المعتمدة، خبر ورود جابر إلى كربلاء، ولكنهما لم يذكر إطلافاً مجيء أهل البيت عليهم السلام في ذلك الوقت إليها مع أنّه من المفروض أن يذكر هذا الخبر^١.

ويستبعد المرحوم الحاج النوري في كتابه «اللؤلؤ والمرجان»^٢ وكذلك «العلامة الشهيد مرتضى المطهري» في كتابه «الحماسة الحسينية» هذه الواقعة، بل يرون أنّها غير ممكنة^٣.

ومما يجدر ذكره أنّه لو قبلنا مسألة بعد المسافة والتوقف الطويل لأهل البيت عليهم السلام في الشام، كما يصرّح بذلك (السيد ابن طاووس في «الإقبال»)، فسوف يكون من البعيد حضورهم في كربلاء وكذلك في المدينة في يوم ٢٠ من شهر صفر، وهذا الكلام لا ينسجم مع قول الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والكفعمي الذين ذهبوا إلى أنّ الأسرى من آل البيت دخلوا المدينة في يوم ٢٠ من صفر. وعلى أية حال لا يمكن إنكار إمكانية ورود أهل بيت الحسين في يوم الأربعاء إلى كربلاء عام ٦١، وذلك لعدة أمور:

١. منتهى الآمال، في حياة الإمام الحسين عليه السلام (مع تلخيص وتصرف يسير).

٢. اللؤلؤ والمرجان، ص ١٨١-١٩٢.

٣. الحماسة الحسينية، ج ١، ص ٣٠.

١. تصريح المورخين قبل السيد ابن طاووس

رغم أن المحققين ذكروا أن السيد ابن طاووس هو أول من ذكر مجيء السبايا إلى كربلاء يوم الأربعاء وقد طرح هذه المسألة في القرن السابع، ولكن التحقيق التاريخي يشير إلى أكثر من قائل لهذا الخبر قبل السيد ابن طاووس أو معاصراً له. وهنا نشير إلى بعض هذه الأقوال:

(أ) أبوريحان البيروني (المتوفى ٤٤٠ ق) في الآثار الباقية يقول: «في يوم ٢٠ من شهر صفر وبعد خروج السبايا من الشام جاءوا برؤوس الشهداء إلى كربلاء ودفنوها مع الأبدان»^١ وطبعاً وسوف يأتي أن الرؤوس جاء بها الإمام زين العابدين عليه السلام إلى كربلاء. (ب) عماد الدين الطبري الأملي (المتوفى مطلع القرن السادس) يصرّح في كتابه «بشارة المصطفى» بهذا القول، فبعد أن يورد في كتابه خبر زيارة جابر وعطية إلى كربلاء، يذكر أنهما شاهدا جماعة تأتي إليهم من جهة الشام فقال جابر لعطية: اذهب وأتني بخبرهم؟

فذهب عطية وعاد وقال لجابر: يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله صلى الله عليه وآله فهذا زين العابدين عليه السلام ومعه عمّاته وأخواته.

فأسرع جابر حافياً لاستقبال الإمام زين العابدين عليه السلام، فقال له الإمام: «أنت جابر؟» قال: نعم، فقال الإمام: «يا جابر هيهنا والله قُتِلَتْ رِجَالُنَا، وَدُبِحَتْ أَطْفَالُنَا، وَسُيِّتَ نِسَاؤُنَا، وَحُرِّقَتْ خِيَامُنَا»^٢.

(ج) وينقل «ابن نما» (المتوفى في آخر القرن السابع) في كتابه «مثير الأحزان» خبر ورود أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء وملاقاتهم مع جابر بن عبد الله الأنصاري، وعلى هذا الأساس فإن ورود أهل البيت إلى كربلاء في الأربعاء الأول ليس ببعيد^٣.

١. الآثار الباقية، ص ٣٣١، (طبقاً لما أورده مقتل الحسين، المقدم، ص ٣٦٣).

٢. انظر: أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٤٧. (شرح حال جابر بن عبد الله الأنصاري).

٣. كان صاحب مثير الأحزان، ص ١٠٧، معاصراً لجعفر بن محمد بن جعفر المعروف بابن نما الحلّي المتوفى في سنة ٦٨٠ تقريباً. (أعيان الشيعة، ج ٤، ص ١٥٦) ومع السيد ابن طاووس الذي توفي في سنة ٦٦٤.

٢. إلحاق رؤوس الشهداء بأبدانها

وكذلك يرى البعض من أصحاب النظر هذا القول، وإن لم يصرحوا بذلك (أي بورود أهل البيت في يوم الأربعاء إلى كربلاء)، ولكن لازم كلامهم هو موافقتهم على هذا القول، فقد ذكروا: أنَّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) جاء برأس أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء وألحقه ببدنه، أو ذكروا أنَّ رأس الإمام الحسين أُعيد إلى كربلاء وألحق بالبدن الشريف وإن لم يذكرو الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وهذا الكلام مع ضمنية مجيء الإمام زين العابدين (عليه السلام) لم يذكر في التاريخ سوى يوم الأربعاء، وأنَّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) هو الذي ألحق الرأس المقدس بالجسد، ويمكن الخروج من ذلك بهذه النتيجة، وهي أنَّ مجيء آل الرسالة إلى كربلاء وإلحاق الرؤوس بالأبدان تمَّ في يوم ٢٠ من شهر صفر، وقد تقدم الكلام عن هذا الموضوع في بحث دفن رؤوس الشهداء، وهنا نشير إلى الأقوال الأخرى في هذه المسألة:

(أ) يقول الشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١ ق): «خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) بِالنَّسْوَةِ وَرَدَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ إِلَى كَرْبَلَاءَ»^١.

(ب) يقول القتال النيسابوري (المتوفى ٥٠٨ ق): «خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) بِالنَّسْوَةِ، وَرَدَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ إِلَى كَرْبَلَاءَ»^٢.

(ج) وينقل ابن شهر آشوب (المتوفى ٥٨٨ ق) في المناقب، خبر إعادة رأس الإمام الحسين (عليه السلام) إلى بدنه^٣.

(د) يقول عالم أهل السنة الكبير سبط ابن الجوزي (المتوفى ٦٥٤ ق): «الْأَشْهُرُ أَنَّهُ رُدَّ إِلَى كَرْبَلَاءَ فَدُفِنَ مَعَ الْجَسَدِ»^٤.

١. أمالي الصدوق، المجلس ٣١، ص ١٦٨، ح ٤.

٢. روضة الواعظين، ص ١٩٢.

٣. المناقب، لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٨٥.

٤. تذكرة الخواص، ص ١٥٠.

هـ) يقول العلامة المجلسي في هذا الصدد: «المشهور بين علماء الإمامية أن رأس الحسين دفن إلى جانب بدنه الشريف من قبل الإمام (عليه السلام)»^١.
 و) يقول «الشبلنجي» عالم أهل السنة الكبير: «إن الإمامية يعتقدون أن رأس الإمام الحسين (عليه السلام) ألحق ببدنه في كربلاء بعد أربعين يوماً من مقتل الإمام الحسين»^٢.

وعلى هذا الأساس ونظراً لإلحاق رؤوس الشهداء بأبدانهم في كربلاء من قبل الإمام زين العابدين (عليه السلام)، لم ترد رواية أخرى تدلّ على أن الإمام علي بن الحسين بعد وروده إلى المدينة جاء بالرؤوس إلى كربلاء أو أنه أرسل قافلة الأسرى إلى المدينة وجاء بنفسه إلى كربلاء ودفن الرؤوس، ومن هنا يستفاد أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) جاء إلى كربلاء مع عمّاته وأخواته من السبايا (كما صرح بذلك الشيخ الصدوق والفتال النيسابوري، ودفن رؤوس الشهداء في كربلاء وتجدد ميثاقه مع شهداء كربلاء)، مع عدم وجود رواية تتضمن هذا المعنى وأن ذلك كان في يوم ٢٠ من صفر أو اقترن ذلك مع مجيء جابر عبد الله الأنصاري إلى كربلاء، ولكن ورد التصريح في رواية أخرى (من قبيل كلام أبي ریحان البيروني) أن الرؤوس نقلت إلى كربلاء ودفنت هناك، ولم يرد خبر آخر في التاريخ في هذا المجال، ولذلك مع الأخذ بنظر الاعتبار القائلين بورود أهل البيت (عليهم السلام) إلى كربلاء في ٢٠ صفر يمكننا الخروج بهذه النتيجة وهي أن الرؤوس ألحقت بالأبدان الطاهرة من قبل الإمام زين العابدين (عليه السلام) في ذلك اليوم ومعه سبايا آل البيت.

والنقطة الجديرة بالالتفات هنا أنه ورد في روايات متعددة أن السماء والأرض بكيا على شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) أربعين يوماً^٣ ومن الممكن أن حزن وبكاء

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤٥.

٢. نور الأبصار، ج ٢، ص ٤٤.

٣. انظر: بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٠٦، ح ١٣، وص ٢١٠، ح ١٨، ح ٢٢ و ٢٣.

السماء والأرض على سيد الشهداء عليه السلام استمر إلى أن ألحقت الرؤوس بالأبدان الطاهرة، وبعد أن انتهت هذه المهمة هدأت الكائنات في عالم الطبيعة.

٣. سنة زيارة الأربعين

ونعلم أنّ من السنن الواردة في ٢٠ من صفر وأربعين الإمام الحسين عليه السلام، زيارة الإمام الحسين، فقد ورد في رواية عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «علامات المؤمن خمس: صلوات إحدى وخمسين (يعني ١٧ ركعة واجبة، و ٣٤ ركعة نوافل الصلوات اليومية)، زيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتغفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»^١.

وكذلك ورد في هذا اليوم زيارة خاصة عن الإمام الصادق عليه السلام^٢. ومنذ الأزمنة البعيدة إلى يومنا هذا كان الشيعة يتوجهون في يوم الأربعين ويزورون الإمام الحسين عليه السلام بكلّ خلوص وشوق، وفي هذه الأعوام الأخيرة نرى ملايين العشاق يتوجهون إلى كربلاء يوم الأربعين لزيارة سيد الشهداء عليه السلام.

وهنا ربّما يثار هذا السؤال: لماذا ورد استحباب الزيارة في مثل هذا اليوم؟ يقول المرحوم العلامة المجلسي في «زاد المعاد»: «بما أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري قد أسس هذا العمل، فيمكن القول بأنّ ذلك دليل على فضيلة هذه الزيارة للإمام الحسين في ذلك اليوم، ولكن مع ذلك يحتمل وجوه أخرى لاستحباب هذه الزيارة خفيت علينا»^٣.

ولكن لا يمكن القول أنّ كل هذا الاهتمام بالنسبة لزيارة الأربعين وجعلها من علائم المؤمن ونقل زيارة خاصة للإمام الحسين عليه السلام عن الإمام الصادق عليه السلام، لمجرّد

١. مصباح المتعبد، ص ٧٨٧؛ الإقبال، ص ٥٨٩.

٢. انظر: المفاتيح الجديدة، زيارة الأربعين، (ص ٣٩٣).

٣. زاد المعاد، ص ٤٠٢.

حضور جابر بن عبدالله الأنصاري وزيارته للحسين في يوم الأربعاء، وخاصة أنّ زيارة الأربعاء مختصة بالإمام الحسين (عليه السلام)، ولم ترد زيارة لغيره من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في يوم الأربعاء من وفاتهم، بل كما يقول العالم الكبير والمحقق الشهير أبو ریحان البيروني: «وَفِي الْعِشْرِينَ رُذَّ رَأْسُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) إِلَى جُثَّتِهِ حَتَّى دُفِنَ مَعَ جُثَّتِهِ، وَفِيهِ زِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ»^١. إنّ زيارة الأربعاء قد أضحت سنة بعد إلحاق رأس الحسين (عليه السلام) ببدنه الطاهر يوم ٢٠ صفر، ونعلم أنّ رأس الحسين (عليه السلام) جاء به الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى كربلاء ومن هنا تتجلى أهمية زيارة الأربعاء لا لمجرد حضور جابر بن عبدالله الأنصاري إلى كربلاء في مثل هذا اليوم، بل بسبب إلحاق رؤوس الشهداء بأبدانهم الطاهرة من قبل الإمام زين العابدين (عليه السلام) وزيارته لقبور الشهداء في كربلاء، ومجيء قافلة السبايا إلى كربلاء في هذا اليوم، فأضحى هذا العمل من الشعائر المهمة لدى الشيعة إلى جانب ٥١ ركعة صلاة والسجود على التربة.

ومن هنا قال العلامة المجلسي في «زاد المعاد»: «المشهور أنّ سبب التأكيد على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا اليوم، أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) مع سائر أهل البيت رجعوا في مثل هذا اليوم من الشام إلى كربلاء وألحقوا رؤوس الشهداء بأبدانهم الطاهرة»^٢.

رغم أنّ العلامة المجلسي يستبعد مجيء الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء في ٢٠ من صفر، ولكن كلامه يشير إلى أنّ هذا المعنى كان هو المشهور إلى زمان العلامة المجلسي، وأنّ زيارة الأربعاء مهمة بسبب زيارة الإمام زين العابدين (عليه السلام) لقبور الشهداء وإلحاقه الرؤوس بالأبدان.

١. الآثار الباقية، ص ٣٣١.

٢. زاد المعاد، ص ٤٠٢.

والنتيجة، مع الالتفات إلى هذه النقطة، وهي أنّ الأربعين في حدّ ذاته لا يملك امتيازاً خاصاً، كما هو الحال في ليالي الجمعة والنصف من شعبان وليالي القدر والعديد وعرفة، لا بدّ من القول في أربعين الإمام الحسين عليه السلام وقعت حادثة خاصة جعلت هذا اليوم يتميز عن سائر الأيام قبله وبعده، وليس ذلك سوى إلحاق رؤوس الشهداء بأبدانها وزبارة قبور الشهداء من قبل الإمام زين العابدين عليه السلام ومن معه من ذرية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.



أمّا مسألة بُعد المسافة والتوقف الطويل في الشام الذي يعتبر إشكالاً مهماً على النظرية المشهورة، فيمكن القول في مقام الجواب عنها: ورد في الكتب والمصادر التاريخية أنّ يوم ورود الأسرى إلى الشام هو الأول من صفر وقد جعل بنوأمية من ذلك اليوم عيداً للناس^١. يقول المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي أيضاً: «قال الشيخ الكفعمي والشيخ البهائي والمحدث الكاشاني: أنّ اليوم الأول من صفر ورود رأس سيد الشهداء عليه السلام إلى الشام وقد جعل بنوأمية ذلك اليوم عيداً لهم وتجدد بذلك حزن المؤمنين في ذلك اليوم»^٢.

وكما تقدم آنفاً أنّ قافلة السبايا دخلت إلى الشام مع الرؤوس في هذا اليوم، وعلى هذا فإنّ السبايا كانوا في الشام في اليوم الأول من شهر صفر. أمّا مدّة حضورهم وبقائهم فيها فكما يذكر السيد ابن طاووس في «الإقبال» أنّهم بقوا هناك مدّة شهر كامل، وذلك بعيد، لأنّه ورد في الروايات أنّ يزيد بعد خطبة الحوراء زينب والإمام زين العابدين عليه السلام في الشام وتداعياتها في الوعي العام وما

١. يقول الشهيد آية الله القاضي الطباطبائي: ورد في بعض الكتب المعتبرة أنّ الأسرى تحركوا من الكوفة في

١٥ شهر محرم ووصلوا إلى الشام بعد ١٢ إلى ١٥ يوماً. (تحقيق حول الأربعين، ص ٢٣).

٢. نفس المهموم، ص ٢٣٩.

جرى من تغيير لدى أهل الشام، أذن لقافلة الأسرى بإقامة المآتم والعزاء على شهدائهم لعدة أيام إلى أن رأى يزيد أنه ليس من المصلحة بقاء سبايا أهل البيت عليهم السلام في الشام، فأرسلهم إلى الحجاز^١.

يقول المرحوم الشيخ المفيد أيضاً: بعد انتهاء المجلس أمر يزيد أن يقيم السبايا المآتم في دار على مقربة من قصره، ثم أضاف: «فَأَقَامُوا أَيَّاماً ثُمَّ نَدَبَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ...»^٢.

يقول المؤرخ المعروف «الطبري»: «بقي السبايا مدة ثلاثة أيام (في الشام) وأقاموا المآتم فيها»^٣.

وعلى ضوء ذلك فإن إقامتهم في الشام مدة شهر كامل لم ينقل سوى من قبل السيد ابن طاووس في «الإقبال»، ونظراً لوضع الشام وما قام أهل البيت من كشف لنوايا بني أمية، نستبعد أن بني أمية رأوا إبقاء أهل البيت عليهم السلام مدة طويلة في الشام، فالقول بأنهم بقوا هناك مدة أيام قلائل أصح من غيره.

والنتيجة، إذا قلنا بدخول السبايا إلى الشام في الأول من صفر وحضورهم في مجلس يزيد ثم بقائهم هناك وإقامتهم المآتم مدة سبعة أيام، فينبغي أن يكون أهل البيت قد بقوا هناك قبل ٢٠ صفر لمدة ١٢ يوماً، وهذه المدة كافية لوصول القافلة من الشام إلى كربلاء، ولأنه:

١. يذكر السيد ابن طاووس في كتابه «الإقبال» مع أنه يستبعد وصول قافلة أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء يوم الأربعاء: «إنّ الذهاب من الكوفة إلى الشام يستغرق ٢٠ يوماً»^٤، وعلى هذا الأساس يمكن السفر من الشام إلى كربلاء بمدة ١٢ يوماً.

١. نفس المهموم، ص ٢٦٣ و ٢٦٥.

٢. إرشاد المفيد، ص ٤٨٠.

٣. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٥٣.

٤. الإقبال، ج ٣، ص ١٠١.

٢. ورد في التاريخ: أنّ مروان بن الحكم أرسل قائد جيشه عامر بن ربيعة مع مائة ألف من رجاله من الشام لحرب المختار، وقد وصلوا إلى الكوفة في مدة ١٠ أيام^١.

ومن البديهي إذا استطاع جيش يبلغ تعداداه مائة ألف نفر من الوصول إلى الكوفة في مدة ١٠ أيام، فوصول قافلة صغيرة في ١٢ يوماً ممكن أيضاً. وينقل المرحوم الشهيد القاضي الطباطبائي موارد متعددة في التاريخ ورد فيها السفر من الشام إلى العراق في مدة أقل من ١٠ أيام، بل إنّ المرحوم السيد محسن الأمين صاحب كتاب «أعيان الشيعة» يقول: إنّ الطريق بين الشام والعراق هو طريق مستقيم وكانت القبائل العربية في ذلك الزمان تسافر من هذا الطريق ويصلون إلى العراق في مدة أقل من اسبوع^٢.

٣. إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) في مسيره من المدينة إلى مكة البالغ ٤٧٠ كيلومتر تقريباً، قطعه في مدة خمسة أيام، لأنّ الإمام الحسين تحرك من المدينة ليومين خلون من رجب ووصل في اليوم الثالث من شعبان إلى مكة^٣ وعلى هذا الأساس فإنّ مسير الشام إلى كربلاء الذي يبلغ ٦٠٠ كيلومتراً يمكن طيّه بسهولة في مدة عشرة أيام، (فتدبر!).



وعلى أية حال، فمن مجموع الشواهد والقرائن وكلمات العلماء والمحققين يمكن تقوية القول الذي يرى مجيء أهل البيت (عليهم السلام) في يوم الأربعاء إلى كربلاء، وقبول ما روي من لقائهم لجابر بن عبد الله الأنصاري في كربلاء وإقامة مأتم العزاء على الشهداء هناك، وأمّا استبعاد السيد ابن طاووس في «الإقبال» هذا القول

١. تحقيق حول الأربعين، ص ٢١.

٢. وللمزيد من الاطلاع انظر: التحقيق حول الأربعين، ص ١٨-٣٠.

٣. إرشاد المفيد، ص ٣٧٥ و ٣٧٧؛ مقتل الحسين، المقدم، ص ١٤٠.

فلا يعتبر مشكلة، لأنَّ السيد يرى بقاء أهل البيت في الشام شهراً كاملاً ولذلك لا يقبل بنظرية مجيئهم إلى كربلاء يوم الأربعاء، كما لا يقبل تاريخ ورودهم إلى المدينة أيضاً، ولكن عندما يثبت أنَّ قافلة السبايا بقيت في الشام لمدة أقل من عشرة أيَّام فإنَّ كلام السيد ابن طاووس في «اللهوف» الذي يروي فيه ورود السبايا إلى كربلاء ولقائهم بجابر يوم الأربعاء يكون أقرب إلى الحقيقة.

وفي الواقع أنَّ السيد ابن طاووس عثر على رواية معتبرة لهذه الحادثة وذكرها في «اللهوف»، ولكنَّه بعد ذلك قرأ رواية أخرى تشير إلى مدَّة بقائهم شهراً كاملاً في الشام، فبذلك أنكر ورود قافلة أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء يوم الأربعاء، والنتيجة أنَّه مع ردِّ مقولة بقاء أهل البيت في الشام مدَّة شهر يثبت موضوع مجيء أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في عام ٦١.

وطبيعة هذا الأمر تقتضي أنَّ القافلة تتوجه إلى كربلاء قبل الذهاب إلى المدينة لتجديد العهد مع الشهداء وزيارتهم.

يقول المرحوم الحاج ميرزا أرباب (من علماء قم المعروفين): «من المستبعد بحسب العادة أن تمرَّ القافلة المثقلة بالألم والحزن والتي اضطرت بالإكراه لمغادرة كربلاء ومنعت من البكاء وإقامة المأتم وترك أجساد الشهداء على رمضاء كربلاء تحرقها حرارة الشمس، بدون التعرّف على حال القبور المقدسة والرجوع إلى المدينة بدون زيارة تربتهم الشريفة»^١.

ما جرى في كربلاء يوم الأربعاء؟

طبقاً لما نقله السيد ابن طاووس فإنَّ قافلة أهل البيت عليهم السلام التقت في كربلاء بجابر بن عبدالله الأنصاري وصاحبه وصاد جوّ من البكاء والعيول وبقوا عدَّة أيَّام في كربلاء يقيمون العزاء على الحسين عليه السلام وأصحابه، ومن المناسب أن نستعرض هنا

١. الأربعاء الحسيني، ص ٢٤٢-٢٤٣.

الأجواء التي سادت بين هؤلاء القوم الذين عادوا بعد أربعين يوماً إلى كربلاء وأعادوا الذكريات الممرّة التي خلّفوها في هذه البقعة وهم يحملون جبلاً من الحزن والغم، فهذا المكان هو الذي تركوا فيه قبل أربعين يوماً أجساد أعزّتهم عراة على الأرض، ورأوا بأعينهم غربتهم، آباءهم وإخوتهم وأعمامهم وأبناء عمومتهم.

ماذا جرى لزینب الكبرى عليها السلام؟ فبعد شهادة أخيها الإمام الحسين عليه السلام استلمت قيادة قافلة السبايا مع الإمام زين العابدين عليه السلام وكانت تهتم برعاية النسوة والأطفال في كلّ مكان وأحياناً تتصدى للدفاع عنهم بنفسها، وقد تحركت في الكوفة والشام من موقع فضح الظالمين وأساليبهم الخبيثة وزرعت بذر الثورة في البلاد الإسلامية وأوصلت الرسالة الدامية لكربلاء لجميع الأمّة، والآن تعود زينب الكبرى عليها السلام ببدن نحيف وقلب جريح ولكن بوجه أبيض ورأس مرفوع لزيارة مولاها وأخيها الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

إنّ ذكرياتها مع أخيها الحسين كانت تسايرها من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى كربلاء وكانت توصيات الحسين وما تحمّله في جهاده وتضحيته وشهادة أصحابه وأبنائه والرؤوس المقطوعة المرفوعة على الرماح كلها كانت تدور في ذهنها وتثير أحزانها وآلامها.

لم تفارقها الذكرى، آخر وداع مع أخيها الحسين بن فاطمة عليها السلام وهو ملقى على الأرض جسداً بلا رأس، والخيام المحترقة والأطفال الذين كانوا يهرعون ويفرون من النار، كلها كانت تضغط بذكرياتها على قلب الحوراء زينب عليها السلام، والآن بإمكانها إخلاء هذه العقد المكبوتة بدون وجود العدو، ومن هنا جاءت إلى قبر أخيها الحسين وأهملت عينها تصب الدموع، ولكن مع هذا الحال يجب عليها مراقبة سائر النسوة والأطفال لئلا يموتوا من الغم والحزن إلى جانب قبور الشهداء.

أمّا ما جرى على الباب وسكينة وفاطمة وسائر النسوة، فالذكريات الممرّة والمحنة كانت تمرّ أمام أعينهنّ واحدة بعد الأخرى.

ذكريات العطش وتضوّر علي الأصغر من ألم الظمأ ومنظر رقبتة المحزوزة
ودمائه التي سالت على صدر أبيه الحسين كانت تتجسد أمام أمه الرباب؟ إن ذكرى
غربة الأب وعطشه والوداع الأخير للإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته ونداء الأخير:
«هل من ناصر» ومنظر ذوالجناح العائد إلى المخيم بدون فارسه، كلها كانت تضغط
على قلب سكيّنة!!!

إنّ ذكرى جسد علي الأكبر الدامي، ورأس القاسم المفضوخ وكفّي العباس
المقطوعة، وشفاهه المتشققة من العطش وقربته المشقوقة وعينه المصابة بسهم
وصوت الحسين الحزين: «الآن انكسر ظهري» كلها كانت صوراً أليمةً تمر أمام
نواظر النسوة والأطفال من آل بيت الرسالة؟!

لأنعلم ما جرى لآل البيت عليه السلام عندما حضروا على قبور الشهداء وما هي
المصائب التي ذكروها هنا؟ لعلهم ضجّوا بالبكاء وأخلوا عقدهم وأحزان قلوبهم
عند قبور الأحبة، ولكن من الطبيعي بعد مضيّ يوم واحد على البكاء والعويل لم يبق
في صدورهم قدرة على البكاء وقد تعبت الحناجر والعيون، ولكن مع ذلك
استطاعت النسوة أن تعبر عمّا في قلوبهنّ بالإشارة إلى الماء والقربة، السهم والنحر،
اليد والصدر، الخيام المحترقة والآذان المشقوقة والأقراط المنهوبة!!

أجل، هكذا كانت قصة كربلاء المحزنة وما جرى على أهل البيت عليه السلام من
مصائب أليمة في كربلاء!

٢٦. التوجه إلى المدينة

بعد إقامة المأتم ثلاثة أيّام في كربلاء أمر الإمام زين العابدين عليه السلام بالتحرك من
كربلاء إلى المدينة، لأنّه رأى عمّاته ونساء وأطفال أهل البيت عليه السلام، لم يقرّ لهم قرار
هناك، فكانوا يبكون وينوحون باستمرار ويقومون من قبر ويجلسون عند قبر آخر

(ولذلك يخاف عليهم أن يفقدوا أرواحهم حزناً وألماً)¹.

وانطلقت القافلة باتجاه المدينة، وكانت أم كلثوم عليها السلام تنشد هذه الأشعار تخاطب

فيها المدينة المنورة:

مَدِينَةٌ جَدُّنَا لَا تَقْبَلِينَا	فَبِالْحَسَرَاتِ وَالْأَحْزَانِ جِئْنَا
خَرَجْنَا مِنْكَ يَا أَهْلَيْنِ جَمْعًا	رَجَعْنَا لِأَرْجَالٍ وَلَا بَنِينَا
وَرَهْطُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْحَوْا	عَرَايَا بِالطُّقُوفِ مُسَلِّينَا
أَفَاطِمُ لَوْ نَظَرْتَ إِلَى السَّبَايَا	بَنَاتِكَ فِي الْبِلَادِ مُشَتِّينَا
فَلَوْ دَامَتْ حَيَاتُكَ لَمْ تَزَالِي	إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَنْدِينَا
أَلَا يَا جَدُّنَا قَتَلُوا حُسَيْنًا	وَلَمْ يَرْعَوْا جَنَابَ اللَّهِ فِيْنَا
لَقَدْ هَتَكُوا النِّسَاءَ وَحَمَلُوهَا	عَلَى الْأَقْتَابِ قَهْرًا أَجْمَعِينَا

٢٧. الورد إلى المدينة

يقول بشر بن حذلم: فلما قربنا منها - من المدينة - نزل علي بن الحسين عليه السلام، فحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه.

وقال: «يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدّر على شيءٍ منه».

قلت: بلى يا بن رسول الله، إني شاعر.

قال: «فادخل المدينة وأنع أبا عبد الله الحسين عليه السلام».

قال بشر: فركبتُ فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد

النبي صلى الله عليه وآله رفعتُ صوتي بالبكاء، وأنشأت أقول:

يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ بِهَا	قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَذْمُعِي مِدْرَارُ
الْجِسْمُ مِنْهُ بِكَرْبَلَاءَ مُضَرَّجٌ	وَالرَّأْسُ مِنْهُ عَلَى الْقَنَاةِ يُدَارُ

١. مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٧٣.

قال: ثم قلت: هذا عليّ بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم وأعرّفكم مكانه.

قال: فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلّا برزن من خدورهنّ، مكشوفة شعورهنّ مخمّشة وجوههنّ، ضاربات خدودهنّ، يدعين بالويل والثبور، فلم أرَ باكيةً ولا باكيةً أكثرَ من ذلك اليوم، ولا يوماً أمّرَ على المسلمين منه بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وسمعت جارية تنوح على الحسين عليه السلام وتقول:

نَعَى سَيِّدِي نَاعَ نَعَاهُ فَأَوْجَعَا فَأَمْرَضَنِي نَاعَ نَعَاهُ فَأَفْجَعَا
فَعَيْنِي جُودًا بِالدَّمْعِ وَأَسْكَبَا وَجُودًا بِدَمْعٍ بَعْدَ دَمْعِكُمَا مَعَا
عَلَى مَنْ وَهِيَ عَرْشَ الْجَلِيلِ فَرَزَعَا فَأَصْبَحَ هَذَا الْمَجْدُ وَالَّذِينَ أَجْدَعَا
عَلَى ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ وَابْنِ وَصِيِّهِ وَإِنْ كَانَ عَنَّا شَاحِطُ الدَّارِ أَشْسَعَا
ثم قالت: أيّها الناعي جدّدت حزننا بأبي عبد الله عليه السلام، وخذشت منّا قروحاً لما
تندمل، فمن أنت يرحمك الله؟

قلت: أنا بشر بن حذلم وجّهني مولاي عليّ بن الحسين، وهو نازل موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله الحسين عليه السلام ونسائه.

❦❦❦

قال بشر: فتركوني مكاني وبادروا، فضربت فرسي حتّى رجعت إليهم، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطّيت رقاب الناس، حتّى قربت من باب الفسطاط، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام داخلًا، فخرج معه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسيّ، فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة، فارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين الجوّاري والنساء والناس من كلّ ناحية يعزّونه، فضجّت تلك البقعة ضجّةً شديدة.

فأوماً بيده أن اسكتوا، فسكنت فورّتهم:

خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام عند باب المدينة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَا لِكَ يَوْمِ الدِّينِ، بَارِئِ الْخَلَائِقِ
أَجْمَعِينَ، الَّذِي بَعْدَ فَارْتَفَعَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى، وَقَرَّبَ فَشَهِدَ النَّجْوَى، نَحْمَدُهُ عَلَى
عَظَائِمِ الْأُمُورِ، وَفَجَائِعِ الدُّهُورِ، وَالْمِ الْفَجَائِعِ، وَمَضَاضَةِ اللَّوَادِعِ، وَجَلِيلِ الرُّزْءِ،
وَعَظِيمِ الْمَصَائِبِ الْفَاطِطَةِ الْكَاطِطَةِ الْفَادِحَةِ الْجَائِحَةِ.

أَيُّهَا الْقَوْمُ! إِنَّ اللَّهَ وَلَهُ الْحَمْدُ أَبْتَلَانَا بِمَصَائِبِ جَلِيلَةٍ، وَثُلْمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ عَظِيمَةٍ،
فَقَتِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِثْرَتُهُ، وَسُبِّي نِسَاؤُهُ وَصِيبَتُهُ، وَدَارُوا بِرَأْسِهِ
فِي الْبُلْدَانِ مِنْ فَوْقِ غَامِلِ السَّنَانِ، وَهَذِهِ الرَّزِيَّةُ الَّتِي لَا مِثْلَهَا رَزِيَّةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ! فَأَيُّ رِجَالٍ مِنْكُمْ تَسْرُونَ بَعْدَ قَتْلِهِ؟! أَمْ أَيُّ فُؤَادٍ لَا يَحْزَنُ مِنْ
أَجْلِهِ؟ أَمْ آيَةٌ عَيْنٍ مِنْكُمْ تَحْبِسُ دَمْعَهَا وَتَضِنُّ عَنْ أَنْهَمَالِهَا؟! فَلَقَدْ بَكَتِ السَّبْعُ
الشُّدَادُ لِقَتْلِهِ، وَبَكَتِ الْبَحَارُ بِأَمْوَاجِهَا، وَالسَّمَوَاتُ بِأَرْكَانِهَا، وَالْأَرْضُ بِأَرْجَائِهَا،
وَالْأَشْجَارُ بِأَغْصَانِهَا، وَالْحَيْتَانُ وَلُجَجُ الْبِحَارِ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَأَهْلُ السَّمَوَاتِ
أَجْمَعُونَ.

أَيُّهَا النَّاسُ! أَيُّ قَلْبٍ لَا يَنْصَدِعُ لِقَتْلِهِ؟! أَمْ أَيُّ فُؤَادٍ لَا يَحْنُ إِلَيْهِ؟! أَمْ أَيُّ سَمْعٍ
يَسْمَعُ هَذِهِ الثُّلْمَةَ الَّتِي ثُلِمَتْ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا يُصْمُ.

أَيُّهَا النَّاسُ! أَصْبَحْنَا مَطْرُودِينَ مُشْرَدِينَ مَذُودِينَ، شَاسِعِينَ عَنِ الْأَمْصَارِ، كَأَنَّا
أَوْلَادُ تَرْكِ وَكَابِلَ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ اجْتَرَمْنَاهُ، وَلَا مَكْرُوهٍ ارْتَكَبْنَاهُ، وَلَا ثُلْمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ
ثَلَمْنَاهَا، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ «إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ»^١.

وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي قِتَالِنَا كَمَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي
الْوَصَايَةِ بِنَا لَمَا أَرْدَادُوا عَلَى مَا فَعَلُوا بِنَا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ مِنْ مُصِيبَةٍ مَا
أَعْظَمَهَا وَأَوْجَعَهَا وَأَفْجَعَهَا وَأَكْظَهَا وَأَفْظَعَهَا وَأَمَرَّهَا وَأَفْدَحَهَا، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُ فِيهَا

١. سورة ص، الآية ٧.

أَصَابَنَا وَمَا بَلَغَ بِنَا، إِنَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ.
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

❦❦❦

قال الراوي: فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان^١ - وكان زمناً مقعداً - فاعتذر إليه - الإمام زين العابدين - صلوات الله عليه بما عنده من زمالة رجله، وأجابه بقبول معذرتة وحسن الظن به وشكر له وترحم على أبيه^٢.

٢٨. إقامة المآتم في المدينة

ودخل الإمام زين العابدين عليه السلام ومعه النسوة والأطفال من آل بيت الرسالة المدينة وهي المدينة التي غادروها في شهر رجب من السنة الماضية، مع أبيهم الإمام الحسين عليه السلام وعمهم أبي الفضل العباس وإخوتهم عليّ الأكبر وعليّ الأصغر وسائر شبّان بني هاشم، والآن يعودون إليها بدون أولئك الأعزّاء ومعهم جماعة من النساء والأطفال والأيتام.

المدينة التي دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة الزهراء عليها السلام؛ المدينة التي تحمل في طياتها الذكريات الحلوة والمرّة، والمدينة التي كانوا يسمعون من جميع أزقتها وشوارعها وبيوتها أصوات أحبّتهم وأعزّائهم.

وأوصلت زينب الكبرى عليها السلام نفسها إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذت بعضادتي

١. وأبوه صعصعة بن صوحان، ذكرته أكثر كتب التاريخ أنّه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الأوفياء، يقول عنه الإمام الصادق عليه السلام: لم يكن يعرف قدر أمير المؤمنين ومنزلته من أتباعه سوى صعصعة بن صوحان ورفاقه، وطبقاً لنقل النجاشي فإن صعصعة من رواة عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر. (انظر: معجم رجال الحديث، ج ١٠، ص ١٢٢) وأمّا الإبن صوحان بن صعصعة، فلم أجد من ترجمه حسب تفحصي، وبعض من ترجمه اعتمد في ترجمته على هذا المقطع من كتاب الملهوف.

٢. الملهوف (اللاهوف)، ص ٢٢٦-٢٣٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤٧-١٤٩؛ مقتل الحسين، المقرّم، ص ٣٧٤-٣٧٥.

باب المسجد ونادت: «يَا جَدُّاهُ إِنِّي نَاعِيَةٌ إِلَيْكَ أَخِي الْحُسَيْنَ».

وهي مع ذلك لا تجفّ لها عبرة ولا تفتقر من البكاء والنحيب، وكلّما نظرت إلى الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) تجدد حزنها وزاد وجدها^١.

وصاحت: «يَا جَدًّا! إِلَيْكَ الْمُشْتَكَى مِمَّا جَرَى عَلَيْنَا فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَقْسَى مِنْ يَزِيدَ وَلَا رَأَيْتُ كَافِرًا وَلَا مُشْرَكًا شَرًّا مِنْهُ وَلَا أَجْفَى وَأَغْلَظَ، فَلَقَدْ كَانَ يَقْرَعُ ثَغْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بِمُخَصَّرَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ: كَيْفَ رَأَيْتَ الضَّرْبَ يَا حُسَيْنُ»^٢.

وروي أنّه بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) لبست نساء بني هاشم السواد ولم يكن لهنّ ساتر من حرارة الشمس وبرد الشتاء وكنّ يشتركن في إقامة المأتم على الحسين (عليه السلام) وكان الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) يدعم مراسم العزاء هذه ويوصل لهنّ الطعام^٣.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «مَا اخْتَضَبَتْ هَاشِمِيَّةٌ وَلَا أَدَهَنْتْ وَلَا أُجِيلَ مِرْوَدٌ فِي عَيْنِ هَاشِمِيَّةٍ خَمْسَ حِجَجٍ حَتَّى بَعَثَ الْمُخْتَارُ بِرَأْسِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ (إِلَى الْمَدِينَةِ)»^٤.

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «إِنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ (عليه السلام) بَكَى عَلَى أَبِيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، صَائِمًا نَهَارَهُ قَائِمًا لَيْلَهُ، فَإِذَا حَضَرَهُ الْإِفْطَارُ جَاءَ غُلَامٌ بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ فَيَضَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: قَتَلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ جَائِعًا، قَتَلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ عَطْشَانًا. فَلَا يَزَالُ يُكْرِّرُ ذَلِكَ وَيَبْكِي حَتَّى يُبَلِّ طَعَامَهُ مِنْ دُمُوعِهِ وَيَمْتَرِجَ شَرَابَهُ مِنْهَا، فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»^٥.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٩٨.

٢. مقتل الحسين، للمقرّم، ص ٣٧٦.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٨٨.

٤. مقتل الحسين للمقرّم، ص ٣٧٦.

٥. الملهوف (اللهوف)، ص ٢٣٣.

وكذلك رُود عن الإمام الصادق عليه السلام: «لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ عليه السلام قَامَتْ امْرَأَتُهُ الْكَلْبِيَّةُ عَلَيْهِ مَاتِمًا وَبَكَتْ وَبَكَيْنَ النِّسَاءِ وَالْخَدَمُ حَتَّى جَفَّتْ دُمُوعُهُنَّ وَذَهَبَتْ، فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ رَأَتْ جَارِيَةً مِنْ جَوَارِيهَا تَبْكِي وَدُمُوعُهَا تَسِيلُ، فَدَعَتْهَا فَقَالَتْ لَهَا: مَا لِكَ أَنْتِ مِنْ بَيْنِنَا تَسِيلُ دُمُوعُكَ، قَالَتْ: إِنِّي لَمَّا أَصَابَنِي الْجَهْدُ شَرِبْتُ شَرَبَةً سَوِيْقًا. قَالَ: فَأَمَرْتُ الطَّعَامَ وَالْأَسْوَقَةَ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَأَطَعَمْتُ وَسَقَتُ وَقَالَتْ: إِنَّمَا نُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَتَّقَوْنِي عَلَى الْبُكَاءِ عَلَى الْحُسَيْنِ»^١.

بكاء وحنن أم البنين

كانت أم البنين زوجة أمير المؤمنين عليه السلام بعد فاطمة الزهراء عليها السلام، واسمها فاطمة أيضاً، وقد قُتِلَ أربعة من أولادها في كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام، وهم: العباس، عبدالله، جعفر، عثمان، وكانت تأتي إلى مقبرة البقيع وتذكر أولادها وتبكي عليهم كل يوم.

يقول المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي: كانت أم البنين تأخذ ولد العباس واسمه عبيدالله إلى البقيع وتنوح على أبنائها وكان أهل المدينة يجتمعون لسماع مراثيها المحرقة ويبكون لبكائها، وكان ذلك المأتم إلى درجة من إثارة العواطف حتى أن مروان بن الحكم العدو الحاقد على أهل البيت عليه السلام عندما كان ينظر إلى أم البنين بهذه الحالة يتأثر بشدة وتنهمر الدموع من عينيه، وقد ورد في التاريخ أن هذه المرأة الجليلة كانت ترثي أبنائها بأبيات من الشعر وتقول:

يَا مَنْ رَأَى الْعَبَّاسَ	كَرَّ عَلَى جَمَاهِيرِ النَّقْدِ
وَوَرَاهُ مِنْ أَبْنَاءِ	حَيْدَرَ كُلِّ لَيْثٍ ذِي لَبَدٍ
أُنْبِئْتُ أَنَّ ابْنِي	أُصِيبَ بِرَأْسِهِ مَقْطُوعَ يَدٍ

١. الكافي، ج ١، ص ٤٦٦.

وَيْلِي عَلَى شِبْلِي أَمَالَ بِرَأْسِهِ ضَرْبُ الْعَمَدِ
لَوْ كَانَ سَيْفُكَ فِي يَدَيْكَ لَمَا دَنَا مِنْهُ أَحَدٌ

وكذلك كانت تخاطب نساء المدينة وتقول:

لَا تَدْعُونَنِي وَيْكَ أُمَّ الْبَنِينَ تُذَكِّرْنِي بِلُيُوثِ الْعَرِينِ
كَأَنْتَ بَنُونٌ لِي أَدْعَى بِهِمْ وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ وَلَا مِنْ بَنِينَ
أَرْبَعَةٌ مِثْلُ نُسُورِ الرُّبَى قَدْ وَاصَلُوا الْمَوْتَ بِقَطْعِ الْوَتِينِ^١

❦❦❦

ولا شك أنّ هذه المآتم الناشئة من موقع الحزن العميق والألم الشديد تشير في الأذهان مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وفضح أساليب الدولة الأموية وأزلامها وأدت إلى إحياء ذكرى عاشوراء في وعي الأمة ويقتطع الناس وخلقت روح المقاومة والشجاعة في المسلمين، وبالتالي أثارت همهم وحركت ضمائرهم في التصدي لقوى الانحراف والظلم.

فما لم يمكن تحقيقه بالسيف والرمح وبالمواجهة العسكرية مع الأعداء، استطاعت هؤلاء النسوة من آل البيت تحقيقه بواسطة قطرات دموعهنّ، وسدّدوا بذلك ضربة قاضية لعروش الطواغيت المهزوزة، وأثاروا المشاعر الحميمة في ضمائر المسلمين ضد الدولة الأموية الغاشمة.

وبعبارة أخرى؛ أنّ هذه العواطف المتحرّقة والدموع المنهمرة أثارت مشاعر الناس وأشعلت فيهم نيران الحقد والنفور من الظالمين والمستكبرين.

❦❦❦

١. سفينة البحار، ج ١، ص ٥١٠ (مادة «رثاء»).

القسم الخامس

آثار ومعطيات نهضة الطف

تنويه:

خضنا في القسم الثالث في دوافع نهضة الإمام الحسين عليه السلام واعتبرنا أهم دوافع النهضة إحياء الدين ومقارعة النظام الفاسد لبنى أمية. والإمام عليه السلام كان بصدد إحياء القيم الإسلامية والحيلولة دون العودة إلى العصر الجاهلي ومصادرة الجهود المضنية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواء عن طريق تشكيل الحكومة الإسلامية أو عن طريق الشهادة. فنهضة عاشوراء بالإضافة إلى إسهامها في إحياء الدين ونمو شجرة الإسلام، فقد أدت إلى صحوة الأمة الإسلامية ونفخت روح الشهادة والشجاعة في ضمائر المسلمين وعلمت البشرية دروس التضحية والفداء وتبّهت المخاطر الجديدة للخلافة الأموية على الإسلام وقادت إلى الثورات الدموية التي تمكنت على المدى البعيد من إسقاط سلطة بني أمية.

أضف إلى ذلك فقد أضحت حادثة كربلاء مثلاً وأسوة طيلة التاريخ لترسم لأحرار العالم ولاسيما الشعوب المسلمة الثائرة أسلوب النضال والجهاد. وقد أسس الإمام عليه السلام بدمه الزكي مدرسة لأحرار العالم جعلت قضية الموت والشهادة مسألة هينة، بل مفخرة. والحق أن معطيات نهضة عاشوراء واسعة وشاملة، نحاول هنا تسليط الضوء على ثلاثة معطيات مهمّة منها.

إحياء الإسلام ودين الحق

إعتقد النظام الأموي الحاكم أنه حقق أهدافه بقتله الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه - وبتلك الطريقة البشعة - وسبي نسائه وأطفاله، وظفر بالنتيجة التي كان يطمح إليها. فظن أنه قضى على عدوه الرئيسي وأرعب الآخرين، بحيث لم يعد هنالك من يفكر في الوقوف بوجهه.

وعاش يزيد وأعوانه حالة من الغرور بعيد واقعة كربلاء والنصر المزعوم الذي حققوه، فأطلقوا بعض العبارات ومارسوا بعض التصرفات التي كشفت ماهيتهم الحقيقية. فقد ظن أولئك أنهم انتصروا في الميدان إثر قتلهم الحسين عليه السلام وأسروهم لأهل بيته، وأنهم قضوا على آخر جيوب المقاومة في آل النبي صلى الله عليه وآله وقاموا ببعض الإجراءات الساذجة والطائشة بغية استكمالهم لحلقات النصر حتى تحولت مجالس لهوهم وفرحهم إلى مآتم ومصائب.

فتزيين المدن كالكوفة ودمشق وإقامة الإحتفالات المتضمنة للرقصات والدبكات وشرب الخمر ووضع القيود والأغلال في أعناق أهل البيت وأيديهم والطواف بالسبايا في المدن بصفتهم أسرى حرب وضرب الصبية بالأسواط وحمل رؤوس الشهداء على أسنة الرماح ونكت شفتي الإمام عليه السلام بالمخصرة و.... كانت من الأفعال التي استهدفت الإستخفاف بالأسرى وإدخال الرعب إلى قلوب العامة. إلا أن كل هذه الأفعال كانت بمثابة طلقة الرحمة التي صوبت لقلب الجهاز الأموي

الحاكم، بحيث تحولت مجالس لهوهم العابرة إلى كابوس مرعب. والواقع أنَّ بني أمية لم يتذوقوا حلاوة نصرهم حتى شعروا بمرارته التي كانت أشد عليهم من العلقم (ذكرنا في القسم الثاني العبارات الإلحادية والمناهضة للإسلام من جانب يزيد وسائر أقطاب بني أمية).

فبينما كانوا في نشوة سكر نصرهم الموهوم، صرحوا أنَّهم أخذوا ثأرهم من الإسلام ورسول الله ﷺ وظنوا أنَّهم اقتربوا من تحقيق هدفهم في العودة إلى عصر الجاهلية، في حين كانت كل هذه المساعي في الواقع بمثابة سهم سد إلى جسد السلطة الأموية. فقد أسهم قتل الحسين ﷺ وصحبه النجباء في إحياء المدرسة المحمدية، وسقى الإمام ﷺ بدمه الزكي شجرة الإسلام لينتهي الأمر إلى رفعة الأمة الإسلامية وصحوة المسلمين.

قال الإمام الصادق ﷺ: إنَّ إبراهيم بن طلحة (في المدينة) سأل الإمام السجاد ﷺ على سبيل الطعن - بعد قتل الحسين ﷺ: «يا عليَّ بن الحسين من غلب؟».

قال ﷺ: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَنْ غَلَبَ وَدَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَأَذِّنْ وَأَقِمْ»^١.

فقد أفهمه الإمام ﷺ بهذا الجواب أنَّ هدف يزيد كان محو الإسلام واسم النبي ﷺ، بينما مازال نداء لا إله إلا الله ومحمد رسول الله يدوي في المآذن، والمسلمون يشهدون لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة في كل مكان حتى في الشام عاصمة حكومة يزيد.

وقال (مسيو ماريين) الألماني: «لقد لقن الحسين ﷺ العالم درساً في التضحية والفداء وثبت اسم الإسلام والمسلمين في التاريخ بتضحيته وإثباته لمظلوميته، ولولا

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٧٧. وجاء في مقتل الحسين للمقرم، ص ٣٧٥، أنَّ الإمام زين العابدين ﷺ لما دخل المدينة سأله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: من الغالب؟ فقال ﷺ: إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب.

تلك الحادثة لما كان الإسلام كما هو عليه اليوم ولزال الإسلام والمسلمون»^١.
كما تحقق الحديث النبوي المعروف «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ»^٢ فالحسين
من رسول الله ﷺ لأنه ابن بنته فاطمة الزهراء عليها السلام؛ وأما قوله ﷺ وأنا من حسين
بمعنى أنه يحيي ديني، وعليه فأنا من حسين.

ويمكن القول بصراحة أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام لم تنقذ دين نبي الإسلام
فحسب، بل حالت دون محو أهداف رسالة سائر الأنبياء. فرسول الله ﷺ مكمل
لرسالة سابق الأنبياء وهو خاتمهم ودينه خاتم الأديان. وكأن جهود الأنبياء كافة
مقدمة لظهور النبي الخاتم وتسليمه راية الهدى إلى يوم القيامة.
ونعلم أن هذا الدين الخاتم للأديان تعرض لتهديد جدي على عهد خلافة معاوية
ويزيد وخاصة في عصر حكومة يزيد، وكان يخشى ضياع جهود الأنبياء، ولا سيما
نبي الإسلام ﷺ. ومن هنا كان قتل الإمام الحسين عليه السلام وسيلة لإحياء دين الله وسقي
شجرة التوحيد والنبوة.

ولعل هذا هو السبب في ما ورد في «زيارة وارث»^٣ أن الإمام الحسين عليه السلام
يخاطب بوارث سائر الأنبياء كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام فضلاً عن
نبي الإسلام ﷺ. وكأن الحسين عليه السلام ريحانة أقتطفت من رياحين بستان التوحيد
والنبوة فتشم منها رائحة سالف الأنبياء ووراثتهم.



١. انظر: «درس كه حسين عليه السلام به انسانها آموخت» بالفارسية يعني (الدرس الذي لقنه الحسين العالم)،
ص ٢٨٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٦١ كما ورد الحديث في مصادر أهل السنة ومنها مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٧٧؛
والمعجم الكبير للطبراني، ج ٢٢، ص ٢٧٤؛ كنز العمال، ج ١٢، ص ١١٥.

٣. كامل الزيارات، ص ٣٧٥؛ تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٨٨؛ الإقبال للسيد ابن طاووس، ج ٢، ص ٦٣؛ مفاتيح
الجنان.



قدوة الأحرار

رغم الصورة الظاهرية التي تفيد انتصار يزيد في عاشوراء ٦١ هـ وحسم الموقف في القتال غير المتكافئ في كربلاء لصالح جبهة الكفر، إلا أنّ نظرة عميقة تكشف إنّ النصر الحقيقي كان للإمام الحسين عليه السلام وصحبه الميامين. فالحسين عليه السلام خلف منهجاً في تلك النهضة وأرسى بدمه مدرسة للمسلمين، بل لقاطبة أحرار العالم طيلة التاريخ فأضحت كعبة لدعاة الحق في العالم.

قال «موسيو ماريين» الألماني: «فقد أثبت الحسين عليه السلام للعالم أن لا ديمومة للظلم والجور ولا يصمد بناء الظلم أمام الحق مهما كان عظيماً»^١.

يتساءل سيد قطب المفسر والعالم المصري المعروف عند تفسيره للآية ٥١ من سورة غافر^٢: «إنّ وعد الله بالنصر للأنبياء والمؤمنين جازم قاطع فأما في الآخرة فلا يجادل فيه أحد وأما في الدنيا، فإننا نشاهد أنّ الرسل منهم من يقتل ومنهم من يهاجر. فأين وعد الله لهم بالنصر في الحياة الدنيا؟ إنّ الناس يقيسون بفترة قصيرة من الزمان وحيز محدود من المكان وهي مقاييس بشرية صغيرة. فأما المقياس الشامل فيعرض القضية في الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان ولا يضع الحدود بين

١. انظر: «درس كه حسين عليه السلام به انسانها آموخت» بالفارسية يعني (الدرس الذي لقّنه الحسين العالم)،

للمرحوم الشهيد عبد الكريم هاشمي نجاد، ص ٢٨٤.

٢. «إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

عصر وعصر ولا بين مكان ومكان ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان في هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك وانتصار قضية الاعتقاد هو انتصار أصحابها. والناس كذلك يقصرون معنى النصر على صورة معينة معهودة لهم قريبة الرؤية لأعينهم، ولكن صور النشر شتى وقد يتلبس بعضها بصورة الهزيمة عند النظرة القصيرة. إبراهيم عليه السلام وهو يلقي في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها. أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة. ما من شك - في منطق العقيدة - أنه كان في قمة النصر وهو يلقي في النار، كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار^١.

ثم أشار السيد قطب إلى الحسين عليه السلام فقال: والحسين رضوان الله عليه وهو يستشهد في تلك الصورة العظيمة من جانب والمفجعة من جانب آخر. أكانت هذه نصراً أم هزيمة؟ في الصورة الظاهرية وبالمقياس الصغير كانت هزيمة، فأما في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبير فقد كانت نصراً.

ثم قال: فما من شهيد في الأرض تهتز له الجوانح بالحب والعطف، وتهفو له القلوب وتجيئ بالغيرة والفداء كالحسين - رضوان الله عليه - يستوي في هذا المتشيعون وغير المتشيعين من المسلمين وكثير من غير المسلمين.

واختتم قوله: وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام كما نصرها باستشهاده، وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه. فتبقى حافزاً محرراً للأبناء والأحفاد. وربما كانت حافزاً محرراً لخطى التاريخ كله مدى أجيال^٢.

١. عن الإمام الصادق عليه السلام في شرح الآية ٤٥ من سورة غافر: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا...﴾ قال: «يَعْنِي مُؤْمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ، وَاللَّهُ لَقَدْ قَطَعُوهُ إِرْباً إِرْباً، وَلَكِنْ وَقَاهُ اللَّهُ أَنْ يَقْتُلُوهُ فِي دِينِهِ». (بحار الأنوار، ج ١٣، ص ١٦٢).

٢. في ظلال القرآن، ج ٧، ص ١٨٩-١٩٠ (بقليل من التصرف والتلخيص).

نعم أضحت نهضة الإمام الحسين عليه السلام وشهادته وصحبه البررة درساً لأحرار العالم، ممّا حدا بالعديد من القادة والزعماء الأحرار للإستلهاهم من تلك النهضة ليسطروا تلك الانتصارات.

فقد صرح الزعيم الهندي (المهاتما غاندي): «إنّه لم يأت بجديد لشعب الهند وكل ما قدمته حصيلة مطالعاتي لتاريخ وسيرة أبطال كربلاء فإن أردنا تحرير الهند فما علينا إلّا السير على خطى الحسين بن علي»^١.

كما صرح الزعيم الباكستاني (محمد علي جناح): «أن ليس هنالك من شجاعة وتضحية تفوق شجاعة الحسين عليه السلام. وأعتقد أنّه يجب على جميع المسلمين التّأسي بذلك الشهيد الذي ضحى بنفسه في كربلاء»^٢.

ويبدو هذا التّأسي واسعاً وجلياً في عالم التشيع بالنهضة الحسينية. فقد تمكن زعماء الشيعة طيلة التاريخ من تحقيق الانتصارات الباهرة من خلال تعبئة الجماهير بالاستلهاهم من ملحمة كربلاء العظيمة وتضحياتها الجسام. ولعل الانتصار الذي حققه الشعب الإيراني في الإطاحة بالنظام الشاهنشاهي الغاشم وملحمة الدفاع المقدس لثمان سنوات في جبهات صراع الحق ضد الباطل والجهاد الذي يخوضه شباب حزب الله في جنوب لبنان في مواجهة الكيان الصهيوني وبتلك الترسانة من الأسلحة، من النماذج البارزة للتأسي والاقتداء بالنهضة الحسينية في عصرنا الراهن.



١. مجلة الغري، النجف الأشرف ربيع الأول ١٣٨١.

٢. مرد ما فوق انسانها، بالفارسية يعني الإنسان الذي فاق الآخرين للسيد علي أكبر القريشي، ص ٢٨٦.

الثورات الدامية بعد واقعة كربلاء

لقد كان لحادثة كربلاء تأثيراً عجبياً بين المسلمين، فمن جهة عكست هذه الحادثة ذروة مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وكيفية شهادته وأسر أهل بيته الطاهرين عليهم السلام ممّا أدى إلى تنفر والمسلمين من جهاز الخلافة الأموية، وقد تعرضت خلافة يزيد التي قامت على أساس أسلوب معاوية في التهديد والتطميع لاهتزاز الشديد بهذه الحادثة.

ولا شك أنّ الإمام الحسين عليه السلام لو كان يقتل بشكل خفي كما قتل أخوه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بالسم، أو تمّ إبعاده أو سجنه لما حصلت كل هذه النتائج الإيجابية والمعطيات الكثيرة للمجتمع الإسلامي في إذكاء الكراهية لجهاز السلطة بين المسلمين، ولكن كيفية استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه العلنية وفي مقابل أنظار آلاف المسلمين قد وأحدث هزة عنيفة في قلب العالم الإسلامي بحيث لم يكن هناك أي مبرر لهذه الحادثة الأليمة.

ومن جهة أخرى فإنّ شخصية الإمام الحسين عليه السلام المعنوية وعظمة أسرته بين المسلمين كانت إلى درجة من ذلك الأهمية بحيث لم يكن قتله أمر سهلاً، بمعنى أنّه لو كان القتل غير الإمام الحسين عليه السلام لم له التأثير الحاسم في وعي المسلمين. ومن جهة ثالثة فإنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه القلائل ونداء «هيهات ممّا الذلة» وعد رضوخه للجيش الأموي قد ومنح المسلمين الجرأة والشجاعة في

التصدي لقوى الظلم والجور وأضحى الموت والشهادة في هذا السبيل أمراً ميسوراً بل ممّا يفتخر به، فكانت ثورة أهالي المدينة (التي سبقت الإشارة إليها) وكذلك ثورة التوابين، وحتى أشكال التصدي الفردي للسلطة الأموية تحكي عن هذه الحقيقة الحاسمة. ومن إثبات هذه الحقيقة نستعرض بعض هذه الانحاء من الثورات التي حدثت بعد واقعة كربلاء.

أ) الثورات الفردية

كان هناك نوعين من أشكال الثورة ضد حكومة يزيد بعد حادثة عاشوراء، بعضها لم تكن بشكل منتظم، أي أنّها كانت حركات فردية شجاعة، حيث قام بها بعض الأشخاص من الذين لم يطبقوا ذلّ الخنوع و السكوت بالإعلان عن رفضهم لهذه الحكومة الجائرة وأدى ذلك أحياناً إلى قتلهم. وهنا نشير إلى نموذجين من ذلك:

١. روى حميد بن مسلم قال: رأيت امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام فسقاطهن وهم يسلبونهن أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط فقالت: «يا آل بكر بن وائل، أَسْلَبُ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ؟ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، يَا ثَارَاتِ رَسُولِ اللَّهِ».

فأخذها زوجها وردّها إلى رحله^١.

٢. قال الراوي: إنّ ابن زياد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال في بعض كلامه: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه وقتل الكذاب بن الكذاب. فما زاد على هذا الكلام شيئاً حتى قام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي وكان من خيار الشيعة وزهادها وكانت عينه اليسرى ذهبية في يوم الجمل

١. اللهوف للسيد ابن طاووس، ص ١٨٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٥٨.

والأخرى في يوم صفين وكان يلزم المسجد الأعظم فيصلّي فيه إلى الليل فقال: يا ابن مرجانة إنّ الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه يا عدو الله أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين. قال فغضب ابن زياد ثم قال: من هذا المتكلم. فقال: أنا المتكلم يا عدو الله تقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنهم الرجس وتزعم أنّك على دين الإسلام واغوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد رسول رب العالمين.

قال: فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت أوداجه وقال: عليّ به. فبادر إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذه فقامت الأشراف من الأزد من بني عمّه فخلصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجوه من باب المسجد وانطلقوا به إلى منزله. فقال ابن زياد: إذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى الأزد أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه فأتوني به. فانطلقوا فلما بلغ ذلك الأزد اجتمعوا واجتمعت معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم. قال: وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث وأمرهم بقتال القوم. قال: فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل بينهم جماعة من العرب. قال: ووصل أصحاب ابن زياد إلى دار عبد الله بن عفيف فكسروا الباب واقتحموا عليه فصاحت أبنته أذاك القوم من حيث تحذر. فقال: لا عليك ناوليني سيفي. فناولته إياه فجعل يذب عن نفسه ويقول:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَمَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَسْأَلُ اللَّهَ رَبِّي أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ قَبْلَ أَنْ تَلِدَكَ أُمُّكَ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ عَلَى يَدَيَّ أَلْعَنَ خَلْقَهُ وَأَبْغَضَهُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا كَفَّ بَصْرِي يَسُسْتُ مِنَ الشَّهَادَةِ وَالْآنَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِيهَا بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْهَا، وَعَرَّفَنِي الْإِجَابَةَ مِنْهُ فِي قَدِيمِ دُعَائِي».

فقال ابن زياد اضربوا عنقه، فضربت عنقه وصلب في السبخة^١.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١١٩-١٢١.

ب) قيام التوابين

كان أول رد فعل ذات صلة بحادثة كربلاء تبلور في أهل الكوفة؛ فمن جانب كانت الكوفة تضم الكثير من الشيعة الموالين لعلي عليه السلام والحسين عليه السلام، ومن جانب آخر فقد دعوا الإمام عليه السلام بما بعثوا من رسائل، ثم تمردوا، والواقع تركوا الإمام عليه السلام لوحده في الساحة، وأخيراً قد شاركت فئة من هؤلاء في تلك الحادثة الأليمة.

قيل لما قتل الحسين عليه السلام تلاقت الشيعة بالتلاوة والمنادمة ورأت أن قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين عليه السلام وتركهم نصرته وإجابته حتى قتل إلى جانبهم ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عليهم إلا قتل من قتله والقتل فيهم، فاجتمعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤساء الشيعة في الكوفة وهم: سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي وعبد الله بن وال التميمي ورفاعة بن شداد البجلي فاجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي. فبدأهم المسيب بن نجبة فقال: ... فوجدنا الله كاذبين في كل موطن من موطن ابن بيت نبيّه ﷺ وسألنا نصره عوداً وبدءاً وعلانية فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بالسنتنا ولا قويناه بأموالنا ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرننا فما عذرنا عند ربنا؟ ثم قال:

«لَا وَاللَّهِ لَا عُذْرَ دُونَ أَنْ تُقْتُلُوا قَاتِلَهُ وَالْمُؤَالِينَ عَلَيْهِ، أَوْ تُقْتُلُوا فِي طَلَبِ ذَلِكَ، فَعَسَى رَبُّنَا يَرْضَى عَنَّا عِنْدَ ذَلِكَ».

وقام رفاعة بن شداد ثم عبد الله بن سعد ورأيا أن ولاية هذا الأمر لسليمان بن صرد صاحب رسول الله ﷺ وذي السابقة والقدم. فتكلم سليمان وقال: إِنَّا كُنَّا نمد أعناقنا إلى قدوم آل بيت نبينا محمد ﷺ نمنيهم النصر ونحثهم على القدوم. فلما قدموا ونينا وعجزنا وأدهنّا وتربصنا حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وبضعة من لحمه ودمه، إذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطى إتخذته الفاسقون غرضاً للنبل ودريئة للرماح حتى اقصدوه وعدوا عليه فسلبوه. ثم قال:

«أَلَا انْهَضُوا فَقَدْ سَخِطَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ، وَلَا تَرْجِعُوا إِلَى الْحَلَالِ وَالْأَبْنَاءِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ، وَاللَّهُ مَا أَظْنُّهُ رَاضِيًا دُونَ أَنْ تُنَاجِرُوا مَنْ قَتَلَهُ.
أَلَا لَا تَهَابُوا الْمَوْتَ فَمَا هَابَهُ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا ذَلٌّ وَكُنُوا كِبْنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ:

«إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَتَوْبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ»^١.

فقال خالد بن سعد بن نفيل: أمّا أنا فوالله لو أعلم أنّه ينجيني من ذنبي ويرضى ربّي عني قتلي نفسي لقتلتها، وأنا أشهد كل من حضر، أنّ كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحه الذي أقاتل به عدوي صدقة على المسلمين أقويهم به على قتل الفاسقين.

ثم كتب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان ومن معه من الشيعة بالمدائن فكتبوا رسالة لسليمان يعلمونه أنّهم على الحركة إليه والمساعدة له. وكتب سليمان إلى مثنى بن مخربة العبدي بالبصرة، فأجابه أنّا حمدنا الله ما عزمتم عليه. فما زالوا بجمع آلة الحرب ودعاء الناس في السرّ إلى الطلب بدم الحسين (عليه السلام) فكان يجيبهم النفر بعد النفر.

موت يزيد

واستمر ذلك حتى هلك يزيد عام ٦٤ هـ فقدم الشيعة إلى سليمان ورأوا بدء حركتهم من الكوفة فقالوا: قد هلك هذه الطاغية والأمر ضعيف، فإن شئت وثبنا على عمرو بن حُرَيْث وكان خليفة ابن زياد على الكوفة، ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين (عليه السلام) وتتبعنا قتلته ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم.

فقال لهم سليمان: لا تعجلوا إني قد نظرت فيما ذكرتم فرأيت أنّ قتلة الحسين

١. سورة البقرة، الآية ٥٤.

هم أشرف الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه، ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم، ونظرت فيمن تبعني منكم فعلت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا حزراً لعدوهم^١.

بداية عمليات التوايين

انطلق سليمان بن صرد الخزاعي مع صحبه في الأول من ربيع الثاني عام ٦٥ هـ إلى النخيلة دار في الناس فلم يعجبه عددهم فقال: سبحان الله ما وافانا من ستة عشر ألفاً إلا أربعة آلاف. فأقام فيها ثلاثة أيام يبعث إلى من تخلف عنه حيث أرسل حكيم بن منقذ الكندي والوليد بن عصير فناديا في الكوفة «يا لثارات الحسين» فكانا أول خلق الله دعا «يا لثارات الحسين» فأصبح من الغد ولم يأته سوى ألف رجل. فأنطلق إلى كربلاء حتى بلغ قبر الإمام الحسين عليه السلام ارتفعت أصواتهم بالبكاء وحسب تفسير ابن الأثير في الكامل^٢ «فَمَا رُئِيَ أَكْثَرُ بَاكِياً مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ».

ثم تحركوا إلى الشام وعبروا «قرقيسيا» فبلغوا «عين الورد» فالتقى جيش الشام مع التوايين في عين الورد وكان قائدهم عبيد الله بن زياد فوق القتال بينهم لثلاثة أيام. ولما قتل سليمان خلفه المسيب بن نجبة ثم عبد الله بن سعد بن نفييل ورفاعة بن شداد. ثم عاد رفاعة وصحبه إلى الكوفة والتحقوا بالمختار^٣.

نقد وتحليل

ما يفهم من تحليل هذه الثورة أن قتل الحسين عليه السلام أثر فيهم إلى درجة حيث لم يفكروا سوى في غسل عار غدرهم بالإمام عليه السلام وعدم نصرته. فهم لم ينشدوا نصراً

١. الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ١٦٢.

٢. المصدر السابق، ص ١٧٨.

٣. المصدر السابق، ص ١٥٨-١٨٦ بتلخيص كثير، راجع مقتل الحسين لأبي مخنف، ص ٢٤٨-٣١٠؛ وتاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٦-٤٧١.

أو فتحاً ولم يقاتلوا لمغنم أو منصب. وقد علموا حين خرجوا من ديارهم وأهليهم أن لا عودة إليها، وهذا ما ذكرهم به سليمان بن صرد الخزاعي فأجابه التوابون أنهم إنما خرجوا للتوبة من ذنوبهم والطلب بدم ابن بنت رسول الله ﷺ^١. فالواقع أراد أولئك الأفراد الخلاص من عذاب الضمير وغسل ذنوبهم بدمائهم. ولذلك كان المختار يسعى آنذاك لتعبئة الناس ضد الحكومة الظالمة، مع ذلك لم يكن مستعداً للتعاون مع سليمان ويراه يطلب بهذه الحركة قتل نفسه وأصحابه ولا دراية له بالحرب^٢.

فقد انطلقوا بادية الأمر إلى قبر الإمام الحسين ﷺ وبدأوا حركتهم من هناك وكانوا أول من حمل شعار «يَا أَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ». وكانت تلك الجهود والتضحيات من جانب أفراد شعروا بالخوف من تهديدات ابن زياد حين وردوا الكوفة بعدد قليل وتركوا مسلم بن عقيل ﷺ سفير الإمام الحسين ﷺ وحده في الساحة وسلموا العدو الكوفة، إلا أن حادثة كربلاء فعلت فعلها في نفوسهم بحيث استماتوا في القتال حتى نالوا الشهادة.

ج) قيام المختار

أسلفنا آنفاً أن ثورة التوابين لم تستمر بعد قتل قادتهم وخمت نيران ثورتهم لمدة ما، ولكن سرعان ما تأججت بظهور المختار ليعمّ الثأر كافة مناطق العراق لتتهاوى الأصنام الأموية وصانعي مجزرة كربلاء الواحد تلو الآخر. فقد أستطاع المختار بشخصيته وحنكته السياسية وفطنته ورفع شعار المطالبة بدم الحسين ﷺ أن يجمع حوله العديد من الأنصار ويحقق تلك الانتصارات.

كان أبوه هو «أبو عبيدة بن مسعود الثقفي» من الرجال الأشداء الذي قتل مع

١. الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ١٧٦.

٢. المصدر السابق، ص ١٦٣.

أحد أولاده ويدعى «جبر بن أبي عبيدة» سنة ١٤ هـ قرب الحيرة عند جسر دجلة في يوم الجسر في قتاله لجيش الفرس على عهد الخليفة الثاني^١.

قال الأصمغ بن نباتة: رأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) يجلس المختار ويقول له: «يا كيّس يا كيّس»^٢ وندرك مدى دقة عبارة الإمام (عليه السلام) على ضوء تحليلنا لقيام المختار. فقد تمكن المختار خلال مدة قصيرة من التسلل إلى أفكار الناس وشحذ هممهم وتعبّتهم للثورة بأروع الأساليب التي تكشف عن عمق معرفته بالناس. وكان أول من قصده سفير الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل لما دخل الكوفة رغم كثرة أشرافها، ثم انتقل بعد مدة إلى دار هاني بن عروة. وحين تمكن عبيد الله بن زياد من تفريق أهل الكوفة عن مسلم بتهديده ووعيده؛ انطلق المختار حين كان في قرية القفا مع صحبه لنصرة مسلم في الكوفة، إلّا أنّ رجال عبيد الله ألقوا القبض عليه وحبسوه. فبقى في السجن مع ميثم التمار - أحد خلص أمير المؤمنين (عليه السلام) طيلة أحداث كربلاء.

قال ابن أبي الحديد: إنّ ميثم التمار قال للمختار:
«إِنَّكَ تَقُلْتُ وَتَخْرُجُ ثَائِرًا بِدَمِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فَتَقْتُلُ هَذَا الْجَبَّارَ الَّذِي نَحْنُ فِي سِجْنِهِ، وَتَطَأُ بِقَدَمِكَ هَذَا عَلَى جَبْهَتِهِ وَخَدَيْهِ»^٣.

قطعاً هذا الكلام ليس لميثم وإنما سمعه من مولاه علي (عليه السلام). ولم تمض مدة حتى حكم ابن زياد على المختار بالإعدام، فلما أتى به أمر يزيد بإطلاق سراحه بعد أن شفع له عبدالله بن عمر زوج أخت المختار. فالتحق المختار بعبدالله بن الزبير بمكة بعد أن ترك الكوفة بأمر ابن زياد^٤.

ويرى بعض علماء الشيعة الذين يثنون على المختار أنّه التحق بابن الزبير

١. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦٢٨؛ مروج الذهب، ج ٢، ص ٣١٥.

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٤٤؛ رجال الكشي ص ١٢٧. لعل تكرارها مرتين لأنّه ملقب بالكيسان، ويرى البعض أنّ الفرقة الكيسانية تنسب إليه (بحار الأنوار، ج ٣، ص ٣٤٥).

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٩٣.

٤. راجع تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٤٢-٤٤٤.

لمصلحة ولمخالفته لبني أمية وقد دافع عن الحرم الإلهي حين حوَّصر ابن الزبير هناك من قبل جيش الشام، وما أن علم بانحراف ابن الزبير حتى تخلى عنه وانطلق إلى الكوفة^١.

كان المختار يفكر في ذلك الهدف الكبير - الطلب بدم الحسين عليه السلام ولا يفارق سمعه كلام صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ميثم التمار، فكان يشعر بوظيفته في القيام بهذا الأمر. ولذلك قصد أحد أبناء أمير المؤمنين عليه السلام وهو محمد بن الحنفية^٢.

وقد تزامن دخول المختار للكوفة مع قيام التوابين، لكنّه كان يحدث أهل الكوفة بعدم جدوى القيام، مع ذلك لم يستطع جمع الشيعة، وبالنتيجة حبس ثانية من جانب عبدالله بن يزيد بمساعي أشرف الكوفة، فكان في السجن لما فشلت ثورة التوابين^٣. ثم أطلق سراحه بشفاعه عبدالله بن عمر، فتمهد السبيل لثورته. فاستجاز الإمام السجاد عليه السلام بدعوة الناس والبدء بالثورة. إلا أنّ الإمام عليه السلام لم يجبه، وإن صرحت بعض الروايات برضاه عمّا فعله بقتلة الإمام الحسين عليه السلام^٤. فذهب إلى محمد بن الحنفية وبدأ دعوته باسمه^٥. قال الطبري في تاريخه: أجابه محمد بن الحنفية: «فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ انْتَصَرَ لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا بِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ»^٦.

فجمع المختار الشيعة وبعث ببعضهم للحجاز ليسمعوا ما قاله ابن الحنفية^٧. وكانت حماية إبراهيم الأشر (ابن مالك الأشر) أحد زعماء قبيلة مذحج والذي

١. راجع تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٤٦.

٢. بحار الأنوار، ج ٥، ص ٣٥٢ «رحل المختار إلى المدينة وكان يجالس محمد بن الحنفية ويأخذ منه الأحاديث».

٣. راجع تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٧٠.

٤. يعتقد بعض الشيعة أن فعل الإمام السجاد عليه السلام لا يعني رفض مشروع المختار، بل كان ذلك بسبب صعوبة ظروف الإمام عليه السلام (راجع تنقيح المقال للعلامة المامقاني، سيرة المختار).

٥. مروج الذهب، ج ٣، ص ٧٤.

٦. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٩٢؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٢١٤.

٧. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٩٢.

عرف بولائه لأُمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته كأيّيه، دعماً كبيراً للمختار. وكان إبراهيم معروفاً من الجميع لكنّه كان متردداً في أمر قيام المختار ولم يشترك حتى في ثورة التوابين. وقد شق على المختار تردد إبراهيم فسعى للحصول على نصرته حتى وفق في ذلك^١.

فاتفق المختار وإبراهيم على القيام ليلة الخميس ١٤ ربيع الأول سنة ٦٦ هـ^٢. وبلغ عبد الله بن مطيع خبر المختار فبث جنوده وحاصر الكوفة. فدفع ذلك المختار للتعجيل بالقيام، لأنّ إبراهيم الأشتر ذهب مع جمع من أصحابه ليلة الثلاثاء ١٢ ربيع الأول سنة ٦٦ هـ إلى دار المختار فاعترضه الجنود فقتل رئيس شرطة الكوفة فهرب الآخرون واطلعوا حاكم الكوفة على الخبر فسارع المختار بثورته وشعاره «يا لثارات الحسين»^٣ فنهض الشيعة وقاتلوا بشدّة حتى سيطروا على الكوفة بعد ثلاثة أيّام وهرب عبد الله بن مطيع والي الكوفة إلى البصرة. فصعد المختار المنبر وقال:

«تُبَايَعُنِي عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَالطَّلَبِ بِدِمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَجِهَادِ الْمُحِلِّينَ وَالدَّفْعِ عَنِ الضُّعَفَاءِ»^٤.

لكن كان هنالك ثلاثة أعداء يشكلون خطراً على حكومة المختار:

١. حكومة الشام بقيادة بني مروان من الشمال.
 ٢. حكومة عبد الله بن الزبير من ناحية الجنوب (مكة).
 ٣. قتلة الإمام الحسين والأشراف من داخل العراق.
- وكان من الطبيعي أن لا يتحمل بنو أمية حكومة الشيعة في قلب العالم الإسلامي

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٩٤.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٩٦؛ الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ٢١٦.

٣. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٩٨؛ فتوح ابن الأعمش، ج ٦، ص ١٠٣ وكذلك تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٥٨.

٤. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٥٠٨ وجاء في أمالي الشيخ الطوسي: «بايعوه على كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدم الحسين والدفع عن الضعفاء».

في العراق، فأمر عبد الملك بن مروان عبيد الله ابن زياد بالتصدي للمختار والسيطرة على الكوفة. ولما تجمع جيش ابن زياد في الموصل سار المختار وإبراهيم بسبعة آلاف. لكن قتلة الإمام الحسين مثل شيث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن استغلوا غياب إبراهيم فهجموا على الكوفة وحاصروا دار الإمارة فأشار المختار على إبراهيم بالرجوع إلى الكوفة ففضى عليهم ثم بعثه ثانية للقتال ففضى على جند ابن زياد بعد أن فروا وألقوا بأنفسهم في النهر وقد هلك في هذه المعركة التي صادفت في عاشوراء سنة ٦٧ هـ العديد من أفراد بني أمية مثل عبيد الله بن زياد والحسين بن نمير حيث قتل إبراهيم الأشر بن زياد وبعث برأسه إلى المختار في الكوفة فبعث به المختار إلى الإمام السجاد في المدينة^١. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَا اكْتَحَلْتُ هَاشِمِيَّةً، وَلَا اخْتَضَبْتُ، وَلَا رُئِيَ فِي دَارِ هَاشِمِيٍّ دُخَانٌ خَمَسَ حِجَجٍ، حَتَّى قُتِلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ»^٢.

وهكذا تم القصاص من جميع قتلة الإمام الحسين عليه السلام قال العقاد المصري: «فسلط الله على قاتلي الحسين عليه السلام كفواً لهم من القمة والنكل بغل حديدتهم بحديده وبكيل لهم بالكيل الذي يرفعوفه وهو مختار بن أبي عبيد الثقفي داعية التوايين من طلاب ثار الحسين، فهاب أهل الكوفة أن يكفروا عن تقصيرهم من نصرته، أن يتعاهدوا على الأخذ بثأره فلا يبقين من قاتليه أحد ينعم بالحياة وهو دفين مزال القبر في العراء، ولا أحد ممن أحصيت عليهم ضربة أو كلمة أو مدوا أيديهم بالسلب والمهانة إلى الموتى والأحياء»^٣.

وذكر العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن ابن نما (وكان الشمر بن ذي الجوشن قد أخذ من الإبل التي كانت تحت رحل الحسين عليه السلام فنحرها وقسم لحمها

١. انظر: بحار الأنوار، ج ٣٤، ص ٣٨٣-٣٨٦؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٥١٣، ٥١٦ و ٥٥٦، وجاء في تاريخ اليعقوبي أن علي بن الحسين عليه السلام لم ير ضاحكاً قط منذ قتل أبوه إلا في ذلك اليوم (تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٥٩).

٢. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٨٦.

٣. أبو الشهداء، لمؤلفه عباس محمود العقاد، ص ٢٠٥ (بتصرف).

على قوم من أهل الكوفة فأمر المختار فأحصوا كل دار دخلها ذلك اللحم فقتل أهلها وهدمها^١.

طبعاً لم تكن أعمال المختار هذه سوى إجراء العدل فجنايات أولئك الأشرار إنما فاقت حد التصور والخيال.

المعركة الأخيرة

التحق بعض جناة الكوفة بمصعب بن الزبير (أخو عبدالله بن الزبير) في البصرة ومنهم شيبث بن ربعي ومحمد بن الأشعث فكانوا يبحثون مصعب على قتال المختار^٢ ويرى الدينوري أن عدد من هرب من الكوفة إلى البصرة بلغ عشرة آلاف^٣ فالتقى جيش مصعب مع جيش المختار بقيادة الأحمر بن شميظ دون أن يطلب النصر من إبراهيم بن مالك الأشتر لأنه كان حينذاك في الموصل، حيث قتل ابن شميظ مع العديد من أصحابه فتمكن مصعب من قتل المختار وجنوده في الكوفة.

روى الطبري أن المختار قتل في ١٦ رمضان سنة ٦٧ هـ وكان له ثلاث وستون سنة^٤ ودعى مصعب إبراهيم إلى الكوفة فقدم عليه دون مقاومة واستقبله بحرارة. وهكذا سيطر آل الزبير على العراق بسقوط حكومة المختار. وفي سنة ٧٢ هـ هجم عبد الملك بن مروان على الكوفة فقتل مصعب وله ست وثلاثون سنة وإبراهيم الأشتر وله أربعون سنة وسيطر على العراق فلما بعث برأس مصعب إلى عبد الملك بن مروان قال أبو مسلم النخعي: لقد رأيت في دار الإمارة رأس الحسين بن علي عند ابن زياد ورأس ابن زياد عند المختار ورأس المختار عند مصعب والآن أرى عندك رأس مصعب. فغضب عبد الملك وأمر بهدم ذلك المكان^٥.

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٧٧.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٥٥٨.

٣. الأخبار الطوال، ص ٣٠٤.

٤. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٥٧٧.

٥. مروج الذهب، ج ٣، ص ١٠٩.

نقد وتحليل

نفهم ممّا مرّ معنا أنّ الدافع الأساس لقيام المختار لم يكن سوى الطلب بدم الحسين (عليه السلام) والانتقام من قتلته والذي تحقق على يد المختار. حيث استطاع أن يعيئ الشيعة بذلك الشعار «يا ثارات الحسين» الذي لم يكن يفوقه شعار آنذاك في الإثارة والتعبئة في القتال.

ومن جانب آخر فقد اسند الزعامة المعنوية لهذا القيام لأبناء أمير المؤمنين (عليه السلام) من خلال ارتباطه بمحمّد بن الحنفية وبعثه برؤوس جناة كربلاء إلى الإمام السجاد (عليه السلام). فالمختار كان يرى نفسه ممثل لمحمّد بن الحنفية وينسب إليه قيادة الثورة وحين تمكن من فتح الكوفة دعى الناس للبيعة بشرط الطلب بدم الحسين (عليه السلام) وأهل بيته. ورغم أنّ حكومة المختار لم تدم طويلاً وسقطت على يد مصعب مع ذلك لا يمكن نسب المختار للهزيمة. فقد حقق هدفه النبيل في الاقتصاص من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) وأدخل السرور إلى قلب الإمام السجاد (عليه السلام) وبني هاشم رغم قتله في خاتمة المطاف.

(د) إنقراض بني أمية

تفيد دراسة تاريخ حكومة بني أمية أنّ هذه الحكومة التي دامت ثمانين سنة كانت مثقلة بالأخطار والمشاكل والصراعات العنيفة والإرباكات سوى بضعة سنوات. فقد آلت الخلافة التي إستغرقت العمر الطبيعي لإنسان إلى أربعة عشر من آل أبي سفيان وآل مروان بحيث دامت سلطة بعضهم شهر أو بضعة شهور والبعض الآخر ما يقارب سبعين يوماً. ولعل أطولها مدّة والتي استغرقت عشرين سنة كانت حكومة عبد الملك وربما كان السبب في تجاوزه لوصايا الحجاج وكفّه عن سفك دم بني هاشم^١. فالواقع لم يشهد بني أمية الراحة والاستقرار بعد قتل الإمام الحسين (عليه السلام)،

١. انظر: (پیام الإمام) بالفارسية يعني (نفحات الولاية)، ج ٦، ص ٤١٨ و ج ٣، ص ٤٥٨ ذیل الخطبة ٨٧.

فواجهوا العديد من النهضات الدموية التي تركز جميعاً إلى الطلب بدم الحسين عليه السلام. فقد تبلورت عدّة نهضات الواحدة تلو الأخرى هنا وهناك واستقطبت العديد من الناس بما رفعته من شعارات فاعلة آنذاك «يَا ثَارَاتِ الْحُسَيْنِ» و«الرِّضَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ» و«الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». فكانت سيطرة بني أمية تنهار في بعض المناطق، فكان العراق والحجاز والشام وبالتالي خراسان في أتون تلك النهضات. والحق أن فاجعة قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته صدعت لأربعة عقود من دعايات بني أمية المسمومة الذين سيطروا زوراً وبهتاناً على البلاد الإسلامية. فملحمة عاشوراء كشفت النقاب عن الصورة الناصعة للإسلام الأصيل وأماطت اللثام عن الصورة البشعة لبني أمية وأثبتت عدم مشروعية سلطتهم. ودراسة تاريخ تلك النهضات تشير إلى أن الناس لم يركزوا آنذاك على شعار سوى الطلب بدم الحسين عليه السلام والنار من بني أمية، حتى العباسيون إنما سدّدوا آخر ضربة لزمرة آل أبي سفيان ونالوا هدفهم في الوصول إلى الخلافة في ظل ذلك الشعار.

ثورة العباسيين والانتقام من بني أمية

يشير التاريخ إلى أن أول شرارة لثورة العباسيين عام ١٣٢ هـ إنما انطلقت من خراسان من قبل جماعة من الشيعة بزعامة أبي مسلم الخراساني. حيث ثاروا انتقاماً من بني أمية إثر إرتكابهم لفاجعة كربلاء وكان شعارهم «الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ»، لكن العباسيين (طائفة من بني هاشم) إنما صادروا العواطف النبيلة والمتأججة للشيعة وغفلوا عن تشخيص المصايق الواقعية لأهل البيت؛ مع ذلك فالعامل الرئيسي المؤثر في انتصارهم وكسرهم لشوكة بني أمية هو شعار الطلب بدم الإمام الحسين عليه السلام وشرح مظلومية أهل بيته عليهم السلام. فقد عمدوا لهذا الشعار في إثارة غضب الأمة على بني أمية حتى تمكنوا من الإطاحة بهم. قال ابن أبي الحديد: «لما أتى أبو العباس برأس مروان سجد فأطال ثم رفع

رأسه وقال الحمد لله الذي لم يبق ثأرنا قبلك وقبل رهطك». ثم قال: «ما أبالي متى طرقني الموت وقد قتلت بالحسين ألفاً من بني أمية»^١.

عجائب التاريخ!

نقرأوا في تاريخ بني العباس وبني أمية:

لما ولي أبو العباس السفاح الخلافة فكر في الانتقام من بني أمية، ثم إنهم كتبوا إليه يطلبون منه الأمان ويسألونه العطف، فكتب لهم أنه غير غنى عنهم وأنه يحتاج إلى خدمتهم وضمن لهم الأموال والعطايا والاقطاع. واجتمع إليه منهم الكبير والصغير والرؤساء وآل زياد وآل مروان وآل يزيد بن معاوية. فأعدّ لهم كراسي من الذهب والفضة. وكان الخاص العام يتعجبون منه ومن فعله بهم. وهنا دخل بعض حجابيه وقال له: إن على الباب رجلاً ذميم المنظر عظيم المخبر شحب اللون يريد الدخول عليك. فلما سمع السفاح قال: صاحبنا سديف. فلما سمع بنو أمية بذكر سديف تغيرت ألوانهم واقتشعرت منهم الأبدان وأخذهم الجزع والهلع. وهم يعلمون أنه فصيح اللسان قوي الجنان وكان شاعراً ماهراً يمدح بني هاشم ويهجو بني أمية. دخل سديف على السفاح ونظر إلى بني أمية وما هم عليه وأنشاء فقال:

وَذُكِّرُوا مَضْرَعُ الْحُسَيْنِ وَزَيْدٍ وَقَتْلُ بَجَائِبِ الْمِهْرَانِي
وَالْقَتْلَ الَّذِي بِحَرَآنٍ أَضْحَى ثَاوِيًا بَيْنَ غُرْبَةٍ وَتَتَاسٍ^٢

فقال له السفاح: أهلاً بطلعتك ومرحباً برؤيتك، قدمت خير مقدم، وغنمت خير مغنم، فلك الإكرام والانعام، وأمّا ما أنت له من الأعداء فالمسفع أجمل، فإن أكرم الناس من عفا إذا قدر، وصفح إذا ظفر.

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ١٣٠ وراجع مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٥٧.

٢. معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٥ أشار إلى استشهاد «إبراهيم بن محمد» من معاريف بني هاشم وبني العباس و«حرّان» منطقة قريبة من الحدود الشمالية للعراقي.

ثم إنَّ السفاح نادى يا غلام عليّ بتخت من الثياب وكيس من الورق، فأتاه بذلك فقال السفاح: خذ وغيّر ثيابك وأصلح حالك وعد إلينا في غداة غدٍ إن شاء الله فلك عندنا ما تحب وترضا

قال: فخرج سديف من عند السفاح وهو فرحان شديد الفرح.
قال: وإن بني أمية بقوا في دهشة وبهتة وحيرة ينظر بعضهم إلى بعض، فعلم السفاح ما عندهم وما خامرهم فأراد أن يطمئنهم حتى يطمئنوا إليه، ويقبلوا بأجمعهم إليه.

فقال لهم: يا بني أمية لا يكبرن عليكم ما سمعتم من هذا العبد فإنه ما تكلم إلا بقله عقله وكثرة جهله وليس له رأي سديد ولا ينبغي أن يلتفت إلى قوله.
فقال بعض بني أمية: الهرب الهرب وقال البعض الآخر: يا ويلك إن أمير المؤمنين (السفاح) قد أحسن إلينا في الخطاب ووعدنا بجائزة وسديف أقل عنده من ذلك وتفرقوا إلى منازلهم.

فلما كان الغد بكر القوم إلى السفاح فدخلوا إليه، وسلّموا إليه، فردّ عليهم بأحسن الرد وقرب مراتبهم، وأعلى منازلهم، ورفع مجالسهم، وفرحوا بذلك فرحاً شديداً، ثم أقبل إليهم سألهم عن حالهم ومجيئهم إليه وقضى لهم حوائجهم.
ودخل عليهم سديف وقد غيّر أثوابه، فسلم على السفاح وأشار إليه بيده، وقال: نعم صباحك، وبان فلاحك، وظهر نجاحك كشف الله بك رواكد الهموم، وفداك أبي لأنك آخذ بالتأثر وكاشف عن قومك ضيمة العار، والضارب بالسيف الثأر، وقاتل الأشرار، فحاشاك يا ابن الرؤساء من بني العباس والسادة من بني هاشم، والسراة من بني عبدالمنف ثم أنشأ يقول:.

أَصْبَحَ الْمَلِكُ عَالِي الدَّرَجَاتِ	بِكِرَامٍ وَسَادَةٍ وَحُمَاتٍ
يَا سَلِيلَ الْمُطَهَّرِينَ مِنَ الرَّجَسِ	وَيَا رَأْسَ مَنبَرِ الْحَاجَاتِ
لَكَ أَعْنِي خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ	ذَا الْمَجْدِ وَأَهْلَ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ

غَدَرُونَا بَنُو أُمِيَّةَ حَتَّى صَارَ جِسْمِي سَقِيمًا بِالمُصِيبَاتِ
وَاسْتَبَاحُوا حَرِيمَنَا وَسَبُونَا وَزَمُونَا بِالدُّلِّ وَالتَّكْبَاتِ
أَيْنَ زَيْدٌ وَأَيْنَ عَوْنٌ وَمَنْ حَلَّ ثَاوِيًا بِالفُرَاتِ
وَالْإِمَامُ الَّذِي بَحْرَانُ أَضْحَى هُوَ إِمَامُ الْهُدَى وَرَأْسِ الثُّقَاتِ
كَيْفَ أَسْلَوْ مِمَّنْ قَتَلُوهُ جَهْرًا وَهَتَكُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْحُرْمَاتِ

فلما سمع السفاح ذلك أطرق إلى الأرض زماناً حتى سكن ما لحقه، ثم إنّه رفع رأسه وقال له: قل كلامك وتذكر ما فات، وخذ ما فات... فانصرف ولا تعد لمثلها أبداً. فخرجوا من عنده وقد سكن ما عليهم واجتمعوا للمشورة فقال قائل منهم: هلموا نسأل السفاح أن يسلم إلينا العبد فنقتله وإن فاتكم لم يزل العبد معه حتى يهلككم ويدمركم. ولما انسدل الليل بعث السفاح إلى سديف فأحضره وقال له: يا ويلك إنك لعجول في أمرك.

قال سديف: الكتمان قد قتلني والتحمل أمرضني ثم بكى سديف وأنشد شعراً. فبكى السفاح بكاء شديداً حتى اصفرّ لونه فلما أفاق قال له السفاح: يا سديف بلغ الكتاب أجله وقد حان وقرب ما تؤمله. فتم ليلتك قرير العين واتني غداة غداً أعطيك أملك وأبلغك رجاك.

فبات سديف أرقاً قلقاً ويدعو ربّه تمام ما وعد السفاح ونادى المنادي اليوم يوم عطاء وجوائز ونصب السفاح سرير ملكه وأفرغ بين يديه الدنانير والدراهم وأخبر رجاله فإذا رأيتموني قد جلدت قلنسوتي الأرض اخرجوا وضعوا السيوف في رقاب كل من ترونه.

وصعد السفاح إلى أعلى بيته والتفت إلى بني أمية وقال: هذا اليوم الذي كنت أعدكم فيه الجزاء والعطاء فمن تحبّون أبدأه بالعطاء. فقالوا ليتقرّبوا إليه ويدخلوا قلبه: إبدأ ببني هاشم... فقال السفاح: لمن عن يمينه وقد أعلمه بما يريد. فنادى الغلام: أين أسد الله

وأسد رسوله الحمزة بن عبدالمطلب هَلَمَّ إلينا واقبض عطاءك. قال سديف واين حمزه. قال السفاح: ما فعل الله به. قال السديف: قتلته امرأة من هؤلاء القوم يقال لها هند وأنها وعدت وحشي بعطاء فقتله فشقت صدره وأخذت كبده.

قال السفاح: ما علمت بذلك. ونادى الغلام مسلم بن عقيل هلم إلينا واقبض عطاءك. قال السديف: وأين مسلم بن عقيل. قال السفاح: ما فعله الله به. قال السديف رمى به عبيدالله بن زياد من قصر العمارة ووضع برجليه حبلاً وجزّوه في أسواق الكوفة. قال السفاح: ما علمت بذلك. ثم سأل عن الحسين والعباس. وقال ما فعل الله لولد رسول الله فأنشد سديف شعراً:

حَسِبْتُ أُمِّيَّةً أَنْ سَتَرْضِي هَاشِمٌ عَنْهَا وَيَذْهَبُ يَدُهَا وَحُسَيْنُهَا
كَذَبْتُ وَحَقٌّ مُحَمَّدٍ وَوَصِيَّهِ حَقًّا سَتَصِيرُ مَا يُسِيُّ ظُنُونُهَا

فقال: يالئارات الحسين، يالئارات بني هاشم.

فخلع السفاح القلنسوه وضرب بها الأرض فدخل الرجال وقتلوا جميع بني أمية^١ وهنا نفهم ما قاله أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«حَتَّى يَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمِّيَّةٍ، تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ سَوَاطِئُهَا، وَلَا سِيفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَعَمَّوْنَهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً»^٢.

نختم هذا الجانب بكلام من «عباس محمود العقاد»

«...وتلك جريرة يوم واحد هو يوم كربلاء، فإذا بالدولة العريضة تذهب في عمر رجل واحد مد يد الأيام، وإذا بالغالب في يوم كربلاء أخسر من المغلوب وإذا وضعت الأعمار المنزوعة من الكفتين»^٣

١. مقتل أبو مخنف (نقلًا عن منهاج البراعه للخوئي، ج ٧، ص ٢٣٢)؛ نفحات الولاية، ج ٦ في ذيل الخطبة.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

٣. المجموعة الكافلة لمؤلفات عباس محمد العقاد، ج ٢، ص ٢٧٢.

خاتمة المطاف

إنّ دراسة دقيقة للملحمة الحسينية يجعلنا نخلص إلى أنّ فاجعة عاشوراء في كربلاء خرجت بمرور الزمن من كونها حادثة تاريخية إلى مدرسة تخرج الأبطال وتسبغ على الإنسان معاني العزة والكرامة.

ولم تقتصر على مسلمي العالم فحسب، بل تجاوزت حدود العالم الإسلامي لتثير إعجاب أغلب مفكري العالم - حسب الوثائق المتوفرة - لأنّهم يروها نموذجاً لخلاص الشعوب المظلومة والمستعمرة، ويعتبرونها مدرسة مكافحة الظلم ودروسها العزة والحرية والإباء.

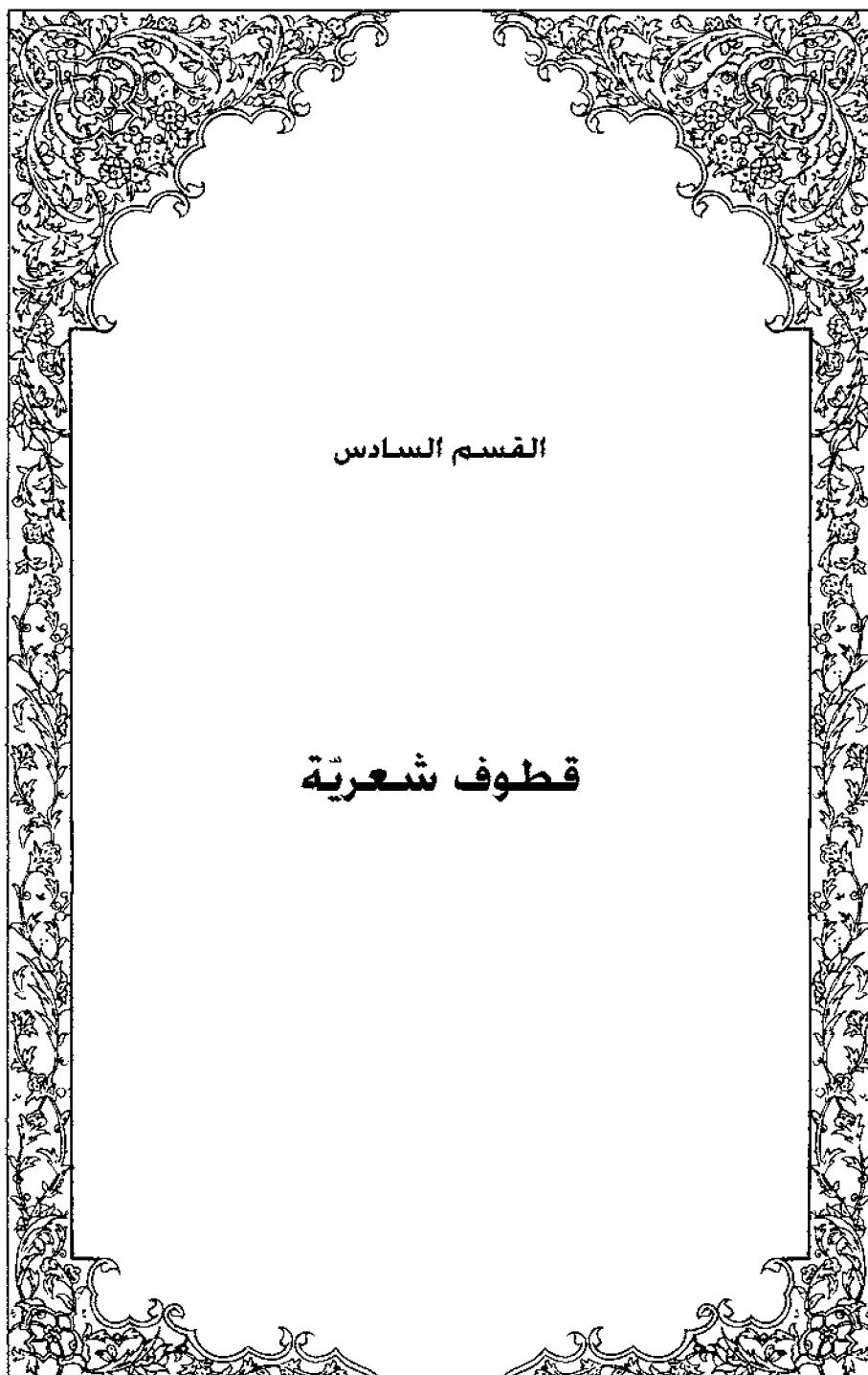
والجدير بالذكر أنّ مؤسس هذه المدرسة وصحبه الميامين الأوفياء علموا الجميع كيفية الوصول إلى الهدف عملياً من خلال الفكر والشجاعة والصمود والثبات على ضوء الخطابات والكلمات وأثبتوا أنّ الفئة القليلة إن تحلت بالشجاعة والإيمان بالله يمكنها الوقوف بوجه الفئة المعادية مهما كثرت والإطاحة بها والانتصار عليها وتحقيق أهدافها.

ويحدونا الأمل اليوم أن تستلهم الشعوب المظلومة معاني الملحمة الحسينية لتنهض بوجه الطواغيت الظلمة الذين يمتصون دماء المحرومين ويخلصون العالم من شرّهم.

«وَالسَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ وَعَلَى عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعَلَى أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ وَعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ».

الختام

الأربعين ١٤٢٦ المصادف ١١ / ١ / ١٣٨٤



تنويه:

سعى العديد من الشعراء لتصوير واقعة الطف وأبطالها بقصائد شعرية وقد أخذ كل شاعر جانباً معيناً من تلك الواقعة، حيث ركز البعض على الجانب المأساوي بينما خاض البعض الآخر في جانبها العرفاني إلى جانب الطائفة الثالثة التي سلطت الضوء على دروسها في مواجهة الظلم والطغيان. وبالطبع فإنّ كلاً من هذه الأبعاد يشير إلى رسوخ تلك الواقعة في ميدان الأدب والشعر والفن. وتبدو تلك الصورة المؤطرة بلسان الشعر لوحة رائعة وعميقة لتلك الحادثة، كما تسهم في خلودها وديمومتها إن اقترنت بالعتيدة والإيمان والانسجام مع هواجس المجتمع البشري. وعلى هذا الضوء يمكن اعتبار لغة الشعر والأدب من أفضل الوسائل في تخليد تلك الواقعة والحق أنّ واقعة الطف حظيت باهتمام مختلف شعراء العرب والعجم حتى أضحت بعض الأشعار أهزوجة للأبطال وشعاراً لاستنهاض المظلومين. ولا يخفى الدور الذي يلعبه هذا الشعر والذي يفوق أحياناً عشرات المحاضرات، حيث يمنح المظلوم قوة لاسترداد حقه من جانب ويدخل الرعب في قلوب الظلمة من جانب آخر. ونختتم كتابنا هذا بطائفة من الأشعار التي تشير إلى الملاحم وأخرى إلى الملحمة الممزوجة بلوعة المصاب.

أول من رثاه عقبة بن عمر السهمي^١

إِذَا الْعَيْنُ قَرَّتْ فِي الْحَيَاةِ وَأَنْتُمْ تَخَافُونَ فِي الدُّنْيَا فَأَظْلَمَ نُورُهَا
مَرَزْتُ عَلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ بِكَرْبَلَا فَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ دُمُوعِي غَزِيرُهَا
فَمَا زِلْتُ أُرْثِيهِ وَأَبْكِي لِشَجْوِهِ وَيُسْعِدُ عَيْنِي دَمْعُهَا وَزَفِيرُهَا
وَبَكَيتُ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ عَصَائِبًا أَطَافَ بِهِ مِنْ جَانِبِهِ قُبُورُهَا
سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ بِكَرْبَلَا وَقَلَّ لَهَا مِنِّي سَلَامٌ يَزُورُهَا
سَلَامٌ بِأَصَالِ الْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى تُؤَدِّيهِ نُكْبَاءُ الرِّيَّاحِ وَمُورُهَا
وَلَا بَرَحَ الْوَفَادُ زُورَ قَبْرِهِ
يَفُوحُ عَلَيْهِمْ مِسْكُهَا وَعَبِيرُهَا^٢

❦❦❦

١. قال الشيخ الطوسي هو أول من نظم الشعر في الإمام الحسين عليه السلام (أمالى الطوسي ص ٩٤ وجاء في أدب الطف (ج ١، ص ٥٢)، زار عقبة بن عمر السهمي قبر الإمام الحسين عليه السلام أواخر القرن الأول وأنشد هذه القصيدة.

٢. اعيان الشيعة، ج ٨، ص ١٤٦؛ وبحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٤٢.

مقطع من قصيدة السيد الحميري^١

أُمُرُ عَلَى جَدَثِ الْحُسَيْنِ
يَا أَعْظَمًا لَازِلَتْ مِنْ
مَا لَدَّ عَيْشُ بَعْدَ رَضٍّ
قَبْرُ تَضَمَّنَ طَبِيًّا
آبَاؤُهُ أَهْلُ الرِّيَاسَةِ
وَالْخَيْرِ وَالشِّيمِ الْمُهَذَّبَةِ
فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ
وَأَبُكَ الْمُطَهَّرَ لِلْمُطَهَّرِ
جَعَلُوا ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ
لَمْ يَدْعُهُمْ لِقَتَالِهِ إِلَّا
لَمَّا دَعَاؤُهُ لِكَيْ تَحْكُمَ
أَوْلَادُ أَخْبَثِ مَنْ مَشَى
فَعَصَاهُمْ وَأَبَتْ لَهُ
فَعَدَّوْا لَهُ بِالسَّابِغَاتِ
وَالْبَيْضِ وَالْيَلْبِ الْيَمَانِيِّ
وَهُمْ أُلُوفٌ وَهُوَ فِي
فَلَقَاؤِهِ فِي خَلْفٍ لِأَحْمَدَ
مُسْتَيْقِنِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَقُومُوا

فَقُلْ لِأَعْظَمِهِ الزَّكِيَّةِ
وَطُفَاءٍ سَاكِبَةٍ رَوِيَّةِ
كَ بِالْجِيَادِ الْأَعْوَجِيَّةِ
آبَاؤُهُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ
وَالْخِلَافَةِ وَالْوَصِيَّةِ
الْمُطَيَّبَةِ الرَّضِيَّةِ
فَأَطْلُ بِهِ وَقِفِ الْمَطِيَّةِ
وَالْمُطَهَّرَةِ النَّقِيَّةِ
غَرَضًا كَمَا تُرْمَى الدَّرِيَّةِ
الْجُعَالَةِ وَالْعَطِيَّةِ
فِيهِ أَوْلَادُ الْبَغِيَّةِ
مَرَحًا وَأَخْبِيهِمْ سَجِيَّةِ
نَفْسٍ مُعَزَّزَةِ أَبِيَّةِ
عَالِيهِمْ وَالْمَشْرِفِيَّةِ
الطُّوَالِ السَّمْهَرِيَّةِ
سَبْعِينَ نَفْسٍ هَاشِمِيَّةِ
مُقْبِلِينَ مِنَ الثَّانِيَّةِ
لِأَسْبَابِ الْمَمْنِيَّةِ

١ . هو إسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميري (١٠٥-١٧٣) شاعر أهل البيت عليه السلام الذي كان ينشد الشعر عند الإمام الصادق عليه السلام ومنها هذه القصيدة (راجع الغدير، ج ٢، ص ٢٧٢؛ أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٤٠٦؛ والذريعة، ج ١، ص ٣٣٣).

يَا عَيْنُ فَايُكِي مَا حَيِّتِ عَلَى ذَوِي الدَّمِ الْوَفِيَّةِ
لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ الْبُكَاءِ
دَمًا وَأَنْتِ بِهِ حَرِيَّةٌ^١

❦❦❦

مقطع من قصيدة دعبل الخزاعي^٢

أَفَاطِمُ لَوْ خِلْتُ الْحُسَيْنَ مُجَدَّلًا وَقَدْ مَاتَ عَطْشَانًا بِشَطِّ فُرَاتٍ
إِذَا لَطَمْتَ الْخَدَّ فَاطِمُ عَنْدَهُ وَأَجْرَيْتِ دَمْعَ الْعَيْنِ فِي الْوَجَنَاتِ
أَفَاطِمُ قَوْمِي يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ وَإِنْدِي نُجُومَ سَمَاوَاتٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ
قُبُورُ بِكُوفَانٍ وَأُخْرَى بِطَبِيبَةٍ وَأُخْرَى بِفَخٍّ نَالَهَا صَلَوَاتِي
قُبُورُ بِطِنِ النَّهْرِ مِنْ جَنْبِ كَرْبَلَا مُعَرَّسُهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتٍ
تُؤَفُّوْا عَطَاشًا بِالْعَرَاءِ فَلَيْتَنِي تُؤَفِّتُ فِيهِمْ قَبْلَ حِينِ وَفَاتِي
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَوْعَةً عِنْدَ ذِكْرِهِمْ سَقَنَنِي بِكَأْسِ التَّكْلِ وَالْفَضَاتِ
إِذَا فَخَرُوا يَوْمًا أَتَوْا بِمُحَمَّدٍ وَجِبْرِيلَ وَالْقُرْآنَ وَالسُّورَاتِ
وَعَدُّوا عَلِيًّا ذَا الْمَنَاقِبِ وَالْعُلَا وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ خَيْرَ بَنَاتِ
وَحَمْرَةَ وَالْعَبَّاسَ ذَا الدِّينِ وَالتَّقَى وَجَعَفَرَهَا الطَّيَّارَ فِي الْحَجَبَاتِ
أُولَئِكَ مَشُؤْمُونَ هِنْدًا وَحَرْبَهَا سُمِّيَّةَ مَنْ نُوكِي وَمِنْ قَذَرَاتِ
هُمْ مَنَعُوا الْآبَاءَ مِنْ أَخْذِ حَقِّهِمْ وَهُمْ تَرَكُوا الْأَبْنَاءَ رَهْنَ شَتَاتِ
سَأَبُكِيهِمْ مَا حَجَّ لِلَّهِ رَاكِبٌ وَمَا نَاحَ قُمْرِي عَلَى الشَّجَرَاتِ

١. أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٤٢٩.

٢. دعبل بن علي الخزاعي (١٤٨-٢٤٦) شاعر قدير تصدى للدفاع عن أهل البيت (عليه السلام) فأُتُوا عليه ولاسيما الإمام الرضا (عليه السلام) أنشد بحضرته قصيدته الثائية المعروفة (راجع تاريخ ابن عساكر، حرف الدال، الغدير، ج ٢، ص ٣٤٩؛ وأعيان الشيعة، ج ٦، ص ٤٠٠).

فَيَا عَيْنُ بَكِّهِمْ وَجُودِي بِعَبْرَةٍ
 بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ
 وَآلُ زِيَادٍ فِي الْحُصُونِ مَنِيعَةٌ
 دِيَارُ رَسُولِ اللَّهِ أَصْبَحْنَ بَلَقَعًا
 وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ نُحِفُ جُسُومُهُمْ
 وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ تُذْمَى نُحُورُهُمْ
 وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ تُسَبَّى حَرِيمُهُمْ
 إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى وَاتَرِيهِمْ
 سَابِكِيهِمْ مَا ذَرَّ فِي الْأَرْضِ شَارِقُ
 وَنَادَى مُنَادِي الْخَيْرِ لِلصَّلَواتِ
 وَقَدْ آنَ لِلتَّسْكَابِ وَالْهَمَلَاتِ
 وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ مُنْهَتِكَاتِ
 وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ
 وَآلُ زِيَادٍ تَسْكُنُ الْحُجَرَاتِ
 وَآلُ زِيَادٍ غُلَظُ الْقَصَرَاتِ
 وَآلُ زِيَادٍ رَبَّةُ الْحَجَلَاتِ
 وَآلُ زِيَادٍ آمَنُوا السَّرَبَاتِ
 أَكْفَأُ مِنَ الْأَوْتَارِ مُنْقِضَاتِ
 وَنَادَى مُنَادِي الْخَيْرِ لِلصَّلَواتِ
 وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَحَانَ غُرُوبُهَا
 وَبِاللَّيْلِ أَبْكِيهِمْ وَبِالْغَدَاةِ^١
 ٨٥٥٨

مقطع من قصيدة ابن حماد العبدي^٢

مُصَابٌ شَهِيدُ الطَّفِّ جِسْمِي أَنْحَلَا
 وَكَدَّرَ مِنْ دَهْرِي وَعَيْشِي مَاحَلَا
 فَمَا هَلْ شَهْرُ الْعَشْرِ إِلَّا تَجَدَّدَتْ
 بِقَلْبِي أَخْزَانُ تُوسِّدُنِي الْبَلَى

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٥٧-٢٥٨.

٢. أبو الحسن علي بن حماد من شعراء القرن الرابع الهجري ومعاصري الشيخ الصدوق والشيخ المفيد. ولد أوائل القرن الرابع وتوفي أواخره. وذكر النجاشي في كتاب الرجال أنه أدركه. بلغت أشعاره أكثر من ٢٢٠٠ بيت. وله عدة قصائد في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، ومنها هذه القصيدة (راجع الغدير، ج ٤، ص ١٥٣-١٧١؛ رجال النجاشي، ص ١٧١؛ تنقيح المقال، ج ٢، ص ٢٨٦؛ وزفرات الثقلين في مآتم الحسين للشيخ محمد باقر المحمودي، ج ٢، ص ١٥٩-١٦٠).

وَأَذْكُرُ مَوْلَايَ الْحُسَيْنَ وَمَا جَرَى
 عَلَيْهِ مِنَ الْأَرْجَاسِ فِي طَفٍّ كَرِيبًا
 فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاهُ بِالطَّفِّ قَائِلًا
 لِعِزَّتِهِ الْغُرَّ الْكِرَامِ وَمَنْ تَلَا
 أَلَا فَاَنْزِلُوا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَاعْلَمُوا
 بِأَنِّي بِهَا أُمْسِي صَرِيحًا مُجَدَّلًا
 وَأُسْقِي بِهَا كَأْسَ الْمُنُونِ عَلَى ظَمَا
 وَيُصْبِحُ جِسْمِي بِالدِّمَاءِ مُغَسَّلًا
 وَلَهْفِي لَهُ يَدْعُوا اللَّئَامَ تَأَمَّلُوا
 مَقَالِي، يَا شَرَّ الْأَنَامِ وَأَزْدَلَا
 أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي ابْنُ بِنْتِ مُحَمَّدٍ
 وَوَالِدِي الْكَرَارُ لِلدِّينِ كَمَلَا
 فَهَلْ سُنَّةٌ غَيْرُهَا أَوْ شَرِيعَةٌ
 وَهَلْ كُنْتُ فِي دِينِ الْإِلَهِ مُبَدَّلًا؟
 أَحَلَلْتُ مَا قَدْ حَرَّمَ الطُّهْرُ أَحْمَدُ
 أَحَرَّمْتُ مَا قَدْ كَانَ قَبْلُ مُحَلَّلًا
 فَقَالُوا لَهُ: دَعْ مَا تَقُولُ فَإِنَّا
 سَنُسْقِيكَ كَأْسَ الْمَوْتِ غَضِبًا مُعْجَلًا
 كَفِعَلِ أَبِيكَ الْمُرْتَضَى بِشُيُوخِنَا
 وَنَشْفِي صُدُورًا مِنْ ضَغَائِنِكُمْ مَلَا
 فَأَثْنِي إِلَى نَحْوِ النَّسَاءِ جَوَادَهُ
 وَأَحْزَانَهُ مِنْهَا الْفُؤَادُ قَدْ امْتَلَا

وَنَادَىٰ أَلَا يَا أَهْلَ بَيْتِي تَصَبَّرُوا
عَلَى الضَّرِّ بَعْدِي وَالشَّدَائِدِ وَالْبَلَا
فَإِنِّي بِهَذَا الْيَوْمِ أَرْحَلُ عَنْكُمْ
عَلَى الرَّغْمِ مِنِّي لَا مَلَالَ وَلَا قَلَا
فَقُومُوا جَمِيعاً أَهْلَ بَيْتِي وَأَسْرِعُوا
أُودِّعُكُمْ وَالْدَّمَعُ فِي الْخَذِّ مُسْبِلَا
فَصَبِرًا جَمِيلًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ
سَيُجْزِيكُمْ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَفْضَلَا
فَأَتْنِي عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ مُبَادِرًا
يُحَامِي عَنِ الدِّينِ الْمُهَيِّمِ ذِي الْعُلَا
وَصَالَ عَلَيْهِمُ كَالْهَزْبِ مُجَاهِدًا
كَفَعَلَ أَبِيهِ لَنْ يَزِلَّ وَيَخْذِلَا
فَمَالَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَأَلْقَوْهُ عَنْ ظَهْرِ الْجَوَادِ مُعْجَلَا
وَحَرَّ كَرِيمِ السَّبْطِ يَا لَكَ نَكْبَةً
بِهَا أَصْبَحَ الدِّينُ الْقَوِيْمُ مُعْطَلَا
فَأَزْتَجَتِ السَّبْعُ الشَّدَادُ وَزَلَزَلَتْ
وَنَاحَتْ عَلَيْهِ الْجِنُّ وَالْوَحْشُ فِي الْفَلَا
وَرَاخَ جَوَادُ السَّبْطِ نَحْوَ نِسَائِهِ
يَنْوَحُ وَيَنْعَى الظَّالِمِ الْمُتْرَمَلَا
خَرَجْنَ بُنْيَاتُ الْبَتُولِ حَوَاسِرًا
فَعَايَنَ مُهْرَ السَّبْطِ وَالسَّرْجَ قَدْ خَلَا

فَأَذْمَيْنَ بِاللَّطَمِ الْخُدُودَ لِفَقْدِهِ
وَأَسْكَبْنِ دَمْعاً حَرُّهُ لَيْسَ يُضْطَلَى
وَلَمْ أَنْسَ زَيْنَبَ تَسْتَعِيْثُ سَكِينَةً
أَخِي كُنْتُ لِي حِصْنًا حَصِينًا وَمَوْئِلًا
أَخِي يَا قَتِيلَ الْأَذْعِيَاءِ كَسَرْتَنِي
وَأَوْرَثْتَنِي حُزْنًا مُقِيمًا مُطَوَّلًا
أَخِي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ لَكَ الْفِدَا
فَقَدْ خَبْتُ فِيمَا كُنْتُ فِيهِ مُوَمَّلًا
أَخِي لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ عُثْمِيًّا وَلَا أَرَى
جَبِينَكَ وَالْوَجْهَ الْجَمِيلَ مُرَمَّلًا
وَتَدْعُو إِلَى الزَّهْرَاءِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ
أَيَا أُمَّ زُكْنِي قَدْ وَهَى وَتَزَلْزَلَا
أَيَا أُمَّ قَدْ أَمْسَى حَبِيْبُكَ بِالْعَرَا
طَرِيحًا ذَبِيحًا بِالدِّمَاءِ مُغْسَلًا
أَيَا أُمَّ نُوحِي فَالْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا
يُلَوِّحُ كَالْبَدْرِ الْمُنِيرِ إِذَا انْجَلَى
وَنُوحِي عَلَى النَّخْرِ الْمُخَضَّبِ وَأَسْكُبِي
دُمُوعًا عَلَى الْخَدِّ الثَّرِيبِ الْمُرَمَّلَا
وَنُوحِي عَلَى الْجِسْمِ الثَّرِيبِ تَدُوْسُهُ
خُيُولُ بَنِي سُفْيَانَ فِي أَرْضِ كَرْبَلَا
وَنُوحِي عَلَى السَّجَادِ فِي الْأَسْرِ بَعْدَهُ
يُقَادُ إِلَى الرَّجْسِ اللَّعِينِ مُغْلَلًا

فَإِذَا حَسْرَةً مَا تَنْقُضِي وَمُصِيبَةً

إِلَى أَنْ نَرَى الْمَهْدِيَّ بِالنَّصْرِ أَقْبَلَ
إِمَامٌ يُقِيمُ الدِّينَ بَعْدَ خَفَائِهِ
إِمَامٌ لَهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ فَضْلاً^١

❦❦❦

قصيدة ابن حماد العبدي أيضاً

لَمْ أُنْسَ مَوْلَايَ الْحُسَيْنَ بِكَزْبَلَا
وَإِذَا حَسْرَتَا كَمْ يَسْتَغِيثُ بِجَدِّهِ
وَيَقُولُ : يَا جَدُّاهُ لَيْتَكَ حَاضِرُ
وَيَقُولُ لِلشُّمْرِ اللَّعِينِ وَقَدْ عَلَا
وَاجْتَزَّ بِالْعَصَبِ الْمُهَيَّدِ رَأْسَهُ
وَعَلَايِهِ فَوْقَ السَّنَانِ وَكَبَّرُوا
فَارْتَجَّتِ السَّبْعُ الطَّبَاقُ وَأَظْلَمَتْ
وَبَكَينَ أَطْبَاقُ السَّمَاءِ وَأَمْطَرَتْ
يَا وَيْلَكُمْ أَتُكَبِّرُونَ لِفَقْدِ مَنْ
تَرَكُوهُ شَلَوْاً فِي الْفَلَاةِ وَصَيَّرُوا
وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الْإِلَهِ وَحِلْمِهِ
كَفَرُوا فَلَمْ يَخْشَفْ بِهِمْ أَرْضاً بِمَا
وَعَدَا الْحِصَانُ مِنَ الْوَقِيعَةِ غَارِياً
مُتَوَجِّهاً نَحْوَ الْخِيَامِ مُخَضَّباً

مُلْقَى طَرِيحاً بِالدِّمَاءِ رِمَالاً
وَالشُّمْرُ مِنْهُ يُقَطِّعُ الْأَوْصَالَ
فَعَسَاكَ تَمْنَعُ دُونَنَا الْأَنْذَالَ
صَدْرًا تُرَبِّي فِي تُقَى وَدَلَالاً
ظُلماً وَهَزَّ بِرَأْسِهِ الْعَسَلَا
لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَعَالَى
وَتَزَلَزَلَتْ لِمُضَابِهِ زِلْزَالاً
أُسْفَاً لِمَضْرَعِهِ دَمًا قَدْ سَالَ
قَتَلُوا بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَا
لِلْخَيْلِ فِي جَسَدِ الْحُسَيْنِ مَجَالاً
فِي الْحَالِ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَعَالَى
فَعَلُوا وَأَمْهَلَهُمْ بِهِ إِمْهَالاً
يَنْعَى الْحُسَيْنَ وَقَدْ مَضَى إِجْفَالاً
بَدَمِ الْحُسَيْنِ وَسَرْجُهُ قَدْ مَالَ

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٦١-٢٦٢.

وَتَقُولُ زَيْنَبُ : يَا سَكِينَةُ قَدْ أَتَى
 قَامَتْ سَكِينَةُ غَايَتُهُ مُحَمِّمًا
 فَبَكَتْ وَقَالَتْ : وَآ شَمَاتَةَ حَاسِدِي
 يَا عَمَّنَا جَاءَ الْحِصَانُ مُخَضَّبًا
 لَمَّا سَمِعْنَ الطَّاهِرَاتُ سَكِينَةَ
 أَبْرَزْنَ مِنْ وَسْطِ الْخُدُورِ صَوَارِخًا
 فَطَطْمَنَ مِنْهُنَّ الْخُدُودَ وَكُشِفَتْ
 وَخَمَشْنَ مِنْهُنَّ الْوُجُوهَ لِفَقْدِ مَنْ
 قُتِلَ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ يَكْرَبَلَا
 وَتَقُولُ : يَا جَدَّاهُ نَسْلُ أُمِّيَّةٍ
 يَا جَدَّنَا فَعَلُوا عُلُوجَ أُمِّيَّةٍ
 يَا جَدَّنَا هَذَا الْحُسَيْنُ يَكْرَبَلَا
 مُلِّقَى عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ مُجَدَّلًا
 فَرَسُ الْحُسَيْنِ فَاَنْظُرِي ذَا الْحَالِ
 مُلِّقَى الْعِنَانِ فَأَعْوَلَتْ إِغْوَالًا
 قَتَلُوا الْحُسَيْنَ وَأَيَّتَمَوْا الْأَطْفَالَ
 بِدَمِ الشَّهِيدِ وَدَمْعُهُ قَدْ سَالَ
 تَنَعَى الْحُسَيْنَ وَتُظْهِرُ الْإِغْوَالَ
 يَنْدُبْنَ سِبْطَ مُحَمَّدٍ الْمِفْضَالَ
 مِنْهَا الْوُجُوهُ وَأَعْلَنْتْ إِغْوَالًا
 نَادَى مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ وَقَالَ
 ظُلُمًا وَقَاسَى مِنْهُمْ الْأَهْوَالَ
 قَتَلُوا الْحُسَيْنَ وَذَبَّحُوا الْأَطْفَالَ
 فِعْلًا شَنِيعًا يُدْهِشُ الْأَفْعَالَ
 قَدْ بَضَّعُوهُ أَسِنَّةً وَنِصَالًا
 فِي الْغَاضِرِيَّةِ لِلْوَرَى أَمْثَالًا
 ثُمَّ اسْتَبَاحُوا فِي الطُّفُوفِ حَرِيمَهُ
 نَهَبُوا السَّرَاةَ وَقَوَّضُوا الْأَحْمَالَ^١

❦❦❦

قصيدة لشاعر آخر:

إِذَا جَاءَ عَاشُورًا تَضَاعَفَ حَسْرَتِي
 هُوَ الْيَوْمُ فِيهِ اغْبَرَّتِ الْأَرْضُ كُلُّهَا
 مَصَائِبُ سَاءَتْ كُلٌّ مِنْ كَانَ مُسْلِمًا
 لِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَنْهَلَ عَبْرَتِي
 وَجُومًا عَلَيْهِمْ، وَالسَّمَاءُ أَقْشَعَرَّتِ
 وَلَكِنْ عُيُونُ الْفَاجِرِينَ أَقْرَبَتْ

١. بحار الانوار، ج ٤٥، ص ٢٦٤-٢٦٥.

إِذَا ذَكَرْتُ نَفْسِي مُصِيبَةَ كَرْبَلَا
 أَضَاقْتُ فُؤَادِي، وَاسْتَبَاحْتُ تِجَارَتِي
 أَرَيْقَتْ دِمَاءُ الْفَاطِمِيِّينَ بِالْمَلَا
 أَلَا يَا بِي تِلْكَ الدِّمَاءُ الَّتِي جَرَتْ
 تَوَابِيتُ مِنْ نَارٍ عَلَيْهِمْ قَدْ أُطِيقَتْ
 فَشَتَّانَ مَنْ فِي النَّارِ قَدْ كَانَ هَكَذَا
 بِنَفْسِي خُدُودٌ فِي التُّرَابِ تَعَفَّرَتْ
 بِنَفْسِي رُؤُوسٌ مُغْلِيَاتٌ عَلَى الْقَنَا
 بِنَفْسِي شَفَاهُ ذَابِلَاتٌ مِنَ الظُّلَمَا
 بِنَفْسِي عُيُونٌ غَائِرَاتٌ سَوَاهِرُ
 بِنَفْسِي مِنْ آلِ النَّبِيِّ خَرَائِدُ
 تَفِيضُ دُمُوعاً بِالدِّمَاءِ مَشُوبَةٌ
 عَلَى خَيْرِ قَتْلَى مِنْ كُھُولٍ وَفِئْتَةٍ
 رَبِيعُ الْيَتَامَى وَالْأَزَامِلِ فَابْكِيهَا
 وَأَعْلَامُ دِينَ الْمُصْطَفَى، وَوُلَاتُهُ
 يُنَادُونَ يَا جَدَّاهُ أَيَّةَ مَحَنَةٍ
 ضَعَايُنُ بَدْرٍ بَعْدَ سِتِّينَ أَظْهَرَتْ
 شَهِدَتْ بِأَنْ لَمْ تَرُضْ نَفْسُ بِهِدِهِ
 كَأَنِّي بِبِنْتِ الْمُصْطَفَى قَدْ تَعَلَّقْتُ
 وَفِي حِجْرِهَا ثَوْبُ الْحُسَيْنِ مُضَرَّجاً
 تَقُولُ أَيَا عَدْلُ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ
 أَجَالُوا عَلَيْهِ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا

وَأَشْلَاءُ سَادَاتٍ بِهَا قَدْ تَفَرَّتْ
 وَعُظْمٌ كَرْبِي، ثُمَّ عَيْشِي أَمَرَّتْ
 فَلَوْ عَقَلْتُ شَمْسُ النَّهَارِ لَخَرَّتْ
 بِأَيْدِي كِلَابٍ فِي الْجَحِيمِ اسْتَفَرَّتْ
 لَهُمْ زَفَرَةٌ فِي جَوْفِهَا بَعْدَ زَفَرَةٍ
 وَمَنْ هُوَ فِي الْفِرْدَوْسِ فَوْقَ الْأَسِرَّةِ
 بِنَفْسِي جُسُومٌ بِالْعَرَاءِ تَعَرَّتْ
 إِلَى الشَّامِ تُهْدِي بَارِقَاتِ الْأَسِنَّةِ
 وَلَمْ تَحْظَ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ بِقَطْرَةٍ
 إِلَى الْمَاءِ مِنْهَا نَظْرَةٌ بَعْدَ نَظْرَةٍ
 حَوَاسِرُ لَمْ تَقْذِفْ عَلَيْهِمْ بِسِتْرَةٍ
 كَقَطْرِ الْغَوَادِي مِنْ مَدَافِعِ سَرَّةِ
 مَضَالِيتُ أَنْجَادٍ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتْ
 مَدَارِسُ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ سَحْرَةٍ
 وَأَصْحَابُ قُرْبَانٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ
 تَرَاهَا عَلَيْنَا مِنْ أُمِّيَّةٍ مَرَّتْ
 وَكَأَنَّتْ أُجَنَّتْ فِي الْحَشَا وَأَسْرَتْ
 وَفِيهَا مِنَ الْإِسْلَامِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ
 يَدَاهَا بِسَاقِ الْعَرْشِ، وَالْدَّمْعُ أَذَرَتْ
 وَعَنْهَا جَمِيعُ الْعَالَمِينَ بِحَسْرَةٍ
 تَعْدِي عَلَى ابْنِي بَعْدَ قَهْرٍ وَقَسْرَةٍ
 وَكَمْ جَالٍ فِيهِمْ مِنْ سِنَانٍ وَشَفْرَةٍ

عَلَى غَيْرِ جُزْمٍ، غَيْرِ انْكَارِ بَيْعَةٍ لِمُنْسَلِخٍ مِنْ دِينِ أَحْمَدَ عُرَّةٍ
فَيُقْضَى عَلَى قَوْمٍ عَلَيْهِ تَأَلَّبُوا بِسُوءِ عَذَابِ النَّارِ مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ
وَيُسْقَوْنَ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ إِذَا دَنَا شَوَى الْوَجْهِ وَالْأَمْعَاءُ مِنْهُ تَهَدَّتْ
مَوَدَّةُ ذِي الْقُرْبَى رَعَوْهَا كَمَا تَرَى؟ وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ: أَوْصِي بِعِزَّتِي
فَكَمْ عَجْرَةٍ قَدْ أَتْبَعُوهَا بِعَجْرَةٍ وَكَمْ غَدْرَةٍ قَدْ أَلْحَقُوهَا بِغَدْرَةٍ
هُمْ أَوَّلُ الْعَادِينَ ظُلْمًا عَلَى الْوَرَى وَمَنْ سَارَ فِيهِمْ بِالْأَذَى وَالْمَضَرَّةِ
مَضَوْا وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ وَعُهُودُهُمْ
سِوَى لَعْنَةٍ بَاؤُوا بِهَا مُسْتَمِرَّةً^١

❦

أبيات مختارة من قصيدة ابن عرندس^٢

أَيُّقْتُلُ ظُمَانًا حُسَيْنٌ بِكَرْبَلَا
وَفِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْ أُنَامِلِهِ بَخْرٌ؟
وَوَالِدُهُ السَّاقِي عَلَى الْحَوْضِ فِي غَدٍ
وَفَاطِمَةُ مَاءِ الْفُرَاتِ لَهَا مَهْرٌ
فَوَالْهَفَ نَفْسِي لِلْحُسَيْنِ وَمَا جَنَى
عَلَيْهِ غَدَاةَ الطَّفِّ فِي حَزْبِهِ الشَّمْرُ
تَجَمَّعَ فِيهَا مِنْ طُغَاةٍ أُمَيَّةٍ
عِصَابَةٌ غَدِرٌ لَا يَقُومُ لَهَا عُذْرٌ

١. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٨٠-٢٨١. (لم يذكر اسم الشاعر).

٢. الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن عرندس الحلي المعروف بابن عرندس من أعلام الشيعة وله مؤلفات في الفقه والأصول والشعر في الأئمة الأطهار عليهم السلام. توفي سنة ٨٦٠ ودفن في الحلة. ومن أشهر قصائده هذه القصيدة الرائية. قيل لا تقرأ هذه القصيدة في مجلس إلا حضره الإمام المهدي عليه السلام (الغدير، ج ٧، ص ١٤).

فَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ فِي أَرْضِ كَرْبَلَا
تَبَاعَدَ فِعْلُ الْخَيْرِ وَاقْتَرَبَ الشَّرُّ
فَحَاطُوا بِهِ فِي عَشْرِ شَهْرِ مُحَرَّمٍ
وَبِيضِ الْمَوَاضِي فِي الْأَكْفِ لَهَا شَمْرُ
فَقَامَ الْفَتَى لَمَّا تَشَاجَرَتِ الْقَنَا
وَضَالَ، وَقَدْ أَوْدَى بِمُهْجَتِهِ الْحُرُّ
وَجَالَ بِطَرْفٍ فِي الْمَجَالِ كَأَنَّهُ
دُجِيَ اللَّيْلُ فِي لَأْلَاءِ غُرَّتِهِ الْفَجْرُ
لَهُ أَرْبَعٌ لِلرَّيْحِ فِيهِنَّ أَرْبَعُ
لَقَدْ زَانَهُ كَرُّ وَمَا شَانَهُ الْفَرُّ
فَفَرَّقَ جَمَعَ الْقَوْمِ حَتَّى كَانَهُمْ
طُيُورُ بُغَاثٍ شَتَّ شَمْلَهُمُ الصَّقَرُ
فَاذْكُرْهُمْ لَيْلَ الْهَرَبِ فَأَجْمَعَ الْكِلا
بُ عَلَى اللَّيْثِ الْهُزْبِ وَقَدْ هَرُّوا
هُنَاكَ فَدَاهُ الصَّالِحُونَ بِأَنْفُسِ
يُضَاعَفُ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ لَهَا الْأَجْرُ
وَحَادُّوا عَنِ الْكُفَّارِ طَوْعًا لِنَصْرِهِ
وَجَادَلَهُ بِالنَّفْسِ مِنْ سَعْدِهِ الْحُرُّ
وَمَدُّوا إِلَيْهِ دُبْلًا سَمْهَرِيَّةً
فَغَادَرَهُ فِي مَارِقِ الْحَزْبِ مَارِقُ
بِسْهُمْ لِنَخْرِ السَّبْطِ مِنْ وَقْعِهِ نَخْرُ

فَمَالَ عَنِ الطَّرْفِ الْجَوَادِ أَخُو النَّدَى
الْجَوَادَ قَتِيلًا حَوْلَهُ يَصْهَلُ الْمُهْرُ
سَنَانُ سِنَانٍ خَارِقٌ مِنْهُ فِي الْحَشَا
وَصَارِمٌ شِمْرٌ فِي الْوَرِيدِ لَهُ شَمْرُ
تَجُرُّ عَلَيْهِ الْعَاصِفَاتُ ذُيُولَهَا
وَمِنْ نَسِجِ أَيْدِي الصَّافِنَاتِ لَهُ طَمْرُ
فَرَجَّتْ لَهُ السَّبْعُ الطَّبَاقُ، وَزَلَزَتْ
رَوَاسِي جِبَالِ الْأَرْضِ، وَالتَّطَمَّ الْبَحْرُ
فَيَا لَكَ مَقْتُولًا بَكَتَهُ السَّمَاءُ دَمًا
فَمُغْبِرٌ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالدَّمِ مُحْمَرٌ
مَلَأْسُهُ فِي الْحَرْبِ حُمْرٌ مِنَ الدِّمَا
وَهُنَّ غَدَاةَ الْحَشْرِ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
وَلَهْفِي لِرَزِينِ الْعَابِدِينَ، وَقَدْ سَرَى
أَسِيرًا عَلِيلًا لَا يُفَكُّ لَهُ أَسْرُ
وَأَلَّ رَسُولِ اللَّهِ تُسْبِي نِسَاؤُهُمْ
وَمِنْ حَوْلِهِنَّ السَّنَرُ يُهْتَكُ وَالْخَدْرُ
سَبَايَا بِأَكْوَارِ الْمَطَايَا حَوَاسِرًا
يُلاحِظُهُنَّ الْعَبْدُ فِي النَّاسِ وَالْحُرُّ
فَوَيْلُ يَزِيدَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ
إِذَا أَقْبَلَتْ فِي الْحَشْرِ فَاطِمَةُ الطُّهْرُ
مَلَأْسُهَا ثَوْبٌ مِنَ السُّمِّ أَسْوَدُ
وَأَخْرُ قَانٍ مِنْ دَمِ السَّبِطِ مُحْمَرُ

تُنَادِي وَأَبْصَارُ الْأَنْامِ شَوَاخِصُ
 وَفِي كُلِّ قَلْبٍ مِنْ مَهَابَتِهَا دُعْرُ
 وَتَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ، وَصَوْتُهَا
 عَلَيَّ وَمَوْلَانَا عَلَيَّ لَهَا ظَهْرُ^١
 ٤٥٥٣

أبيات مختارة من قصيدة ابن عرندس

وَفَجَعَتْ قَلْبِي بِالتَّفَرُّقِ مِثْلَمَا
 فَجَعَتْ أُمِّيَّةٌ بِالْحُسَيْنِ مُحَمَّدًا
 سَبَطَ النَّبِيُّ الْمُضْطَفَى الْهَادِي الَّذِي
 أَهْدَى الْأَنْامَ مِنَ الضَّلَالِ وَأَرْشَدَا
 وَهُوَ ابْنُ مَوْلَانَا عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى
 بَحْرُ النَّدَى، مُرْوَى الصَّدا، مُرْدِي الْعَدَى
 أَسْمَا الْوَرَى نَسَبًا وَأَشْرَفُهُمْ أَبَا
 وَأَجَلَّهُمْ حَسَبًا وَأَكْرَمُ مُحْتَدَا
 بَحْرُ طَمَا، لَيْثُ حَمَى، غَيْثُ هَمَى
 صُبْحُ أَضَا، نَجْمُ هَدَى، بَدْرُ بَدَا
 السَّيِّدُ السَّنْدُ الْحُسَيْنُ أَعَمُّ أَهْ
 لِِ الْخَافِقَيْنِ نَدَى وَأَسْمَحُهُمْ يَدَا
 لَمْ أَنْسَهُ فِي كَرْبَلَا مُتَلَطِّيًا
 فِي الْكَرْبِ لَا يَلْقَى لِمَاءٍ مَوْرِدَا

١. الغدير، ج ٧، ص ١٥-١٧.

وَالْمِقْنَبُ الْأَمْوِيُّ حَوْلَ خِبَائَةِ
 النَّبَوِيِّ، قَدْ مَلَأَ الْفَدَافِدَ، فُذِفَدَا
 وَالْخَيْلُ غَابِسَةُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا
 الْعِقْيَانُ تَخْتَرِقُ الْعَجَاجَ الْأَزْبَدَا
 حَتَّى إِذَا لَمَعَتْ بُرُوقُ صِفَاحِهَا
 ضَالَ الْحُسَيْنُ عَلَى الطُّغَاةِ بِعَزْمِهِ
 لَا يَخْتَشِي مِنْ شَرْبِ كَاسَاتِ الرِّدَا
 فَكَأَنَّمَا فَتَكَاتُهُ فِي جَيْشِهِمْ
 فَتَكَاتُ «حَيْدَرَ» يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْعِدَى
 جَيْشُ يُرِيدُ رِضَى يَزِيدَ، عِصَابَتُهُ
 غَضَبَتْ فَأَغْضَبَتْ الْعَلِيَّ وَأَحْمَدَا
 جَحَدُوا الْعَلِيَّ مَعَ النَّبِيِّ وَخَالَفُوا
 الْهَادِي الْوَصِيَّ وَلَمْ يَخَافُوا الْمَوْعِدَا
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّ عَذْبَ فِرَاتِهَا
 تَسْرِي مُسْلَسَةً وَلَنْ تَتَقَيَّدَا
 طَامَ وَقَلْبُ السُّبُطِ ظَامٍ نَحْوَهُ
 وَأَبْوَهُ يُسْقِي الثَّاسَ سَلْسَلُهُ غَدَا
 شَمْسٌ عَلَى فَلَكٍ وَطَوْعٌ يَمِينِهِ
 قَمَرٌ يُقَابِلُ فِي الظَّلَامِ الْفَرْقَدَا
 وَالسَّيِّدُ الْعَبَّاسُ قَدْ سَلَبَ الْعِدَى
 عَنْهُ اللَّبَاسَ وَصَيَّرُوهُ مُجَرَّدَا

وَابْنُ الْحُسَيْنِ السَّبُطِ ظَمَانَ الْحَشَا
وَالْمَاءُ تَنْهَلُهُ الذُّثَابُ مُبَرِّدَا
كَالْبَدْرِ مَقْطُوعُ الْوَرِيدِ لَهُ دَمٌ
أَمْسَى عَلَى ثَرْبِ الصَّعِيدِ مُبَدِّدَا
وَالسَّادَةُ الشُّهَدَاءُ صَرَعُوا فِي الْفَلَا
كُلُّ لَأْخَقَافِ الرِّمَالِ تَوَسِّدَا
فَأُولَئِكَ الْقَوْمُ الَّذِينَ عَلَى هُدًى
مِنْ رَبِّهِمْ فَمَنْ اقْتَدَى بِهِمْ اهْتَدَى
وَالسَّبُطُ حَرَانُ الْحَشَا لِمُضَابِهِمْ
حَيْرَانُ لَا يَلْقَى نَصِيراً مُسْعِدا
حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَتْ أَبَاعِيدُ الرَّدَى
وَحَايَاتُهُ مِنْهَا الْقَرِيبُ تَبَعَّدَا
ذَارَتْ عَلَيْهِ عُلُوجُ آلِ أُمَيَّةٍ
مِنْ كُلِّ ذِي نَقْصٍ يَزِيدُ تَمَرُّدَا
فَرَمَوْهُ عَنْ صُفْرِ الْقَسِيِّ بِأَسْهُمٍ
مِنْ غَيْرِ مَا جُرْمِ جَنَاهُ وَلَا اعْتَدَى
فَهَوَى الْجَوَادُ عَنِ الْجَوَادِ فَرَجَّتْ
السَّبْعُ الشُّدَادُ وَكَانَ يَوْمًا أُنْكَدَا
وَاخْتَزَّ مِنْهُ الشُّمْرُ رَأْسًا طَالَمَا
أَمْسَى لَهُ حِجْرُ النُّبُوءَةِ مَرْقَدَا
فَبَكَتْهُ أَمْلاكَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
وَالدَّهْرُ بَاتَ عَلَيْهِ مَشْقُوقُ الرِّدَا

وَالْوَحْشُ صَاحٍ لِّمَا عَرَاهُ مِنَ الْأُسَى
وَالطَّيْرُ نَاحٍ عَلَى عَزَاهُ وَعَدَّدا
وَسَرُّوا بِرَزِينِ الْعَايِدِينَ السَّاجِدِ
الْبَاكِى الْحَزِينِ، مُقَيَّدًا وَمُصَفَّدًا
وَسُكَيْنَةً سَكَنَ الْأُسَى فِي قَلْبِهَا
فَعَدَا بِضَامِرِهَا مُقِيمًا مُقْعَدًا
وَأَسَالَ قَتْلُ الطِّفْلِ مَدْمَعِ زَيْنِبٍ
فَجَرَى، وَوَسَطَ الْخَدَّ مِنْهَا خُدَّدا
حَادٍ، وَمَا غَارَ الْحَجَبُجُ وَأُنْجَدَا
وَلَا لَعَنَّ يَزِيدُهَا وَزَيْادَهَا
وَيَزِيدُهَا رَبِّي عَذَابًا سَرْمَدًا
وَلَا بُكَيْنَ عَلَيْكَ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ
حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ مُلَحَّدًا^١
❦❦❦

مقطع من قصيدة السيد جعفر حلي رحمته الله الميمية^٢

وَجْهَ الصَّبَاحِ عَلَى لَيْلٍ مُظْلِمٍ
وَرَبِيعِ أَيَّامِي عَلَى مُحَرَّمٍ
وَاللَّيْلُ يَشْهَدُ لِي بِأَنِّي سَاهِرٌ
إِنْ طَابَ لِلنَّاسِ الرُّقَادُ فَهَوَّمُوا

١. الغدير، ج ٧، ص ٢٠-٢٢.

٢. السيد جعفر الحلي رجل فاضل وشاعر وأديب له ديوان شعر كبير (راجع أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٩٧).

مِنْ قُرْحَةٍ لَوْ أَنَّهَا بِيَلَمَلَمٍ
 نُسِفَتْ جَوَانِبُهُ وَسَاخَ يَلَمَلَمٍ
 مَا خِلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ مِنْ عَادَاتِهِ
 تَرَوَى الْكِلَابُ بِهِ وَيَظْمَى الضَّيْعَمُ
 وَيُقَدِّمُ الْأَمْوِيَّ وَهُوَ مُؤَخَّرُ
 وَيُؤَخَّرُ الْعَلَوِيُّ وَهُوَ مُقَدَّمُ
 مِثْلُ ابْنِ فَاطِمَةَ يَبِيتُ مُشَرِّدًا
 وَيَزِيدُ فِي لَذَاتِهِ مُتَتَعِّمُ
 وَتُضَيِّقُ الدُّنْيَا عَلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ
 حَتَّى تَقَادِفَهُ الْفَضَاءُ الْأَعْظَمُ
 خَرَجَ الْحُسَيْنُ مِنَ الْمَدِينَةِ خَائِفًا
 كَخُرُوجِ مُوسَى خَائِفًا يَتَكَتَّمُ
 وَقَدْ انْجَلَى عَنْ مَكَّةَ وَهُوَ ابْنُهَا
 وَبِهِ تَشَرَّفَتِ الْحَطِيمُ وَزَمَرُمُ
 نَزَلُوا بِحَوْمَةِ كَرْبَلَا فَتَطَلَّبَتْ
 مِنْهُمْ عَوَائِدَهَا النَّسُورُ الْحَوْمُ
 وَتَبَاشَرَ الْوَحْشُ الْمُنَارُ أَمَامَهُمْ
 أَنْ سَوْفَ يَكْثُرُ شَرُّهُ وَالْمَطْعَمُ
 طَمِعَتْ أُمِّيَّةٌ حِينَ قَلَّ عَدِيدُهُمْ
 لَطَلِقَهُمْ فِي الْفَتْحِ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا
 وَرَجَوْا مَذَلَّتَهُمْ فَقُلْنَ رِمَائِهِمْ
 مِنْ دُونِ ذَلِكَ أَنْ تُنَالَ الْأَنْجُمُ

وَقَعَ الْعَذَابُ عَلَى جُيُوشِ أُمِّيَّةٍ
 مِنْ بَاسِلٍ هُوَ فِي الْوَقَايعِ مُعَلِّمٌ
 عَبَسَتْ وَجُوهُ الْقَوْمِ خَوْفَ الْمَوْتِ
 وَالْعَبَّاسُ فِيهِمْ ضَاحِكٌ يَتَبَسَّمُ
 قَلْبَ الْيَمِينِ عَلَى الشَّامِ وَغَاصَ فِي
 الْأَوْسَاطِ يَخْصِدُ لِلرُّؤُوسِ وَيَخْطُمُ
 وَتَنَى أَبْوَافَ الْفَوَارِسِ نُكَّصًا
 فَارَأَوْا أَشَدَّ تَبَاتِهِمْ أَنْ يُهْزَمُوا
 صَبَغَ الْخُبُولَ بِرُمُحِهِ حَتَّى غَدَا
 سَيَّانٍ أَشَقَرَ لَوْنُهَا وَالْأَذْهَمُ
 بَطْلٌ تَوَرَّتْ مِنْ أَبِيهِ شَجَاعَةٌ
 فِيهَا أَنْوَفُ بَنِي الضَّلَالَةِ تُرْغَمُ
 حَامِي الظَّلْعَيْنَةِ أَيْنَ مِنْهُ رَبِيعَةٌ
 أَمْ أَيْنَ مِنْ عُلْيَا أَبِيهِ مُكَدَّمُ
 فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى السَّقَاءُ يُقْلَهُ
 وَيَكْفُهُ الْيُمْنَى الْحُسَامُ الْمُخْذَمُ
 مِثْلُ السَّحَابَةِ لِلْفَوَاطِمِ صَوْبُهُ
 فَصَبَّ حَاصِبُهُ الْعَدُوَّ فَيُرْجَمُ
 قَسَمًا بِضَارِمِهِ الصَّقِيلِ وَأَنَّنَى
 فِي غَيْرِ صَاعِقَةِ السَّمَاءِ لَا أُقْسِمُ
 لَوْ لَا الْقَضَا لَمَحَى الْوُجُودَ بِسَيْفِهِ
 وَاللَّهُ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ

وَهَوَىٰ بِجَنبِ الْعَلْقَمَىٰ فَلَيْتَهُ
 لِلشَّارِبِينَ بِهِ يُدَافُ الْعَلَقَمُ
 فَمَشَىٰ لِمَصْرَعِهِ الْحُسَيْنُ وَطَرَفُهُ
 بَيْنَ الْخِيَامِ وَبَيْنَهُ مُتَقَسِّمُ
 أَلْفَاهُ مَحْجُوبَ الْجَمَالِ كَأَنَّهُ
 بَذَرُ بِمُنْحَطَمِ الْوَشِيجِ مُلْتَمِ
 فَكَابَّ مُنْحَنِيًّا عَلَيْهِ وَدَمَعُهُ
 صَبَغَ الْبَسِيطَ كَأَنَّمَا هُوَ عِنْدُ
 قَدْ رَامَ يَلْتَمُهُ فَلَمْ يَرِ مَوْضِعًا
 لَمْ يُدْمِهِ عَضُّ السَّلَاحِ فَيَلْتَمُ
 نَادَىٰ وَقَدْ مَلَأَ الْبَوَادِي صَيْحَةً
 صُمُّ الصُّخُورِ لِهَوْلِهَا تَتَأَلَّمُ
 ءَأَخَىٰ مَنْ يَحْمِي بَنَاتِ مُحَمَّدٍ
 إِنْ صِرْنَ يَسْتَرْحِمْنَ مَنْ لَا يَرْحَمُ
 هَذَا حُسَامُكَ، مَنْ يُذِلُّ بِهِ الْعِدَىٰ؟
 وَلَوْ أَكَ هَذَا مَنْ بِهِ يَتَقَدَّمُ
 هَوْنَتْ يَا ابْنَ أَبِي مَضَارِعَ فَنِيَّتِي
 وَالْجُرْحُ يُسْكِنُهُ الَّذِي هُوَ أَلَمٌ^١

❦❦❦

١. منتهى الآمال، ج ١، ٨٤٧-٨٨٥.

قصيدة لأحد الأكابر

إِنْ كَانَ عِنْدَكَ عَبْرَةٌ تُجْرِيهَا فَانْزِلْ بِأَرْضِ الطِّفِّ كَيْ تَسْقِيهَا
 فَعَسَى تَبُلُّ بِهَا مَضَاجِعَ صَفْوَةٍ مَا بَلَّتِ الْأَكْبَادُ مِنْ جَارِيهَا
 وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى مَنَازِلَ عِصْمَةٍ ثِقُلُ الثُّبُوتِ كَانَ الْقِيَّ فِيهَا
 فَبَكَيتُ حَتَّى خِلْتُهَا سَتُجِيبُنِي بِبُكَائِهَا حَزَنًا عَلَى أَهْلِهَا
 وَذَكَرْتُ إِذْ وَقَفْتُ عَقِيلَهُ حَيْدَرٍ مَذْهُولَةً تُضْغِي لِصَوْتِ أَخِيهَا
 بِأَبِي الَّتِي وَرَثْتُ مَصَائِبَ أُمِّهَا فَغَدَتُ تُقَابِلُهَا بِصَبْرِ أَبِيهَا
 لَمْ أَنْسَ إِذْ هَتَكُوا حِمَاهَا فَانْتَنَتْ تَشْكُو لَوَاعِجَهَا إِلَى حَامِيهَا
 تَدْعُو فَتَحْتَرِقُ الْقُلُوبُ كَأَنَّمَا يَرْمِي حَشَاهَا جَمْرَةٌ مِنْ فِيهَا
 هَذِي نِسَاؤُكَ مَنْ يَكُونُ إِذَا أُسِرَتْ فِي الْأَسْرِ سَائِقُهَا وَمَنْ حَادِيهَا
 أَيْسُوقُهَا زَحْرٌ بِضَرْبِ مُتُونِهَا وَالشَّمْرُ يَحْدُوها بِسَبِّ أَبِيهَا
 عَجَبًا لَهَا بِالْأَمْسِ أَنْتَ تَصُونُهَا وَالْيَوْمَ أَلْ أُمِّيَّةٌ تُبْدِيهَا
 حَسْرَى وَعَزَّ عَلَيْكَ أَنْ لَمْ يَتْرَكُوا لَكَ مِنْ ثِيَابِكَ سَاتِرًا يَكْفِيهَا
 وَسَرُوا بِرَأْسِكَ فِي الْقَنَا وَقُلُوبُهَا تَسْمُو إِلَيْهِ وَوَجَدُهَا يُضْنِيهَا

إِنْ أَحْرَوْهُ شَجَاهُ رُؤْيَا حَالِهَا

أَوْ قَدَّمُوهُ فَحَالُهُ يُشْجِيهَا^١

❦❦❦

قصيدة للسيد محمد حسين القزويني^٢

وَمُخَذَّرَاتٍ مِنْ عَقَائِلِ أَحْمَدٍ هَجَمَتْ عَلَيْهَا الْخَيْلُ فِي أَبْيَاتِهَا

١. منتهى الآمال، ج ١، ص ٨٥٠-٨٥١. (لم يذكر اسم شاعر هذه القصيدة)

٢. ولد السيد محمد حسين القزويني عام ١٢٩٥ في النجف وعرف بالعلم والفكر وتوفي في ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٦٥ (راجع أدب الطف لجواد شبر، ج ٩، ص ١٦٢).

مِنْ تَاكِيلِ حَرَّى الْقَوَادِ مَرُوعَةً أَضَحَتْ تُجَاذِبُهَا الْعِدَى حِزْبَاتِهَا
 وَبَيْتِيَّةٍ فَزَعَتْ لِحْجَمِ كَفِيلِهَا حَسَرَى الْقِنَاعِ تَعُجُّ فِي أَصْوَاتِهَا
 أَهْوَتْ عَلَى جِسْمِ الْحُسَيْنِ وَقَلْبِهَا الْمَضْدُوعُ كَادَ يَذُوبُ مِنْ حَسَرَاتِهَا
 وَقَعَتْ عَلَيْهِ تَشْمُّ مَوْضِعَ نَحْرِهِ وَعُيُونُهَا تَنْهَلُ فِي عِبْرَاتِهَا
 تَزْتَاغُ مِنْ ضَرْبِ السَّيَاطِ فَتَنْتَنِي تَدْعُو سَرَايَا قَوْمِهَا وَحُمَاتِهَا
 أَيْنَ الْحِفَاطُ وَفِي الطُّفُوفِ دِمَائُكُمْ سُفِكَتْ بِسَيْفِ أُمِّيَّةٍ وَقَنَاتِهَا
 أَيْنَ الْحِفَاطُ وَهَذِهِ أَشْلَاؤُكُمْ بَقِيَتْ ثَلَاثًا فِي هَجِيرِ فَلَاتِهَا
 أَيْنَ الْحِفَاطُ وَهَذِهِ أَطْفَالُكُمْ ذُبِحَتْ عِطَاشًا فِي ثَرَى عَرَصَاتِهَا
 أَيْنَ الْحِفَاطُ وَهَذِهِ فَتَيَاتُكُمْ
 حُمِلَتْ عَلَى الْأَقْتَابِ بَيْنَ عِدَاتِهَا^١

مقطع من قصيدة الشيخ خليعي^٢

فَأَقْبَلُ النَّحْرَ الْخَضِيبَ وَأَمْسَحُ الْوَجْهَ التَّارِبَ مُضْمَخًا وَمُرْمَلًا
 وَيَقُومُ سَيِّدُنَا النَّبِيُّ وَرَهْطُهُ مُتَلَهِّفًا مُتَأَسِّفًا مُتَقَلِّفًا
 فَيرَى الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ النَّارِحَ الْأَوْطَانَ مُلْقَى فِي الثَّرَى مَا غُسِّلَا
 وَتَقُومُ آسِيَّةٌ وَتَأْتِي مَرْيَمُ يَبْكِينَ مِنْ كَرْبِي بِعَرْصَةِ كَرْبَلَا
 وَيَطْفَنَ حَوْلِي نَادِبَاتِ الْجَنِّ إِشْفَا قَاءَ عَلَيَّ يَفِضْنَ دَمْعًا مُسْبَلَا
 وَتَضِجُ أَمْلاكَ السَّمَاءِ لِعَبْرَتِي وَتَعُجُّ بِالشَّكْوَى إِلَى رَبِّ الْعُلَى

١. منتهى الآمال، ج ١، ص ٨٥٢.

٢. كان الشيخ حسن خليعي شاعراً وأديباً وشعره من أفضل الأشعار (أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٦٣) وقد أنشد هذه القصيدة كلسان حال الزهراء عليها السلام على الإمام الحسين عليه السلام.

وَأَرَى بَنَاتِي يَشْتَكِينَ حَوَاسِرًا نَهَبَ الْمَعَاجِرِ، وَالْهَاتِ تُكُلًا
وَأَرَى إِمَامَ الْعَصْرِ بَعْدَ أَبِيهِ فِي صَفْدِ الْحَدِيدِ مُغْلَلًا وَمُغْلَلًا
وَأَرَى كَرِيمَ مُؤَمِّلِي فِي ذَابِلٍ كَالْبَدْرِ فِي ظُلَمِ الدِّيَاجِي يُجْتَلَى
يَهْدِي إِلَى الرَّجْسِ اللَّعِينِ فَيَشْتَفِي مِنْهُ فُؤَادٌ بِالْحُقُودِ قَدْ امْتَلَأَ
وَيَظَلُّ يَفْرَعُ مِنْهُ ثَغْرًا طَالَمَا
قَدَمًا تُرَشِّفُهُ النَّبِيُّ وَقَبْلًا^١



١. بحار الانوار، ج ٤٥، ص ٢٦٠.

فهرس المصادر

- ١ . القرآن كريم.
- ٢ . نهج البلاغه.
- ٣ . أبصار العين في أنصار الحسين، الشيخ محمد طاهر السماوي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.
- ٤ . أبوالشهداء، عباس محمود العقاد، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ١٩٦٣م.
- ٥ . إثبات الهداة، محمد بن حسن الحر العاملي، المطبعة العلمية، قم.
- ٦ . الاحتجاج، احمد بن علي الطبرسي، نشر اسوه، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢ ق.
- ٧ . إحقاق الحق، السيّد نورالله الحسيني، نشر المكتبة الإسلامية، طهران، الطبعة الاولى، ١٣٩٨ ق.
- ٨ . الأخبار الطوال للدينوري، احمد بن داود الدينوري، احياء الكتب العربية، الطبعة الاولى، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ٩ . أدب الطف، جواد شبر، دار المرتضى، بيروت، ١٤٠٩ ق.
- ١٠ . الأربعين الحسينية، آية الله حاج الميرزا محمد أرباب، انتشارات أسوة، قم، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.
- ١١ . الإرشاد، الشيخ المفيد، نشر المكتبة الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- ١٢ . الاستيعاب، ابن عبد البر، دارالفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ ق.
- ١٣ . اسد الغابة، ابن لأثير، دار احياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى.

- ١٤ . دمة الشفق، رضا المعصومي، نشر رشدي، طهران، الطبعة السادسة.
- ١٥ . الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار احياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٢٨ ق.
- ١٦ . الأعلام، خيرالدين الزركلي، دار العلم، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩ م.
- ١٧ . اعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت، الطبعة الأولى.
- ١٨ . اقبال الاعمال، السيد ابن طاووس، نشر مكتب الأعلام، الطبعة الثانية، ١٤١٨ ق.
- ١٩ . الأمالي، محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، نشر المكتبة الإسلامية، ١٩٨٤ م.
- ٢٠ . الأمالي، الشيخ المفيد، نشر جامعة المدرسين، قم.
- ٢١ . الأمالي، محمد بن حسن الطوسي، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ ق.
- ٢٢ . الإمام على صوت العدالة الإنسانية، نشر ذوي القربى، قم، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- ٢٣ . الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، منشورات الشريف الرضي.
- ٢٤ . أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق الدكتور زكار والدكتور الزركلي، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ ق.
- ٢٥ . بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ ق.
- ٢٦ . البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٢٧ . نفحات الولاية، آية الله ناصر مكارم الشيرازي، دارالكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى.
- ٢٨ . تاريخ ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ ق.
- ٢٩ . تاريخ اليعقوبي، دار الصادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٣٠ . تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، دارالقلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ ق.
- ٣١ . تاريخ الحضارة، ويل دورانت، نشر الثورة الإسلامية، الطبعة الثانية.
- ٣٢ . تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣ ق.

٣٣. تنمة المنتهى، شيخ عباس القمي، نشر داوري، قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ ق.
٣٤. تحف العقول، ابن شعبه الحرّاني، مكتبة بصيرتي، قم، الطبعة الخامسة، ١٣٩٤ ق.
٣٥. تحقق حول اربعينية سيد الشهداء، آية الله السيد محمد علي القاضي، وزارة الثقافة الإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
٣٦. تجارب الامم، أبو علي العسكرية الرازي، تحقيق الدكتور أبو القاسم الإمامي، انتشارات سروش، طهران، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠ م.
٣٧. تذكرة الخواص، نشر الشريف الرضي، قم، الطبعة الأول، ١٤١٨ ق.
٣٨. تراث كربلاء، سلمان هادي الطعمة، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ ق.
٣٩. تفسير ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢ ق.
٤٠. تفسير الفخر الرازي، دارالكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية.
٤١. تفسير الأمثل، آية الله ناصر مكارم الشيرازي، دارالكتب الإسلامية، طهران، الطبعة ٢٩.
٤٢. تنقيح المقال، مامقاني، الطبعة الحجرية.
٤٣. تهذيب الأحكام، محمد بن حسن الطوسي، نشر صدوق، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ ق.
٤٤. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ ق.
٤٥. جواهر الكلام، شيخ محمد حسن النجفي، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨١ م.
٤٦. الملحمة الحسينية، الاستاد الشهيد مرتضى المطهري، نشر صدرا، الطبعة العاشرة، ١٩٨٧ م.
٤٧. حياة الإمام الحسين بن علي، شيخ باقر شريف القرشي، دارالبلاغة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ ق.

- ٤٨ . الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤٠٩ق.
- ٤٩ . دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٢٢ق.
- ٥٠ . الدرس الذي علمه الحسين الناس، السيّد عبدالكريم هاشمي نژاد، نشر الاستانة الرضوية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
- ٥١ . دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعي)، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٣ق.
- ٥٢ . الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤ق.
- ٥٣ . الدفعة الساكنة، الملا محمد باقر البهبهاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤ق.
- ٥٤ . دور عائشة في التاريخ الإسلام، العلامة العسكري، المجمع العلم الإسلامي، طهران، الطبعة الرابعة، ١٩٨٩م.
- ٥٥ . ديوان خوشدل الطهراني، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.
- ٥٦ . ربيع الأبرار، الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ق.
- ٥٧ . رجال الكشي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٤ق.
- ٥٨ . روح المعاني، السيد محمود الآلوسي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥ق.
- ٥٩ . روضة الواعظين، فتال النيسابوري، منشورات الشريف الرضي، قم.
- ٦٠ . زفرات الثقلين في مآتم الحسين، الشيخ محمد باقر محمودي، نشر مجمع احياء الثقافة الإسلامية، قم، الطبعة الأولى.
- ٦١ . سفينة البحار، شيخ عباس القمي، نشر اسوة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ق.
- ٦٢ . سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد قزويني، دار الفكر، بيروت.
- ٦٣ . سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ق.
- ٦٤ . سير أعلام النبلاء، الذهبي، دارالفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ق.

- ٦٥ . سيرة ابن هشام، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٦٦ . سيرة الأئمة، مهدي ييشوايي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
- ٦٧ . سير في نهج البلاغة، الشهيد مرتضى المطهري، نشر صدرا.
- ٦٨ . شرح نهج البلاغة، شيخ محمد عبده، مكتب الاعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١١ ق.
- ٦٩ . شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية، قم، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ق.
- ٧٠ . صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٧١ . صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ ق.
- ٧٢ . صحيفة الإمام، مؤسسة تنظيم ونشر الآثار للإمام الخميني، طهران، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- ٧٣ . طبقات ابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ ق.
- ٧٤ . العقد الفريد، ابن عبد ربّه، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦ ق.
- ٧٥ . عقيل بن أبي طالب، أحمد الميانجي، دارالحديث، ٢٠٠٩م.
- ٧٦ . العوالم، الشيخ عبدالله البحراني، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.
- ٧٧ . الغدير، العلامة الأميني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٩٨١ م.
- ٧٨ . فتوح ابن الأعمش، دار الندوة الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٧٩ . معجم معين، مؤسسة نشر أميركبير، الطبعة الرابعة، ١٩٨١ م.
- ٨٠ . فروغ الأبدية، آية الله الشيخ جعفر السبحاني، مكتب الاعلام الإسلامي، الحوزة العلمية، قم، الطبعة العاشر، ١٩٩٤م.
- ٨١ . فلسفة الشهادة والعزاء، العلامة السيد عبدالحسين شرف الدين.
- ٨٢ . في ظلال القرآن، سيد محمد قطب، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٣٨٦ ق.

- ٨٣ . في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، دارالعلم للملأين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
- ٨٤ . قصه كربلاء، على نظري منفرد، نشر سرور، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م.
- ٨٥ . قمقام زخار، فرهاد الميرزا، انتشارات الإسلامية، طهران.
- ٨٦ . القواعد الفقهية، آية الله ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، الطبعة الثانية، ١٤١٠ق.
- ٨٧ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار صعب ودارالتعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١ق.
- ٨٨ . كامل ابن الأثير، دارالصادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ق.
- ٨٩ . كامل الزيارات، ابن قولويه، نشر صدوق، الطبعة الأولى، ١٣٧٥ش.
- ٩٠ . كشف الغمة، على بن عيسى الاربلي، مكتبة بنى هاشم، تبريز، ١٣٨١ق.
- ٩١ . كنز العمال، متقى الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ق.
- ٩٢ . اللؤلؤ والمرجان، الحاج امين ميرزا حسين نوري، مطبوعات الدينية، قم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- ٩٣ . لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ق.
- ٩٤ . مأساة الحسين بين السائل والمجيب، الشيخ عبدالوهاب الكاشي، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
- ٩٥ . مثير الأحزان، ابن نما الحلبي، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤٠٦ق.
- ٩٦ . مجمع البيان، أبوعلی الطبرسي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ق.
- ٩٧ . المحجة البيضاء، الملا محسن فيض الكاشاني، مكتب الاعلام الإسلامية، الطبعة الثانية.
- ٩٨ . مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، دارالفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ق.

- ٩٩ . مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٤ق.
- ١٠٠ . الرجل الذي فاق الناس، السيد على أكبر القرشي، مركز نشر دار التبليغ الإسلامي.
- ١٠١ . مروج الذهب، المسعودي، دار الهجرة، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ق.
- ١٠٢ . مسارّ الشيعة، الشيخ المفيد، مؤتمر الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣ق.
- ١٠٣ . مستدرك الوسائل، الحاج نوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ق.
- ١٠٤ . مستدرك الحاكم، دار المعرفة، بيروت.
- ١٠٥ . مسند أحمد، دار الصادر، بيروت.
- ١٠٦ . مصباح الكفعمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ق.
- ١٠٧ . مصنّف ابن أبي شيبة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ق.
- ١٠٨ . معالي السبطين، محمّد مهدي الحائري، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٩ق.
- ١٠٩ . معاني الأخبار، الصدوق، دار التعارف، بيروت، ١٣٩٩ق.
- ١١٠ . معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩ق.
- ١١١ . معجم رجال الحديث، آية الله السيد الخوئي، الطبعة الخامسة، ١٤١٣ق.
- ١١٢ . المعجم الكبير، الطبراني، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٤ق.
- ١١٣ . المفاتيح الجديدة، آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي، دارالنشر الإمام على بن ابي طالب عليه السلام، قم، الطبعة السادسة، ٢٠٠٦م.
- ١١٤ . مقاتل الطالبين، أبو الفرج الاصفهاني، نشر السيد الرضي، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ق.
- ١١٥ . مقتل الحسين، أبو مخنف، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٨ق.
- ١١٦ . مقتل الحسين، الخوارزمي، مكتبة المفيد، قم، الطبعة الأولى.

- ١١٧ . مقتل الحسين، المقرّم، دار الثقافة والنشر، قم، الطبعة الثانية، ١٤١١ ق.
- ١١٨ . الملهوف (اللهوف)، السيّد ابن طاووس، دارالاسوة، قم، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١ م.
- ١١٩ . مناقب ابن شهر آشوب، نشر ذوي القربى، الطبعة الأولى، ١٤٢١ ق.
- ١٢٠ . المنتظم، ابن الجوزي، دارالفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ ق.
- ١٢١ . منتهى الآمال، شيخ عباس القمي، مؤسسة نشر هجرة، قم، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٩ م.
- ١٢٢ . منهاج البراعة، العلامة الخوئي، المكتبة الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٦ ق.
- ١٢٣ . موسوعة كلمات الحسين (عليه السلام)، دارالمعروف، قم، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
- ١٢٤ . ميزان الاعتدال، محمّد بن أحمد الذهبي، دار المعرفة، بيروت.
- ١٢٥ . ناسخ التواريخ، محمّد تقى سيهر، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٩٨٤ م.
- ١٢٦ . نفس المهموم، شيخ عباس القمي، المكتبة العلمية الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ ق.
- ١٢٧ . نورالابصار في مناقب آل النبي المختار، الشيخ مؤمن بن حسين الشبلنجي، انتشارات ذوي القربى، قم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.
- ١٢٨ . وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١ ق.
- ١٢٩ . وصية الإمام الخميني السياسية الإلهية، صحيفة النور.
- ١٣٠ . ينابيع المودة، القندوزي، دار الاسوة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ ق.

فهرس

مقدّمة سماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي (مدّظله العالي) / ٥

- عاشوراء ملحمة التاريخ الكبرى ٥
الطريقة المثلي لمطالعة التاريخ ٨

الديباجة / ١١

١. الأهداف والدوافع الربانية الخالصة. ١١
٢. قتل حجة الله من جانب من ينتحل الإسلام ظاهرياً ١٢
٣. أصحاب الحسين عليه ١٣
٤. عزة أصحاب الحسين عليه ١٣
٥. المظلومية الشاملة. ١٤
٦. القدرة على التأثير ١٥
الكتاب الحاضر ١٦
يتألف هذا الكتاب من ستة أقسام ١٧

القسم الأول: شخصيّة الإمام الحسين عليه وفلسفة إقامة العزاء / ١٩

- تنويه ٢١
الأول: ولادة الإمام الحسين عليه ٢١
الثاني: شخصيّة الحسين عليه ٢٢

- الإمام الحسين عليه السلام على عهد الخلفاء الثلاثة ٢٣
- الإمام الحسين عليه السلام على عهد خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام ٢٤
- الإمام الحسين عليه السلام على عهد الإمام الحسن عليه السلام ٢٤
- الإجلال والإكبار الاستثنائي للإمام الحسين عليه السلام من قبل المسلمين ٢٤
- خاتمة المطاف ٢٥
- الثالث: دور الأئمة الأطهار في تخليد الحسين عليه السلام** ٢٦
- أساليب الأئمة عليهم السلام في إحياء عاشوراء وأبطالها ٢٧
١. إقامة مجالس العزاء ٢٧
٢. ذكر مصائب الحسين عليه السلام في مختلف المناسبات ٢٨
٣. البكاء والإيكاء ٢٨
٤. حث الشعراء على المراثي ٢٩
٥. أهمية تربة الإمام الحسين عليه السلام ٣٠
٦. الإهتمام الخاص بزيارة ضريح الحسين عليه السلام ٣١
- الرابع: تاريخ إقامة العزاء على مظلومية الحسين عليه السلام** ٣١
١. البكاء على الحسين عليه السلام قبل ولادته ٣٢
٢. البكاء على الحسين عليه السلام بعد الولادة ٣٣
٣. النوح والبكاء على الحسين عليه السلام بعد شهادته ٣٤
- الخامس: فلسفة البكاء والعزاء على الإمام الحسين عليه السلام** ٣٨
١. الحُسن الذاتي للبكاء ٣٨
٢. نيل الثواب وشفاعة أهل البيت عليهم السلام ٣٩
٣. شكر الإمام الحسين عليه السلام ٤٠
- التحليل الصائب لفلسفة مراسم العزاء ٤١
١. حفظ مدرسة أهل البيت عليهم السلام ٤١

٤٣	٢. تعبئة المسلمين
٤٥	٣. التزكية والتهذيب «الإقتداء»
٤٦	٤. الثناء على جهاد الإمام <small>عليه السلام</small> وتعظيم الشعائر
٤٧	السادس: أساليب إقامة العزاء
٤٨	١. البكاء
٤٩	٢. التباكي
٤٩	٣. إرتداء الزي الأسود
٥٠	٤. إقامة مجالس العزاء
٥٠	٥. النياحة
٥١	٦. لطم الرأس والصدر
٥٢	٧. الكف عن العمل
٥٣	وصايا آية الله العظمى مكارم الشيرازي - مدّ ظلّه -
٥٣	إلى الهيئات الحسينية والمداحين
٥٥	كهف المظلومين

القسم الثاني: جذور نهضة عاشوراء / ٥٧

٥٩	تنويه:
٦١	الفصل الأول: تجذر عداء بني أمية لبني هاشم
٦١	أ) جذور تاريخية
٦٣	ب) خصائص بني هاشم
٦٣	١. التحلي بالعلم والفضل
٦٣	٢. طهارة وطيب الأعراق
٦٤	٣. الفضائل الشخصية

- ٦٩ **الفصل الثاني: إنتقام أعداء الإسلام لهزائهم على عهد النبي ﷺ**
- ٧٠ دور أمير المؤمنين علي عليه السلام في هزيمة مشركي قريش
- ٧٠ هاجس قلق النبي ﷺ
- ٧١ قلق علي عليه السلام على الحسن والحسين عليهما السلام
- ٧٢ وضوح العداوة والبغضاء في كلمات معاوية
- ٧٣ ثأر يزيد لآبائه
- ٧٥ كلمات سائر العناصر الأموية
- ٧٧ **الفصل الثالث: التآمر في السقيفة (دور السقيفة في إرساء الخلافة الأموية)**
- ٧٩ (أ) إنتهاك حرمة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام
- ٨٠ (ب) تبديل الخلافة (العهد الإلهي) بالشأن البشري
- ٨١ (ج) رئاسة بني أمية في الشام (تحول الخلافة إلى ملك)
- ٨٣ سر مُحاباة عمر لمعاوية!
- ٨٧ **الفصل الرابع: تنصيب عمر للشورى واستخلاف عثمان**
- ٩٠ إفرافات خلافة عثمان ودورها في ترسيخ حكومة بني أمية
- ٩١ ١. منح المناصب الحساسة للأمويين
- ٩٥ ٢. إغداق الأموال على بني أمية
- ٩٧ **الفصل الخامس: المؤامرات في عصر أمير المؤمنين عليه السلام**
- ٩٧ ١. التخلي عن عثمان
- ١٠٠ ٢. معركة الجمل أو المواجهة غير المباشرة من قبل معاوية للإمام عليه السلام
- ١٠٣ ٣. معركة صفين، مواجهة معاوية المباشرة للإمام عليه السلام
- ١٠٤ ٤. إشاعة الرعب في أجواء الحكومة العلوية
- ١٠٧ **الفصل السادس: تبلور المؤامرات في عصر الإمام المجتبي عليه السلام**
- ١٠٧ ١. خداع بعض أمراء جيش الإمام الحسن عليه السلام من قبل معاوية

٢. إضعاف موقع الإمام علي عليه السلام من قبل المنافقين وعملاء معاوية. ١٠٨
٣. الصلح المفروض. ١٠٨
- الفصل السابع: خلافة معاوية.** ١١١
١. تقض الصلح مع الحسن علي عليه السلام. ١١١
٢. نصب المنافقين في المناصب الحساسة. ١١٢
- عمرو بن العاص (والي مصر). ١١٤
- زياد بن أبيه (والي البصرة والكوفة). ١١٧
- المغيرة بن شعبة (والي الكوفة). ١١٩
- سمرة بن جندب (خليفة زياد في البصرة). ١٢١
٣. النشاط الثقافي لتحقيق الأهداف المشؤومة. ١٢٣
- أ) المنع من تفسير القرآن. ١٢٣
- ب) إشاعة مذهب الجبر. ١٢٤
- ج) تحريم ذكر فضائل الإمام علي عليه السلام ووضع الأحاديث. ١٢٤
- د) إشاعة سب علي عليه السلام. ١٢٧
٤. قتل الإمام الحسن المجتبي عليه السلام. ١٣٠
٥. قتل الشيعة على التهمة. ١٣١
- قتل حجر بن عدي. ١٣٢
- قتل عمرو بن الحمق. ١٣٤
٦. المحاصرة الاقتصادية للمعارضة. ١٣٦
٧. البدع. ١٣٩
٨. فرض بيعة يزيد على الأمة. ١٤٢
- الفصل الثامن: حكومة يزيد الغامشة.** ١٤٥
- نشأت يزيد. ١٤٥

- أفكار وعقائد يزيد ١٤٦
- جرائم يزيد ١٤٩
١. فاجعة الطف ١٤٩
٢. واقعة الحرة ١٥٠
٣. حرق الكعبة ١٥٢

القسم الثالث: دوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام / ١٥٣

- تنويه: ١٥٥
- الفصل الأول: تهذيب الإسلام وإنقاذه من البدع ١٥٧
- الفصل الثاني: إصلاح الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٦٣
- الفصل الثالث: تشكيل الحكومة الإسلامية ومقارعة الظلمة ١٦٩
- نظرة إلى الماضي ١٧١
- مواجهة الحسين عليه السلام لمعاوية ١٧٢
- سعي الحسين عليه السلام لتشكيل الحكومة الإسلامية على عهد يزيد ١٧٣
- أ) رفض بيعه يزيد (وإعلان عدم جدارته بالخلافة) ١٧٣
- ب) التصريح بحقه في الخلافة ١٧٤
- ج) تلبية دعوة أهل الكوفة ١٧٤
- إعلان الثورة لتشكيل الحكومة الإسلامية مع العلم باستشهاده ١٧٨

القسم الرابع: أحداث ثورة عاشوراء / ١٨٣

- الفصل الأول: من مدينة إلى كربلاء ١٨٥
- تمهيد ١٨٧
١. خطبة أم كلثوم ١٨٧

٢. الخوف من اسم علي عليه السلام ١٨٩
٣. الفخر بفاطمة فقط! ١٩٠
٤. مصادرة أموال عامة ١٩١
٥. المنع عن لقاء الحسين! ١٩١
٦. غلظة الإمام الحسين عليه السلام على معاوية ١٩٢
٧. رسالة الإمام عليه السلام الشديدة اللهجة لمعاوية ١٩٣
٨. الرسالة المذكورة في رواية أخرى ١٩٥
٩. حكومة معاوية أعظم فتنة! ١٩٨
١٠. تقرير معاوية على اختيار يزيد ١٩٩
١١. ردّ الإمام عليه السلام القاطع على معاوية ١٩٩
١٢. لا أرى أصلح من يزيد ٢٠٢
١٣. الخطبة المهمة والمصيرية ٢٠٣
١٤. إنما نهضت بالأمر لإقامة الحق ٢٠٧
١٥. مكر الليل لأخذ البيعة ٢١٠
١٦. كيفية إفشال الخطة ٢١١
١٧. الموضوع طبق رواية أخرى ٢١٢
١٨. رد الإمام عليه السلام الحاسم ٢١٣
١٩. مواصلة الكلام ٢١٤
٢٠. الجواب الأخير: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان ٢١٥
٢١. الإمام الحسين عليه السلام عند قبر النبي صلى الله عليه وآله ٢١٧
٢٢. اللهم إني أحب المعروف ٢١٨
٢٣. وداع الإمام الحسين عليه السلام لقبر جدّه النبي صلى الله عليه وآله ٢١٨
٢٤. رفض البيعة جملة وتفصيلاً ٢١٩

٢٥. وصية الإمام الحسين التاريخية. ٢٢٠
٢٦. هيهات منا الذلة. ٢٢١
٢٧. أمّاه أعلم أنّي سأقتل. ٢٢٢
٢٨. العاقبة الشهادة. ٢٢٣
٢٩. خروج الحسين عليه السلام من المدينة. ٢٢٤
٣٠. دخول الإمام الحسين عليه السلام مكة. ٢٢٤
٣١. سعي ابن عباس وعبدالله بن عمر لثني الإمام عليه السلام. ٢٢٥
٣٢. رسالة الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة حين بعث إليهم مسلم عليه السلام. ٢٢٩
٣٣. التخطيط للبيعة والثورة. ٢٣٠
٣٤. رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة والتخطيط للثورة. ٢٣١
٣٥. المهمة المقدسة. ٢٣١
٣٦. حجّة بيعة أهل الكوفة على الإمام عليه السلام. ٢٣٣
٣٧. ليرافقنا المضحون فقط. ٢٣٣
٣٨. إحترام الحرم الإلهي. ٢٣٤
٣٩. الإمام عليه السلام يخبر عن شهادته. ٢٣٦
٤٠. رفض الإمام الحسين عليه السلام لأمان العدو. ٢٣٧
٤١. النهضة لإعلاء كلمة الحق. ٢٣٧
٤٢. رسالة أخرى من الإمام عليه السلام لأهل الكوفة. ٢٣٨
٤٣. إحياء معالم الحق. ٢٣٩
٤٤. حوار الإمام عليه السلام مع ولده علي الأكبر عليه السلام. ٢٤٠
٤٥. بنو أمية وتتبع الإمام الحسين عليه السلام. ٢٤١
٤٦. الإمام الحسين عليه السلام يترك للناس حرية الإنصراف. ٢٤٢
٤٧. الإمام عليه السلام يستعرض لصحبه الحقائق. ٢٤٢

٤٨. أهداف الإمام عليه السلام في الأشعار المعبرة ٢٤٣
٤٩. خطبة الإمام عليه السلام في أول لقاء بالعدو ٢٤٤
٥٠. خطبة الإمام عليه السلام إزاء جيش الحر ٢٤٦
٥١. ردّ الحسين على الحر ٢٤٧
٥٢. تعبير آخر للإمام عليه السلام برفض الذل ٢٤٩
٥٣. خطبة الإمام الأخرى في أصحاب الحر ٢٤٩
٥٤. عبيد الله بن الحر الجعفي وفوات الفرصة ٢٥١
٥٥. هوان الدنيا ٢٥٣
٥٦. الوصول إلى المكان المطلوب ٢٥٤
٥٧. موقف الإمام الحسين عليه السلام الصلب إزاء رسول عبيد الله ٢٥٦
٥٨. الصمت معصية ٢٥٧
٥٩. مرحبا بهذا الموت ٢٥٨
٦٠. حوار الحسين لعمر بن سعد ٢٥٩
٦١. حبّ الدعاء والمناجاة ٢٦٠
٦٢. خطبة الإمام عليه السلام ليلة عاشوراء ٢٦١
٦٣. لن تتخلي عنك أبداً! ٢٦٣
٦٤. أحلى من العسل ٢٦٦
٦٥. التأهب للواقعة الكبرى ٢٦٧
٦٦. أروع ميادين التضحية ٢٦٩
٦٧. إهداء السماء دماء الشهداء! ٢٧٢
٦٨. آخر زاد ٢٧٣
٦٩. مناجاة صبيحة عاشوراء ٢٧٣
٧٠. خطبة صبيحة عاشوراء ٢٧٤

٧١. الحرص على أداء حقّ الناس حتى في عاشوراء ٢٧٥
٧٢. التزود في صبيحة عاشوراء ٢٧٦
٧٣. خطبة الإمام عليه السلام الحماسية حين تأهب العدو لقتاله ٢٧٦
٧٤. خطبته عليه السلام الملحمية إزاء عسكر الأعداء ٢٧٩
٧٥. إعرافات أهل الكوفة مقابل منطق الإمام عليه السلام ٢٨٢
٧٦. حديث الحسين عليه السلام لصحبه الميامين ٢٨٣
٧٧. عجلوا أيّها الأبطال ٢٨٤
٧٨. شهداء الحملة الأولى ٢٨٥
٧٩. ارجعي إلى الخيام (فليس على النساء جهاد) ٢٩١
٨٠. لقد نصرتماني بأنفسكما! ٢٩٢
٨١. أني أقدم على ربّ غفور كريم ٢٩٣
٨٢. أبوالشعناء الكندي ٢٩٤
٨٣. الحرّ بن يزيد الرياحي ٢٩٤
٨٤. برير بن خضير ٢٩٧
٨٥. مسلم بن عوسجة ٢٩٩
٨٦. زهير بن القين ٣٠٠
٨٧. حبيب بن مظاهر ٣٠٦
٨٨. عمرو بن قرظّة بن كعب الأنصاري ٣١٠
٨٩. أنس بن الحرث الكاهلي ٣١١
٩٠. أسلم بن عمرو، الغلام التركي ٣١٢
٩١. عمرو بن جُنادة ٣١٣
٩٢. يزيد بن بُيَيط ٣١٥
٩٣. عابس بن أبي شبيب الشاكري ٣١٦

٩٤. حنظلة بن أسعد الشبامي ٣١٨
٩٥. الحجاج بن مسروق ٣١٩
٩٦. سعيد بن عبدالله الحنفي ٣٢٠
٩٧. جَوْن مولى أبي ذرّ ٣٢١
٩٨. نافع بن هلال الجملي ٣٢٣
٩٩. أبو ثمامة الصائدي ٣٢٤
١٠٠. فتحت لكم أبواب الجنان ٣٢٦
١٠١. الأخوان من الخوارج ٣٢٧
١٠٢. سويد بن عمرو ٣٢٧
١٠٣. اللهم اشهد ٣٢٨
١٠٤. والله عزيز على عمّك ٣٣٢
١٠٥. شهداء بني عقيل ٣٣٣
١. عبدالله بن مسلم بن عقيل ٣٣٣
٢. جعفر بن عقيل ٣٣٤
٣. عبدالرحمن بن عقيل ٣٣٥
١٠٦. شهداء آل جعفر الطيار ٣٣٥
١. عون بن عبدالله بن جعفر ٣٣٥
٢. محمد بن عبدالله بن جعفر ٣٣٦
١٠٧. أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ٣٣٧
١. عبدالله بن علي ٣٣٧
٢. عثمان بن علي ٣٣٨
٣. جعفر بن علي ٣٣٩
٤. أبوبكر بن علي ٣٣٩

١٠٨. أخي ألتمس لهؤلاء الأطفال ماءً..... ٣٤٠
١٠٩. هل من جرعة ماء للرضيع!..... ٣٤٣
١١٠. يا أصحابي! مالي أناديكم فلا تجيبوني!..... ٣٤٦
١١١. يا ولدي قتل عمك أيضاً..... ٣٤٧
١١٢. استذكّر الأم في آخر لحظات الوداع..... ٣٤٩
١١٣. ثياب أهل الذمة..... ٣٥٠
١١٤. الحوار مع النسوة..... ٣٥١
١١٥. كلمات الإمام عليه السلام وأشعاره في العدو..... ٣٥١
١١٦. شوق اللقاء..... ٣٥٤
١١٧. الناكثون الغادرون..... ٣٥٥
١١٨. إعرفوني من أنا..... ٣٥٥
١١٩. أبيات أخرى..... ٣٥٧
١٢٠. الموت أولى من حياة العار..... ٣٥٨
١٢١. إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً..... ٣٥٩
١٢٢. الدعاء على القوم..... ٣٦٠
١٢٣. أريد أن ألقى جدّي مخضب بدمي..... ٣٦١
١٢٤. عندما بكى العدو..... ٣٦٢
١٢٥. عبدالله بن الحسن، وبقية الأخ..... ٣٦٣
١٢٦. المناجاة الأخيرة..... ٣٦٤
١٢٧. لحظات الشهادة..... ٣٦٥
- الحوادث التاريخية بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام..... ٣٦٨
١٢٨. تغير عالم الطبيعة..... ٣٦٨
١٢٩. عزاء الملائكة..... ٣٦٩

١٣٠. عودة ذي الجناح إلى الخيام ٣٧٠
١٣١. نهب سلاح الإمام عليه السلام وملابسه ٣٧٠
١٣٢. نهب الخيام ٣٧٢
١٣٣. الهجوم على خيمة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ٣٧٤
١٣٤. حرق الخيام ٣٧٥
١٣٥. هجوم الخيل على جسد الإمام الحسين عليه السلام ٣٧٦
١٣٦. ارسال رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة ٣٧٨
١٣٧. تقسيم رؤوس الشهداء ٣٧٨
١٣٨. أسر أهل البيت عليهم السلام ٣٧٩
١٣٩. عبور قافلة الأسرى على مقتل الشهداء ٣٨٠
١٤٠. دفن الأجساد الطاهرة ٣٨٤
- الفصل الثاني: من كربلاء إلى المدينة ٣٨٩**
١. دخول السبايا إلى الكوفة ٣٩١
٢. الصدقة حرام علينا! ٣٩٢
٣. الخطبة التاريخية لزینب الكبرى عليها السلام في الكوفة ٣٩٤
٤. خطبة عجيبة أخرى لفاطمة الصغرى ٣٩٧
٥. خطبة أخرى! ٤٠٠
٦. خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في الكوفة ٤٠١
٧. ما رأيت إلا جميلاً! ٤٠٣
٨. الشهادة، افتخارنا ٤٠٤
٩. الشفاء التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلها! ٤٠٦
١٠. الشيخ الذي وصل إلى مرامه ٤٠٧
١١. أعجب من قصة أصحاب الكهف والرقيم ٤١٠

١٢. كتاب ابن زياد ليزيد بن معاوية ٤١٢
١٣. منازل في الطريق ٤١٤
- مشهد النقطة ٤١٤
- حلب ٤١٥
- بعلبك ٤١٥
١٤. الضجة في الشام ٤١٥
١٥. في قصر يزيد ٤١٩
١٦. صرخة زينب الكبرى عليها السلام ٤٢٢
١٧. الخطبة التي هزت قصر يزيد ٤٢٦
١٨. سقطات يزيد ٤٣٢
١٩. حديث منهال مع الإمام زين العابدين عليه السلام ٤٣٣
٢٠. بقايا الشام ٤٣٤
٢١. الطلبات الثلاث للإمام زين العابدين عليه السلام ٤٣٦
٢٢. محل دفن الرأس المقدس ٤٣٨
٢٣. الحركة من الشام ٤٣٩
٢٤. زيارة جابر بن عبد الله الانصاري لكربلاء ٤٤٠
٢٥. مجيء أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء ٤٤٣
١. اختلاف الأقوال في مسألة مجيء أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء في يوم الأربعاء ٤٤٤
٢. بُعد المسافة والتوقف في المنازل ٤٤٦
١. تصريح المورخين قبل السيد ابن طاووس ٤٤٨
٢. إلحاق رؤوس الشهداء بأبدانها ٤٤٩
٣. سنة زيارة الأربعين ٤٥١
- ما جرى في كربلاء يوم الأربعاء؟ ٤٥٦

٢٦. التوجه إلى المدينة ٤٥٨
٢٧. الورود إلى المدينة ٤٥٩
- خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام عند باب المدينة ٤٦١
٢٨. إقامة المأتم في المدينة ٤٦٢
- بكاء وحزن أم البنين ٤٦٤

القسم الخامس: آثار ومعطيات نهضة الطف / ٤٦٧

- تنويه: ٤٦٩
- الفصل الأول: إحياء الإسلام ودين الحق ٤٧١
- الفصل الثاني: قدوة الأحرار ٤٧٥
- الفصل الثالث: الثورات الدامية بعد واقعة كربلا ٤٧٩
- أ) الثورات الفردية ٤٨٠
- ب) قيام التوابين ٤٨٢
- موت يزيد ٤٨٣
- بداية عمليات التوابين ٤٨٤
- نقد وتحليل ٤٨٤
- ج) قيام المختار ٤٨٥
- المعركة الأخيرة ٤٩٠
- نقد وتحليل ٤٩١
- د) إنقراض بني أمية ٤٩١
- ثورة العباسيين والانتقام من بني أمية ٤٩٢
- عجائب التاريخ! ٤٩٣
- خاتمة المطاف ٤٩٧

القسم السادس: قطوف شعريّة / ٤٩٩

- ٥٠١ تنويه:
- ٥٠٣ أول من رثاه عقبة بن عمر السهمي
- ٥٠٤ مقطع من قصيدة السيّد الحميري
- ٥٠٥ مقطع من قصيدة دعبل الخزاعي
- ٥٠٦ مقطع من قصيدة ابن حمّاد العبدي
- ٥١٠ قصيدة ابن حمّاد العبدي أيضاً
- ٥١١ قصيدة لشاعر آخر
- ٥١٣ أبيات مختارة من قصيدة ابن عرندس
- ٥١٦ أبيات مختارة من قصيدة ابن عرندس
- ٥١٩ مقطع من قصيدة السيّد جعفر حلّي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الميمية
- ٥٢٣ قصيدة لأحد الأكابر
- ٥٢٣ قصيدة للسيد محمّد حسين القزويني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
- ٥٢٤ مقطع من قصيدة الشيخ خليعي
- ٥٢٧ فهرس المصادر
- ٥٣٥ فهرس